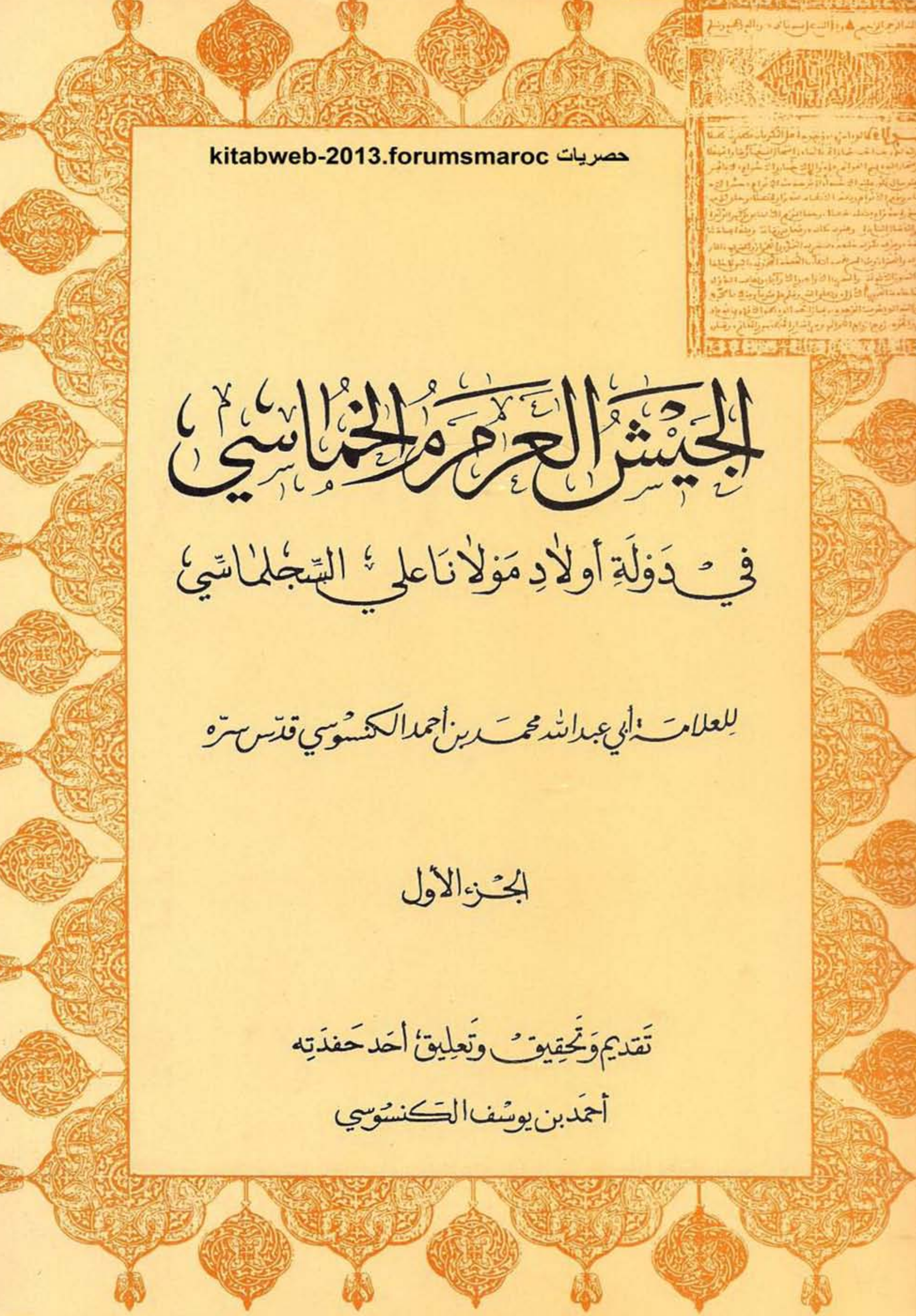

حصريات kitabweb-2013.forumsmaroc
الجيش العرمرم الخماسي
في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي
للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي قدس سره
الجزء الأول
تقديم وتحقيق وتعليق أحد حفدته
أحمد بن يوسف الكنسوسي

الجيش العرمرم الخماسي

في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي

للعلامة أبي عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي قدس سره

المتوفى سنة 1294 هـ - 1877 م

الجزء الأول

تقديم وتحقيق وتعليق أحد حفدته

أحمد بن يوسف الكنسوسي

ردمك 4-00-948-9981 (المجموعة)

ردمك 9-03-948-9981 (الجزء الأول)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ولما من الله تعالى بكامل توفيقه وتيسيره، وجدنا من أنفسنا عزما شغل البال، رغم انني كنت أقدم رجلا وأخر أخرى، هل نعمل على إخراج "كتاب الجيش العرمرم" للطباعة، بل وأنا أعالج الفكرة أيضا هل أنا من رجال هذا الميدان، هل أعمل أم لا ؟، ولكن لما كان الشعور قويا والعزم أكيدا، قلت باسم الله القوي العظيم، فمددت يد المساعدة، وأنا أعالج مرة أخرى طريق فتح باب هذا المجهود الذي دفع بنا إليه عظيم الشوق وشديد الرغبة، فأدركت بأن الاقدام عليه شيء واجب تسأل عنه الأسرة الكنسوسية وحدها، وهذا من أكبر دافع لإخراجه على الطريقة التي يظهر عليها تحقيقه مع نشر ما عندنا من لطائف تلحق به مناسبة لمقامه، وربما يطرح هنا سؤال لماذا لم يخرج في وقت مبكر ؟ الجواب ان ذلك بقي دينا على ابن الفقيه مؤلفه العلامة الأديب أبي مهدي عبد الله بن محمد بن أحمد الكنسوسي المتوفى رحمه الله 1317هـ / 1899م. ولعله اشتغل كاتبا في الدار العالية بالله المرفوعة الراية بقدرته على عهد السلطان مولانا الحسن الأول في خلافته وعهد سلطانه ثم عهد المولى عبد العزيز، - ونستطيع أن نقول انه كان في عزمه ذلك لما رأينا من عنايته بمطالعة الكتب التاريخية مطالعة فائقة، وذلك ما رأيناه في مطالعته الاستقصاء التاريخ الفريد من نوعه للشيخ أحمد بن خالد الناصري المتوفى رحمه الله 1315هـ / 1897م. فما ترك مسألة لها علاقة بالتاريخ إلا نبه عليها بهامش الكتاب، ورأينا له نفس العمل في الروضة السليمانية للزياني تارة في الرد عليه وتارة في تعليق يناسب مقام التاريخ، ورأينا نفس العمل في جزاي كشف الظنون بما يبهر العقول، وهذا دأبه في كل كتب التاريخ كنزهة الإفراني والظل الظليل له وكالنشر الكبير للقادري وغير ذلك مما يطول ذكره، فكان موقفه هذا برهانا قويا يحملنا أن نقول انه كان في عزمه الشروع في إخراج الكتاب لولا ان الأجل بلغ حده.

وقد قابلنا نسخة الأصل التي بأيدينا المهمشة بهوامش بخط مؤلفه رحمه الله :

1- نسخة الخزانة الملكية التي جلبناها من الرباط بمساعدة مديرها جزاه الله خيرا ورمزنا لها. ب (م)

2- نسخة كلية الآداب بالرباط بمساعدة مديرها شكر الله مسعاه ورمزنا لها ب (گ)

3- الجزء الثاني من نسخة شيخنا العلامة المرحوم بكرم الله السيد أبي بكر الشنتوفي السلاوي البيضاوي المراكشي المتوفى 1353هـ / 1934م خلاف ما في اعلام الفكر للأستاذ الجراري إذ أرخ وفاته 1355هـ وتبعه الأستاذ مؤرخ الدولة في كتابه اعلام المغرب العربي ص 268، كما غلط المؤرخ الكبير السيد محمد بن علي الدكالي حيث أرخ وفاته 1346 هـ، الاتحاف الوجيز ص 152. ورمزنا للشنتوفي (ش)

4- النسخة المطبوعة بفاس على يد الفقيه السيد عمر بن الخياط، ورغم أن المصحح لها هو الفقيه العلامة عبد الكريم بنيس فإنها مشوهة، نقلنا ما كان فيها من بعض الزوائد فألحقناه بمحله المناسب ونبهنا على ما عداه ورمزنا لها بحرف (ف).

ومن الجدير بالذكر أن نذكر ما ذكره العلامة عبد الكريم بنيس في آخر الكتاب، شكر الله مسعاه، وهذا نصه :

حمدا لمن غمرتنا أياديه الوافرة وعطاياه المتظاهرة، وأطلعنا على مآثر السلف والخلف بامناء نقلة الأخبار والطرف، ونزهنا في رياض سجاياهم بما استفدناه من نفائس التحف وجواهر كانت في غياهب الصدف، والصلاة والسلام على واسطة عقد الارسال، وما له من آل وأصحاب وأصهار وأنجال، وبعد فيقول مصححه بحسب طاقته ووسعه، العبد الفقير عبد الكريم بن العربي بنيس الفاسي، ذو القلب القاسي : قد انتهى طبع هذا الكتاب النفيس، والروض الزاهر الأنيس، المسمى بالجيش العرمرم للعلامة أبي عبد الله سيدي محمد بن أحمد اكنسوس السوسي المراكشي تغمده الله في رحمته، وأتحفنا وإياه بأعالي جنته، فيا له من رياض ما أجمله، وكنز ما أحفله، مليء بالذخائر العوائد، وأفاد اجل الفوائد، لم ينسج ناسج على

منواله، ولا أتى مؤلف بأوضح من انقاله، وذلك في ظل السلطان المؤيد أبي يعقوب سيدنا يوسف أعز الله نصره وخلد في الصالحين ذكره.

على ذمة الفقيه النبيه الشريف سيدي عمر بن العلامة الجليل سيدي أحمد بن الخياط الزكاري الحسني، وذلك في أوائل رمضان المعظم سنة 1336 هـ. ولما تم طبعه الرائق وحسن وضعه الفائق قلت مادحا له ومؤرخا من بحر الرمل :

منة التاريخ أزكى المنن	موقظ جاهله من وسن
من روى أخبار قوم قد مضوا	فهو ذو عمر طويل الرسن
كل من يدريه من أهل النهى	ذو اعتبار بمرور الزمن
فاتخذه صاحبا تحظ به	مؤنسا ينسيك خطب المحن
سيما جيشا وفى عرمرما	بهمام ذي ذكاء حسن
العلا الكنسوسي محمد من	قد حبانا برياض بسن
فيه ما تهوى وترتاح له	كل نفس من قطوف الفنن

ومتى الطبع وافى ارخه
كمي الجيش بطبع فطن
139 83 1044 70
1336

سبب تأليف الكتاب

ومن الجدير بالذكر أن ننقل من "الدرر الفاخرة" ما يدل على اعتناء السلطان المولى محمد الرابع بالعلم والعلماء، من ظهير شريف يتعلق بما يناسب المقام، حسب ما يظهر من فحواه، وهذا نصه :

ومما يدخل في باب نهضته العلمية دخولا أوليا تشجيعه للمؤلفين وتنشيطه لهم ماديا وأدبيا، واداء المصاريف اللازمة حتى أجرة النسخ، وإليكم نص ظهير في الموضوع يكون لديكم برهانا جليا على ذلك. بعد الحمد لله والصلاة، والطابع الأمامي صدره نقش داخله (محمد بن عبد الرحمان الله وليه) :

"ولدنا الأبر الا رضي سيدي حسن أصلحك الله وسلام عليك رحمة الله تعالى وبركاته،

وبعد،

فقد وصلنا كتابك وعلمنا منه توصل الفقيه السيد محمد الكنسوسي بما أنعمنا به عليك من الدراهم والكسوة وبالمنعم به على مخرج مبيضة تأليفه وناسخه ليتولى تفريق ذلك عليهما على يده باجتهاده كما أمرنا، وان الطالب العربي المطيري توصل بما نفذناه له من البلاد بالحوز، أصلحك الله ورضي عنك، والسلام.

في 12 من ذي الحجة الحرام عام 1293"

(الدرر الفاخرة ص 95)

ولنرجع الى سبب وضع كتاب الجيش، والسبب هو "الجواب المسكت" لما طالعه السلطان المولى محمد بواسطة العلامة أحمد بن الفاضل الوداني مجالس السلطان المذكور، نقلا عن رسالة للوداني المذكور لمؤلف الجيش. نص المواد منها : "أما بعد، فقد وصل جوابكم المسكت وكتابكم المفرح المبكت، جامعا بين الدب والأدب، ناديا وجه من للشر ندب، ماديا جلالة الكبار متأدبا، وطفى شرارة الصغار مادبا، منقوله بهر، ومعقوله قهر، يروق حسنه المناظر، ويعجب منه كل ناظر، ولقد أحسن من قال : وان كان لا يحسن المقال، جاء الجواب مرغبا، ومرهبا بسماعه ومصدقا ومكذبا، ومبشرا ومنفرا تشجيعه فاعجب لهذا مادبا متأدبا ومفرحا أحبابكم ومطرحا أعدائكم، ومنعما ومعذبا، أدى الكبار جلالة فتأدب، اطفى الشرار من الصغار فادب، وحاصل ما في المجيب والجواب أقول حيث شق على تتبع المقول، فنعم الجواب من جواب مجيب ونعم المجيب من مجيب جواب.

وبوصوله أبلغته يد الخليفة المنصورة أعلامه، الميمونة لياليه وأيامه، أمير العلماء وعالم الأمراء، سيدي محمد بن أمير المؤمنين نصره الله وأيده، فقرأه واستحلى مذاقه، وأعجبه نسجه وراقه، وذكر نصره الله انه مكث فيه يوما وليلة ولم يترك منه حرفا. ثم طلبه مني الوزير لما أخبره به سيدنا الأمير، فذكر لي أنه قرأه كله فيما بين الزوال الى العصر، وأنه استفاد منه قضايا لم تكن عنده ولا سمع بها قبله. هـ.

وبما أن صاحب الجلالة لما طالع الجواب المسكت وأعجبه أسلوبه أصْدر أمره الشريف الى مؤلف الجيش بأن يجعل في الدولة العلوية التاريخ المذكور. هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لم يزل الأبناء والأحفاد يهتمون بمؤلفات أسلافهم، اعترافا بحقوقهم. وتنويها بأقدارهم، وإشاعة لآثارهم، وهي ظاهرة ازدهرت بالمغرب عبر العصر الحديث والمعاصر وكان من نماذج العلماء الذين ساهموا في هذه المبرة، عدد غير قليل خرجوا أعمال آبائهم أو أسلافهم من أصولها، ونسقوا حتى صارت مؤلفات متكاملة.

فمن الأبناء الذين خدموا تعاليق الآباء، نشير إلى زمرة منهم بدءا من أبي فارس عبد العزيز بن أبي الطيب الزياتي، مخرج تقاييد والده أبي الطيب بن الحسن على المختصر الخليلي، ثم تعاليق محمد بن أحمد الحريشي الفاسي على نسخته من نفس المختصر، وكان مخرجها هو ولده الذي دونها في مؤلف باسم "نفائس الدرر من حواشي المختصر". وبعده يأتي محمد العياشي بن أبي علي اليوسي، جامع ثلاث موضوعات لوالده : "القانون" و "الديوان" ورحلته الحجازية، ثم محمد بن أحمد بن الحسن اليحمدي، مرتب ومهذب كناشة والده، وخامسا : عبد الغني بن محمد بن هنو اليازغي الفاسي، وهو مخرج السفر الأول من شرح والده على كتاب "الشامل" لبهرام، ويلي هذا عبد الله بن إدريس الحسيني العراقي الفاسي، وقد جمع ما شرحه والده إدريس الحافظ على الثلث الأخير من "مشارق الأنوار" للصغاني، وسابعا : محمد العابد بن أحمد بن الطالب بن سودة المري، الذي استخرج طرر والده من هامش نسخته من صحيح البخاري في سفرين.

ومن الذين قاموا بنفس المبادرة في مخلفات أسلافهم : أبو السعود عبد القادر بن علي الفاسي الفهري، وقد بدأ في جمع تقاييد عم والده أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي ثم أكمل جمعها ابنه محمد بن عبد القادر الفاسي، وثالث هذه الفئة محمد بن محمد ميارة الحفيد، خرج تعاليق جده محمد بن أحمد ميارة على المختصر الخليلي، وسماها : "التقاط الدرر

مما كتب على المختصر". وأخيرا : عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة الفاسي، مستخرج ما وقف عليه من فهرس أشياخ جده لأمه : محمد المهدي بن الطالب ابن سودة.

وممن سار على هذا الدرب، وأحيا هذا العمل المبرور، الأستاذ العالم الميقاتي، سليل العلم، وحليف الفضل، السيد أحمد الكنسوسي، حفيد الشيخ محمد بن أحمد مؤلف : "الجيش العرمرم الخماسي" وهو الكتاب الذي اتجه الحفيد المنوه به إلى الاهتمام به، فتناوله بالتصحيح والتحقيق، حتى أخرجه في نصه المتكامل، بعد ما كانت طبعته الحجرية يتخللها النقص ويشينها خلوها من التصحيح.

وقد أضاف الأستاذ الكنسوسي لهذا المجهود، أثراء تقديمه لعمله بتعريف موسع بمؤلف "الجيش" برز فيه مركزه كعالم منوع المشاركة، ولغوي متضلع، وشاعر مبدع وكاتب لامع...

وهكذا سيكون من معطيات هذا الجهد تقديما وتحقيقا، صدور "الجيش العرمرم" في طبعة عصرية متقنة التقدم نموذجا حيا من مساهمة مراكش في مبرة اهتمام الأحفاد بتراث الأسلاف، والله سبحانه من وراء القصد.

الرباط فاتح رمضان 1414

12 فبراير 1994

محمد المنوني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه.

الحمد لله الذي أشرق نور وجوده على المكونات وظهرت ظلا لها، ولذلك وجب احتياجها واعتلالها(1) واستحال استغناؤها واستقلالها وسبحان الله الذي نسج العوالم على منوال الاختيار والاختراع، لا باقتراح أو سبق مثال يكون عليه الاحتذاء أو يوخذ منه الانتزاع، جنس الاجناس ونوع الأنواع، وصنف الأصناف تقديرا وتحصيلا، (وخلق كل شئ فقدره تقديرا و فصله تفصيلا)، وجعل النوع الانساني مركز الدائرة، ومصدر الامثال السائرة «فحمله الأمانة»(2) وعمر به مكانه، وشغل به زمانه، وقلده عبادته وتكليفه وشرفه بكونه خليفة، فتيسر به التمدن والعمران، وظهر فيه(3) آثار العقوبة والغفران، ومن صميمه أضاءت الحقيقة المحمدية، التي لأجلها تكونت الشؤون الأبدية، وانتشرت الأواخر والاوائل، وتشعبت الشعوب والقبائل، وتعاقبت الدول وتناقلت أحاديث القرون الأولى.

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد ين عبد الله الذي هو سبب الوجود، ومثار الغيث الذي طبق الآفاق باندفاق الكرم والجود، روح أرواح العوالم، وسر أسرار المظاهر والمعالم، وعلى اله الذين اشتملوا برود التنزيه والتطهير، وتصاعدوا في أفلاك التنويه الى ما لا غاية فوقه من التشهير، وعلى الصحابة السفرة، الكرام البررة، فتحة الأقاليم والمدائن والامصار، من المهاجرين والأنصار.

أما بعد، فإن النفوس والأرواح لها بالأخبار السالفة انبساط وانشراح، تدير في المجامع كؤوسها، «وتجلي على منصات المحاضرات عروسها»(4) وتزين بها أوقاتها ومجالسها، وتتحف بعجائبها مجالسها، فتشير بذلك ارتياحا وانشراحا، وايناسا وأفراحا، كأنما شربت راحا، والمتكفل بذلك هو فن(5) التاريخ، الذي هو أطيب من أزهار الشماريخ(6)،

---

(1) كذا في الاصل وفي (م) أما (ف) ففيها : (اعتلامها) وهو خطأ.
(2) مابين العلامتين ساقط من (م).
(3) في (ف) : (به) بدل : (فيه).
(4) مابين العلامتين ساقط من (م).
(5) في (م) : (علم) بدل : (فن).
(6) في مصباح الفيومي : «الشمراخ ما يكون فيه الرطب، والشمروخ وزان عصفور لغة فيه، والجمع فيهما شماريخ».

ناهيك به فنا يفيد موعظة وعلما، ويمنح العقلاء بيانا وفهما، تسمو إليه الهمم العالية، وتحيا به الرمم البالية، وتبعث به الامم الخالية وتنشر، وتعرض في عرصات الادكار والافتخار وتحشر، ويرى به الانسان ما غاب عنه حاضرا، إذا كان فيه ناظرا ويكتسب به من الاخلاق الكريمة ما لم يكن عليه مجبولا من كل مالم يزل عند النبها «(7) محمودا مقبولا، ويجالس به أفاضل الرؤساء والملوك «وينافسهم في اقتناء الفضائل التي تزري بلآلئ السلوك»(8)، ومن أنكر فضيلة التاريخ فقد تباعد في الجهالة وتوغل، حتى تحمر بعد(9) الانسانية وتبغل.

قال الجلال السيوطي(10) رضي الله عنه ناقلا عن أبي شامة : جاهل التاريخ يركب عمياء، ويخبط خبط عشواء، ينسب خبرا تقدم لمن تأخر، «ويعكس»(11) قال : ولقد حضرت مجلسا فيه ثلاثة عشر مدرسا منهم قاضي القضاة وجرى بينهم ذكر ذوي القربى الذين تحرم عليهم الصدقات، فقالوا هم بنو عبد المطلب، وعبد المطلب هو هاشم، فما أحقهم بكل ملامة ومذمة لجهلهم أصلا «أصيلا»(12) من أصول الشريعة انتهى.

وقال ولي الدين العراقي(13) رضي الله عنه : في القرآن الاستدلال بالتاريخ في قوله تعالى «يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم الآية» فأبطل دعوى اليهود والنصارى بقوله تعالى :«وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده» انتهى.

قال الشيخ أحمد بابا(14) «لما نقل ما تقدم : هذا من نفائس الاستدلال ولطائفه(15) انتهى.

قال الجلال [السيوطي](16) ومن فوائد التاريخ واقعة رئيس

---

(7) في (ف) : (النبلاء) بدل : (النبهاء).

(8) مابين العلامتين ساقط من (ف).

(9) في (ف) (عند) بدل : (بعد).

(10) هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمان بن أبي بكر الخضيري السيوطي المؤلف المكثر المتوفى سنة 911 هـ -و 1505م.

(11) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(12) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(13) هو أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي شارح سنن أبي داوود المتوفى سنة 206 هـ-821 م.

(14) هو أحمد بن أحمد بابا التنبكتي الصنهاجي العلامة الكبير والمؤرخ الشهير صاحب المكتبة العظيمة المتوفى سنة 1032 هـ-1622 م.

(15) قلت : ما نقله المؤلف قدس سره عن الشيخ هو كلام أبي زرعة العراقي في شرحه على سنن أبي داوود.

(16) ما بين المعقوفين سقط من الاصل ومن (ف).

الرؤساء(17) المشهورة في قضية اليهود [لعنهم الله](18)، وحاصلها انهم أظهروا رسما قديما فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بسقوط(19) الجزية عن يهود خيبر، وفيه شهادة مولانا علي بن أبي طالب وغيره من أكابر الصحابة، فرفعوا ذلك الى رئيس الرؤساء فعظمت حيرة الناس من شأنه. فقال الحافظ أبو بكر الخطيب(20) بعد تأمله : هذا مزور، فقيل له بما عرفته ؟ قال : فيه شهادة معاوية، وهو انما اسلم بعد الفتح سنة ثمان، وخيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ(21) وهو مات يوم(22) بني قريضة وذلك(23) قبل فتح خيبر، فسر الناس بذلك، وزالت حيرتهم.

«قال العلامة القادري(24) في الازهار الندية : وفي حدود صدر هذه المائة أعني المائة الحادية عشرة ظهر نحو هذا الكتاب المزور بمعناه والرفع على خطوطه بتاريخ سبعة وعشرين وسبعمائة بموحدة فيهما، ثم كذلك بعام إحدى وتسعين بالمثناة فوق وسبعمائة بالموحدة، ثم ظهر ايضا عام ستة وثمانمائة ثم تعدد ظهوره مرارا لآخرها عام اثنين وأربعين وألف مسمى فيه جماعة ممن شهرتهم بالدين والعلم قاطعة بالنقول عليهم في ذلك، وأن كل من نسب اليهم ذلك كان مفتريا كذابا، وجميع الأشكال والتسميات الموضوعة فيه مفتعلة مزورة، وأدى بعض أهل التهور ممن له شهرة في تحمل الشهادة بفاس الى أن رفع على بعض الخطوط الموضوعة عليه ونسبها لأكابر أهل العلم والدين من أهل القرن العاشر والحادي وهو في رفعه على ذلك متقول كذاب مختلق سولت له نفسه الدخول في حزب أهل الشقاء والعياذ بالله تعالى وافتضح وقامت بذلك قيامته، وكتب عليه جماعة من أئمة علماء وقت ظهور الرسم الظهور الأخير، منهم الشيخ

---

(17) هو علي بن الحسن بن أحمد المعروف بابن المسلمة استكتبه القائم بأمر الله العباسي ولقبه برئيس الرؤساء وشرف الوزراء وجمال الوزراء، كان متضلعا في علوم كثيرة مع سداد رأي ووفور عقل وبقي في الوزارة 12 سنة الى أن قتله البساسيري سنة 450 هـ-1058 م.

(18) ما بين المعقوفين سقط من الاصل ومن (ب).

(19) في الناسخة : (باسقاط)

(20) هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الحافظ المؤرخ الجليل صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة 463 هـ-1070 م.

(21) هو سيد الاوس الصحابي الجليل الذي اهتز عرش الرحمان لموته من إصابته في غزوة الخندق سنة 5 هـ-626 م.

(22) في (م) : (مات ببني قريظة).

(23) في (م) : (وهو) بدل : (وذلك).

(24) هو أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري المؤرخ الشهير المتوفى سنة 1187 هـ-1772 م.

الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي(25)، وولده أبومحمد سيدي الطيب(26) والعلامة الحافظ الشريف الحسني القسنطيني(27)، والقاضي سيدي العربي بردلة(28)، وكل من هؤلاء بين فضيحة الرسم المذكور وكذبه بالبراهين القاطعة، وقد وقفت على فتاويهم بذلك منقولة ولولا خوف الاطالة لجلبت نصوصها وإنما أشرت لهذا خوف ان يظهر شيطان مثل ذلك بعد هذا الزمان كما أظهره قبل»(29) انتهى.

وقد اعتنى كثير من الأئمة بالتاريخ ولا كاعتناء المرأة الغريبة بمرآتها، عند الانتباه من نومها وسناتها، وأكثروا فيه التآليف المتداولة بين رواتها، وكان لهم فيه في كل زمان فسيح مجال، وفي كل دولة ركبان ورجال، خبوا(30) فيه ووضعوا بالروية والارتجال، والريث والاستعجال، قال الزبيري(31) : ما رأيت أحدا أعلم من الشافعي رضي الله عنه بأيام الناس [حيث](32) يقول ما أردت به الا الاستعانة على القلب انتهى(33).

يريد والله أعلم كقوله تعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) وقوله تعالى (ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر) وذكر المواق(34) في كتابه سنن المهتدين عن شيخه المنتوري(35) أنه حدث بسنده

---

(25) أبو عبد الله محمد فتحا بن الشيخ الامام عبد القادر الفاسي المشارك النظار المؤلف المتوفى سنة 1116 هـ-1704 م.

(26) هو أبو محمد الطيب الفاسي العلامة الجليل المختار من قبل الحضرة الاسماعلية سفيرا لدى الاتراك في عقد مهادنة الحدود عام 1103 هـ-1691 . بعد وقعة المشارع مجهم توفي سنة 1113 هـ-1701 م.

(27) أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالكماد قدم على فاس وأفاد فيها وأجاد ذكره القادري في وفيات 1116 هـ-1704 م.

(28) ابو عبد الله محمد العربي بردله شيخ الجماعة بفاس وقاضيها العدل المتوفى سنة 1133 هـ-1720 م.

أقول وقد تكلم ابن كثير في البداية والنهاية على هذا الكتاب المزور وأفاد أنه رآه وانه جمع فيه جزءا مفردا (البداية ج 14 ص 19).

(29) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(30) في (ف) (حبوا) وهو تصحيف

(31) هو مصعب بن عبد الله الزبيري ابو عبد الله علامة الانساب. مؤرخ كبير 236 هـ-851 م.

(32) ما بين المعقوفين ساقط من الاصل ومن (م) فأضفناه نقلا عن (ف).

(33) الذي في كتاب الروضتين لابن ابي شامة (ج 1 ص2) : قال مصعب الزبيري، ما رأيت أحدا اعلم بأيام الناس من الشافعي ويروى. "يروى عن الشافعي انه اقام على تعلم ايام الناس والادب عشرين سنة وقال : ما اردت بذلك الا الاستعانة على الفقه" وهذا يخالف رواية المؤلف التي جاء فيها لفظ (القلب) بدل (الفقه).

(34) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الغرناطي الخطيب بها. الشهير بالمواق المتوفى سنة 897 هـ-1491م.

(35) أبو عبد الله محمد بن عبد الملك القيسي المنتوري بكسر الميم كما في شجرة النور الزكية المتوفى سنة 834 هـ-1430 م.

الى أبي العباس ابن العريف(36) قال : كنت في مجلس أستاذي أبي علي الصدفي (37) فقرأ الحديث ثم طوى الكتاب وجعل يحكي حكايات الصالحين، فوقع في نفسي كيف يتجرأ(38) الشيخ أن يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكي الحكايات، قال : فما تم لي الخاطر حتى نظر إلي الشيخ شزرا وقال : ياأحمد، الحكايات جند من جنود الله يثبت الله به قلوب العارفين من عباده، قال : فما بقي في جسدي شعرة إلا قطر منها العرق ولما رآني الشيخ دهشت قال لي : ياأحمد ما مصداق ذلك من كتاب الله تعالى ؟ قلت : الشيخ أعلم، قال : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) انتهى.

فمن المؤلفين في التاريخ المشاهير، الامام البخاري، وابن اسحاق(39)، والواقدي(40)، وسيف ابن عمر(41)، والطبري(42)، وابن الكلبي(43)، والذهبي(44)، والمسعودي(45) وغيرهم ممن لايحصى، هذا في العموم وأما فيما يخص قوما أو جيلا بأعيانهم أو دولة معينة دون غيرها فكثير أيضا كابن الرقيق(46) في دول افريقية وأبي مروان حيان بن خلف

---

36) أبو العباس احمد بن محمد بن محمد بن عطاء الله الصنهاجي الاندلسي الصوفي المحتسب ببلنسية المتوفى مسموما بمراكش سنة 536 هـ 1141 م. وقبره مزارة مشهورة بوسط سرلها.

37) أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون الصدفي المعروف بابن سكرة قاضي مرسية العادل الذي انتهت اليه الرياسة في الحديث، استشهد في سادس ربيع الاول سنة 514 هـ-1120 م في غزوة كنطرة.

38) في (ف) : (يجيز) بدل (يتجرأ).

39) أبو عبد الله محمد بن اسحاق امام أهل السير قدم كتابه في السيرة للمنصور العباسي، توفي سنة 150 هـ-767 م.

40) أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي قدم من المدينة الى بغداد وولي بها القضاء للمأمون، وهو مؤرخ شهير على ما في كتبه من مبالغات وله المكتبة العظيمة التي يتحدث عنها الذهبي في الميزان والتاريخ الكبير، توفي سنة 207هـ-822 م.

41) سيف بن عمر الضبي الاسدي مصنف الفتوح والردة وغير ذلك، وهو كالواقدي من أصحاب السير والفتوح، وأحد المعروفين في الضعفاء كما يعلم من التاج والميزان كانت وفاته سنة 170 هـ-786 م.

42) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير له مذهب خاص. توفي سنة 310 هـ-922 م.

43) هو أبو المنذر هشام بن أبي النضر بن السائب الكلبي النسابة وهو اول من فتح باب علم الانساب وضبط قواعده توفي سنة 204 هـ-819 م.

44) هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد الدمشقي الفارقي الشافعي مؤلف كبير ونقاد خطير مع مبالغة فائقة الحد في نقده كما لم يسلمه تلميذه السبكي في الطبقات ، توفي سنة 748 هـ-1347 م.

45) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي شيعي رحالة نشأ في بغداد ودخل مصر وتردد بينها وبين الشام ولا تخفى مكانته في التاريخ، توفي سنة 346 هـ-957 م.

46) ابراهيم بن القاسم الكاتب الاديب الشاعر، ذكره بن خلدون في الطبقة الاولى من المؤرخين بحيث يرجع له الفضل في التاريخ الافريقي، وقد وهم صاحب كشف الظنون في تسميته احمد بدل ابراهيم وكتابه عن تاريخ افريقية والمغرب من جملة ما ضاع من كتبه ولم يبق منه عدا نتفا أوردها النويري في نهاية الارب وابن خلدون في تاريخه، توفي سنة 383 هـ-993 م.

بن حيان(47) الاموي الاندلسي القرطبي المؤرخ في الدولة الأموية بالأندلس، وصاحب دُرر الأثمان(48) في دولة آل عثمان، وكتاب القرطاس(49) في دولة الأدارسة {بفاس} (50) وابن خلدون(51) في بغية الرواد، في دولة بني عبد الواد، والتنيسي(52) في نظم الدرر والعقيان، في بني زيان، وأحمد بن عبد السلام الجراوي(53) في صفوة الادب في دولة الموحدين وصاحبي(54) رقم الحلل وروضة النسرين(55) في دولة بني مرين، والفشتالي(56) في مناهل الصفاء في دولة السعديين.

وأما هذه الدولة الشريفة العلوية الحسنية التي هي تاج مفارق الدول، وغرة الأواخر والأول، وهي التي أمن الله بها أقطار الأرضين من هذه المغارب، كما أمن أهل السماء بالنجوم الطوالع والغوارب،

يزهى بها الدهر والايام مشرقة

تهز في ظلها اعطافها تيهـا

---

47) أبو مروان المؤرخ الشهير صاحب المقتبس في أخبار اهل الاندلس في عشر مجلدات. والمهان في تأريخ الاندلس في ستين مجلدا، توفي سنة 469 هـ-1076 م.

48) هو محمد بن ابي السرور البكري الصديقي المتوفى بالقاهرة سنة 1028 هـ-1618 م. وكتابه هذا موجود في غوطا وله كتابان آخران في نفس الدولة وكتاب عام في التاريخ سماه «عيون الاخبار ونزهة الابصار».

49) كتاب القرطاس، سياتي ذكر ما يتعلق بالقرطاس في اللواء 6، من دول المغرب العربي في ذكر عبد الحق بن محيو او ابن يحي اول ملوك المرينيين يحول الله.

50) ما بين المعقوفين زيادة من (م).

51) ابن خلدون هذا هو أخو المؤرخ الشهير وهو ابو زكرياء يحيى بن ابي يحيى زكرياء ابن خلدون التونسي وزير ابي حمو أمير تلمسان توفي سنة 788 هـ-1386 م.

52) محمد بن عبد الله التلمساني من اكابر علمائها ومفتيها وله فتاو في المعيار، توفي سنة 899 هـ-1493 م وكتابه المذكور في نفس الموضوع السابق ويخزانتي الجزء الاول مخطوطا وافاد جرجي زيدان انه طبع بباريز سنة 1852 م ونقل للفرنسية.

53) أبو العباس احمد بن عبد السلام الجراوي اصله من تادلا وسكن مراكش، أديب كبير فصيح اللسان شاعر حضرة السلطان يعقوب الموحدي، وقد وهم صاحب كشف الظنون اذ قال فيه انه توفي آخر ايام يعقوب الموحدي المتوفى سنة 595 هـ-1198 م، وفي مشتبه النسبة انه شاعر المغرب بعد الستمائة، أما صفوة الادب فهو ليس تاريخا في الدولة الموحدية، وانما هو كتاب على نهج الحماسة الفه ليعقوب المنصور.

54) أما صاحب "رقم الحلل في نظم الدول" المطبوع بتونس سنة 1316 ﻫ/ 1898 م فهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب المتوفى سنة 776 ﻫ/ 1374 م.

55) أما صاحب "روضة النسرين في دولة بني مرين" المطبوعة بباريس سنة 1917 م مع ترجمة فرنسية فهو أبو الوليد إسماعيل بن يوسف المعروف بابن الاحمر المتوفى سنة 807 ﻫ / 1404 م وقد وهم جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ج 3 ص 215 إذ سماه عبد الله، وفي نيل الابتهاج أنه توفي سنة 810 ﻫ / 1407 م وعند جرجي سنة 804 ﻫ/ 1401 م.

56) هو المؤرخ الشهير أديب الدولة السعدية وشاعرها المفلق الوزير أبو فارس عبد العزيز ابن محمد المتوفى سنة 1031 ﻫ / 1621م. فأما "مناهل الصفاء في أخبار الملوك الشرفاء" فهو من الذخائر النفيسة من أجل ما اشتمل عليه من الوثائق التاريخية المهمة خصوصا عن العصر الذهبي الذي كان يعيش فيه مؤلفه، وقد سأل الوزير ابو عبد الله محمد العربي الجامعي مؤلف الجيش عن كتاب "مناهل الصفاء" فأجابه برسالة يوجد نصها في ترجمة صاحب الجيش بقلمنا.

الدولة المباركة التي طلعت شموسها فانجلت الدجنات المدلهمة، وانزاحت المحن والشدائد عن هذه الامة، والدولة التي أفاءت على ملة الاسلام {ظلال}(57) العدل والاحسان، وجرى مدحها وشكرها على كل لسان،

بها رفعت عليا معد عمادها

ودانت لها الأيام بعد حران

فافياؤهم للمستجير معاقل

وابياتهم للمكرمات مباني

الدولة العالية الغرف السامية الذرى والشرف، في ساحة المجد والأصالة والشرف.

{إذا انتسبوا}(58) مد الفخار أكفهم

الى شرف اعلى دعائمه المجد

فإنها لما كانت محاسنها في غاية الاشتهار، كالشمس الضاحية رأد النهار، وكانت مفاخرها مما يهيم فيه واصفها ويحار، وعجائبها من الحديث عن البحار وقفت العلماء المعتبرون الذين أظلتهم أكنافها، وغمرتهم أجناس مواهبها وأصنافها، فهم على ساحل ذلك البحر المهول، ما بين انتكاص وذهول، وهم فيما ظهر من أحوالهم على أقسام دون أربعة، لايتعدى أحد منهم موضعه، فمنهم من يقر صادقا بالاعجاز، ويصرح بذلك على الحقيقة لا المجاز، ويقول : والله ما لي يد على عدر مال عالج، ولا أنا ممن يلج في تلك الموالج، ومنهم من يعتذر بقول القائل، وهو عن طريق الانصاف مائل :

والعي ان يصف الورقاء مادحها

بالطوق او بمدح الغزلان بالكحل

ويقول الآخر :

وما الحلي إلا زينة لنقيصة

يكمل من حسن إذا الحسن قصرا

واما إذا كان الجمال موفرا

كحسنك لم يحتج الى أن يزورا

---

57) ما بين المعقوفين سقط من (ف).

58) ما بين العلامتين ساقط من (م).

ومنهم من نهض لذلك على ضعف وما بالبعير من قماص، وسارع الى التأليف ولات حين مناص، كمثل العلامة السيد الصغير الأفراني(59) رحمه الله في ورقات سماها : "الظل الظليل، في مفاخر مولانا اسماعيل»(60) وفي ما ألم به في آخر نزهة الحادي فإن ذلك لايبل غلة الصادي، وأما أبو القاسم الزياني(61) في البستان الظريف في دولة أولاد مولانا علي الشريف(62) فهو كخرقاء وجدت صوفا، أعانه على ماذكره تقاييد الشيخ ابن الحاج المكناسي(63) الذي كان بغاية الذكاء موصوفا، وهو في ما جمع بلا ترتيب ولا تنقيح كحاطب ليل، وباغت سيل، وأما الشريف العلامة القادري فقد ذكر في الأزهار الندية بعض أخبار الدولة الاسماعيلية(64)، الى أول الدولة المحمدية، وذلك قل من كثر، لا يسمن ولايغني، ولا يقرب من قضاء ذلك الحق ولايدني، هذا وأن مولانا المنصور بعزة الله المؤيد بتأييد الجلال والجمال من حضرة مولاه، ذا الملك الشامخ،

---

59) هو أبو عبد الله محمد الصغير مؤرخ مراكش توفي بعد سنة 1155هـ / 1742م قلت قد وقع غلط فاحش لمحقق ترجمانة الزياني الاستاذ الفلالي حيث قال في ص 187. محمد الصغير الوفراني أحد مؤرخي الدولة العلوية عاصر ابن ادريس العمراوي، وهو الذي أشار عليه بوضع كتاب روضة التعريف بمفاخر أبناء علي الشريف. « وليست هذه التسمية كما قال، بل روضة التعريف لمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف كما أن الذي أشار على الافراني، هو الوزير أبو الغنائم غازي بن احمد الآتي الترجمة. هل كان للمحقق عفى الله عنه حال تحقيقه وتعليقه كتاب الروضة أمامه وفيه هذا الغلط، أو كان من حفظه وتضلعه في التاريخ كما سمعناه في دعواه الموازنة بين مؤرخي المغرب.

60) حاول ليفي بروفنصال ان يعترض على صاحب الجيش في هذه التسمية قائلا : ان تسمية الكتاب هي "الظل الوريف لمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف" على أن صاحب الجيش اعتمد على نسخته المخطوطة ونصها : «وسميته روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل ابن الشريف »وللك ان تسميه « الظل الظليل في مفاخر مولانا اسماعيل» ... وقد وقف على نفس التسمية صاحب الاستقصا اذ قال لدى الكلام على دولة المولى اسماعيل زاد في الظل الظليل الخ 4 ص 21.

61) أما الزياني فقد كتب عنه لويس شيخو في الآداب العربية في القرن التاسع عشر ج : ص 17 فقال :

" ومن كتبوا في التاريخ الشيخ أبو القاسم بن أحمد الزياني، كان من عمال مراكش متولبا على مدينة وجدة ثم اعتزل الاشتغال في تلمسان والف سنة 1813م كتاب «الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب» طبع الاستاذ الفرنسي هوداس قسما منه يحتوي تاريخ مراكش من سنة 1631م الى 1812م والباقي لايزال مخطوطا وله كذلك كتاب «البستان الظريف في دولة مولانا على الشريف » توفي1249هـ / 1833م.

62) هو التاريخ المشهور للزياني في الدولة العلوية ويذكر عنه في ديباجته أن زمن كتابته عام 1226هـ / 1811م ولما كان يتكلم بداخله على ملوك بني عثمان ذكر أن زمن التاريخ هو 1235هـ/ 1849م ولعله امتدت الكتابة إليه وإن كان لايفهم ذلك من عبارته وتوجد منه نسخ بعنوان «الروضة السليمانية، في ملوك الدولة الاسماعيلية» إلا أن نسخ الكتاب يختلف بعضها عن بعض زيادة ونقصا.

63) هو محمد بن عبد الوهاب بن عثمان المكناسي كان الوزير الصدر عند المولى محمد بن عبد الله وكانت بينه وبين الزياني منافسة تعرض الزياني لبعضها في رحلته الترجمانة وغيرها من كتبه قال ابن زيدان في الاتحاف ج 4 ص 162 في ترجمة المكناسي : ونال الزياني من المترجم على عادته مع معاصريه وغيرهم» وانظر الترجمانة لترى موقفه البشع مع العلامة الأديب محمد بن عثمان المكناسي مشاركه في السفارة ص 104 وكانت وفاة المكناسي سنة 1223هـ/ 1808م.

64) القادري السابق الذكر مؤلف «نشر المثاني والازهار الندية بأهل المائة الحادية والثانية ومالهم من الشيم العالية، فيه تراجم لم تكن في «النشر» وتراجم في «النشر» لنجدها في «الازهار» فيها زيادات وغاية الازهار سنة 1184هـ.

والفخر الباذخ، والشرف الثابت الراسخ سلطان السلاطين وشريف الشرفاء، وإمام الأئمة وسيد الخلفاء أمير المؤمنين، وسياج ملة المسلمين مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام بن مولان محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل، أعز الله ذكره، وأدام نصره، وخلد مجده وفخره، أمرنا بتأليف كتاب يكون في وجه الزمان غرة، ولأعين الناظرين قرة، يجمع أخبار هذه الدولة المباركة الشريفة الحسنية، ذات المناقب [الباهرة](65) والمحاسن السنية، وهو نصره الله لما كانت همته العالية تواقة الى أعالي المآثر والمفاخر، ومرتبته السامية لاترضى إلا بما يفوق به الأوائل والأواخر، وكانت يده الفياضة لها التصرف المطلق في علوم النقول والعقول والرياضة، كما يأتي إن شاء الله تعالى ذكر أوصافه الحميدة، في راية دولته السعيدة، في قلب هذا الجيش العرموم، وفي اللواء الهاشمي المعظم، لم يقنعه أيده الله ما ذكرناه من تآليف أولئك الملأ، وأراد كتابا خاصا فائق الحلية والحلي، وكأنه نصره الله لما تأمل ما أشرنا إليه من غفلة علماء الدولة وتقصيرهم، وتعلق الملامة بطويلهم وقصيرهم، ظهر له (أطد)(66) الله عزه، أن ذممهم لحقوق هذه الدولة مازالت عامرة، وحجتهم في اكتفاء بتآليف من ذكرنا حجة عجفاء ضامرة، ورأى أيده الله أنهم لايبرأون من تابث الحقوق ولايتخلصون من ربقة العقوق، الا بتأليف بديع مستوعب حفيل(67) بجميع المحاسن والمحامد كفيل، وما ذكر من تلك التآليف إنما هو قضاء عن البازل بأفيل، والدولة الشريفة مازالت تنادي في كل محفل ونادى :

فاثنوا علينا لا أبا لأبيكم

بافعالنا ان الثناء هو الخلد

ثم أكد علينا الوزير الأعظم، الهمام الأجل الأعز الأكرم، عصام الدولة وإمامها، ومن بيده البيضاء زمامها، الفقيه العلامة النزيه، المبارك الرئيس الوجيه، سلالة الأماجد من خزارج الانصار الذين يتساوى في

---

65) مابين المعلامتين ساقط من (ف).

66) كذا بالاصل وفي (م) : (مد الله عزه) أما (ف) ففيها : (أطال ...).

67) كذا بالاصل ومثله في (م) أما (ف) ففيها : (ضفيل) وهو تصحيف ظاهر.

مدحهم الإطناب والاختصار، أبو الثناء سيدي محمد الطيب(68) بن اليماني، بلغه الله من كل خير جميع الأماني، وأشار علينا حفظه الله بالانتداب لأداء هذا الغرض، وقضاء ما فات غيرنا من ذلك الواجب المفترض، فلما أشار أعزه الله بتلك الاشارة الحميدة، المباركة السديدة المفيدة، نبه مناهمة كانت قبل هذا نائمة، فعلمنا أن الحجة علينا في عدم الامتثال قائمة، لأننا لهذه الدولة الشريفة من أخص الخدم، وممن قام في محبتها قديما وحديثا على قدم، وممن رفل في ظلالها في حلل الاحسان، واطلع على مجالي عرائسها الحسان، فكنا لأجل ذلك من دون غيرنا من خدامها وأحبائها، أحق بحمل أعبائها، ونشر جميل أخبارها وأنبائها، ففزعنا إلى الاستعانة بحول الله وقوته، والاستمدادمن بحور فضله ومنته، والاعتماد على ماعودنا سبحانه فيما نحاوله من خرق العوائد بباهر قدرته، حتى يسهل علينا كل صعب من هذا الشأن ويهون، وينقاد بأزمتنا كل حرون، وتنفك من يد مطالبتنا الرهون، فإنه سبحانه يعلم أننا مفلسون من الأدوات والآلات، عاجزون في جميع الحالات، ولو قدر الله سبحانه كون هذا التأليف المبارك عند مقاربة الأربعين، لا بعد مجاوزة السبعين، لكان لنا فيه شأن يذكر، ومجد يحمد ويشكر، ولكن لا محل للعتاب، ولكل أجل كتاب، وها أنا أشرع في المقصود، في طالع السعادة المرصود، متبرئا الى الله من القوة والحول، في كل فعل وقول، فرتبت هذا الكتاب ترتيبا عجيبا، داعيا الى فتح أبواب التيسير ومجيبا، مشتملا على مقدمة وجناحين وقلب وساقة، فكان كالجيش المنصور الذي تولى الفتح المبين تعبئته واتساقه،

---

68) هو وزير الدولة المحمدية الآتي الترجمة في ساقة الجيش المتوفى سنة 1286هـ/ 1896م. وقد كتب المؤلف في أسرتهم كتابين الأول «حسام الانتصار، في وزارة بني عشرين الأنصار» يقع في جزء وسط يقال طبع بمصر والثاني «خمائل الورد والنسرين في الوزراء بني عشرين» ونص الكتاب الذي رفع للمؤلف في شأن وضع التاريخ رغبنا في نشره لما فيه من تقدير سلطاني شخصية المؤلف : «والحمد لله محبنا الأرضي الفقيه العلامة الاجل البركة سيدي محمد بن احمد أكنسوس، حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما تضمنه وقد اطلعنا به علم مولانا الشريف وانبسط له غاية وقد تركه أعزه الله عنده بقصد التفكرة فيما فيه، وقد أمرني أعزه الله أن أذكر لك أنه يحسن من مثلك تأليف كتاب في التاريخ يشتمل على ما تأخر من أخبار المغرب ويكون كالتذييل على ما سبق من تواريخ المتقدمين، وقال أيده الله : إن الزياني على ما هو عليه من القصور ألف ما ألف في ذلك ووقع من الناس تأليفه موقعا، فكيف إن تصديت أنت لذلك مع ما أنعم الله به عليك من القلم الذي لايضاهى، وما تحملت به من الصدق والخير ؟ فلا شك أن يتلقى بالقبول والاحتفال، وكثيرا ما كان أعزه الله يتمنى من يؤلف في هذه الدولة بالخصوص مثل ما ألف في دولة السعديين، وعلى المحبة والسلام،
الطيب بن اليماني أمنه الله.

الحمد لله

محبنا الأرضى الفقيه العلامة الأجل الأبر الكاتب سيدي محمد
ابن أحمد أكنسوس حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد فقد وصلنا
كتابك وعرفنا ما تضمنه وقد أطلعنا به على مولانا الشريف
وانبسط له غاية وقد تذكر أعزه الله عندك بقصد التبرك
بمواهبه وقد أمر أعزه الله أن أذكر لك أنه يحضر من مدة
تأليف كتاب في التاريخ يشتمل على ما تأخر من أخبار المغرب
ويكون كالتذييل على ما استوعبت تواريخ المتقدمين وقال أيده الله
أن الذي هنا في هذا الموضوع عندنا الآن ما ألقي في ذهنك وهو فيه من الذات
تلابسه موفقا حسبما أن تصدرت أنت للزيادة مع ما أنعم الله
به عليك من العلم الذي يظهر وما تحمله به من الصبر والحلم
فلا شك أن يتلقى بالقبول والامتثال وكثيرا ما كان
أعزه الله يتمنى من يؤلف في مزية الدولة بالخصوص مثل
ما ألف في دولة الشرفاء السعديين وعلى الخير
والسلام [illegible]

والقصور

فأوجب الحال أن يسمى :

بالجيش العرموم الخماسي، في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي والله المستعان وعليه التكلان(69). (*)

(69) ما بين المعقوفين زيادة من (م).

(*) قلت : ففي رسالة الوزير بن اليمني المذكورة حيث قال :
وبعد، فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما تضمنه، وقد اطلعنا عليه علم مولانا الشريف وانبسط له غاية، وقد تركه أعزه الله عنده بقصد التذكرة فيه. المراد بالكتاب المذكور هو الجواب المسكت في الرد على البكاري بن الشيخ المختار الكنتي وليس الجيش العرمرم كما يلهم. وبهذه المناسبة اذكر ما في رسالة للعلامة الأديب السيد أحمد بن الفاضل الرداني لصاحب الجيش في نفس موضوع الجواب المذكور، ونص المراد منها : أما بعد، فقد وصل جوابكم المسكت، وكتابكم المفرح المبكت، جامعا بين اللب والأدب، ناديا وجه من النشر ندب، وبوصوله أبلغته يد الخليفة المنصورة اعلامه، المهرتة لياليه وأيامه، أمير العلماء، وعالم الأمراء، سيدي محمد بن أمير المؤمنين نصره الله وأيده، فقراه واستحلى مذاقه، وأعجبه نسجه وراقه، وذكر نصره الله انه مكث فيه يوما وليلة ولم يترك منه حرفا هـ.
قلت : فكان هو السبب ان يأمر أمير المؤمنين لما رأى من أدبه الأسلوبي بوضع التاريخ المسمى بالجيش العرمرم.

المقدمة في الأوليات(1) وحقيقة الامامة العظمى وفضلها وحكمها شرعا، والفرق بينها وبين الخلافة، وبينهما وبين الملك، فانحصر الكلام فيها في ست مسائل :

المسألة الاولى {من المقدمة}(2) في الاوليات

قد ألف الناس في الأوليات كتبا مبسوطة مفيدة كالعسكري، ونحن إنما نشير الى بعض ذلك على جهة الاختصار، اذ الغرض أمام، {وهو الذي به الاهتمام}(3). اما أول ما خلق الله سبحانه قبل كل شئ فإنه نور مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، كما جاء في أحاديث عديدة، والمراد بنوره صلى الله عليه وسلم، هو حقيقته المحمدية الموصوفة عند العارفين، وهي صعبة المدرك والتصور حتى وقع السؤال المشهور هل هي جوهر أو عرض ؟ وجواب الشيخ سيدي ابي العباس الملياني(4) معروف عندهم، واما اولية العالم في الجملة، وهو ماسوى الله تعالى، فاعلم انه انما سمي العالم عالما لانه علامة أي دليل على المرجح اي الصانع له، الذي رجح وجوده على عدمه، لأن كل ممكن {قبل ظهوره}(5).

يستوي وجوده وبقاؤه في العدم، فإذا وجد فذلك ترجيح لأحد الجانبين، وهو الوجود، قال الشيخ سيدي عبد الوهاب(6) رضي الله عنه في "اليواقيت والجواهر" : فإن قيل هل اطلع أحد من الخواص على معرفة تاريخ أول العالم على التحديد من طريق العقل أو الكشف أو الأدلة ؟ فالجواب كما قال الشيخ محيي الدين(7) في الباب التسعين وثلاثمائة من

---

(1) علم الأوائل علم يعرف به أوائل الوقائع والحوادث بحسب المواطن والنسب، وهو من فروع علم التاريخ والمحاضرات، واول من كتب فيه أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة 395 هـ موافق 1004 م والحق به بعض المتاخرين مباحث الاواخر كما فعل علي داود السكتراري البسنوي شيخ التربية المتوفى سنة 1007 هـ موافق 1598 م له محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر كتاب قيم في بابه.

(2) ما بين المعقوفين ساقط من الاصل ومن (م) وهو في (ف) فاضفناه نقلا عنها.

(3) ساقط من الاصل ومن (م) فاضفناه من (ف)

(4) ابو العباس احمد بن عثمان الملياني ، له رحلة الى المشرق التقى فيها بفحول العلماء ورجع الى المغرب وسكن بجاية، وكان يحضر مجالس ابي زكرياء الحفصي لمكانته العلمية وهديه القويم، توفي بمسقط رأسه مليانة سنة 644 هـ موافق 1246 م.

(5) ما بين المعقوفين زيادة من (م)

(6) العلامة المطلع والمؤلف الكبير والصوفي الشهير أبو المواهب عبد الوهاب بن احمد الشعراني الشافعي المتوفى سنة 973 هـ موافق 1565 م.

(7) الشيخ الاكبر ابو بكر محي الدين محمد بن علي بن عربي الحاتمي الاندلسي فيلسوف الاسلام الخطير، ظاهري المذهب في العبادات باطني النظر في الاعتقادات توفي سنة 638 هـ موافق 1240 م.

«الفتوحات» : إنه لم يبلغنا أن أحدا عرف مدة خلق العالم على التحديد، وذلك أن أكثر الكواكب قطعا في الفلك الاطلس الذي لا كوكب فيه الكواكب الثابتة، والاعمار لاتدرك حركتها لظهور ثبوتها للأبصار مع أنها سابحة سبحا بطيئا ‹والعمر قد يعجز عن ادراك حركتها لقصره› (8) فإن كل كوكب منها يقطع الدرجة الواحدة من الفلك الأقصى في مائة سنة الى أن ينتهي إليها، فما اجتمع من السنين فهو يوم تلك الكواكب الثابتة، فتحسب ثلاثمائة وستين درجة، كل درجة مائة سنة، وقد ذكر في التاريخ المتقدم أن أهرام مصر بنيت والنسر في برج الأسد، وفي نسخة الحمل، وهو اليوم عندنا في الجدي، فاعمل حساب ذلك تقرب من معرفة تاريخ الاهرام، ولم يدر بانيها ولاعرف أمرها مع أن بانيها من الناس قطعا، قال الشيخ محيي الدين : وقد رأيت في واقعة أني أطوف بالبيت مع أناس لاأعرفهم فأنشدوني بيتين حفظت أحدهما ونسيت الآخر :

لقد طفنا كما طفتم سنينا :. بهذا البيت طراً أجمعينا(9) وتكلمت مع واحد منهم فقال : أما تعرفني؟ فقلت : لا، فقال : أنا من أجدادك {الأولين} (10) فقلت له : كم لك منذ مت ؟ فقال لي : بضع وأربعون ألف سنة، فقلت : ليس لأبينا آدم عليه السلام هذا القدر من السنين، فقال لي : عن أي آدم تقول هذا ؟ الأقرب إليكم أم عن غيره ؟ فذكرت حديثا رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ‹إن الله تعالى خلق مائتي ألف آدم› (11) فقلت في نفسي : قد يكون الجد الذي ينسبني إليه ذلك الشخص من أولئك، قال : والتاريخ في ذلك مجهول مع حدوث العالم بلا شك انتهى.

{ قال الشيخ محيي الدين ابن العربي : اجتمعت مرة في عالم الأرواح مع ادريس عليه السلام وسألته عن صحة ذلك الكشف، فقال ادريس عليه السلام : صدق الخبر وصدق شهودك ومكاشفتك في ذلك، نحن معاشر الأنبياء آمنا بحدوث العالم، وانقطع علمنا عن مبدأ الأعيان

---

(8) مابين العلامتين ساقط من (م)
(9) لم يرد في الاصل وفي (م) إلا بيت واحد أما (ف) ففيها فأنشدوني هذا البيت.
(10) مابين المعقوفين إضافة من الملكية وفي (ف) (الأول) بدل الاولين وهو جمع أول
(11) ساقط من (ف)

والأكوان: (12). وقال مؤلف كتاب "منظوم الأخبار" مانصه : ويروى في مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : يارب إني أريد أن أسألك عن مسألة ولكني أخاف وأستحي فقال الله عز وجل يا موسى من لم يخفني ولم يستحيي مني لم يعرف قدرتي، ولكن سل، قال : يارب متى أنت إله في الألوهية ؟ قال الله : سأصف لك شيئا من ذلك، إني خلقت قبل أن أخلق السماوات السبع والأرضين السبع والجنة والنار ثمانين ألف مدينة، كل مدينة طولها وعرضها ثمانون ألف سنة بعضها فوق بعض، فملأتها خردلا أبيض، وخلقت طائرا أخضر، وجعلت رزقه في ذلك الخردل، فجعل يأكل كل يوم خردلة حتى ظهر النقص في الحب، فجعل يأكل كل شهر حبة حتى ظهر النقص في الحب، فجعل يأكل حبة في سنة حتى فني ما في المدائن، ثم خلقت في تلك المدائن سبعين ألف رجل عاش كل واحد منهم سبعين ألف سنة، فعصاني واحد منهم، فأمرت تلك المدائن فضرب بعضها بعضا فصارت دكا، ثم خلقت بعد ذلك بستة آلاف سنة اللوح والقلم ونور محمد والعرش والكرسي والملائكة الكروبيين والجنة والنار، وكل مرتبة من هذه المراتب بعد ستة آلاف سنة، ثم خلقت السماوات والأرضين في ستة أيام، ثم خلقت بعد ذلك بستة آلاف سنة رجلا ليس من الانس ولا من الجن ولا من الملائكة، وسميته آدم، فعاش عشرة آلاف سنة، فمات، ولم أخلق شيئا بعده عشرة آلاف سنة، ثم خلقت رجلا آخر، فسميته آدم فعاش عشرة الاف سنة فمات فلم أخلق شيئا بعده عشرة آلاف سنة... فلم أزل أخلق آدم بعد آدام حتى خلقت عشرة الاف آدم، يعيش كل واحد عشرة ألاف سنة، ولم أخلق شيئا بعد موت كل واحد منهم عشرة آلاف سنة (ثم خلقت إبليس، فعبدني سبعين ألف سنة) (13) ثم خلقت يا موسى أباك آدم في الجنة، وذكر كيفية خلق آدم وسارإلى آخر الحديث الطويل، وفي هذا الخبر مخالفة لما تقدم اولية الحقيقة المحمدية قبل كل شيء {وإن كانت الواو هنا قد يجاب عنها بأنها لاترتب} (14) والله أعلم.

---

(12) ساقط من الأصل ومن (م) فأضفناه من (ف)

(13) ساقط من (م)

(14) ساقط من الأصل ومن (ف) فأضفناه من (م)

وأما أول الأنبياء فآدم عليه السلام، وأول الرسل قيل : هو أول أولاده، وقيل نوح عليه السلام، وأول عاص لله تبارك وتعالى إبليس كما في "القرآن العظيم"، وأول ظلم وقع في الأرض ظلم هابل(15) بن آدم لأخيه قابل <وهو أول قتيل> (16)، وأول من أسلم وآمن برسول الله صلى عليه وسلم مطلقا فأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، فلا مطمع لأحد في لحاقها في ذلك لا أبو بكر رضي الله عنه ولاغيره، وهي مزية لها، والمزية لاتقتضي التفضيل، وقيل : أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقول حسان(17) رضي الله عنه :

إذا تذكرت شجوا من اخي ثقة
فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا

خير البرية اتقاها واعدلها
إلا النبي واوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا

أخرج أبو نعيم(18) عن فرات بن السائب(19) قال : سألت ميمون بن مهران(20) قلت : علي أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ فارتعد حتى سقطت عصاه من يده، ثم قال :

ماكنت أظن أن أبقى الى زمن يعدل بهما، لله درهما، كانا رأسَيْ الاسلام، قلت : فأبو بكر كان أول إسلاما أو علي ؟ قال : والله لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين مر به، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أو يولد علي

---

(15) كذا بالأصل وهو ماوجد في (م) وفي (ف) وهو خلاف المعروف من أن القاتل قابل والمقتول هابل. كما أن المعروف في الاسمين أنهما بدون باء.

(16) ساقط من (م)

(17) الصحابي الجليل والشاعر المفلق المؤيد بروح القدس فشاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة، وشاعر اليمن في الاسلام، والابيات من قطعة في خمسة أبيات واردة في ديوانه. المطبعة الرحمانية بمصر سنة 1347، 1929م ص 299 وذكر قبلها سبب قوله.

(18) أحمد بن عبد الله الاصبهاني مؤلف كتاب الحلية المعتبر أكبر موسوعة في تاريخ نساك الامة وزهادها يشتمل على زهاء 800 ترجمة، توفي سنة 436 ، الموافق 1044.

(19) أبو سليمان وقيل أبو المعلى فرات بن السائب الجزري قال عنه البخاري : منكر الحديث، والدارقطني وغيره إنه متروك.

(20) الحكيم اليقظان أبو أيوب ميمون بن مهران إمام أهل الجزيرة. من رجال التصوف الكبار، توفي سنة 117 هـ الموافق 735م.

انتهى. قال الجلال السيوطي : وقد قال إنه {يعني أبا بكر} (21) أول من أسلم خلائق(22) من الصحابة والتابعين وغيرهم، بل ادعى بعضهم الاجماع عليه انتهى. قلت : إذا صح ماتقدم عن الآعمش ميمون بن مهران فلا شك أنه أول بالاطلاق قبل خديجة وغيرها، لأنه هو الذي كان واسطة بين النبي النبي صلى الله عليه وسلم وبينها حتى أنكحها إياه، وذلك هو الظاهر من قول حسان المتقدم، فإذا ثبت ذلك فالمؤمنون كلهم في صحيفته كما قيل.

والمرء في ميزانيه اتباعه

فاقدر إذن قدر النبي محمد

وقيل : أول من أسلم مولانا علي رضي الله عنه، وقد جمع بعضهم بين هذه الأقوال جمعا حسنا، وهو أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال، ومولانا علي من الصبيان، وأم المؤمنين خديجة من النساء، وأول من تفطن لهذا الجمع أبو حنيفة رضي الله عنه، وهذه أول مناقب أبي بكر رضي الله عنه التي لا حصر لها، ومن مناقبه ما ذكره الامام سيدي عبد الوهاب الشعراني في الميزان، ونصه : وفي الحديث أن شخصا مات في عهد رسول الله صلى عليه وسلم فشهد فيه الصحابة كلهم بالشر إلا أبا بكر رضي الله عنه، فأوحى الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذين شهدوا في فلان بالسوء صادقون، ولكن الله تبارك وتعالى أجاز شهادة أبي بكر تكرمة له، انتهى. قال الشيخ الشعراني : وذلك أن مقام الصديقية يقتضي أن لايرى صاحبه من الناس إلا حسنا قياسا على باطنه، فافهم، انتهى، وأبو بكر هو أول من ولي الخلافة وأبوه حي، وهو أول من تلقب في الاسلام، ولقبه عتيق، قيل لعتاقته أي حسنه وجماله، قاله الليث(23) بن سعد، وقيل لعتاقته من النار كما ورد في حديث رواه الترمذي(24)، وقيل إنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به، قال مصعب بن الزبير : هذا على أن لفظ عتيق لقب به، وهو الصحيح، لا اسم له كما قيل، وإنما اسمه عبد الله،

---

(21) إضافة من (م)

(22) خلائق بالرفع فاعل لقوله السابق : وقد قال، وبهذا الاعراب يظهر معنى الكلام.

(23) الليث بن سعد بن عبد الرحمان الفهمي مولاهم، عالم مصر وإمامها يشهد فيه الشافعي أنه أحفظ من مالك، إلا أن أصحابه أضاعوه، وكان بينه وبين مالك مراسلات في مسألة عمل أهل المدينة، ويحكى أنه رجع الى رأي الامام مالك، توفي سنة 175 هـ الموافق 791م.

(24) عن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل على رسول الله صلى عليه فقال : (انت عتيق الله من النار) فمن يومئذ سمي عتيقا.

واسم أبيه عثمان، وغلب عليه أبو قحافة، وأما وصفه بالصديق فقد اجتمعت الأمة على وصفه به، ولم ينصرف إلا إليه إذا أطلق، لأنه بادر الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقع منه توقف ولا ارتياب في حال من الأحوال، وهو أول من اتخذ بيت المال، وهو أول من عهد بالخلافة قبيل الموت لغيره، وهو أول من سمى المصحف مصحفا.

وأما أول من دعي بأمير المؤمنين فهو سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان أبو بكر يدعى بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما ولي عمر صاروا يدعونه بخليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ذلك ثقيلا لما فيه من التكرار ‹ولأنه يؤدي الى زيادة الثقل كلما ولي أحد بعد عمر لتضاعف التكرار›(25) حتى كتب عمر إلى عامل العراق يأمره أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه لبيد بن ربيعة(26) وعدى بن حاتم الجواد(27) فقدما المدينة ودخلا الى المسجد فوجدا به عمرو بن العاصي فقالا له : استأذن علينا أمير المؤمنين، فقال : أنتما والله أصبتما اسمه، فدخل عليه عمرو فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال له : ما بدا لك في هذا الاسم ! لتخرجن مما ذكرت، فأخبره وقال : أنت الأمير ونحن المومنون، فجرى دعاؤه بهذا من يومئذ، وسيدنا عمر أول من دون الديوان، أخرج ابن سعد،(28)، عن سعيد بن المسيب(29) قال : دون عمر الديوان في المحرم سنة عشرين، فدعا عقيل بن أبي طالب(30) ومخرمة بن نوفل(31) وجبير بن مطعم(32) وكانوا من نساب

---

(25) ساقط من (م)

(26) أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري أحد أصحاب المعلقات. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في قومه بني جعفر بن كلاب، فأسلم وحسن إسلامه، عمر فوق المائة ومات سنة 41هـ الموافق 661م.

(27) أبو طريف عدي بن حاتم الجواد، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ومات بالكوفة سنة 67هـ الموافق 686م.

(28) أبو عبد الله محمد بن سعد الزهري كاتب الواقدي، مؤلف الطبقات الكبرى والصغرى في الصحابة والتابعين، وكتابه أقدم كتاب وصل المكتبة العربية في علم الطبقات توفي سنة 230هـ الموافق 844م.

(29) الامام الشهير سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي المدني رأس علماء التابعين وفردهم وفاضلهم وفقيههم، لايرى أصح من مرسلاته، توفي سنة 93 هـ الموافق 711م.

(30) عقيل، (بفتح أوله) بن أبي طالب أخو علي وجعفر، وهو أكبرهما، كان عالما بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها روى هشام بن الكلبي بسنده الى ابن عباس قال، كان في قريش أربعة يتحاكم الناس إليهم في المنافرات، عقيل ومخرمة، وحويطب، وأبو جهم، قال ابن سعد : مات عقيل في خلافة معاوية، وفي تاريخ البخاري الصغير أنه مات في خلافة يزيد قبل الحرة.

(31) مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف، قال الزبير بن بكار، كان من مسلمة الفتح، وكانت له سن عالية وعلم بالنسب، وكانوا يأخذونه عنه. توفي سنة 55 هـ الموافق 674م.

(32) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي. من أكابر قريش وعلماء النسب توفي سنة 57 هـ الموافق 676م.

قريش وقال لهم : اكتبوا الناس على منازلهم، فكتبوا وبدأوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ‹ثم عمر وقومه›(33) على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال : ابدأوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله، وهو أول من أرخ بالهجرة، وأول من أمر بجمع التراويح برمضان، وأول من اتخذ الدرة.

وأما أول من حمى الحمى فسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، {وهكذا في **تاريخ الخلفاء** للسيوطي، وفي جامع **الموطأ** أن عمر رضي الله عنه قال لصاحب الحمى : إياي ونعم ابن عفان وابن عوف الى آخره، وهذا يدل على أن عمر هو أول من حمى الحمى لا عثمان رضي الله عنهما}(34) وهو أول من زاد الآذان الأول في الجمعة، وهو أول من رزق المؤذنين وهو أول من أقطع الاقطاعات بكثرة، وهو الأول من ارتج عليه في الخطبة، وهو أول من اتخذ صاحب الشرطة، وأما أول من استخلف ولي العهد في صحته فسيدنا معاوية رضي الله عنه، وهو أول من اتخذ الخصيان لخصوص خدمته، وأما أول من حملت اليه الرؤوس فسيدنا عبد الله بن الزبير، وأما أول من كتب اسمه على السكة فعبد الملك بن مروان، وهو أول من كسى الكعبة بالديباج، وهو اول من غدر في الاسلام، لغدره لابن عمه عمرو بن سعيد الاشدق(35)، وأما أول من منع من النداء باسمه فالوليد بن عبد الملك بن مروان، وأما اول من اتخذ المنجمين وقربهم فابو جعفر المنصور العباسي‹واما اول من أمر بتصنيف الكتب في الرد على أهل الزيغ فالمهدي العباسي›(36)، وأما أول من مشت الرجال أمامه بالسيوف مسلولة فالهادي بن المهدي بن منصور، وأما أول من أمر بتغيير أهل الذمة زيهم وتمييزهم من بين الناس فالمتوكل، وأما أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب، فالمعتز وأما أول من ولي الخلافة من الصبيان فالمقتدر.

وهذا القدر يكفي من الأوليات وهي كثيرة جدا، ولا يخفى مناسبة ذكر الاوليات والله واسع عليم انتهى.

---

(33) ساقط من (م) ومن (ف)

(34) ساقط من الاصل ومن (ف) فأضفناه نقلا عن (م)

(35) عمرو بن سعيد بن العصي المعروف بالأشدق، خطيب بليغ، وله وقائع شهيرة في التاريخ، قتله عبد الملك بن مروان سنة 70 هـ الموافق 689 م.

(36) ساقط من (م) ومن (ف).

المسالة الثانية من المقدمة في حقيقة الإمامة العظمى :

هذا اللفظ هو منبع فتنة الامامية، ومناط آرائهم النائلة، ولهم في ذلك مذاهب شنيعة كلها ضلالة مبنية على أوهام خاوية تفضي الى رفض كثير من قواعد الشريعة المطهرة ونقض عقائد الاسلام من أصلها والقدح في الخلفاء الراشدين، فلذلك أدرج الكلام عليها في كتب المتكلمين من جملة العقائد الواجبة عونا للقاصدين، وصونا للأئمة المهتدين عن مطاعن المبتدعين، والا فليست واجبة عقلا كما يقول المعتزلة الضلال، وانما جعلت الامامة من <جملة>(1) أصول الدين لاجل ما ذكرنا، وسيأتي ان شاء الله في بيان حكمها شرعا زيادة على هذا القدر، على أن ابن عرفة(2) قال : حديث : «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(3) وحديث : «من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية»(4) يشيران(5) الى كونهما من المعتقدات، انتهى،

وأما حدها فأولى ما يقال فيه هو قول السعد التفتازاني(6) في شرح «النسفية» هي رياسة عامة في أمور الدنيا والدين خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم، فتخرج النبوءة والقضاء وغيرهما من الرياسات الخاصة، انتهى قيل : هذا الحد يؤذن بتلازم الامامة والخلافة، قال شيخ الاسلام وامام الائمة أبو محمد عبد القادر الفاسي(7) رحمه الله تعالى ما نصه : لكن المحقق الصوفي يقول : النبوءة لها ظاهر وباطن، فظاهرها القيام بأمور الدين أعمالا وأخلاقا بحيث يكون له جبر غيره على القيام، فظاهر الدين خلافة، والقيام بباطنها على التمام بحيث يهدي غيره الى القيام بباطن الدين علما وتحققا امامة، فالخليفة على هذا هو القائم في أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بما كان صلى الله عليه وسلم قائما به فيهم مما به

---

(1) ساقط من (ف)
(2) أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمي التونسي حامل راية المذهب المالكي على عهده، توفي سنة 803 هـ موافق 1400 م
(3) هو من حديث رواه مسلم أوله من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات
(4) رواه الشيخان.
(5) في (ف) : يشير
(6) هو مسعود بن عمر التفتزاني الهروي الشافعي صاحب التصانيف الشهيرة، توفي سنة 793 هـ موافق 1390 م
(7) هو شيخ الجماعة ابو محمد عبد القادر بن علي الفاسي العلامة المحدث الشهير عمدة اهل التحقيق توفي سنة 1091 هـ موافق 1680 م

صلاح الدين والدنيا ظاهرا، والامام هو القائم فيهم بما كان صلى الله عليه وسلم قائما به مما يحفظ به أمر دينهم ودنياهم باطنا، ثم ان الخلافة والامامة قد تجتمعان في شخص واحد، وقد تنفرد احداهما دون الاخرى، والى القيام بذلك اجتماعا وانفرادا الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق الى قيام الساعة»(8). وبقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تقوم الساعة حتى يكون في أمتي اثنا عشر خليفة، ولكل خليفة إمام»(9)، أما هو في نفسه ان جمع له بين الامامة والخلافة واما غيره ان لم يجمع له، وبه يكون كما له، وقد اجتمع الامران في كل من الخلفاء الاربعة الراشدين، وكذلك في أول الأقطاب الذي انفرد له الامر الباطني سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثم هذا الشأن والقيام به لا ينقطع في هذه الامة، بل هو اما ظاهر واما باطن الى قيام الساعة كما في الحديث على ان المراد بالساعة قربها أو ارتفاع القرآن، ولذا جاء موت الخضر والياس حينئذ، وكذا ينخرم أهل الدائرة من الاولياء رضوان الله عليهم، انتهى.فقد ظهر حد كل من الخلافة والامامة وحقيقتهما.

المسالة الثالثة من المقدمة في فضل الإمامة العظمى :

تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» انتهى، وهذا وعيد هائل يجب الحذر منه <كل الحذر>(10) وفي «الجامع» من حديث البيهقي(11) عن أنس : «اذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها، انما السلطان ظل الله ورمحه في الارض»، وفي كتاب الشكر من «الاحياء» : أعلى الانبياء رتبة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويلي الانبياء العلماء هم الذين ورثتهم، فانهم في أنفسهم صالحون،و قد أصلح الله بهم سائر الخلق كما هدى بالانبياء سائر الخلق، فتمم بهم حكمته، قال : ودرجة كل بقدر ما أصلح

---

(8) بعض حديث رواه مسلم وابو داوود والترمذي

(9) رواه الامام احمد في المسند عن جابر بن سمرة، والامام مسلم عنه كذلك من عدة طرق

(10) ساقط من (م)

(11) هو ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي النيسابوري الشافعي الحافظ المتوفى سنة 458 هـ موافق 1065م

من نفسه ومن غيره، ثم يليهم السلاطين بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم، ثم قال : ويلي السلاطين الصالحون الذين أصلحوا نفوسهم فقط، فلم تتم حكمة الله تعالى بهم الا في أنفسهم ومن سواهم همج(12).

وأعلم ان السلطان به قيام الدين، فلا ينبغي ان يستحقر وان كان ظالما فاسقا، قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : إمام غشوم خير من فتنة تدوم، انتهى. وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ستكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله بهم أكثر، فان أحسنوا فلهم الاجر، وعليكم الشكر، وإن أساءوا فعليهم الوزر، وعليكم الصبر»(13)، وقال سهل بن عبد الله(14) رحمه الله تعالى : «من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق، ومن دعاه السلطان ولم يجب فهو مبتدع، ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل»، وسئل سيدنا سهل بن عبد الله ايضا :«أي الناس افضل؟ فقال : السلطان، فقيل له : كنا نرى ان شر الناس السلطان، فقال : مهلا، فان لله تعالى في كل يوم نظرتين الى خلقه، نظرة الى سلامة أموالهم ونظرة الى سلامة أبكارهم، فيطلع سبحانه في صحيفة السلطان وهو أعلم فيغفر له كل يوم مرتين، وكان يقول : الخشبات المعلقة على أبوابهم خير من سبعين واعظا، انتهى. وورد قوله عليه السلام : «أطعهم وإن أخذوا مالك وضربوا ظهرك»(15)، وقوله عليه الصلاة والسلام : «اسمع وأطع ولو كان عبدا حبشيا له زبيبة»(16)، وفي « صحيح البخاري » عن الزبير(17) بن عدي قال : «أتينا أنس بن مالك فشكونا له ما يلقى الناس من الحجاج بن يوسف»، فقال : «اصبروا فانه لا يأتي عليكم زمان والذي وبعده شر منه حتى تلقوا ربكم» سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم، انتهى. وورد (السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه الضعيف وينتصر به المظلوم)(18)، انتهى. وقيل :

---

(12) قال بعض الشعراء في تصنيف الناس

الناس هم ثلاثة، فواحد ذو درقة، وواحد ذو كتب، يدرسها وورقة، وواحد ذو ذهب، ينفقه وورقة، وما سواهم همج، لاودك لا مرقة

(13) رواه البيهقي في شعب الايمان

(14) هو سهل بن عبد الله بن يونس التستري بضم التاء الاولى وفتح الثانية من جلة الصوفية توفي سنة 283 هـ موافق 896م

(15) رواه البخاري

(16) رواه البخاري

(17) الزبير بن عدي ابو عدي الكوفي، قاضي الري توفي بالري سنة 131 هـ موافق 748 م

(18) رواه البخاري كما في المنتخب، وفي الجامع الصغير للسيوطي

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل
وكان أضعفنا نهبا لأقوانا(19)

المسالة الرابعة في حكم الامامة شرعا :

وقع الاجماع المعتبر على وجوب نصب الامام، وبيان دليل الاجماع، ان الصحابة رضوان الله عليهم، لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، بادروا الى مبايعة ابو بكر رضي الله عنه، وسلموا اليه النظر في أمورهم عموما، وكذا في كل عصر من الاعصار بعد ذلك، ولم يترك الناس هملا في زمن من الأزمان كما قيل :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم
ولاسراة إذا جهالهم سادوا(20)

فطريق وجوبها كما رأيت متلقى من الشرع بطريقة السماع عندنا أهل السنة، وذهب المعتزلة الى أن طريق الوجوب العقل(21) بناء على أصلهم الفاسد من التحسين والتقبيح [العقليين] (22) وقد علم إبطال ذلك في كتب المتكلمين والأصوليين، وشذت جماعة أخرى فقالوا بعدم الوجوب رأسا لاعقلا ولا شرعا، وإنما الواجب تنفيذ أحكام الشريعة لاغير، فإذا اتفق الناس وتواطأوا على تنفيذ الأحكام الشرعية لم يحتج الى إمام.

---

(19) القائل هو عبد الله بن المبارك الخرساني توفي سنة 181 هـ موافق 797 م وقبله بيتان وهما :
ان الجماعة حبل الله فاعتصموا — منها بعروته الوثقى لمن دانا
كم يدفع الله بالسلطان معضلة — في ديننا رحمة منه ودنيانا

(20) البيت للافوه الاودي من قطعة مطلعها
امارة الغي أن تلقى الجميع لدى الابرام للامر والاذناب اكتاد
ومنها — والبيت لا يبتنى الا له عمد — ولا عماد اذا لم ترس اوتاد
ومنها — تهدى الامور باهل الرأي ما صلحت، فان تولت فبالاشرار تنقاد

(21) الذي في كتب المتكلمين ان عامة المعتزلة يقولون بقول اهل السنة في وجوب نصب الامام شرعا والذين قالوا منهم بوجوب نصب الامام عقلا جماعة الجاحظ والخياط والكعبي وابي الحسين البصري كما في شرح المقاصد للسعد وقال العضد في مواقفه ان هؤلاء الثلاثة يقولون بوجوبه سمعا وعقلا.

(22) ساقط من الاصل

تنبيهان : الأول المراد بالوجوب المذكور وجوب الكفاية، فإن قام به البعض سقط عن الغير، وذلك راجع الى اختيار أهل الحل والعقد، فعليهم يتعين نصبه ويتعين على الناس جميعا طاعته، فليس لأحد أن يقول أنا لم أبايعه ولم أحضر بيعته، فإن المعتبر إنما هو مبايعة أهل الحل والعقد ولو انحصروا في شخص واحد، قال الامام المازري[23] : يكفي في بيعة الآمام أن تقع من أهل الحل والعقد، ولايجب الاستيعاب، ولايلزم كل أحد أن يحضر عنده <ويضع يده> [24]، بل يكفي التزام طاعته والانقياد له وأن لايشق العصا عليه، وهذا كان حال مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه لم يقع له إلا التأخر عن الحضور عند أبي بكر رضي الله عنه مع كونه ذكر سببا لذلك[25] وهو صادق أمين، انتهى، وقال اليفرني : قد اختلف الناس في أقل ماتنعقد به الإمامة على ثمانية أقوال : أحدها للإمام أبي الحسن الأشعري[26] والقاضي أبي بكر الباقلاني[27] وإمام الحرمين[28] أن الامامة تنعقد لمن يصلح لها برجل واحد من أهل الحل والعقد إذا كان عالما بالكتاب والسنة موصوفا بالعدالة والورع والمعرفة، إذا عقدها من هذا وصفه وجبت الطاعة على الناس والافلا، ثم ذكر بقية الأقوال الثمانية.

التنبيه الثاني : الوجوب المذكور إنما هو على الخلق كما قررنا لاعلى الخالق، فان الله سبحانه لايجب عليه شيء خلافا للمعتزلة أهل الزيغ، فإن قيل : قولكم للإمام خليفة، خليفة عن ماذا ؟ فالجواب انه قد قرر في بيان حد الامامة والخلافة ان صاحب هذا المنصب الشريف خليفة عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم، فإذا دعى الامام إنما يدعي خليفة مطلقا بلا إضافة أو بالاضافة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما

---

(23) المازري نسبة الى مازر بيت بجزيرة صقلية ابو عبد الله محمد بن علي المعروف بالامام الحافظ النظار الذي استطاع لغزارة علمه وتقرب ذهنه ان يحليه التاريخ ببلوغ درجة الاجتهاد، وبالرغم من ذلك ما خرج عن الفتوى بمذهب مالك له تاليف عديدة، منها املاء على رسائل اخوان الصفاء ورد على احياء الغزالي يعرف بالكشف والانباء توفي سنة 536 هـ موافق 1141 م.

(24) ساقط من (م) ومن (ف).

(25) هو كونه مشغولا بتمريض زوجه فاطمة بنت رسول الله وذلك من أكد الامور

(26) الامام ابو الحسن علي بن اسماعيل البصري الفقيه الشافعي صاحب التصانيف الجمة في نصرة الدين والرد على اهل الزيغ على مشهور الاقوال توفي سنة 324 هـ موافق 935 م.

(27) القاضي ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني من كبار متكلمي الاشاعرة ورؤساء المذهب المالكي، كان صارما في الجدل قوي الحجة، شديد الوطأة على المخالفين، وكانت له سفارة من عضد الدولة الى ملك الروم الامبراطور باسيليوس الثاني توفي سنة 403 هـ موافق 1012 م.

(28) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني مؤلف البرهان والشامل، لقب بامام الحرمين لمكثه بمكة والمدينة اربع سنين توفي سنة 472 هـ موافق 1079 م.

بالاضافة الى الله تعالى فقال العلامة ابن خلدون منع من ذلك الجمهور، وقال آخرون بالجواز بدليل قوله تعالى «إني جاعل في الارض خليفة» وقوله تعالى «وهو الذي جعلكم خلائف الأرض»(29) وقال الجمهور :-ان المعنى في الآيتين ليس على ذلك، وقد نهى أبو بكر رضي الله عنه من دعاه بذلك وقال له : إنما أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، انتهى.

المسالة الخامسة من المقدمة في شروط الإمامة الكبرى وشروط اهل الحل والعقد

أما شروطها فالمتفق عليه عند أهل السنة والجماعة على ماذكره اليفرني(30) وغيره فستة. الأول التكليف لأن الصبي والمعتوه قاصر عن القيام بأمور نفسه، فكيف أمور غيره (31)؟ الثاني الذكورة لأن النساء ناقصات عقل ودين ممنوعات من الخروج الى محل الأحكام، وفي الحديث «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»(32) الثالث الحرية لأن العبد مشغول بشأن سيده، وأيضا يستحقر في الأعين (33) فلا يهاب ولايمتثل أمره، الرابع العدالة فإن الفاسق لايصلح لأمور الدين ولا يوثق بأمره ونهيه، والظالم تختل به أمور الدين والدنيا، فكيف يصلح للولاية ؟ الخامس القرشية لقوله عليه السلام (الأئمة من قريش) (34) وقوله عليه السلام (الولاية في قريش ما أطاعوا واستقاموا)وقوله عليه السلام (قدموا قريشا ولاتقدموها) وتقع هنا زيادة (وتعلموا منها ولا تعلموها) لكن قال القاضي عياض : ليس

---

(29) الآية 165 من سورة الانعام، ونصها في المصحف (وهو الذي جعلكم خلائف الارض) وقد كتبت في الاصل على خلاف ما في المصحف.

(30) شكل المؤلف راءه بالضم شكل قلم وكتب فوق الشكلة (صح) وفي تاج العروس ما نصه وافرن كاحمد ويفرن كيمنع لبياة من برابر المغرب

(31) كذا بالاصل وفي ميم (بامور) مجرورا بالباء اما فاء ففيها (فاحرى بامور)

(32) اخرج البخاري والترمذي والنسائي عن ابن ابي بكرة رضي الله عنه انه قال : لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام الجمل بعد ما كدت ان الحق باصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا امرهم امرأة» وزاد الترمذي فلما قدمت عائشة البصرة ذكرت ذلك فعصمني الله به.

(33) في (م) وفي (ف) (في اعين الناس)

(34) رواه احمد في المسند عن انس أما قوله عليه السلام (قدموا قريشا) الحديث فقد رواه الشافعي والبيهقي في المعرفة عن ابن شهاب بلاغا.

بصحيح لاجماع العلماء على جواز التعلم من غير قريش، ومن الموالي، وتعليم قريش، وقد تعلم الشافعي من الامام مالك وابن عيينة(35) ومحمد بن الحسن(36) انتهى، وهذا الشرط الخامس وقع الخلاف في اعتباره، والمشهور هو ما ذكرناه الا أن نقل الاجماع عليه محل نظر، وأما القولة الشنيعة(37) التي صدرت من القاضي علامة الدنيا المقرى الجد(38) فلا يجوز ذكرها إلا لترد وتنكر، وهي زلة عظيمة [صدرت](39) من إمام عظيم، قال بعضهم ومن عجب أن صاحب نفح الطيب ذكرها في معرض المدح لجده، والله غفور رحيم، وأما ما ذكره العلامة بن خلدون(40) من إرجاع هذا الشرط الى شرط الكفاية وبالغ في تقريره فانه بناه على قاعدة التزمها في الامامة الكبرى، وهي كونها لاتقوم الا بالعصبية، والقاعدة صحيحة ورجوع شرط القرشية الى ذلك وبناؤه عليه غير ظاهر، وغاية ما حصل في هذا هو أن الحكمة في اشتراط هذا النسب ليس لمجرد التبرك به لكونه من قبيل رسرل الله صلى الله عليه وسلم، بل لان قريشا كانت لهم العصبية المسلمة عند جميع الناس في أول الأمر حين وقع الاشتراط، ثم زالت تلك العصبية من قريش وفسدت وانتقلت الى غيرهم الى العرب أو البربر أو الترك مثلا، فلم يبق في اشتراط هذا النسب حكمة لان الحكمة هي العصبية التي

---

(35) الامام ذو العقل الرسين ابو محمد بن عيينة اجمعت الامة على الاحتجاج به ولا عبرة بما قال يحيى بن سعيد القطان من انه اختلط سنة 197 هـ نقله ابن الصلاح في المقدمة ص 159 ورده الذهبي في الميزان ج 1 ص 397 ونسب القطان الى التعنت في الرجال توفي سنة 198 هـ موافق 813 م ونسبته القطان الى التعنت ذلك مما لم يسلم منه الذهبي نفسه رحمه الله.

(36) ابو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني امام جليل عليه اخذ مذهب ابي حنيفة اذ لم يكن بين ايدي رجال المذهب الا كتبه وهو من اشياخ الشافعي ويحفظ لهما التاريخ مقابلات جميلة ومجالس حميدة توفي سنة 189 هـ موافق 804 م.

(37) مقالة المقري الشنيعة، قال في نفح الطيب، ومن اخبار مولاي الجد الدالة على صرامته مع ما حكاه ابن الازرق عنه، انه كان يحضر مجلس السلطان ابي عنان لبث العلم، وكان نقيب الشرفاء بفاس اذ جاء مجلس السلطان يقوم له السلطة وجميع من في المجلس اجلالا له الا الشيخ المقري فانه كان لا يقوم في جملتهم فاحس النقيب من ذلك، وشكى الى السلطان فقال له السلطان، هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله الى ان ينصرف فدخل النقيب في بعض الايام على عادته، فقام له السلطان على العادة واهل المجلس فنظر الى المقري وقال له ايها الفقيه ما لك لا تقوم كما يفعل السلطان نصره الله واهل مجلسه اكراما لجدي ولشرفي ومن انت حتى لا تقوم لي، فنظر اليه المقري وقال له : اما شرفي فمحقق بالعلم، واما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة، ولو علمنا شرفك قطعا لاقمنا هذا من هذا واشارك الى السلطان ابي عنان، واجلسناك مجلسه فسكت نفح ج 5 ص 281 تحقيق احسان عباس.

(38) هو الامام أبو عبد الله قاضي الجماعة بفاس الف في ترجمته ابن مرزوق كتابا سماه النور البدري في التعريف بالفقيه المقري توفي سنة 759 هـ 1357 م.

(39) زيادة من (م)

(40) ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون الشخصية الفذة في الميدان السياسي حسبما ما يرشد اليه التاريخ المغربي والافريقي والشرقي وتوفي سنة 808 هـ 1405م.

{وقعت حينئذ} (41) بها الكفاية، فالمشترط حينئذ إنما هو الكفاية، هذا حاصل كلام ابن خلدون، فيقال له هذا إنما يستقيم لو كانت أحكام الشرع كلها لابد من إدراك حكمتها، وليس كذلك، اذ منها ما تدرك له حكمة، ومنها ما هو تعبد، فيكون هذا من التعبد، فالشارع صلى الله عليه وسلم اشترط هذا النسب الشريف بدليل الأحاديث المتقدمة، ولم ندر ما الحكمة في ذلك، فبطل بهذا جميع ما هول به رحمه الله، السادس السلامة في الحواس وقوة الادراك والنطق، إذ مع فقد شيء منها لا يمكن له القيام بشيء من أمور الامامة، فهذه الشروط متفق عليها، وأما اشتراط الوحدة وعدم التعدد فإن الحديث، وهو قوله صلى الله عليه وسلم، (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني منهما(42) يدل على اشتراطها، قال الأبي : وكان الشيخ يعني ابن عرفة يقول إن هذا الشرط إنما هو بحسب الامكان، فإذا تباعدت الأقطار جاز التعدد انتهى، وهذا هو الذي جرى به عمل الناس الى الآن، فإن قيل : هل لابد ان يكون الخليفة مستجمعا لهذه الشروط أو يكفي كونه جامعا لأكثرها ؟ فالجواب كما قاله السعد في شرح **العقائد النسفية** {الأفضلية}(43) أنه لايشترط في الامام أن يكون أفضل أهل زمانه لأن المساوي في الأفضلية بل المفضول ربما كان أقدر على القيام بواجبها وأعرف بمصالحها ومفاسدها خصوصا اذا كان نصب المفضول أقرب لدفع الشر وأبعد من إثارة الفتنة، انتهى، قال الشيخ أبو محمد سيدي عبد القادر الفاسي : ويدل على جواز تقديم المفضول يعني مع وجود الفاضل ما في صحيح البخاري أن أبا بكر لما قال : الأمراء في قريش مخاطبا الانصار، قال : وأنا أرضى لكم أحد هذين الرجلين يعني عمر وأبا عبيدة بناء على أنه يجوز تقديم المفضول لأنه لايجهل أفضلية عمر، وحينئذ قالوا له : بل أنت سيدنا، ابسط يدك فبايعوه انتهى، هذا كله إذا كان نصب الامام مفوضا الى أهل الحل والعقد، وأما إذا كان بالتغلب والقهر فيجب الادعان والطاعة على كل حال ارتكابا لأخف الضررين كما هو القاعدة الاصولية، وقيل انه ورد حديثا (اذا اجتمع ضرران ارتكب أخفهما)(44)

---

(41) زيادة من أم)

(42) روح احمد ومسلم

(43) ساقط من الاصل

(44) تخريج الحسين

والأخف هنا هو الصبر على الظلم والحيف والاثقل هو الفتنة العامة الحالقة التي تنشأ عن الاستبدال ونزع اليد من الطاعة(45).

وأما شروط أهل الحل والعقد فثلاثة، قاله السيد الشريف(46) **في شرح البرهانية** : أحدها العدالة الجامعة لشروطها، الثاني العلم الذي يتوصل به الى معرفة من يستحق الامامة على الشروط المعتبرة عند أهل السنة وهي التي ذكرت آنفا، والثالث الرأي المؤدي الى اختيار من هو للإمامة أسلم، وأما استخلاف الامام إما لشخص معين كما فعل الصديق للفاروق رضي الله عنهما، وإما بجعل الأمر شورى بين المعينين بحيث يتفقون على واحد كما فعل سيدنا عمر فيجوز ذلك ولا إشكال، قال سعد الدين التفتزاني : الدليل على جوازه إجماع الصحابة على فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين.

فـــــائـــــدة

ذكر في نفح الطيب أن جده العلامة القاضي أبا عبد الله المقري سئل: ما السبب في سوء بخث المسلمين في ملوكهم ؟ إذ لم يل أمرهم في الغالب من يسلك بهم الجادة ويحملهم على الواضحة، فأجاب عن ذلك بأن ذلك(47) لأن هذه الملة الطاهرة إنما جعل الله لها الخلافة، وجعل لبني إسرائيل الملك، قال مولانا جل وعلى : "وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض" وقال تعالى : "إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا" وقال سيدنا سليمان عليه السلام : «وهبَ لي ملكا لاينبغي لأحدا من بعدي» فجعلهم ملوكا ولم يجعل في شريعتنا الا الخلفاء، فكان الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمر خليفة أبي بكر، وعثمان اتفق عليه {أهل} (48) الشورى، ومولانا علي بايعه من آثر الحق عن الهوى <والآخرة عن الدنيا>(49) ومولانا الحسن كذلك، فكملت ثلاثون

---

(45) كذا بالاصل اما (م) و (ف) ففيهما ونزع اليدين بدون قوله امن الطاعة.

(46) ابو الحسن علي بن محمد بن علي الحسني الحنفي ت سنة 816 ، 1413م وقال العيني ت 824 هـ 1421م ... والاول أصح كما افاده الشيخ محمد بن جعفر في رسالته.

(47) في (م) و (ف) فأجاب عن ذلك بان هذه

(48) زيادة من (م)

(49) ساقط من (م) ومن (ف)

سنة التي عين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة الخلافة، ثم تحولت الخلافة الى ملك، واللين الى الخشونة، ‹ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم› وسيدنا معاوية رضي الله عنه جعلها ميراثا . فلما خرجت عن موضعها لم يستقم ملك في الغالب، الا ترى أن سيدنا عمر بن عبد العزيز كان خليفة لاملكا لأن سليمان بن عبد الملك رحمه الله رغب عن إخوانه(50) من أبيه فعهد له إيثارا لحق المسلمين فلم يسلك طريق الاستقامة الا خليفة انتهى.

وأما عزل الناس للامام أو عزله هو لنفسه أما الأول فإنه لايجوز عزله بلا سبب، والسبب المتفق عليه هو ما يزول به مقصود الامامة، قال في شرح **المقاصد** مثل الردة، والجنون المطبق، وصيرورته أسيرا بحيث لايرجى خلاصه، وكذا بالمرض الذي ينسيه العلوم، وبالعمى والصمم والخرس انتهى، وأما الثاني وهو عزله نفسه بأن (51) كان لسبب كعجزه عن القيام بمصالح المسلمين فجائز، قال السعد : وإن لم يكن ظاهرا وإنما استشعره من نفسه، وعليه يحمل عزل(52) مولانا الحسن السبط لنفسه رضي الله عنه انتهى، وأما خلعه لنفسه بلا سبب ففيه خلاف، وفي **المواقف** وشرحه مثل ذلك، قال وإن أدى خلعه الى الفتنة احتمل أدنى الضررين، وأما عزله بالفسق فقال الامام البكي(53) الذي عليه الجمهور انه لاينعزل بالفسق لأن ذلك قد تنشأ عنه فتنة هي أعظم من فسقه، وفي **شرح العقائد** : المسطور في كتب الشافعية أن القاضي ينعزل بالفسق بخلاف الامام، وأما الدعاء

---

(50) في (م) و (ف) لوجه بدل اخوانه

(51) (بأن) كذا بالاصل.

(52) والاصل (خلع)

(53) الصواب السبكي

للسلطان الجائر[54] بالنصر والتأييد والاصلاح فيجوز بل يندب فيما ظهر ولايعارضه من دعا لظالم بالبقاء فقد أراد أن يعصي الله تعالى أو كما قال. ابن المنير[55] : على حديث "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"[56] مانصه : والسلطان الفاجر اذا حمى حوزة الاسلام لا يخرج عليه ولا يخلع، لان الله قد أيد به دينه، فيجب الصبر عليه والسمع والطاعة في غير المعصية، ومن هذا الوجه استباح العلماء الدعاء للسلطان بالنصر والتأييد وغير ذلك من الخير، وقد ورد عن بعض الصالحين : من كانت له دعوة صالحة فليجعلها في السلطان انتهى، وأما القتال مع السلطان الجائر[57] والمدافعة عنه أما قتاله للكفار فواجب على المسلمين القتال معه كيفما كان عادلا أو جائرا، وأما قتاله لمن خرج عليه من الخوارج الذين يريدون سلب ملكه فإن كان عادلا فيجب على المسلمين نصره والقتال معه، وإن كان غير عادل فليقعد الانسان في منزله، فإذا أراد الخوارج أخذ ماله أو هتك عرضه فليقاتلهم بعد أن ينشدهم الله تعالى، هذا حاصل ما ذكره ابن عرفة عن ابن يونس[58] وصوبه القاضي أبو الحسن[59].

---

(54) بهامش الاصل" الصواب الدعاء للسلطان الجائر. ولقد طرق هذا الموضوع كثير من العلماء، لوروده في السنة روى البيهقي في شعب الإيمان عن أبي عبيدة، لاتسبوا السلطان فإنه فيئ الله في الارض، وروى الطبراني في الكبير عن أبي إمامة (لاتسبوا الأئمة وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحهم صلاح لكم) وذكر المسيري في فهرسته، في أثناء كلام في موضوع الحديثين الشريفين فقال : قال بعض الصالحين : لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها في السلطان، وانشد قول الشيخ اليلوي في هذا المعنى :

وأخلص في الدعاء للخلق طرا — وخص به القضاة مع الولاة
فإن صلحوا فيصلح من سواهم — وما المرعى إلا بالرعاة

وكان ينشد :

الله يدفع بالسلطان معضلة — عن ديننا منة منه ودنيانا
لولا الخلائف لم تامن لنا سبل — وكان اضعفنا نهبا لاقوانا

قال بعضهم : سألت أبا العلاء أسب الحجاج، قال ادع الله له بالصلاح فإن صلاحه خير لكم من فساده اهـ في كلام مسهب، وذكر نفس الموضوع الأفراني في نزهة الحادي بعد ذكر قصة ابن محلي الثائر وزيدان وابن عبد المنعم الترجمة ص 193. وطرق الموضوع الشيخ محمد ابن عبد السلام الناصري في كتابه المزايا في ما أحدث من البدع بام الزوايا، نرى ذكر بدعة الدعاء للأمراء في الخطبة عيدا أو جمعة وأسهب في الموضوع بذكرها للعلماء فيه وأجاب عن الشيخ الناصري رضي الله عنه بما فيه كفاية.

(55) ابو العباس نصر الدين احمد بن محمد بن المنير الاسكندراني حافظ ت سنة 683هـ الموافق 1284م.

(56) في الجامع الصغير "رواه الطبراني" وقال فيه انه ضعيف وعلق عليه المناوي قال وظاهر صنيع المؤلف "ان هذا الحديث لا يوجد مخرجا في الصحيحين ولا أحدهما وهذا ذهول شنيع وسهو عجيب فقد قال الحافظ العراقي متفق عليه من حديث ابي هريرة رواه البخاري ومسلم.

(57) القتال مع السلطان الجائر مطلوب شرعا حسبما يأتي في السابقة.

(58) ابو بكر محمد بن عبد الله بن يونس التميمي الصقلي ت. بمدينة مازرة سنة 447هـ 1055م وفي الديباج ت 451هـ 1059م، وكذلك في الشجرة وفيها توفي بالمنستير.

(59) في كتاب تراجم المؤلفين التونسيين هو محمد بن العربي الحصاندي التونسي كان اماما في النحو وهو من شيوخ ابن خلدون، كان حيا سنة 750هـ 1350م من هنا قال في الشجرة لم اقف على وفاته.

تنبيه المراد بالعدل هنا العدل النسبي، قال عزالدين بن عبد السلام(60) : فسق الآئمة قد يتفاوت ككون فسق أحدهم بالقتل وفسق الآخر بانتهاك الأبضاع، وفسق الآخر بالتعرض للأموال فيقاتل مع الظالم بأخذ الاموال الظالم بالأبضاع والظالم بالقتل، ثم قال ابن عبد السلام : فإن قيل : كيف يجوز القتال مع أحد هؤلاء لإقامة ولايته وإدامة تصرفه وهو معصية ؟ فالجواب أنه وإن كان فيه إعانة على المعصية فهو جائز لدفع ما هو أشد من تلك المعصية انتهى.

وقد بسطت القول في هذه المسألة لأنها من أهم المسائل، وكانت متفرقة في الدواوين غير مرتبة، فأردت جمع شملها لتوخذ من محل واحد بلا كلفة في التنقير عنها في محال متفرقة مع أني تركت أشياء منها مما لاتدعو الضرورة إليه، وهذا المحل أولى بها من ذكرها في كتب المتكلمين، ولم أر أحدا من المؤلفين(61) في أخبار الخلائق ذكرها حتى العلامة المحقق ابن خلدون مع كونه يبالغ في جمع النسيب الى نسيبه،والكمال لله سبحانه.

المسألة السادسة من المقدمة في الفرق بين الخليفة والإمام والسلطان

قد ظهر في ما تقدم في المسألة الثانية الفرق بينهما، وقد ظهر أن الخليفة قد يكون إماماً أيضا إذا جمع له بين الظاهر والباطن، فبينهما عموم وخصوص من وجه، وأما الفرق بينهما وبين الملك والسلطان <فيظهر ذلك ببيان حقيقتي الملك والسلطان> (62)، وقال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب **حسن المحاضرة** ما نصه : قال ابن فضل الله(63) في كتابه المسالك : ذكر لي علي بن سعيد(64) أن الاصطلاح تقرر أن السلطان لا يطلق الا على من يملك مثل مصر أو الشام أو إفريقية، أو الأندلس،

---

(60) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي البالغ مرتبة الاجتهاد (ت) 660هـ 1262م.

(61) في (م) و (ف) المتكلمين.

(62) ما بين المعقوفين ساقط من (م) و (ف).

(63) ابن فضل الله شهاب الدين ابو العباس احمد بن يحيى الكرماني المصري الشافعي ت سنة 749، 1348م.

(64) علي بن سعيد مفيد ابن فضل الله. يظهر أنه المترجم في "البداية والنهاية" جزء 14 في وفيات 721. ابن سعيد بن سالم الأنصاري إمام مشهد علي من جامع دمشق توفي سنة 721هـ / 1321م. والمترجم للحافظ في الدرر الكامنة جزء 3،ص 44.

ويكون عسكره عشرة آلاف <فارس> (65) فأكثر، فإن زاد بلادا أو عددا في الجيش جاز أن يطلق عليه السلطان الأعظم، فإن خطب له في مثل مصر أو الشام أو الجزيرة ومثل خراسان أو العراق أو فارس أو مثل إفريقية والمغرب الأوسط أو الأندلس كان سمته سلطان السلاطين، والملك أعم من هذا، يطلق على كل من ملك بلدا أو قطرا كيفما كان، فبينهما عموم وخصوص مطلقا، فكل سلطان ملك ولا عكس انتهى، بمعناه مع بسط وبيان.

فـــائـــدة

ذكر ابن خلكان(66) في الوفيات أن صلاح الدين يوسف بن أيوب(67) أمير مصر والشام كتب الى أمير المغرب أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي يستنجده على الفرنج الواصلين من المغرب الى الديار المصرية وساحل الشام ولم يخاطبه بأمير المؤمنين بل خاطبه بأمير المسلمين فعز ذلك عليه ولم يجبه الى ما طلب انتهى، وهذا يدل على الفرق بين اللفظين، وكأن المنصور استشعر الفرق من قوله تعالى (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) والله أعلم وأحكم.

وهنا قد انتهى الكلام على ما أردنا ذكره في المقدمة، والحمد لله على مايسره مما شأنه لولا فضل الله ومعونته أن يتعسر.

لعل الذي فوق السماوات عرشه
يسنى لنا من قصدنا ما رجوناه
ويختم بالإحسان من قد بدابه
فما يرتجي لمبلغ القصد إلاه

---

(65) في (ف) ساقط.

(66) ابن خلكان احمد بن محمد بن ابي بكر اشهر من نار على علم توفي سنة 681هـ =1282م، قال في روضات الجنات، ولقد قيل في وجه تسمية جده خلكان بأنه افتخر يوما في مجلس كان له علم بمحضر قرنائه بمفاخر أبائه الذين هم آل البرامكة الوزراء فقيل خل كان بمعنى دع كان ابي كذا وجدي كذا، ونسبي كذا، وحدثنا عما يكون في نفسك الان كما يقول في ذلك الشاعر.

ليس الفتى من يقول كان ابي — إن الفتى من يقول ها أنا ذا

روضات ج 1 ص 320.

(67) صلاح الدين ابن أيوب بن شاذي ابو المظفر، الملقب بالملك الناصر من أشهر ملوك الاسلام، وقد تكفل الحافظ ابو شامة المقدسي الدمشقي المتوفى سنة 645هـ 1266م بترجمته الواسعة، ولايسعنا الآن الا ان نشير الى مصادر الترجمة نقلا عن قاموس الاعلام، وفيات الاعيان ج 2 ص 376، تاريخ الخميس ج 2، ص 387، وابن أياس ج 1 ص 69، ابن خلدون ج 4 ص 79 (و) ج 5 ص 250-330، ابن الاثير ج 12 ص 37، ومصادر أخرى تراجع في أعلام الزركلي المجلد 68 في ترجمته.

الجناح الايمن من الجيش العرمرم في دول المشرق

ويشتمل على خمسة(1) ألوية كبار، وتحت كل لواء رايات متعددة صغار، المراد باللواء الدولة، والمراد بالرايات الملوك الذين لهم الصولة.

اعلم أننا إنما نذكر في هذا الكتاب الخلائف الأعاظم لا مطلق الأمراء والخوارج، واعلم أن قصدنا انما توجه الى لواء خاص ودولة خاصة، وهي الدولة الشريفة الحسنية السجلماسية أدام الله فخرها، ‹ورفع›(2) ما ارتفعت السماء قدرها، وهي التي أكرمنا الله بالاكتناف تحت ظلالها، والاحتماء بجمالها وجلالها، وهي التي تستفرغ الطاقة في بيان أحوالها وذكر جملة {من}(3) مفاخرها ومحاسنها وأخبار أوائلها وأواخرها، وغيرها فانما أذكره استطرادا وتتميما للفائدة ليكون الكتاب مجموع النظائر في الجملة، وأقتصر في غير الدولة الشريفة على تاريخ الأمراء ووفياتهم لا غير الا ما فيه نكتة عجيبة، او فائدة غريبة.

وقد جعلت هذه الألوية والرايات ملونة ‹بألوان›(4) مختلفة بمراعاة نسبة بين حالات أهل ذلك الملون ولونه، فالبياض يوصف به الخالص الكامل في أحواله الصالحة في الدين والدنيا، والأسود(5) يوصف به الثابت في سيادته وعزته، والاحمر يوصف به القوي الشهير مع خوف الافتتان به، والاصفر يوصف به الفرح القصيف مع اللهو المفرط، والاخضر يوصف به المعتدل الذي غلب عليه الخير والصلاح، والازرق عكس الاخضر، والممتزج بحسب مزاجه، والأغبر يوصف به المجهول(6) الحال، والله أعلم وأحكم.

اللواء الأول الأبيض الأكبر

والذي جمع الألوية والرايات تحت ظله، وانما ترفع وتنشر لاجله، وهو لواء الحمد لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم سيدنا ومولانا محمد بن عبد

---

(1) في (م) وفي (ف) اربعة بدل خمسة

(2) ساقط من (ف)

(3) ساقط من الاصل ومن (ف)

(4) ساقط من (ف)

(5) كذا بالاصل بصيغة الوصف وفي (م) و (ف) والسواد والحمرة والصفرة والخضرة والزرقة والامتزاج والغبرة، بصيغة المصدر.

(6) في (م) و (ف) مجهول، منكرا

الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الى هنا يرفع هذا النسب الطاهر، ونهي عن الزيادة فوقه، ورايات هذا اللواء خمسة، وإن ‹شئت›(7) قلت ستة، خمسة كلها خضر، والسادسة حمراء.

ولد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطالع الجامع لسعادات(8) الدارين كلها عام الفيل ‹قبل مجيئه›(9) بخمس وخمسين ليلة في القول. الراجح، ويعثه الله بشيرا ونذيرا، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا، ورحمة للعالمين على رأس أربعين سنة من عمره عليه السلام، وهاجر الى طيبة ‹بعد›(10) 13 سنة من مبعثه، وتوفاه الله تعالى على رأس(11) 63 من عمره صلى الله عليه وسلم، ولم يستخلف صلى الله عليه وسلم لسر يلوح من حديث أخرجه البزار(12) في مسنده قال : نا عبد الله بن وضاح(13) الكوفي نا يحيى بن اليمان(14) نا إسرائيل(15) عن أبي اليقظان(16) عن أبي وائل(17) عن حذيفة(18) قال : قالوا يا رسول الله ألا تستخلف علينا ؟ قال (إن استخلفت عليكم فتعصون خليفتي فينزل بكم العذاب) انتهى، فلذلك لم يستخلف عليه السلام صريحا، وإنما أخذ

---

(7) ساقط من (ف)

(8) في (م) و (ف) سعادة بالافراد

(9) ساقط من (م) و (ف)

(10) ساقط من (م) و (ف)

(11) في (ف) (عام 63) بدل (على رأس)

(12) ابو بكر احمد بن عمر بن عبد الملك البزار البصري الحافظ الشهير صاحب المسند الكبير البحر الزاخر توفي سنة 292 هـ 904 م.

(13) عبد الله بن الوضاح ابو محمد الكوفي اللؤلئي من كبار الطبقة الحادية عشرة مقبول خرج له البخاري، وابن ماجة توفي سنة 189 هـ- 804 م.

(14) يحيى ابن اليمان العجلي ابو زكرياء صدوق عابد من كبار الطبقة التاسعة، خرج له البخاري في الادب المفرد ومسلم والاربعة توفي سنة 189 هـ-804 م.

(15) اسرائيل بن يونس السبيعي الهمداني، ابو يوسف الكوفي، ثقة من الطبقة السابعة خرج له الجماعة توفي سنة 160 هـ-776 م.

(16) أبو اليقظان عثمان بن عمير الكوفي الاعمى ضعيف، اختلط وكان يدلس ويغلو في التشيع، من الطبقة السادسة توفي سنة 150 هـ- 767 م.

(17) ابو وائل شقيق بن سلمة الاسدي، اسد خزيمة التابعي المخضرم، كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم روى عن الخلفاء الاربعة، وعن الكثير من الصحابة قال الحافظ توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وله مائة سنة، وفي تهذيب الاسماء انه توفي سنة 99 هـ- 717 م، خرج له الجماعة.

(18) حذيفة بن اليمان الصحابي الجليل، واليمان لقب ابيه واسمه حسل بكسر الحاء أو حسيل بالتصغير، ومن ميزاته بين الصحابة انه انفرد بالسؤال عن الشر والفتنة خوف ان يقع في ذلك، توفي بالمدائن سنة 36 هـ-656 م.

الصحابة رضوان الله عليهم خلافة أبي بكر بالقرائن القوية فأجمعوا على تقديمه عليهم.

راية أبي بكر رضي الله عنه(19)

وهو أبو بكر، وتقدم أن اسمه عبد الله علي الصحيح ابن أبي قحافة، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو(20) بن كعب بن سعيد بن تيم(21) بن مرة ابن كعب بن لؤي التيمي القرشي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب، وهو صاحب الراية الخضراء الأولى من هذا اللواء الأكبر الأبيض، وقد ظهرت حكمة الله سبحانه في ترتيب <خلافة>(22) الخلفاء الراشدين {في ترتيب وفاتهم}(23) فان وفاة أبي بكر قبل وفاة عمر، ووفاة عمر قبل وفاة عثمان، ووفاة عثمن قبل وفاة علي، فسبحان الحكيم العليم، ثم لما توفي الصديق رضي الله عنه سنة 13 ولي عمر بعهد أبي بكر له واتفاق الامة عليه.

راية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه(24)

وهو صاحب الراية الخضراء الثانية من اللواء الابيض {وهو ثاني الخلفاء الراشدين}(25) وهو ابو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى ابن رياح(26) بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي <العدوي القرشي>(27) يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤى، ولد بعد الفيل بهذا 13 سنة، وأسلم في السنة السادسة من المبعث، وهو صاحب السفارة في الجاهلية، كانت قريش توجهه سفيرا في الامور المهمة التي تكون بينهم وبين القبائل، وهو الذي أعز الله به الاسلام بدعوة رسول

(19) ساقط من (م) و (ف)
(20) في (م) عمر بدل عمرو
(21) في (م) تميم بدل تيم وهو خطأ
(22) ساقط من (م)
(23) ساقط من الاصل ومن (ف) فأضفناه من (م)
(24) ساقط من (م) ومن (ف)
(25) ساقط من الاصل فاضفناه من غيره
(26) كذا هو بالياء في الاصل، ومثله في الفاسية وفي (م) رباح بالباء وهو الصواب.
(27) ساقط من (م) و من (ف)

الله صلى الله عليه وسلم، ولما استشهد سنة 23 جعل الخلافة شورى بين النفر الستة، فوقع الاتفاق على سيدنا عثمان رضي الله عنه.

راية سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه(28)

وهو ثالث الخلفاء الراشدين صاحب الراية الخضراء الثالثة من اللواء الابيض، وهو ذو النورين ابو عمرو سيدنا عثمان بن عفان بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي القرشي، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف، ولد في السنة السادسة من الفيل، أسلم قديما لما دعاه أبو بكر الصديق، وهاجر الهجرتين، أخرج ابن عساكر عن حذيفة قال : أول الفتن قتل عثمان، وآخرها خروج الدجال، والذي نفسي بيده لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من <حب>(29) قتل عثمان الا تبع الدجال إن أدركه، وإن لم يدركه آمن به في قبره انتهى، قتل رضي الله عنه ظلما شهيدا سنة خمس وثلاثين، وكان الذين جاءوا لقتله اربعة آلاف، وفي المدينة نحو أربعين ألفا كلهم ما أرادوا قتله، بل جادون في نصره فمنعهم رضي الله عنه، وقال : ان النبي صلى الله عليه وسلم عهد الي بهاذا فلا أكون أول من خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته، فلا يقتل أحد لحياتي وانا صابر مستسلم، ففدى الامة بنفسه رضي الله عنه، وكان ذلك بأسباب سماوية، ومقادير أزلية، ومواعد من الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، فلا مجال للأفكار والأوهام هنا، فلما قتل عثمان بايع أهل الحل والعقد سيدنا عليا رضي الله عنه قبل بيعة غيره، فوجبت طاعته لصحة بيعته وتقدمها، بايعه جميع من بالمدينة من الصحابة وغيرهم يوم قتل عثمان، ثم كان ما جرت به الأقدار من مراد الحق تعالى.

---

(28) ساقط من (م) و من (ق)
(29) ساقط من (ف)

راية مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه(30)

وهو صاحب الراية الخضراء الرابعة من هذا اللواء الابيض، فهو أبو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، واسم عبد المطلب شيبة، واسم هاشم عمرو، واسم عبد مناف المغيرة، واسم قصي زيد، وعلي أيضا كان اسمه حيدرة بدليل قوله كما في الصحيح :

انا الذي سمتني امي حيدرة

اضرب بالسيف رقاب الكفرة

فهو إذن حيدرة بن عبد مناف بن شيبة بن عمرو بن المغيرة بن زيد بن كلاب بن مرة الى آخره أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمواخاة، وصهره على خير نساء الجنة فاطمة البتول، أبو السبطين، أحد السابقين الى الاسلام، وأحد العلماء الراسخين، وأحد الأبطال المشهورين، والزهاد المذكورين، والخطباء المعروفين، وأحد من حفظ القرآن وعرضه على رسول الله صلي الله عليه وسلم، وأحد المبشرين بالجنة، وهو أول خليفة من بني هاشم رضي الله عنه، واستشهد رضي الله عنه سنة اربعين ليلة الجمعة سابع عشرة رمضان، قال الجلال السيوطي : قال ابو بكر بن عياش(31) عمي قبر علي لئلا ينبشه الخوارج، وقال شريك(32) نقله الحسن ابنه الى المدينة، وقال المبرد(33) عن محمد بن حبيب(34) أول من حول من قبر الى قبر علي رضي الله عنه، وأخرج ابن عساكر(35) عن سعيد(36) بن عبد العزيز

---

(30) ساقط من (ف)

(31) اختلف في اسمه على عشرة أقوال. وقال الحافظ، والاصح ان كنيته اسمه، صدوق ثبت في القراءة، لكنه يغلط في الحديث. من الطبقة السابعة، ولما حضرته الوفاة بكت اخته فقال، ما يبكيك، انظري الى تلك الزاوية ختمت فيها ثماني عشرة الف ختمة، توفي سنة 193 هـ-808 م.

(32) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي بواسط، ثم الكوفة صدوق يخطئ كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة. كان شديدا على اهل البدع من الطبقة الثامنة خرج له البخاري في التاريخ ومسلم والاربعة توفي سنة 177 هـ-793 م.

(33) ابو العباس محمد بن يزيد الازدي البصري امام اهل العربية ببغداد، وصاحب الكامل توفي سنة 285 هـ-898 م.

(34) ابو جعفر محمد بن حبيب البغدادي، النسابة الاخباري اللغوي الشاعر، استقل في مؤلفاته بموضوعات جامعة مفيدة لم يسبق اليها. منها مختلف القبائل ومؤتلفها. ومنها المحبر توفي سنة 245 هـ-859 م.

(35) ابو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي الحافظ قال فيه النووي هو حافظ الشام بل حافظ الدنيا، ويسميه البغداديون شعلة نار لتوقد ذكائه له التاريخ الكبير المشتمل على 80 جزءا من طالعه عرف الى اي مرتبة وصل هذا الامام، وهو في خزانة جامعة ابن يوسف بمراكش مخطوطة في 31 جزءا ينقصها الاول والحادي عشر والثاني والعشرون من تحبيس المولى عبد الله بن المولى اسماعيل العلوي على جامع ابي العباس السبتي بتاريخ 25 جمادى الاولى عام 1158 م، توفي ابن عساكر سنة 571 هـ-1175 م

(36) سعيد بن عبد العزيز ابو محمد التنوخي الدمشقي فقيه دمشق في عصره، كان كما قال الامام احمد، ليس بالشام أصح حديثا منه، توفي سنة 167 هـ-783 م.

قال : لما قتل علي حملوه على بعير ليدفنوه بالمدينة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هم في مسيرهم ليلا إذ ند الجمل الذي هو عليه فلم يدر أين ذهب، ولم يقدر عليه، فلذلك قال أهل العراق : هو في السحابة وكان له من العمر حين(37) قتل 63 في أقرب الاقوال.

راية مولانا الحسن السبط رضي الله عنه(38)

وثم ولي سيدنا الحسن رضي الله عنه بعد قتل أبيه، بايعه أهل الحل والعقد من اهل الكوفة، فاقام فيها ستة أشهر واياما، فهو صاحب الراية الخضراء من اللواء الابيض، وهي الراية الخامسة، ثم كان من أمر الله تعالى ما هو مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن ابني هذا سيد، ولعل الله {أن}(39) يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)(40) فصالحه سيدنا معاوية على الشروط المعلومة في السير، وبه تمت مدة الخلافة التي أخبر بها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وهي ثلاثون سنة بلا زيادة ولا نقصان، وذلك من اعلام النبوءة، ثم ولي معاوية بن ابي سفيان، وهو {من}(41) اللواء الثاني، ورايته حمراء مشوبة بخضرة كما يأتي بحول الله.

وبقي من هذا اللواء الابيض راية سادسة حمراء مشوبة بخضرة، وهي راية عبد الله بن الزبير، فهو بين اللوائين(42) الابيض والاحمر، وهو الى الابيض أقرب {فهو ممتزج}(43) ومرتبته في الخارج إنما هي بعد معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد كما ترجمه المؤلفون والاخباريون، ولكن لما جعلنا رايته سادسة رايات اللواء الاكبر وجب أن نذكره هنا قبل اللواء الثاني الاحمر.

---

(37) كذا بالاصل، وفي غيره

(38) ساقط من (م) ومن (ف)

(39) ساقط من الاصل فأضفناه من غيره

(40) رواه البخاري في صحيحه

(41) ساقط من (ف)

(42) في (م) و (ف) اللواء بالافراد

(43) ساقط من الاصل فأضفناه من غيره

الرواية السادسة الحمراء المشوبة بخضرة وهي رواية عبد الله بن الزبير(44)

فهو أبو حبيب، وقيل أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الاسدي، صحابي ابن صحابي، مشهور مذكور، أمه أسماء بنت ابي بكر الصديق ذات النطاقين، وابوه حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة بالمدينة {لما ولد}(45) فرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لانه قيل إن اليهود سحرتهم أن لا يولد لهم، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة، وسماه عبد الله، ولما مات يزيد بن معاوية بويع له في أخبار طويلة هائلة، بايعه أهل الحجاز، وأطاعه أهل اليمن والعراق وخراسان، ولم يبق خارجا عنه إلا أهل مصر، والشام، بويع فيه معاوية بن يزيد {ويقال له معاوية الصالح}(46) ولم تطل مدته، فاجتمع الامر لابن الزبير، ثم خرج مروان بن الحكم في الشام ومصر، واستمر الى أن مات مروان سنة 65 وقد بايع لولده عبد الملك، ثم آل أمر ابن الزبير الى أن قتله الحجاج بن يوسف أيام عبد الملك سنة 75 ولله عاقبة الامور.

---

(44) ساقط من (م) ومن (ف)

(45) ساقط من الاصل فأضفناه من غيره

(46) ساقط من الاصل فأضفناه رواية عن غيره.

اللواء الثاني : لواء بني أمية

وهو أحمر، وتحته رايات بعدة ملوكهم، ‹ملونة›(1) بألوان أحوالهم، هذه الدولة ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم أنذر بها، من ذلك ما أخرجه الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء قال : قال الترمذي : نا محمد بن غيلان(2)، نا أبو داود الطيالسي (3) نا القاسم بن الفضل الحراني(4) عن يوسف ابن سعيد(5)، قال : (قام رجل الى الحسن بن علي رضي الله عنهما بعدما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين، فقال : لا تؤنبني رحمك الله، فان النبي على الله عليه وسلم أري بني أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت {إنا أعطيناك الكوثر} ونزلت {إنا أنزلناه في ليلة القدر} الى قوله (خير من ألف شهر) فقيل له : يملكها بعدك بنو أمية يا محمد) انتهى، وأحاديث أخر.

راية سيدنا معاوية رضي الله عنه حمراء(6) تميل الى البياض
وهي الراية الاولى من اللواء الثاني

وهو رضي الله عنه من اجل فضلاء قريش، وأبوه صاحب العير، ومن أهل الرياسة في الجاهلية، قال الجلال السيوطي : خرج معاوية على علي وتسمى بالخلافة ‹ثم خرج›(7) على الحسن، فنزل له الحسن عن الخلافة فاستقر فيها من ربيع الآخر أو جمادى الاولى سنة 41 فسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الامة ‹فيه›(8) على خليفة واحد، ثم إن معاوية عهد

---

(1) ساقط من (ف)

(2) كذا في النسخ، والصواب محمود بن غيلان العدوى مولاهم المروزي الحافظ نزيل بغداد، قال الحافظ في التقريب ثقة من الطبقة العاشرة توفي سنة 239هـ - 853م.

(3) سليمان بن داوود الطيالسي نسبة الى الطيالسة التي تجعل على العمائم، حافظ ثقة صاحب المسند الذي قيل فيه انه أول مسند صنف كان يحفظ أربعين الف حديث، خرج له البخاري تعليقا، ومسلم والأربعة توفي سنة 204 هـ - 819م.

(4) القاسم بن الفضل بن معدان الحدائل بضم الحاء ودال، مفتوحة بعدها الف فهمزة ابو المغيرة البصري وهي بالارجاء كما قال ابو داوود. من الطبقة السابعة توفي سنة 167هـ - 783م. وفي النسخ المعتمدة الحراني) بالراء والنون، وهو تصحيف.

(5) كذا بالاصل اما (م) و (ف) ففيهما (محمد) بدل يوسف، اما والده فهو سعد لا سعيد كما في النسخ المعتمدة وهو يوسف بن سعد الجمحي مولاهم البصري ابو عبد الله، وثقة ابن معين وقال الترمذي، رجل مجهول ويقال هو يوسف بن مازن، وقيل هما اثنان، ولمح في الميزان الى هذا الحديث، قال الحافظ من الطبقة الثالثة ولم يذكر احد وفاته.

(6) في (م) و (ف)، خضراء بدل حمراء، ويلاحظ ان المؤلف قال عن راية معاوية سابقا انها حمراء مشربة بخضرة بينما قال هنا أنها حمراء تميل الى البياض.

(7) لم يرد في (ف)

(8) ساقط من (م) و (ف).

بالخلافة لولده اليزيد، وهو أول من عهد بها في صحته لغيره [كما تقدم في الأوليات] (9)، قال الحسن البصري : أفسد أمر الناس اثنان : عمرو بن العاصي لما أشار على معاوية برفع المصاحف في قضية التحكيم، والمغيرة بن شعبة (لما) (10) أشار عليه بالعهد لولده يزيد، توفي سيدنا معاوية عام 60 فقام يزيد ابنه ورايته زرقاء وتوفي عام 64 ثم بويع معاوية(11) الصالح بن يزيد بن معاوية فبقى أربعين يوما ومات رحمه الله، ورايته بيضاء، وأما مروان بن الحكم فالصحيح أنه ليس من أمراء المؤمنين، قال الذهبي : بل هو باغ خارج على ابن الزبير(12)، وليس عهده الذي عهد به لولده عبد الملك بصحيح، وإنما صحت خلافة عبد الملك بالتغلب من حين قتل ابن الزبير ‹قلت وكذا يزيد بن معاوية الظاهر انه ليس من امراء المسلمين فقد نقل الحافظ السمهودي 13 أن عمر بن عبد العزيز سمع رجلا يقول : أمير المومنين يزيد بن معاوية فضربه عشرين سوطا، وفي هذا دليل واضح أن يزيد ليس من أمراء المؤمنين، وكيف يكون من أمراء المؤمنين مع أن علماء الاسلام قد اختلفوا في جواز لعنه على التعيين بل اختلفوا في كفره وعدمه، قال الامام بن الهمام(14) محقق الحنفية وشيخ أهل عصره في كتابه المسمى «بالمسايرة» الذي ساير به الرسالة القدسية تأليف أبي حامد الغزالي رضي الله عنه مانصه : واختلف في كفر يزيد بن معاوية، قيل نعم، وقيل لا، اذ لم تثبت لنا تلك الاسباب الموجبة للصراحة لكفره، وحقيقة الامر التوقف فيه، ورجع الامر فيه الى الله سبحانه انتهى، قال الحافظ السمهودي : وقد اختلف علماء الاسلام في جواز لعن يزيد بخصوص اسمه على أنه لم يثبت ما يقتضي كفره مع اختلافهم فيه انتهى، وأما فسقه الذي كاد أن يبعده عن الاسلام في ظاهر الأمر فلا خلاف فيه، قال الامام ابو الفرج الجوزي(15) في كتاب «الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد»

(9) ساقط من الاصل ومن (ف) فأضفناه من (م)

(10) لم يرد في الاصل فأضفناه من (م)

(11) في (ف) عمر بدل معاوية وهو خطأ.

(12) في (ف) عن بدل على.

(13) نورالدين ابو الحسن علي بن عبد الله السمهودي نسبة الى سمهرد بلدة غربي النيل بالصعيد القاهري الشافعي، نزيل المدينة ومؤرخها، له فيها، التناء الوفا، باخبار دار المصطفى، وله، ايضاح البيان، لما اراده الحجة من ليس في الامكان ابدع مما كان، توفي سنة 911هـ - 1456م.

(14) كمال الدين محمد بن عبد الواحد الاسكندري الدار، السيواسي النجار، نسبة الى سواس ولاية عثمانية في آسية الصغرى، حنفي له مؤلفات في فقههم تدل على علو كعبه توفي سنة 861 هـ - 1456م.

(15) عبد الرحمان بن علي الصديقي البغدادي الحنبلي توفي سنة 597 هـ - 1200م.

مانصه : سألني سائل عن يزيد بن معاوية، فقلت له يكفيه مابه، فقال أيجوز لعنه؟ فقلت قد أجازها العلماء الورعون منهم الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فإنه ذكر في حق يزيد مايزيد على اللعنة، ثم روى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى[16] في كتابه المعتمد في الاصول باسناده الى صالح بن الامام[17] أحمد بن حنبل رضي الله عنه، قال : قلت لأبي أن قوما ينتسبون إلى تولي يزيد، فقال : وهل يتولي يزيد أحد يؤمن بالله ؟ فقلت : ولما لا تلعنه ؟ فقال : متى رأيتني يابني ألعن شيئا ؟ ولما لا يلعن من لعنه الله في كتابه ؟ فقلت : وأين لعن الله يزيد في كتابه ؟ فقال : في قوله (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدو في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله) فهل يكون فساد أعظم من القتل ؟[18].

راية عبد الملك

وهي حمراء شديدة، فيها علم أخضر توفي عام 86

ثم ولي بعده ولده الوليد بعهد أبيه له، ورايته خضراء ذات أعلام حمر توفي عام 95.

ثم ولي أخوه سليمان بعهد أبيه، ورايته صفراء مات 99.

فولي بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان أمير المؤمنين المزاحم في أوساط العدل الخلفاء الراشدين لولا مرتبة الصحبة، رايته بيضاء توفي عام 101.

فولي اليزيد بن عبد الملك، رايته دكناء[19]، وتوفي عام 105[20].

< فولي أخوه هشام بن عبد الملك، ورايته بين الصفرة والحمرة، توفي عام 125> [21].

---

(16) محمد بن محمد الحسن القاضي الحنبلي الشهيد. ذكر ابن رجب في ذيله على الطبقات انه كان للقاضي بيت في داره. فعلم بعض من كان بخدمه ويتردد اليه بان له مالا فدخلوا عليه ليلا واخذوا المال وقتلوه، فاشتهر بالقاضي الشهيد، قتل ليلة عاشوراء سنة 526 هـ - 1131م.

(17) ابو الفضل أكبر اولاد الامام، كان ابوه يحبه ويحب أن يكون زاهدا متقشفا ولي القضاء بطرسوس، ثم اصبهان، وبكى على تلك الولاية، وقال انما سله عليها كثرة العيال وقلة المال توفي سنة 266 هـ - 879م.

(18) ساقط من (م) و (ف) وساقط من النسخة وقد كتب مؤلف الاصل بالهامش ما نقل من قوله قلت وكذا الى قوله أعظم من القتل.

(19) كذا بالاصل وفي (م) و (ف) (بين الصفرة والحمرة) بمكان قوله (دكناء).

(20) في (م) و (ف) (عام خمسة وعشرين ومائة) وهو سهو ظاهر.

(21) سقط من (م) و (ف).

<فولي الوليد بن اليزيد، وهو الفاسق الجبار العنيد، رايته زرقاء قتل عام 126> (22).

فولي بعده اليزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وهو الناقص، رايته فيها حمرة وغبرة وزرقة، الزرقة من قوله بالقدر ودعاء الناس إليه وتقريب أهله كغيلان(23) إمام المبتدعين ، توفي الناقص من عامه وولي بعده أخوه ابراهيم ابن عبد الملك، رايته غبراء، وخلع بعد سبعين ليلة، خرج عليه مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم، فهرب ابراهيم ثم جاءه وخلع نفسه من الأمر وبايعه طائعا، وبقي ابراهيم الى سنة 132 فقتل مع من قتل من بني أمية.

فبويع مروان <بن محمد الملقب بالحمار>(24) سنة 127، رايته دكناء ذات أعلام حمر، قتل عام 132، وبقتله سقط لواء بني أمية من المشرق.

حكاية فيها عبرة وموعظة : أخرج الصولي(25) عن محمد بن صالح(26) قال : لما قتل مروان < الحمار> (27) قطع رأسه ووجه به الى عبد الله بن محمد بن علي فنظر إليه ثم طرح ناحية فجاءت هرة فاقتلعت لسانه تمضغه، فقال عبد الله بن محمد بن علي : لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان في فم هرة لكفى، والملك الباقي لله سبحانه.

---

(22) ساقط من (ف).

(23) غيلان بن مسلم الدمشقي، تنسب اليه الفرقة الغيلانية، من القدرية، تاب من القول بالقدر على يد عمر بن عبد العزيز، ولما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبد الملك، واحضر الاوزاعي لمناظرته، فافتى الاوزاعي بقتله فصلب على باب كيسان بدمشق بعد مائة وخمسة - 723م.

(24) سقط من (م) و (ف)

(25) هناك صوليان. هما ابو اسحاق ابراهيم بن العباس الكاتب الشهير، وهو اخباري، له كتاب في التاريخ، توفي سنة 243هـ -857م. وهو عم الصولي الاخر ابو بكر محمد بن يحي بن عبد الله الشطرنجي الصولي نسبة الى جده ابي اسحاق صول، نادم ثلاثة من خلفاء بني العباس، الراضي والمكتفي والمقتدر، توفي سنة 335هـ - 946م، ويظهر ان الصولي الذي روى عن محمد بن صالح، هو ابراهيم لتقاربهما في تاريخ الوفاة.

(26) محمد بن صالح بن مهران يعرف بابن النطاح كان اخباريا نسابة راوية، له كتاب في الدولة العباسية، وهو أول من صنف في اخبارها، توفي سنة 252هـ - 866م

(27) سقط من (م) و (ف).

اللواء الثالث الاسود في دولة بني العباس ونحته رايات كثيرة بعدة ملوكها[1] ملونة كأخلاقهم

وردت أحاديث كثيرة مبشرة بهذه الدولة، من ذلك حديث الترمذي : نا يحيى[2] ابن معلى ابن منصور نا أبو بكر ابن أبي شيبة[3] نا محمد بن اسماعيل بن أبي فديك[4]عن محمد بن عبد الرحمان العامري[5] عن سهيل[6] عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس (وفيكم النبوءة والمملكة)[7] قال السيوطي : العامري ضعيف، وقال العلقمي[8]) حدثنا احمد بن محمد النصيبي[9] نا ابراهيم بن المستنير[10] نا احمد بن سعيد الجبيري[11] نا عبد العزيز[12] ابن بكار بن عبد العزيز بن ابي بكرة عن أبيه عن جده أبي بكرة، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يلي ولد العباس من كل يوم تليه بنو أمية يومين، ومن كل شهر شهرين) انتهى، ذكر في تاريخ الخلفاء أحاديث عديدة من هذا الباب، [وأخبار انقراض الدولة الاموية وظهور الدولة العباسية براح

---

(1) في (م) (ملوكهم) بضمير المذكر

(2) يحيى بن معلى ابو عرانة الرازي نزيل بغداد، صدوق من الطبقة الحادية عشرة، روى عنه ابن ماجه، لم يذكروا سنة وفاته وكونه من الحادية عشرة حسب ما في التقريب للحافظ يرشد الى ان وفاته بعد المائتين.

(3) ابو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبه ابراهيم، واسطى الاصل الكوفي ثقة حافظ. من الطبقة العاشرة خرج له البخاري ومسلم وابو داوود، والنسائي، وابن ماجة سنة 235 هـ - 749م.

(4) محمد بن اسماعيل بن مسلم بن ابي فديك الديلي مولاهم المدني صدوق من صغار الطبقة الثامنة توفي سنة 200هـ 810م.

(5) محمد بن عبد الرحمان بن ثوبان العامري عامر قريش المدني ثقة، خرج له الجماعة من الطبقة الثالثة. قال السيوطي،العامري ضعيف والذي في التقريب انه ثقة. ولعله التبس على السيوطي بعامري آخر ضعيف ولامر ما قال الحافظ عامر قريش، وفي الخلاصة، وثقه النسائي.

(6) سهيل بن أبي صالح ذكوان المدني، صدوق تغير حفظه باخرة، خرج له الجماعة وروى له البخاري مقرونا وتعليقا هو من الطبقة السادسة ت في خلافة المنصور.

(7) اخرجه ابو نعيم في دلائل النبوة، وابن عدي في الكامل، وابن عساكر من طرق عن ابي فديك.

(8) كذا في النسخ كلها، وهو خطأ صوابه العقيلي، وهوأبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى العقيلي مصغرا الحافظ الكبير الثقة العالم بالحديث توفي سنة 323هـ - 934م.

(9) لم نقف على مصدر يعرفنا بهذا النصيبي.

(10) ابراهيم بن المستنير العروقي بضم العين الناجي البصري، صدوق يغرب من الطبقة الحادية عشرة، كان حيا بعد المائتين

(11) كذا بالصل وفي م اما (ف) ففيها الحميري بحاء مهملة بعد ميم والصواب الجبري كما في الاصل.

(12) عبد العزيز بن بكار، وفي الميزان حديثه غير محفوظ، ومشاه بعضهم وقد اورد العقيلي في كتاب الضعفاء في ترجمته هذا الحديث الباطل، ونقله الحافظ في اللسان، قال الاسيوطي في تاريخ الخلفاء، حديث أورده ابن الجوزي في الموضوعات و واعله بكار، وليس كما قال، فان بكارا لم يتهم بكذب ولا وضع، وقال في اللالي، ان بكارا روى له ابو داوود والترمذي وابن ماجه، وداقع عن الحديث بما في تاريخ الخلفاء.

واسع جدا، ولسنا بصدده} (13).

ولما قتل مروان بويع ابو العباس السفاح سنة 132فهو صاحب الراية الاولى من هذا اللواء ورايته شديدة الحمرة، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب بن هاشم توفي عام 137.

فبويع أخوه ابو جعفر المنصور، واسمه أيضا عبد الله، رايته حمراء ذات اذيال خضر، توفي عام 158.

ثم ولي ولده محمد المهدي، رايته خضراء، مات سنة 169.

ثم بويع ولده موسى الهادي، ورايته بين كدرة وحمرة، مات 170.

ثم بويع أخوه الرشيد هاورن ذو الراية العالية الخضراء، ومات 193.

ثم ولي ولده الأمين محمد بعهد أبيه، رايته بين غبرة واصفرار وزرقة قتل عام 198.

ثم بويع أخوه المامون عبد الله بعهد أبيه ولكن استعجله قبل الايان، رايته حمراء ذات أعلام زرق من أجل دعائه الى خلق القرآن مات عام 218.

ثم ولي أخوه المعتصم محمد، رايته بين حمرة وزرقة مات 226.

ثم بويع ولده الواثق هاورن، رايته بين اخضرار وازرقاق، مات عام 232.

ثم بويع أخوه المتوكل جعفر ذو الراية الصفراء ذات الأعلام البيض، قتل عام 249.

ثم بويع ولده قاتله محمد المنتصر، رايته زرقاء منكسفة، مات 250.

ثم بويع ابن عمه احمد المستعين، وعزل بالمعتز بن المتوكل عام 252، رايتاهما (14) دكناوان. ثم بويع جعفر المهتدي بن الواثق المشبه لعمر بن عبد العزيز في العدل ومحبة الخير واهله، رايته خضراء، قتل عام 270.ثم بويع (*) المعتضد ابن الموفق، رايته خضراء مرفلة مات عام 270. ثم بويع ولده علي المكتفي، رايته حمراء، مات عام 295. ثم بويع جعفر المقتدر، رايته غبراء منكسفة، خلع مرتين، وقتل عام 321، في أيامه أخذ القرامط الحجر الاسود، وانقطع الحج. ثم بويع أخوه محمد القاهر، رايته منخرقة منكسفة بتراء، خلع وسمل، وتكفف الناس في الجامع يوم جمعة عام 322. ثم بويع الراضي بن المقتدر، رايته حمراء مشرقة، مات عام 329. ثم بويع

---

(13) ساقط من الاصل ومن (ف) فاضفناه من (م).

(14) كذا بالاصل وفي (م) و (ف) رايتها بافراد لفظ الراية.

(*) المذكور في كتب التاريخ ان الذي يتبع المهتدي في السلسلة هو المعتمد هـ 256 هـ 870 م ثم بويع المعتضد.

أخوه ابراهيم المتقي، ورايته مغبرة بالية، خلع وقبض على كاتبه ابن مقلة وسمل عام 333 وبقي مسجونا الى ان مات عام 357 بعد إقامته في السجن 25 سنة. فلما خلع بويع المستكفي عبد الله بن المكتفي، رايته دسماء متسخة، خلع وسمل ونهب، مات عام 334 بل هذه سنة خلعه، أما وفاته فسنة 338، فهؤلاء الثلاثة كلهم سملوا، ولما سمع القاهر أن المتقي سمل قال : صرنا شيخين أعميين لا بد لنا من ثالث، فكان كذلك، فسمل المكتفي. ثم بويع المطيع بن المقتدر، رايته حمراء مخرقة، صودر بأربعمائة الف حتى باع فيها قماشه، ثم خلع نفسه وبايع لولده عبد الكريم الطائع عام 363 ثم بويع الطائع ورايته غبراء واهية، خلع ونهب وسجن الى ان مات عام 383. ثم بويع احمد القادر عام 381 قبل موت الطائع، رايته حمراء طويلة، ، مات عام 422. وبويع بعده ولده القائم بأمر الله، رايته بين خضرة ودكونة، فيها أعلام بيض، قبض عليه ثم رد الى الخلافة، زوج بنته للسلطان قهرا، مات عام 467 انحلت حجامته وهو نائم. ثم بويع ولده المقتدي، رايته حمراء مشرقة رفافة، مات فجأة عام 487. ثم بويع بعده ولده المستظهر، رايته منكسفة اللون، فيها اعلام خضر، وفي أيامه أخذت الفرنج بيت المقدس، وهو الذي وجه الخلعة واللواء لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وسماه أمير المسلمين، مات عام 529. ثم بويع ولده الفضل المسترشد، رايته من احسن رايات قومه، حمراء فيها قليل كدرة، قتلته الباطنية غدرا في مجلسه عام 529. ثم بويع ولده منصور الراشد، ولد مسدود الدبر <لا مخرج له>(15) ففتح بآلة من ذهب، رايته زرقاء ملطخة(16) قتل عام 532. ثم بويع المقتفي، رايته واهية مغبرة مات عام 555. ثم بويع بعده ولده المستنجد، رايته خضراء تميل الى البياض، قتل مسجونا في حمام عام 566. ثم بويع ولده المستضئ، رايته حمراء مغبرة، مات عام 575 ثم بويع ولده الناصر احمد، رايته حمراء مشرقة مرفلة، في ايامه سنة 583 كانت الفتوحات العظام على المسلمين، اعظمها أخذ بيت المقدس من الفرنج بعدما بقيت بأيديهم 91 سنة، والآخذ لها منهم هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى.

---

(15) ساقط من (م) و (ل)

(16) كذا بالاصل وفي (م) و (ف) متلطخة

فائدة عجيبة : ذكر الجلال السيوطي رحمه الله وكذلك محيي الدين بن العربي في الفتوحات عن أبي الحكم عبد السلام بن برجان(17) في تفسيره في سورة الروم ان بيت المقدس يبقى بيد الروم الى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم يغلبون ويفتح ويصير دار إسلام الى آخر الابد، أخذ ذلك من حساب الآية. فكان الامر كذلك، قال أبو شامة(18) وهذا الذي ذكره ابن برجان من عجائب ما اتفق، وقد مات ابن برجان قبل ذلك بدهر انتهى. {قلت بنحو خمسين سنة، فانه مات عام 536 وكان فتح بيت المقدس عام 583}(19) انتهى، وقد ذكر محيي الدين في الفتوحات كيفية حساب الآية واستخراج ذلك منها، والمراد بالاية قوله تعالى **(الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون)** برواية فتح اللام في غلبت(20) وضم الباء في سيغلبون انتهى، <ذكر ذلك>(21) في الصفحة 65 من السفر الاول من الفتوحات، ثم أعاد الكلام عليه في السفر الرابع في الصفحة 242 فقال : ولقد كنت في مدينة فاس سنة 591 وعساكر الموحدين(22) قد عبرت الى الاندلس لقتال العدو حين استفحل أمره على الاسلام فلقيت رجلا من رجال الله ولا أزكي أحدا على الله تعالى، وكان من أخص أوداني، فسألني : ما تقول في هذا الجيش هل يفتح له وينصر في هذه السنة أم لا ؟ فقلت له : ما عندك في ذلك ؟ فقال : ان الله تعالى قد ذكر ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا الفتح في هذه السنة وبشر نبيه بذلك في كتابه الذي أنزل عليه، وهو قوله تعالى **(إنا فتحنا لك فتحا**

---

(17) عبد السلام بن عبد الرحمان ابن ابي الرجال، ويعرف بابن برجان، كان من اجل رجال المغرب في علم الكلام، عارفا بلغة العرب وله التفسير المشهور الذي سلك فيه مناهج الصوفية العارفين أصحاب الاحوال، والذي كان سببا في تغريبه من اشبيلية الى مراكش صحبة الامام ابن العريف وابي بكر محمد بن الحسين الميورقي، قال ابن الابار في معجمه، وكانوا نمطا واحدا في الانتحال، والاتصال بصلاحية الاحوال، ولابي الحكم التقرب عليهما، وفي صلة الصلة، كان متقيدا في نظره بظواهر الكتاب والسنة، بريئا من تعمق الباطنية بعيدا من قحة الظاهرية توفي على التحقيق سنة 536هـ1141م ودفن برحبة الزرع بمراكش وبنيت عليه قبة رفيعة رغم كيد الاعداء وسعايتهم.

(18) أي في الروضتين ج 2 ص 113 وأبو شامة هو عبد الرحمان بن اسماعيل المقدسي الاصل الدمشقي الشافعي مؤلف الروضتين وذيلهما، وكشف حال بني عبيد، واصيب ببلوى اذ دخل عليه رجلان الى بيته ومعهما فتوى فضرباه ضربا مبرحا كاد يتلف منه ولم يدر به احد ولا اغاثه. وجعل السخاوي في الاعلان بالتوبيخ محنته هذه بسبب الوقيعة في العلماء والصلحاء واكابر الناس، وذكر جملة من العلماء امتحنوا بسبب الوقيعة في السلف الصالح يرحم الله الجميع توفي سنة 665هـ -1266م.

(19) زيادة من (م).

(20) في (م) و (ف) (برواية فتح الغين واللام في غلبت).

(21) ساقط من (ف).

(22) كذا بالاصل ومثله في (م) وفي (ف) (المسلمين بدل الموحدين).

مبينا) فموضع البشرى (فتحا مبينا) من غير تكرار الألف، فإنها لاطلاق الوقوف في تمام الآية، فانظر اعدادها بحساب الجمل، فنظرت فاذا هو الفتح يكون في سنة احدي وتسعين وخمسمائة، ثم جزت الى الاندلس الى أن قال : هذا عاينته، فاخذنا للفاء ثمانين، والتاء أربعمائة، وللحاء ثمانية، وللألف واحدا، وللميم أربعين، ولليا ء اثنين، ولليا ء عشرة، وللنون خمسين، وللألف واحدا، وللميم أربعين، وللباء اثنين، ولليا ء عشرة، وللنون خمسين، والألف قد أخذنا <عددها>(23) فكان المجموع 591 كلها سنون من الهجرة الى هذه السنة، فهذا من الفتح الالهي لهذا الشخص، وكذلك ما ذكرناه من فتح بيت المقدس فيما اجتمع بالضرب في (آلم غلبت الروم) مع البضع من السنين المذكور فيه بالحسابين الجمل الصغير والكبير، فظهر بذلك فتح بيت المقدس، وقد ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب في باب الحروف، وهو ان البضع جعلناه ثمانية لكون فتح مكة كان سنة ثمان، ثم أخذنا بالجمل الصغير (آلم) ثمانية فأسقطنا الواحد لكون الاس يطلب طرحه لصحة العدد في أصل الضرب في الحساب الرومي، والفتح انما كان في الروم الذين كانوا بالبيت المقدس(24) فأضفنا ثمانية البضع الى ما اجتمع من (ألم) بعد طرح الاس فكان خمسة عشر، ثم رجعنا الى الجمل الكبير فضربنا واحدا وسبعين وهو عدد (الم) بالجمل الصغير في ثمانية، والكل سنون لانه قال (في بضع سنين) فكان المجموع 568 فجمعناها الى 15 التي في الجمل الصغير فكان المجموع 583 وفيها كان فتح بيت المقدس، وهذا العلم من هذه الحضرة ولكن عبد السلام أبو الحكم بن برجان ما أخذه من هذا الوجه، فوقع له غلط ولم يشعر به، وقد بيناه لبعض أصحابنا فتبين له انه غلط في ذلك، ولكن قارب الامر، وسبب ذلك أنه أدخل عليه علما آخر فافسده انتهى، كلام محيي الدين بن العربي.

< وذكر القاضي ابن خلكان في وفيات الأعيان في ترجمة محي الدين(25) ابن زكي الدين الدمشقي ما نصه : ولما فتح السلطان صلاح الدين مدينة حلب سنة 579 أنشده القاضي محيي الدين المذكور قصيدة

---

(23) ساقط من (ف).

(24) كذا بالاصل ومثله في (ف) اما (م) ففيها بيت القدس

(25) ابو المعالي محمد بن علي بن ركن الدين الدمشقي الشافعي الملقب بمحيي الدين، المعروف بابن ركن الدين فقيه اديب وله انتاج شعري ونثري ولي القضاء بدمشق توفي سنة 598هـ - 1201م.

بائية أجاد فيها كل الاجادة، وكان من جملتها بيت، وهو متداول بين الناس وهو :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال، فان القدس فتحت لثلاث بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وقيل لمحيي الدين : من أين لك هذا ؟ فقال أخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى (ألم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) انتهى. المراد منه، فانظر تمامه إن أردت> (26) ومات الناصر عام 622.

ثم بويع ولده محمد الظاهر، رايته حمراء بالية، خلع وسجن وقتل عام 640.

ثم بويع ولده منصور المستنصر، رايته قصيرة محمرة، مات عام 646.

ثم بويع ولده عبد الله المستعصم (27)، رايته مغبرة بتراء، وقتل من جملة من قتله التتر سنة 656 هذا آخر خلفاء بني العباس ببغداد.

ثم انتقلوا لمصر بعد خلو الدنيا من الخليفة ثلاث سنين وأول من بويع بمصر (28) منهم أحمد المستنصر بن الظاهر، رايته عبراء قصيرة، فقد في الحرب عام 660.

ثم بويع الحاكم، ورايته دسماء واهية، مات عام 701.

ثم بويع ولده المستكفي، رايته دكناء مات عام 740. ثم بويع الواثق رايته زرقاء خلع عام 742 ثم بويع الحاكم رايته بالية مات عام 753 ثم بويع المعتضد رايته حمراء متسخة مات عام 773 ثم بويع المتوكل، رايته دكناء مستطيلة مرقوعة، خلع ثم أعيد الى ان مات عام 788 (29) وكان (30).

بويع الواثق عمر بن ابراهيم <لما خلع المتوكل، ورايته بتراء مغبرة مات سنة 788. ثم بويع أخوه زكرياء بن ابراهيم> (31) رايته كراية أخيه، خلع عام 791 ثم أعيد المتوكل الى أن مات سنة 808. ثم بويع المستعين بن المتوكل، رايته غبراء معلمة، مات عام 815 (32). ثم بويع أخوه <المعتضد

---

(26) ساقط من (م) ومن (ف) هو ما بين القوسين

(27) في مبيم المتعصم وهو خطأ.

(28) كذا بالاصل وفي (م) و (ف) منها

(29) قوله الى ان مات سنة 788 خطأ، لان المتوكل لم يمت الا سنة 808 كما سياتي قريبا.

(30) كذا بالاصل ومثله في (م) اما (ف) ففيها (ثم) بدل وكان.

(31) سقط من (م) و (ف).

(32) الذي في حسن المحاضرة وتاريخ الخلفاء. ان وفاة المستعين كانت سنة 854

بن المتوكل، رايته مصفرة متسخة، مات عام 859. ثم بويع أخوه المستكفي، رايته حمراء مشرقة،(33)<(34). ثم بويع أخوه محمد القائم، رايته حمراء، خلع عام 863(35). ثم بويع أخوه المستنجد، رايته حمراء ذات أعلام بيض، مات عام 884.

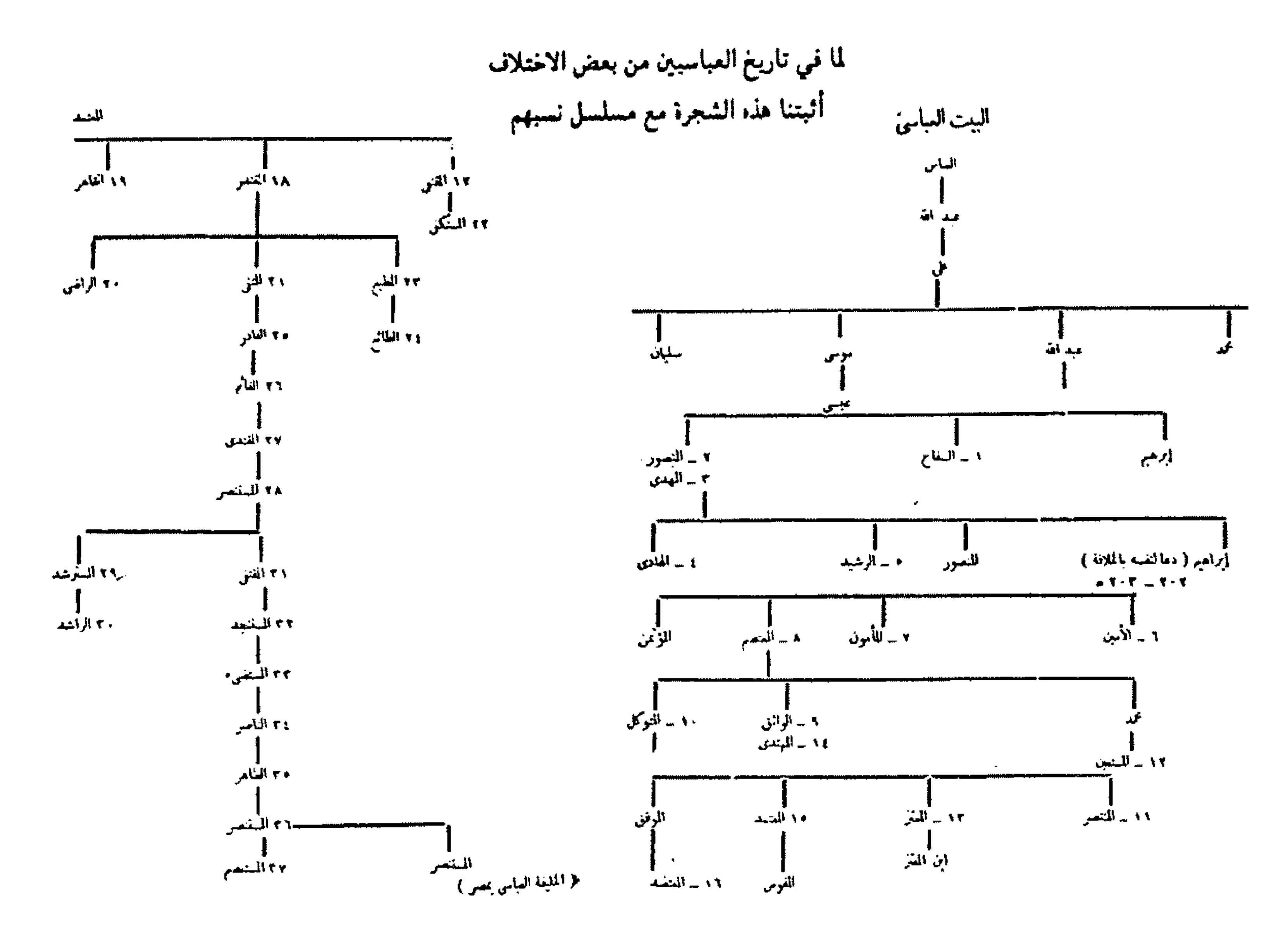
ثم بويع المتوكل رايته محمرة بالية، مات عام 903. ثم بويع ولده يعقوب المستمسك، رايته دارسة ساكنة الرياح، أقام في الخلافة الى أن كف <بصره>(36). فبويع ولده محمد بن يعقوب، فأخذ راية أبيه الى أن أسره سليم خاقان العثماني في أخبار مختلفة، وكان ذلك آخر العهد بالدولة العباسية وتقويض أبنيتها من العالم، ولله سبحانه البقاء الذي لايزول، وحده لاشريك له.

---

(33) الصحيح ان وفاته كانت سنة 884هـ.
(34) ساقط من (م) و (ف) ما بين القوسين
(35) الذي في تاريخ الخلفاء للسيوطي، وفي حسن المحاضرة، ان القائم خلع سنة 859هـ وكانت وفاته سنة 863هـ.
(36) سقط من (ف).

البيت العباسي

لما في تاريخ العباسيين من بعض الاختلاف أثبتنا هذه الشجرة مع مسلسل نسبهم



تسلسل نسب الخلفاء العباسيين

١٣٢ — ٦٥٦ / ٧٥٠ — ١٢٥٨

١	١٣٢هـ	السفاح	٧٥٠م
٢	١٣٦	المنصور	٧٥٤
٣	١٥٨	المهدى	٧٧٥
٤	١٦٩	الهادى	٧٨٥
٥	١٧٠	الرشيد	٧٨٦
٦	١٩٣	الأمين	٨٠٩
٧	١٩٨	المأمون	٨١٣
٨	٢١٨	المعتصم	٨٣٣
٩	٢٢٧	الواثق	٨٤٢
١٠	٢٣٢	المتوكل	٨٤٧
١١	٢٤٧	المنتصر	٨٦١
١٢	٢٤٨	المستعين	٨٦٢
١٣	٢٥٢	المعتز	٨٦٦
١٤	٢٥٥	المهتدى	٨٦٩
١٥	٢٥٦	المعتمد	٨٧٠
١٦	٢٧٩	المعتضد	٨٩٢
١٧	٢٨٩	المكتفى	٩٠٢
١٨	٢٩٥	المقتدر	٩٠٨
١٩	٣٢٠	القاهر	٩٣٢
٢٠	٣٢٢هـ	الراضى	٩٣٤م
٢١	٣٢٩	المتقى	٩٤٠
٢٢	٣٣٣	المستكفى	٩٤٤
٢٣	٣٣٤	المطيع	٩٤٦
٢٤	٣٦٣	الطائع	٩٧٤
٢٥	٣٨١	القادر	٩٩١
٢٦	٤٢٢	القائم	١٠٣١
٢٧	٤٦٧	المقتدى	١٠٧٥
٢٨	٤٨٧	المستظهر	١٠٩٤
٢٩	٥١٢	المسترشد	١١١٨
٣٠	٥٢٩	الراشد	١١٣٥
٣١	٥٣٠	المقتفى	١١٣٦
٣٢	٥٥٥	المستنجد	١١٦٠
٣٣	٥٦٦	المستضيء	١١٧٠
٣٤	٥٧٥	الناصر	١١٨٠
٣٥	٦٢٢	الظاهر	١٢٢٥
٣٦	٦٢٣	المستنصر	١٢٢٦
٣٧	٦٤٠ — ٦٥٦	المستعصم	١٢٤٢ — ١٢٥٨

على أن الخلاف قد دب بين أفراد البيت السلجوقى . فقد طلب طغرلبك من أخيه إبراهيم ينال أن يسلم إليه مدينة همذان وما بيده من القلاع التى ببلاد الديلم . فامتنع إبراهيم عن إجابة أخيه إلى ما طلب . ويذكر ابن الأثير أن طغرلبك أمر بأخيه فضرب بين يديه وسملت إحدى عينيه وقطعت شفتاه ، ثم دارت الحرب بينهما وملك طغرلبك ما كان بيده من القلاع ، وتحصن إبراهيم بقلعة حصينة فسار إليه طغرلبك على رأس

اللواء الرابع الازرق في دولة بني عبيد بمصر
ونحته رايات بعدد ملوكهم ملونة بالوان أخلاقهم

قد كنت عزمت على ان لا أذكر هذا اللواء لان العلماء المعتبرين أطبقوا على انهم ليسوا من خلفاء هذه الملة، وعلى انهم لا نسب لهم يتصل ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وانهم كذبوا فيما ادعوا من ذلك، قال الجلال السيوطي رضي الله عنه في تاريخ الخلفاء : ولم أورد أحدا من أمراء العبيديين لان إمامتهم غير صحيحة لامور : منها انهم غير قرشيين، وانمايدعوهم بالفاطميين جهلة العوام، والا فجدهم مجوسي، قال القاضي عبد الجبار البصري(1) اسم جد الامراء المصريين سعيد، كان أبوه يهوديا حدادا بسلمية، وقال القاضي ابو بكر البقلاني ما نصه : القداح(2) جد عبيد الله الذي تسمى بالمهدي كان مجوسيا. ودخل عبيد الله المغرب وادعى انه علوي، ولم يعرفه احد من علماء النسب، وسماهم جهلة الناس فاطميين، وقال ابن خلكان : أكثر أهل العلم لا يصححون نسب عبيد الله المهدي جد أمراء مصر انتهى، وقال الذهبي : المحققون متفقون على أن عبيد الله المهدي ليس بعلوي، وما احسن ما قاله حفيده المعز صاحب القاهرة، وقد سأله الشريف ابن طباطبا(3) العلوي عن نسبهم، فسل نصف سيفه من الغمد فقال : هذا نسبي، ونثر على الحاضرين والامراء الذهب وقال : هذا حسبي انتهى، ومنها ان اكثرهم زنادقة خارجون عن الاسلام، منهم من أظهر سب الانبياء، ومنهم من أباح الخمر والزنى، ومنهم من امر بالسجود له، والخير منهم رافضي خبيث يسب الصحابة، ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم

---

(1) ابو الحسن عبد الجبار بن احمد الهمذاني، شيخ المعتزلة في وقته مؤلف كبير، قيل ان له أربعمائة الف ورقة مما صنف في كل فن، ورغم اعتزاله فانه كان شافعيا، توفي سنة 415 هـ - 1024 م.

(2) قال الشيال في تعليق له على اتعاظ الحنفاء عند ذكر ميمون القداح، اختلفت الآراء اختلافا كثيرا عند بيان حقيقة ميمون القداح، فكتاب السنة، من مؤرخين وفقهاء ينكرون انتساب الدولة الفاطمية الى علي وفاطمة ويؤكدون نسبتها الى ميمون القداح ويقولون انه كان فارسيا مجوسيا من الاهواز، وانه تظاهر بالاسلام والتشيع والدعوة لآل البيت، فقبض عليه واودع سجن الكوفة في اواخر عهد المنصور، وبعد خروجه من السجن ادعى انه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق الى ان نجحت دعوته في عهد اولاده الخلفاء الفاطميين، في ترجمته خلط كبير يعلم من كتب الملل والنحل وكتب المستشرقين الذين يدافعون عنه توفي سنة 100 هـ -718م

(3) ابو محمد عبد الله بن احمد بن علي بن الحسن بن ابراهيم طباطبا وقضيته التي أشار لها المؤلف قدس الله روحه بانها وقعت له مع المعز العبيدي فهي مناقضة لتاريخ وفاته، لان المعز دخل مصر سنة 362 هـ-972 م. وابن طباطبا توفي سنة 348 هـ-959 م قال ابن خلكان، ولعل صاحب الوقعة كان ولده.

بيعة، ولا تصح لهم امامة، قال الذهبي : كان القائم بن المهدي شرا من ابيه زنديقا ملعونا أظهر سب الانبياء وقال : وكان العبيديون شرا من التتر على ملة الاسلام، وقال أبو الحسن القابسي[4] ان الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد اربعة آلاف ليردهم على[5] الترضي عن[6] الصحابة فاختاروا الموت، ويا حبذا لو كان رافضيا فقط، ولكنه زنديق، قال القاضي عياض : سئل أبو محمد القيرواني الكتراني[7] من علماء المالكية عمن أكرهه بنو عبيد أمراء مصر على الدخول في دعوتهم او يقتل ؟ فقال يختار القتل، ولا يعذر احد بهذا الأمر، قال : كان اول دخولهم قبل ان يعرف امرهم، واما بعد فقد وجب الفرار، فلا يعذر احد بالخوف لان المقام في موضع يطلب من اهله تعطيل الشرائع حرام لا يجوز، وانما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم لئلا يخلو المسلمون ممن يهديهم فيفتنونهم[8] عن دينهم، قال يوسف الرعيني[9] أجمع العلماء بالقيروان على أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة لما أظهروا من خلاف الشريعة انتهى كلام الجلال السيوطي باختصار.

فإذا تقرر هذا فقد كان مقتضاه أن لايذكروا مع خلفاء المسلمين، ولكن ذكرناهم جمعا للنظائر، ولأن[10] العلامة <القاضي>[11] ابن خلدون صحح نسبهم وشدد على من نفاهم من الفاطمية وبالغ في ذلك، وقال ان كونهم فساقا لا يوجب نفيهم عن نسبهم الثابت بزعمه، ولا يمكن نفي إمامتهم التي استقرت بالتغلب، هذا حاصل كلامه، وإن كان للبحث معه في ذلك مجال، فلهذا ذكرناهم مقتصرين على مجرد سرد وفياتهم فنقول :

---

(4) ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعروف بالقابسي كان اماما في علم الحديث وما يتعلق به، ومن اهم مؤلفاته، كتاب الملخص في الحديث جمع فيه ما اتصل اسناده من حديث الامام مالك في كتاب الموطأ رواية ابن القاسم، كما انه اول من أدخل رواية البخاري لافريقية، اذ لم يصل سند البخاري لها الا من طريقه، وطريق ابي ذر الهروي، توفي بالقيروان سنة 403 هـ - 1012 م.

(5) كذا بالاصل وفي (م) و (ب) عن بدله وهو الاوفق

(6) كذا بالاصل وفي (م) و (ف) على بدله

(7) لم نقف له على ترجمة.

(8) كذا بالأصل ومثله (في) أما (م) ففيها (يفتنوهم)

(9) لم نهتد الى ترجمة هذا الرعيني بين من ينسبون الى رعين.

(10) كذا بالاصل ومثله في (م) أما (ف) ففيها : فإن بدل : ولان.

(11) سقط من (ب).

معلوم خبر داعيتهم أبي عبيد(12) الله حسين الصنعاني ودخوله للمغرب سنة 280 فأقام مذاهب الشيعة وبثها في قبيل كتامة فنهض بهم فاقتلع(13) دولة بني الأغلب من أصلها، وتوجه الى سجلماسة بالجنود المجندة وأخرج عبيد(14) الله المهدي وولده من السجن، وأسند إليه الملك سنة 296، فهو أول هذه الدولة. <والذي عند القاضي شمس الدين بن خلقان في الوفيات أن ابتداء دولتهم سنة 299، وهذا هو الصحيح لأن بعضهم ضبطه بمدلول عدد ضرط> (15) وله الراية السوأى(16) الحمراء ذات الأعلام الزرق، فاستمر الى أن مات سنة 322 ثم ولي ولده محمد المدعو القائم، ورايته موروثة من أبيه، مات سنة 333 (17) ثم قام ولده اسماعيل المدعو المنصور، فأخذ تلك الراية فاستمر الى أن مات سنة 341 ثم ولي ولده بعد المدعو المعز فأخذ تلك الراية المشئومة <ومات>(18) سنة 365 وهو الذي دخل مصر، وانتقل ملكهم من افريقية اليها سنة 362، ثم ولي بعد موته ولده نزار المدعو العزيز، والراية بعينها يتوارثونها بلا نزاع، فمات عام 386، ثم ولي [بعده] (19) ولده المنصور الحاكم فقتل <سنة 411> ثم ولده علي المدعو الظاهر، مات> (20) سنة 428 ثم ولي ابنه معد المستنصر، ومات سنة 487 فمدة ملكه ستون سنة، قال الذهبي : ما علمنا أحدا أقام في الملك هذه المدة لا من الخلفاء ولا من السلاطين(21) ثم ولي ولده احمد المستعلي، ومات سنة 495 ثم [ولي] (22) ولده الآمر اسمه منصور فقتل سنة 524 ثم ولي ابن عمه عبد المجيد الحافظ بن المستنصر، ومات سنة

---

(12) كذا بالاصل والصواب أبو عبد الله بالتكبير، وهو الحسين بن أحمد المعروف بالشيعي، ويلقب بالمعلم، ممهد الدولة للعبيديين وناشر دعوتهم بالمغرب كان من الدعاة الشجعان ومن أعلام الباطنية وأعيانهم توفي سنة 298 هـ -910م.

(13) كذا بالاصل ومثله (م) أما (ف) ففيها اختلع بالخاء بدل القاف.

(14) في (ف) عبد بدل عبيد، وهو خطأ

(15) ساقط (م) و (ف).

(16) في (م) و (ف) السوداء بدل السوأى.

(17) كذا بالأصل ومثله في (م) وفي (ف) اربع.

(18) ساقط من (ف)

(19) ساقط من الأصل

(20) ساقط من (م)

(21) كتب المؤلف بازاء هذا على الطرة مانصه، قال مقيده عفا الله عنه. مولانا اسماعيل بن الشريف رضي الله عنه أقام خليفة لأخيه مولانا الرشيد سبعة أعوام وملك هو سبعة وخمسين سنة فمجموع ملكه 64 سنة كما يأتي في محله إن شاء الله تعالى.

(22) ساقط من الأصل.

544 ثم ولي ولده[23] الظافر، واسمه إسماعيل، وقتل سنة 549، ثم ولي ولده الفائز، واسمه عيسى، ومات سنة 555 ثم ولي العاضد عبد الله بن يوسف بن الحافظ، وخلع 567.

ثم بعد ذلك قامت[24] الدولة العثمانية بمصر أعزها الله وأيدها آمين.

---

(23) في (م) و (ب) بعده بدل ولده.

(24) في (ب) : أقامت وهو خطأ.

اللواء الخامس المبارك في دولة العثامنة(1)
وهو لواء احمر طويل الذيول

والكلام على هذه الدولة وضخامتها وعزة ملة الاسلام بها لا تسعه الدفاتر، ولاتفي الاقلام الا بالاقل منه، وليس المراد هنا الا ذكر ما بلغنا من اسماء ملوكهم ووفياتهم تتميما للفائدة المطلوبة، فنقول :

أول هذه الدولة السامية الذكر : السلطان عثمان الأكبر بن أرغل، ولي الخلافة ببلاد الروم عام(2) 696 : فعثمان(3) بن أرغل هذا <هو>(4) أصل نسب هؤلاء الملوك، وليس كما تزعم العامة من أنهم منسوبون لسيدنا عثمان ابن عفان رضي الله عنه، وقد حكى الأخباريون عن هذا السلطان عثمان بن أرغل أنه كان رجلا صالحا حافظا لكتاب الله تعالى ملازما لتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وكان قبل الخلافة يعاني حرفة الزراعة يأكل من عمل يده بما يعانيه من تلك الحرفة، فاختاره الله تعالى للخلافة الشريفة، والمثابة المنيفة، ومن شاء الله تعالى من أولاده ونسله، وكانت ولايته 10 (5) سنين، ثم تولى(6) بعده ولده اورخان، ورايات هذا اللواء كلها محمرة إلا ما يعرض لبعضها من الاتساخ والدخن، وكانت ولاية السلطان أورخان 40، ثم ولي ولده مراد بن أروخان، وكانت ولايته 30 سنة، ثم ولي {بعده} (7) ولده أبو جرير(8) بن مراد 20 (9) ثم ولي السلطان محمود(10) بن يزيد بن مراد 8، ثم ولي <ولده>(11) السلطان مراد بن محمود(12) 31، ثم ولي ولده محمد جحا(13) بن مراد 31، ثم ولي

---

(1) في (ف) العثمانية بدل العثامنة

(2) في (م) و (ف) سنة بدل عام

(3) في (م) و (ف) وعثمان مع الواو

(4) ساقط من (ف)

(5) كذا بالأصل ومثله في (م) أما (ف) ففيها (عشرين سنة)

(6) في (ف) ولي

(7) ساقط من الأصل

(8) كذا في النسخ المعتمدة، وصوابه أبو زيد.

(9) الذي في المراجع أن ولايته كانت 14 سنة.

(10) كذا في الأصل والصواب (محمد)

(11) ساقط من (ف)

(12) كذا بالأصل والصواب محمد كما نبهنا عليه سابقا.

(13) كذا في النسخ.

السلطان أبو يزيد بن محمد ابن[14] جحا 32، ثم ولي السلطان سليم أبو الفتح بن أبي[15] يزيد، وهو الذي ملك مصر من يد الغوري، وحكايته في الاقدام على محاربة الغوري[16] مع الخليفة العباسي[17] مشهورة، وحاصلها أنه استفتى علماء حضرته هل يجوز له ذلك فأفتوه بعدم الجواز كما هو ظاهر الحال. الا الكمال بن أبي شريف[18] فإنه كان حاضرا ساكتا، فقال له سليم : ما لك لم تتكلم؟ فقال : إن تكلمت خالفت هؤلاء، فقال <له> [19] إنه يجوز لك ذلك، وإنك مالك لهذه البلدة في هذه السنة، وإن ذلك في كتاب الله تعالى، فضحك منه العلماء لما سمعوا هذا الكلام، فقال <له سليم[20]> ما الدليل على هذا ؟ وفي أيى آية من القرآن ؟ فقال <له> [21] سلهم فإن عجزوا أجبتك وبينته لك، فسألهم فقالو نحن عاجزون، فقال لهم الكمال لابد من تأجيلكم، فإذا مضى الاجل بينته لكم، فقالوا ما قلناه لك الآن هو الذي نقوله {لك} [22] بعد الآجل، فقال : لابد من ذلك، فأجلهم السلطان اجلا، فلما حضروا بعد الأجل قال له الكمال : يا مولانا، الآية في قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) فلما سمع العلماء ذلك ضحكوا أكثر من الأول، وقالوا له : ياهذا أين هذه الآية مما نحن فيه ؟ فقال لهم أحضروا بالكم، قوله تعالى (ولقد ...) في قوة سليم، فإن عدد (ولقد) 140 كعدد سليم 140 فهو في قوة النداء، كأنه قيل ياسليم، وقوله تعالى (كتبنا في الزبور) جواب النداء، أي كتبنا في القرآن أو <في > [23] اللوح المحفوظ، وقوله (من بعد الذكر) أي من بعد هذه المدة التي هي مدلول الذكر أي عدده <بإسقاط التعريف، وذلك 920 وإن كان الذي أرخوا به دخول سليم مصر هو 923 فليتأمل، وربما يقال إن البعدية من قوله (من بعد الذكر) تصدق بما

---

(14) كذا في النسخ

(15) في (م) و (ف) (بن يزيد)

(16) هو قانصوه الغوري آخر ملوكا الجراكسة، كان ذا رأي ودهاء، توفي قتيلا سنة 922 هـ - 1516م.

(17) هو محمد المتوكل بن يعقوب المستمسك، آخر خلفاء بني العباس بمصر توفي سنة 950 هـ - 1543م.

(18) ابو المعالي كمال الدين محمد بن الامير ناصر الدين محمد المعروف بابن ابي شريف المقدسي الشافعي توفي سنة 905 هـ - 1499م.

(19) ساقط من (م) و (ف)

(20) ساقط من (ف).

(21) ساقط من (م) و (ف)

(22) إضافة من (ف).

(23) ساقط من (ف)

قرب كالواحد والعشرين والاثنين والعشرين والثلاثة والعشرين>(24) وقوله (أن الأرض) المراد بها(25) عند الأكثرين(26) مصر، وقوله (يرثها عبادي الصالحون) لاشك أنه ليس في الارض اليوم جند أصلح من جند مولانا السلطان من إقامة الجهاد ونصر الدين وحماية المسلمين، فلما سمع العلماء <ذلك> (27) أذعنوا فقالوا له : سلمنا هذا، فأين دليل جواز قتالهم ؟ فقال له : يامولانا، انو أنك تريد الحج والجواز من مصر واكتب الى الغورى واستأذنه في الجواز فإنه مانعك بلا شك، فيباح لك قتاله، فكان الامر كما قال بإذن الله سبحانه. <ومثل> (28) هذا الاخذ الذي أخذه الكمال من الآية المذكورة تقدم مثله في لواء العباسيين في ترجمة الناصر عن بن برجان في تفسيره في صورة الروم، فراجعه، فلما ملك سليم مصر واستأصل دولة الغورى أقام بمصر سنتين ونصفا وتوفي بها، ثم ولي ولده السلطان سليمان، ثم ولده السلطان احمد، ثم ولده السلطان مصطفى مدة يسيرة جدا، ثم السلطان عثمان المقتول ظلما، ثم ولي السلطان مصطفى ولاية ثانية، ثم ولي بعده السلطان امرض(29) بن احمد، ثم السلطان ابراهيم، ثم السلطان مصطفى، ثم السلطان احمد، ثم السلطان محمود ولد أخيه، ثم أخوه السلطان عثمان، ثم السلطان مصطفى بن احمد المذكور، ثم أخوه السلطان احمد، هذا كان هو السلطان في عام 1178، هكذا وجدناه مصححا عليه من غير رواية عن ثقة، وفيه مخالفة ماعند الزياني، فإنه سرد ملوكهم هكذا : عثمان، ورخان، مراد، محمد، مراد، <محمد>(30) يزيد، سليم، سليمان، سليم، مراد، محمد، أحمد، مصطفى، عثمان، مصطفى، مراد، ابراهيم، محمد، سليمان، احمد، مصطفى،عثمان، محمود، عثمان، مصطفى، حميد، سليم، مصطفى، محمود، انتهى، وهكذا كان في تاريخ 1231، وفيما ذكره أيضا مخالفة لقاعدة ذكرها، وهي أنه زعم أنه ضبط بها عمود هذا النسب فقال : ان المتكرر منه ثلاثة أسماء : محمد

---

(24) ساقط من (م) و (ل)

(25) في (م) و (ل) بالأرض

(26) في (م) و (ل) الأكثر

(27) ساقط من (ل)

(28) ساقط من (م)

(29) كذا بالأصل، وصوابه (مراد)

(30) ساقط من (م).

ومصطفى، ومراد، كل من هذه الثلاثة أربع مرات، وعثمان وسليم واحمد تتكرر كل من هذه الثلاثة ثلاث مرات، ومحمود وسليمان ويزيد تكرر كل من هذه الثلاثة مرتين، والباقي هو ورخان وابراهيم وحميد كل من هذه الثلاثة مفرد، فوجدنا مصطفى تكرر في العمود ست مرات، وهو عنده في الضابط المذكور أربع مرات، والخطب في ذلك قريب.

هذا آخر ما أردنا ذكره من هذا الجناح الأيمن من الجيش العرمرم.

والله المستعان على المراد.

الجناح الأيسر من الجيش العرمرم
في دول المغرب من الخلفاء أولي المنصب المعظم

قد ذكرنا أن المقصود بالذات في هذا الجيش إنما هو القلب، وأما أطرافه الأربعة فبالتبع والاستطراد على غاية الاختصار ليقع التفرغ لما هو المراد بالذات فنقول :

أما دول افريقيا ومن تداولها من الامراء في صدرالاسلام الى زمن هارون الرشيد فهو براح متسع تكفل به الكتب المبسوطة وأما مابعد ذلك من ملوك صنهاجة الأغالبة وأمثالهم من زناتة فإنهم ليسو بخلائف، وإنما هم أمراء تحت ولاية غيرهم، وإن كانت هذه الدول المذكورة ربما تزاحم الأئمة الكبار، بمناكبها في القوة والافتخار، ولكن نحن لا نذكر الا الأئمة الخلائف، لا مطلق الامراء من سائر الطوائف وألوية هذا الجناح سبعة : لواء الأدارسة، ولواء الامويين المعاصرين لهم بالأندلس ولواء المرابطين، ولواء الموحدين، ولواء الحفصيين، ولواء بني مرين، ولواء السعديين.

اللواء الأول من الجناح الأيسر الرفاف
في دولة الأدارسة الأشراف

هذا اللواء عال أحمر رفاف، له أذيال قصار، مرفوع بيمين العز في جميع البسائط المغربية والقرى والأمصار، ورايات هذا اللواء كلها حمر غير ناصعة الا الأولين فإنهما مشرقتان غاية الاشراق، وإلا راية يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس فرايته عالية حمراء إلا أن اسفلها أدخن، أما خبر دخول المولى ادريس بن عبد الله الكامل لبلاد المغرب في زمن الهادي العباسي فإنه معلوم مشهور في جميع الدفاتر والدواوين مذكور، وكان بلوغه الى مدينة وليلي سنة 172.

فائدة : ذكر العلامة القاضي أبو القاسم العميري[1] في فهرسته عن

---

(1) ابو القاسم بن سعيد بن أبي القاسم العميري بفتح العين نسبة الى بني عمير فرقة من تادلا الجابري الشادلي آخر ادباء وقضاة العدل بمكناس توفي سنة 1178 هـ - 1764م.

تكميل التقييد لابن غازي(2) أن مدينة وليلي هي المسماة بقصر فرعون الذي بقي أثر بناءه قرب زاوية زرهون وذلك البناء هو طابخة التي كانت في زمن مالك وابن القاسم(3) انتهى.

ونزل مولانا ادريس على رئيس البرابر حينئذ عبد المجيد الوربي(4) الاباضي المعتزلي، ففرح بذلك وبالغ في إكرام مأواه، وجمع القبائل البربرية وحشدها من أقطار المغرب، فبايعوه والتزموا طاعته <وقتال من خالفه> (5)، فلما مات موسى الهادي وبويع أخوه الرشيد وبلغه(6) شأن مولانا ادريس لم يقر قراره، فأشار عليه يحيى البرمكي بأنه لا طاقة له على مقاتلة البربر، ولاينفع في ذلك الا الحيل، فوجه الشماخ فكاده حتى سمه بنشوق(7)، وذلك سنة 175، وترك المولى ادريس الأصغر حملا، فلما وضع كفله مولاه راشدً، فلما بلغ عمره 11 سنة بايعه الناس كلهم ولم يتخلف عن بيعته أحد من قبائل البربر الذين كانوا بايعوا أباه ودخلوا في طاعته، وكانت بيعته عام 186، ثم لما توفي عام 213 بويع ولده محمد بن ادريس أكبر أولاده، وتوفي عام 220، ثم بويع ولده علي المدعو حيدرة، ومات عام 233، ولما بويع علي(8) خرج أخوه المزوار لعبادة ربه بالجبل، وهو أبو الشرفاء أهل العلم، ثم بويع أخوه يحيى بن محمد بن ادريس، وفي ولايته بني جامع القرويين، بنته امرأة من القيروان ذات مال كثير، ونقلت اليه الخطبة، وكانت بجامع الشرفاء الذي بجرواوة بعدوة الأندلس، ولما توفي يحيى عام 239 صوابه 249 كما في سلوة الانفاس وهو الصحيح بويع ولده يحيى بن يحيى، ولم تحسن سيرته، قيل إنه وقعت منه سقطة(9) مات ندما عليها بعدما أخرج من عدوة القرويين الى عدوة الاندلس فمات من ليلته، وهو آخر

---

(2) محمد بن احمد العثماني المكناسي المالكي الشهير بابن غازي خاتمة علماء المغرب ومحققهم، توفي سنة 919هـ - 1513م.

(3) عبد الرحمان بن القاسم بن خالد العتقي المصري ابو عبد الله الشهير بابن القاسم تفقه بالامام مالك ونظرائه، صاحب المدونة. وهي من أجل كتب المالكية، رواها عن الامام مالك، قال الحافظ في التقريب : خرج له البخاري وأبو داود في المراسل والنسائي، وهو من كبار الطبقة العاشرة انتهى، وفي الديباج، وذكر ابن القاسم لمالك فقال، عافاه الله مثله كمثل جراب مملوء مسكا.

(4) كذا بالأصل، والمعروف فيه الاوربي.

(5) ساقط من (م) ومن (ف)

(6) في (ف) بلغ غير موصول بالضمير

(7) كذا بالأصل، ومنشرق في (م) أما (ف) ففيها، بنشوق

(8) في (ف)، ثم بويع علي أخوه

(9) هي دخوله الحمام على يهودية نهارا، واسم اليهودية حنة، فقام عليه عبد الرحمان بن أبي سهل مع العامة وكادوا يفتكون به، ففر ومات ندما منها، ولقد أنكر في كتاب «الازهار العاطرة» الشيخ جعفر الكتاني هذه السقطة وجعلها فرية لا تناسب حال خليفة وشريف كما انكرها ولده محمد بن جعفر في السلوة.

ملوك أولاد محمد بن ادريس، فلما مات بعثوا الى علي بن عمر بن الامام ادريس، صاحب بلاد الريف، فبايعوه، واستولى على المغرب الى أن قام عليه عبد الرزاق الأندلسي الخارجي الصفري بجبل مديونة فدارت بينهما حروب كان آخرها أن هزم الخارجي علي بن عمر، فدخل الخارجي عدوة الاندلس وتمنعت عدوة القرويين، فولوا عليهم يحيى بن القاسم بن ادريس المعروف بالمقدام، فآل الأمر الى أن أخرج يحيى الخارجي من فاس وتملك العدوتين الى أن قتله الربيع ابن سليمان عام 292 غيلة، فتولى بعده يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس <ابن ادريس> (10) فملك جميع أعمال الأدارسة وخطب له في جميع منابر المغرب، وهو أعلى بني ادريس راية وأعظمهم ملكا وسلطانا، وكان فقيها عارفا بالحديث وسائر الفنون، ولم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه، فبقي أميرا الى أن جاء مصالة بن حبوس الكتامي عامل المهدي العبيدي فتحصن يحيى بفاس مدة حتى صالحه مصالة على أن يبايع للمهدي ويتركه على فاس خاصة، وعقد مصالة لموسى بن أبي العافية على جميع المغرب، عدا فاس <وذلك> (11) سنة 308 ثم لما عاد مصالة الى المغرب في سنة 309 أغراه ابن أبي العافية على يحيى فقبض عليه ونهب أمواله ووجهه لأصيلا وسرحه، ثم خرج منها وذهب الى المهدي بإفريقية فاعترضه موسى ابن أبي العافية فسجنه مدة مديدة، ثم ذهب الى إفريقية بعد ذلك فوصل الى المهدية وصادف في وجهه فتنة فبقي بها الى أن مات جوعا، قيل إن والده ادريس دعا عليه أن يموت جوعا في بلد غريب، والعياذ بالله تعالى، ثم قدم مصالة على فاس ريحان المكناسي، وتملك بنو عبيد جميع المغرب حتى قام عليهم الحسن بن محمد بن القاسم ابن ادريس بن ادريس المعروف بالحجام فزحف الى ريحان وأخرجه من فاس، ثم زحف الى موسى ابي العافية فأوقع به وقيعة شنعاء لم ير بالمغرب مثلها في أيام الأدارسة، مات فيها أزيد من 2000 قتيل من أتباع موسى، فلما رجع الحجام الى فاس تركه حامد ابن حمدان الى أن دخل فأغلق الباب دون جيوشه فقبض عليه، ودعا ابن أبي العافية فملك فاسا، فأراد موسى أن

---

(10) ساقط من (م) ومن (ل)

(11) ساقط من (ل).

يقتل الحسن فوجه حامد من أدلاه من السور فأفلت، ولما قتل موسى بنواحي ملوية بعد ملكه للمغرب 28 سنة تولى القاسم بن محمد الملقب كنون(12) <أخو الحجام فلما مات كنون تولى ولده أبو العيش احمد بن كنون>(13) وكان عالما فاضلا، فصالح عبد الرحمان الناصر فاستأذنه في دخول الأندلس للجهاد فأذن له، وقام بملك المغرب أخوه الحسن ابن كنون، فتغلب عليه المروانيون بعد ست عشرة سنة من ملكه، وأجازوه الى الأندلس، ثم صرفوه الى المشرق فلحق بالعبيديين، فجهزه العزيز بجيش ومال فجاء الي المغرب وملك ثانية، واستولى على المغرب كله 8 سنين (14) ثم وجه اليه المنصور بن أبي عامر جيشا فغلبوه على المغرب وقتلوه رحمه الله تعالى، وهو آخر ملوك الادارسة بالمغرب، والملك لله وحده، وأما ملك الحموديين(15) بعد ذلك في [جزيرة الاندلس](16) فإنهم من جملة الثوار، كذا قال بعضهم.

(12) في (م) وفي (ف) بكنون مجرورا بالباء.

(13) ساقط من (ف)

(14) كذا في الاصول، وصوابه : ثماني عشرة سنة. وفي القرطاس : ومدة إقامته بدولته الثانية سنة واحدة وتسعة اشهر، فلعل ما هنا من تحريف الناسخ، هـ هامش.

(15) في (ف) المحمديون وهو خطأ

(16) ساقط من الاصل، انظر «العبر» لابن خلدون ج 4 ص 152-153.

اللواء الثاني من الجناح الايسر من الجيش العرمرم
في دولة المروانيين بجزيرة الاندلس

هذا اللواء احمر، وراياته كذلك، وهي عشر رايات : أولها راية السلطان عبد الرحمان الداخل، وهو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وكيفية خلوصه ودخوله للمغرب معلومة لا غرض لنا فيها، فانه وصل الى الاندلس عام 136 فبويع فأقام في الملك 33<سنة>(1) وتوفي عام 172 ثم بويع ولده هشام الرضى وتوفي عام 180 ثم بويع ولده الحكم بن هشام، وتوفي عام 206 ثم بويع ولده عبد الرحمان بن الحكم، وتوفي عام 238 ثم بويع محمد بن عبد الرحمان ابن الحكم، وتوفي عام 273 ثم بويع ولده المنذر بن محمد بن عبد الرحمان، وتوفي عام 275 ثم بويع اخوه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان، وتوفي عام 301 ثم بويع عبد الرحمان الناصر بن محمد بن عبد الله، رايته طويلة الرمح، خفاقة الاذيال، وتوفي عام 350 فمدة ملكه 50 سنة، وادرك من المآثر ما يبهر العقول، قال ولم يصف له في دنياه وعظم ملكه في هذه المدة المديدة الا اياما قلائل كان يعدها عدا، وقدرها اربعة عشر يوما، فلينظر العاقل الى عجائب الدنيا وعدم صفائها، وبخلها بكمال السرور(2) لأوليائها، وليحذر من الاغترار بما يظهر ببادئ الرأي من زينتها، فان ذلك امر خيالي لا حقيقة له.

<فلا يغرركم مني ابتسام

فقولي مضحك والفعل مبك>(3)

والله يلهمنا لما فيه سعادتنا في الدارين بمنه.

<لما ذكر الشيخ الاكبر محيي الدين بن العربي رضي الله عنه عبد الرحمان الناصر المذكور قال ما نصه :

---

(1) ساقط من (ف)

(2) في (ف) الشروط

(3) ما بين العلامتين ساقط من (م) و (ف) وقبله في الدنيا تقول بملء فيها : حذار، حذار، من بطشي وفتكي

ودخل على هذه الخليفة ارسال الافرنج، وقد اظهر لهم من عظم الملك وضخامة الشأن ما يرهبهم، بسط لهم الحصر البديعة من باب قرطبة الى باب الزهراء قدر فرسخ، وصف الرجال عن يمين الطريق وشماله بأيديهم السيوف الطوال العراض مسلولة مجردة، مقرونا رأس السيف الايمن مع رأس السيف الايسر حتى صارت كعقد الحنايا قوسا على رؤوس المارة، وأمر بالارسال ان تمشي بين الصفين في ظلال تلك السيوف كانها ساباط فد خلهم من الرعب ما لا يعلمه الا الله تعالى، فما وصلوا الى باب الزهراء وجدوا الطريق مفروشا بالديباج الرفيع الملون من باب المدينة الى مقعده على تلك الحالة من الصفين والسيوف المسلولة، واقام في مواضع مخصوصة حجابا على كراسي مزخرفة عليهم الديباج المذهب والحرير، فما ابصروا حاجبا الا ظنوا انه الخليفة فيسجدون، ويقال لهم إرفعوا رؤوسكم انما هذا عبد من عبيده، وهكذا عند كل مسافة وحاجب حتى وصلوا الى ساحة مفروشة بالرمل النقي، والخليفة في وسطها قاعد على الارض مطرق، وعليه ثياب خلق قصار لا يساوي كل ما عليه اربعة دراهم، وبين يديه مصحف وسيف ونار، فقيل لهم : هذا هو السلطان، فسجدوا فرفع رأسه اليهم قبل ان يتكلموا وقال لهم : يا هؤلاء ان الله تعالى امرنا ان ندعوكم الى هذا كتاب الله، وأشار الى المصحف، فان أبيتم فبهذا، وأشار الى السيف ومصيركم إن قتلناكم الى هذا، وأشار الى النار، فملئوا منه رعبا، وامر باخراجهم ولم يزدهم على ذلك، فصالحوه على ما أراد انتهى. قال الشيخ محيي الدين رضي الله عنه هكذا هكذا يعز دين الله والا فلا انتهى(4)، ثم بويع ولده المستنصر(5) الحكم بن عبد الرحمان الناصر، وتوفي عام 366 ثم بويع ولده هشام المؤيد بن الحكم وهو محجور وزيره محمد ابن أبي عامر المدعو المنصور داهية العالم، وتوفي بن ابي عامر عام 392، فلما توفي وقع الهرج واختلت الامور، وخلع هشام المحجور عام 399 ثم رد واقام بعد

---

(4) ساقط من (ف) و (م)، والخبر وارد في محاضرة الابرار لابن عربي ج 2 ص 195) ونجد نظير هذه الحكاية عن المقتدر العباسي في تاريخ بغداد ج 1 ص 100 لدى كلامه على القصر الحسيني، قـ ولقد ورد رسول صاحب الروم في أيام المقتدر بالله العباسي. ففرشت الدار بالفرش الجميلة، ووصف ذلك الاستقبال بوصف يبلغ مهابة القصور في الروعة والعظمة، الا أن مجلس المقتدر مباين في هيئته لمجلس الناصر حيث ظهر للرسول بمظهر يعجز اللسان عن وصفه. وكان ذلك سنة 305 هـ.

(5) في (م) المنتصر، والصواب ما كتبناه.

ذلك سنتين، ثم لم يظهر له اثر، فقيل انه اغتيل، وقيل انه وقع العثور عليه في قبره، وأخرج وصلي عليه على يد علي بن حمود الادريسي، ومن العجائب المنقولة انه بعد هذا بمدة ظهر رجل وادعى انه هو هشام بن الحكم، فصدقه القاضي بن عباد، وأقام له دولة نحو عشرين سنة وهو في خدمته بمنزلة الوزير، ولم يستقر(6) <الملك>(7) بعد ذلك لبني مروان، وتوزع الطوائف ملك الاندلس حتى دخل المرابطون فكانت الخلافة لهم، واطردت لهم الامامة لشدة عصبيتهم(8)، ولله <الخلق>(9) والامر.

---

(6) كذا بالاصل وفي (م) و (ق) يستقم.
(7) ساقط من ل
(8) في ل عصبتهم
(9) ساقط من ل.

اللواء الثالث من الجناح الأيسر من الجيش العرمرم في دولة المرابطين

هذا اللواء أحمر قيصر الاذيال، واهي الاطراف تحته رايات خمس أولها راية أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أما أبو بكر ومن قبله فلم تتم لهم الامامة.

وكان من حديث بداية ملكهم أن المرابطين وهم اللمتون والملثمة(1) من قبائل صنهاجة، وكان رئيسهم يحيى ابراهيم الأكدالي، توجه لفريضة الحج فمر في رجوعه بالفقيه أبي عمران الفاسي بالقيروان فطلب منه أن يوجه <معه> (2) أحد تلامذته يعلمهم الدين، فعرض الفقيه ذلك على التلامذة فلم يقبل أحد ذلك، وشق عليهم الذهاب للصحراء لضيق المعيشة وبعد الشقة(3)فكتب أبو عمران لتلميذ له بسجلماسة يقال له محمد وگاگ اللمطي، فوجه معهم عبد الله بن ياسين الجزولي، فكان يعلمهم ويأمرهم بكثرة الصلاة والصيام والعبادة، فشق عليهم ذلك فهربوا عنه، فترهب هو ويحيى ابن ابراهيم في جماعة قليلة من أولاده وأقاربه، فاعتزلوا في جزيرة في وسط الماء اذا هرب البحر خرجوا وأتوا بالزاد وما يحتاجون إليه، فلما رآهم الناس كذلك سموهم المرابطين وصار الناس يأتونهم ويدخلون في الدين افواجا. فلما كملوا الفا قال لهم ابن ياسين هذا عدد لايغلب <من قلة> (4) فيجب(5) علينا قتال من يلينا من الكفار، فكانوا يقاتلون وينصرهم الله تعالى حتى كانوا نحو ثلاثين ألفا فكتب اليهم وگاگ اللمطي يشكو ما أصاب المسلمين من جور أمراء مغراوة بسجلماسة ودرعة، فدخلوا لسجلماسة وفتحوها وفتحوا درعة والفايجة وسوس، ولما مات يحيى ابن ابراهيم قدم عبد الله بن ياسين يحيى بن عمر فمات في جهاد قوم الكفار من السودان عام 430 وقدم ابن ياسين أخاه أبا بكر بن عمر وعلى يديه

---

(1) في م وفي ف : الملثمة، وهو تصحيف

(2) مابين العلامتين ساقط من ف

(3) في م وفي ف : المشقة

(4) ساقط من م ومن ف

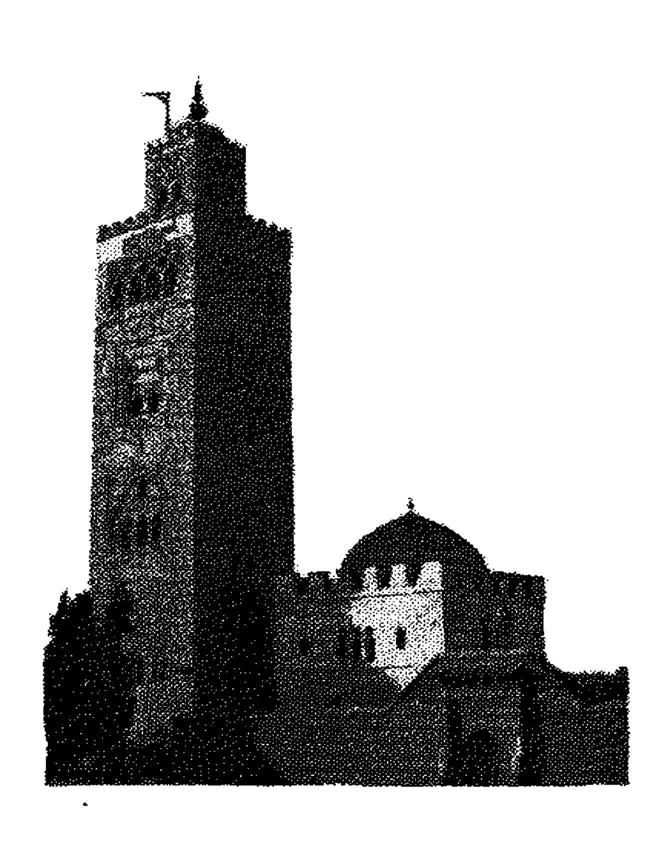
(5) في ف فوجب بصيغة الماضي

فتحت البلاد المذكورة، ثم فتحوا مدينة اغمات ورجع أبو بكر للصحراء، وقدم ابن عمه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فعظم أمره وجعل يقاتل الخوارج برغواطة، وفي جهادهم مات عبد الله بن ياسين، فلما رجع أبو بكر وجد يوسف قد اشتد أمره وعظم سلطانه، فرجع(6) للصحراء وسلم له الامر، ثم لما استأصل يوسف برغواطة وقلع أصلهم، وأخلى حضرتهم، وهي أنفا وهي المسماة اليوم الدار البيضاء، أسس مراكش عام 454 ثم فتح سلا وفاس وتلمسان، ولم يخالفه أحد الا دمره الله حتى دانت له بلاد المغرب ودخل الاندلس ودوخها واستأصل طوائف الثوار بها، ومات عام 500 ثم بويع ولده علي بن يوسف، وفي أيامه ظهر المهدي بن تومرت وخبره معه طويل، ولما مات علي بن يوسف عام 537 بويع ولده تاشفين بن علي ومات بناحية وهران في محاربة عبد المؤمن الموحدي عام 541، ثم بويع ولده ابراهيم بن تاشفين بن علي ولد صغير ثم خلع وبويع عمه اسحاق بن علي بن يوسف فقتل عام 542 وانقرضت دولة اللمتون، والملك الدائم الذي لا يبيد لله وحده لا شريك له سبحانه.(*)

(*) قلت : ان الضريح الذي ظهر بحومة الكتبية وبإزائه صورة يوسف بن تاشفين الحالية بذاكرة المدن ربما يفهم منه انه ضريح يوسف المذكور وهو غلط فاحش ارتكبه الأستاذ محمد بن عبود في كتابه تاريخ المغرب ج 1 ص 63 وتبعه أخذ الصورة المذكورة في حين ان ضريح يوسف بحومة سيدي ميمون أو بساحة الكتبية كما يشاهد من الصورتين أسفله.

وبالذلك يجدر بالذكر ترجمة زهراء بنت الكوش في هذا المكان، وهي بنت عبد الله أبي محمد المعروف الكوش من أهل مراكش المتوفى سنة 960هـ 1552م، اما بنته زهراء ذكرها الحضيكي في مناقبه ج 2 ص 222 وحلاها بالسيدة الفاضلة الناسكة الصالحة رانها كانت من أولياء الله المتقين والنساك الصديقين الفارقين لها قدم راسخ في ذلك، أخذت عن أبيها ولم تتزوج قط. ذكر جمالها للسلطان زيدان بن المنصور السعدي فاحتشم بها، ثم رأى من كراماتها ما يصرفه عنها. وكراماتها كثيرة مشهورة، توفيت اثر 1020هـ 1611م وقبرها شهير بحومة الكتبية بمراكش وترجمها الافراني في الصفوة ص 162.

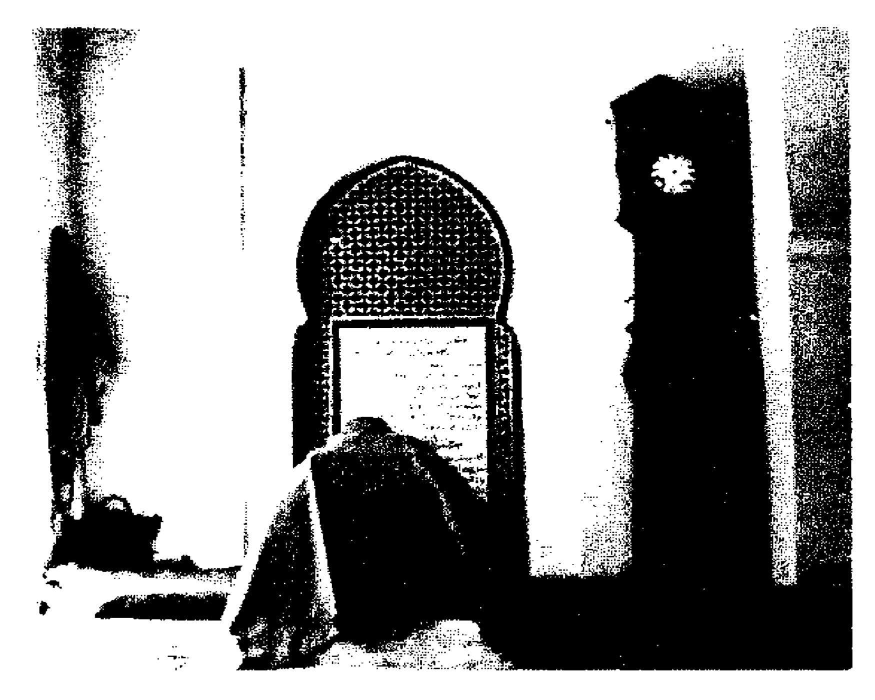
(6) في ف : يرجع.



ضريح زهرة بنت أبي محمد الله الكوش
(صاحب الشيخ عبد الكريم الفلاح ووكيله على إطعام الطعام)
أما زهرة المذكورة فقد عرف بها الإفراني في صفوة من انتشر فهي من أهل القرن 11 هـ،
وأبوها توفي عام 960 هـ ترجمه في الدوحة.



مدخل الضريح ليوسف



ضريح يوسف بن تاشفين

اللواء الرابع من الجناح الأيسر من الجيش العرمرم في دولة الموحدين

هذا اللواء أحمر مذيل، وهو عريض ليس بطويل، راياته[1] على لونه، أما خبر المهدي الذي هو مركز دوائرهم فإن جلبه يطول، ولا غرض لنا فيه هنا. وبالجملة فهو من عجائب قدرة الله تبارك وتعالى الذي إذا أراد شيئا كان ولو بأدنى سبب، فإن هذا الرجل مفرد عار من جميع الأمور التي توجب الملك والتغلب على الأمم، عمد الى دولة صحيحة تامة القوة والعصبية في عنفوان شبابها فقوض بناءها، وأفرغ اناءها.

آثاره تنبيك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه

ولما مات المهدي عام 524 قام بأمره تلميذه عبد المؤمن بن علي الكومي، ومات عام 558 ثم بويع ولده يوسف بعد خلع أخيه محمد بن عبد المؤمن، ومات يوسف عام 580 ثم بويع ولده يعقوب المنصور ومات عام 595 ثم بويع ولده الناصر محمد، قال في نفح الطيب إنه كان يقال له المشؤوم، لأنه على يده وقعت غزوة العقاب التي هلك فيها من المسلمين ستمائة ألف، ومن ذلك العهد انكسر جناح الإسلام، ولما مات الناصر مسموما عام 616 بويع ولده المنتصر يوسف ابن محمد، وكان جميل الصورة يبهر الناظرين بجماله، وكان مولعا بالبقر يحضر حلا بها وانتاجها فنطحته بقرة شرود فمات ولم يعقب عام 620 ثم بويع ابن عمه عبد الواحد الرشيد بن يوسف بن عبد المؤمن فمات مخلوعا مخنوقا عام 621 ثم بويع عبد الله العادل بن يعقوب المنصور، ثم خلع العادل ولم يخلع نفسه وقتل على ذلك، وبويع أخوه ادريس المأمون ومات حتف أنفه عام 630 بعدما قتل من أشياخ الموحدين والخلط والمصامدة في وقت واحد هذا 460 نقضوا عليه العهد، ثم بويع ولده عبد الواحد بن المأمون ومات غريقا في الصهريج عام 640 ثم بويع أخوه علي السعيد، وفي أيامه اشتد أمر بني مرين واستولوا على مكناسة، ثم قتل السعيد بوجدة عام 643 ثم بويع أخوه عمر المرتضى، فبقي في لهوه وبنائه وغرسه، وبنو مرين كل يوم يزداد أمرهم حتى ملكوا فاسا

---

(1) في (م) وفي (ف) رايته بالافراد.

وأميرهم أبو يحيى بن عبد الحق، فقام ادريس الواثق ابو دبوس فقدم على ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني فأعطاه المال والجنود، فدخل مراكش، وهرب المرتضى لصهره ابن عطوش بأزمور فقبضه ووجهه لابي دبوس فقتلوه مع ولده في الطريق عام 665 فكان ذلك آخر دولة الموحدين بالمغرب، والملك والبقاء لله سبحانه وتعالى.

اللواء الخامس من الجيش العرمرم في الدولة الحفصية الموحدية بافريقية وقاعدتها تونس

هذا اللواء أزرق طويل مخرق بزعازع الرياح، لا يفارقه العويل والصياح، وراياته الكثيرة على لونه وصفته، وكان من حقه ان لا يذكر مع الوية الخلائف لأن حاله الى الثوار اقرب، فانه شعبة من الموحدين استقلوا بانفسهم على بني عبد المومن، لما ظهر الضعف في دولتهم، فأولهم أبو حفص[2] ولي عام 603 ثم ولي بعده ولده محمد المستنصر[3] ثم ولده يحيى الواثق، ثم ابراهيم بن زكريا ء، ثم قام الدعي عمارة الخياط، وقتل ابراهيم، وملك حضرة تونس، ثم قام عمر <بن>[4] المستنصر فقتل الدعي وتملك، ثم قام أبو عصيدة بن الواثق، ثم أبو بكر بن الشهيد، ثم خالد بن أبي زكريا ء، ثم <أبو يحيى بن أبي العباس. ثم أبو يحيى بن أبي>[5] بكر، ثم ولده عمر، فقتله أبو الحسن المريني، وتملك تونس من جملة بلاد افريقية، ثم لما نكب ابو الحسن تفرقت مملكة افريقية شذر مذر، فآل الامر الى ولاية محمد بن المنصور بتونس، فلما مات عام 959 بويع اخوه عثمان بن المنصور، ثم محمد بن الحسن، ثم حسن بن محمد، وكان له من الاخوة 45 فقتلهم جميعا في وقت واحد بالسم الا اثنين لم يكونا حاضرين، الرشيد وعبد المؤمن فأفلتا، وحسن هذا كان يدعى الفاسق لكثرة فسقه، قيل كان عنده من الغلمان الذين قهر آباءهم 300 ثم ولي ولده من بعده حميدة، وكان على سبيل أبيه الا انه على عكسه في الفسوق، وقيل كان عنده من النساء المغصوبات 400 فبقي على ذلك حتى سمع السلطان سليم العثماني بسوء أفعاله فوجه من قبض عليه، وذهب مسجونا للاسطمبول، وانقرضت دولة الحفصيين وانتهى أمرهم، والملك الدائم الذي لا يزول لله وحده.

---

(2) الذي في كتب التاريخ ان اولهم هو ابو محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص عمر

(3) في (م) المنتصر

(4) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(5) ما بين العلامتين سقط من (م) ومن (ف)

اللواء السادس من الجيش العرمرم
في دولة بني مرين

هذا اللواء أحمر الا انه لما تحته من كثرة الفتن(1) مائل الى الدكنة، وراياته كذلك، واولهم في الحقيقة عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة، قال القرطاس في كتابه : كان عبد الحق بن محيو من الصالحين، وكانوا يزدحمون على فضلة وضوئه للتبرك بها، والقرطاس لقب لمؤلف الكتاب المعلوم، نبهنا عليه لانه يظن انه اسم او وصف للكتاب <وليس كذلك>(2).

كان عبد الحق رئيسا على قومه ولا بيعة له، ثم مات(3) وولي {بعده}(4) ولده عثمان بن عبد الحق مكانه ومات عام 614 ثم ولي ولده الآخر(5) محمد بن عبد الحق، ومات عام 637 ثم ولي ولده الثالث أبو يحيى، ويكنى أبا بكر بن عبد الحق، وهو الذي دخل فاسا ولم تكمل له الخلافة، مات سنة 642 ثم ولي أخوه وهو يعقوب بن عبد الحق أمير المؤمنين، وهو رابع اولاد عبد الحق، وهو الذي بنى المدينة البيضاء فاسا الجديد، مات عام 656 ثم بويع ولده يوسف بن يعقوب، ومات عام 685 ثم ولي عامر بن ابي عامر بن يوسف، ومات عام 706 ثم ولي سليمان بن يوسف، ومات عام 708 ثم ولي أبو سعيد عثمان بن يعقوب، ومات عام 710 ثم ولي أبو الحسن علي بن عثمان، ومات عام 731 ثم ولي ابو عنان بن ابي الحسن، ومات عام 749 ثم ولي السعيد بن أبي عنان وهو صبي خماسي فأقام 43 يوما ومات عام 749 ثم ولي أبو سالم بن أبي الحسن، ومات عام 760 ثم ولي تاشفين(6) الموسوس بن ابي الحسن، نصبه الوزير عمر بن عبد الله صورة لا غير، ثم خلعه عام 762 ثم ولي أبو زيان محمد

---

(1) في الفاسية الفتنة بالافراد

(2) ما بين العلامتين ليس في غير الاصل

(3) في روضة النسرين لابن الاحمر انه توفي سنة 614 نقل ذلك عن الذخيرة السنية، وكانت وفاته في المعركة التي كانت بين بني مرين وعرب رياح المشهورة.

(4) ما بين المعقوفين ساقط من الاصل فاضفناه رواية عن (م) و (ف)

(5) في (م) و (ف) (الثاني) بدل (الآخر)

(6) في الفاسية (يوسف) بدل (تاشفين) وهو خطأ

حفيد أبي الحسن، مات عام 763 ثم ولي أبو فارس عبد العزيز بن أبي الحسن، وفي أيامه فر <ابن>[7] الخطيب السلماني من الاندلس الى أن قتل في أيام <أبي>[8] العباس احمد بن أبي سالم[9] ومات أبو فارس عام 769 ثم ولي ولده السعيد صبيا سباعيا، ومات عام 774 ثم ولي ابو العباس احمد بن ابي سالم، وعزل عام 775 ثم ولي موسى بن <أبي>[10] عنان ومات عام 786 ثم ولي المنتصر بن أبي العباس، ومات عام 789 ثم ولي الواثق بن أبي الفضل بن أبي الحسن غير معتد به، ومات عام 789 ثم ولي أبو العباس ولاية ثانية، ومات عام 790 ثم ولي أبو فارس بن أبي العباس، ومات عام 796 الى هنا انتهى ابن خلدون في تاريخ هذه الدولة لان ذلك <هو>[11] زمانه.

وقال غيره <ثم>[12] لما مات السلطان احمد أبو العباس بويع ولده عبد العزيز ابن أحمد، ومات عام 800 ثم بويع اخوه المستنصر[13] عام 820 <ثم بويع اخوه أبو سعيد ومات عام 823>[14] ثم بويع ولده عبد الحق الآخر، ومات عام 869 ثم بويع محمد فتحا الشيخ الوطاسي أول الوطاسين ومات عام 904 <ثم بويع ولده محمد بن محمد الشيخ ومات عام 932>[15] ثم بويع أبو حسون وخلعه أحمد بن محمد اخر <بني وطاس>[16] وبه انقرضت دولة بني مرين والملك الباقي لله سبحانه.

---

(7) ما بين العلامتين سقط من الفاسية
(8) ما بين العلامتين سقط من (م)
(9) في الفاسية (سليم) وهو خطأ
(10) ما بين العلامتين سقط من (م)
(11) ما بين العلامتين سقط من (م) و (ف)
(12) ما بين العلامتين سقط من (م) و (ف)
(13) في (م) (المنتصر)
(14) ما بين العلامتين سقط من (م) و (ف)
(15) ما بين العلامتين سقط من (ف)
(16) ما بين العلامتين سقط من (م)

اللواء السابع من الجناح الأيسر من الجيش العرمرم في دولة السعديين

وهو لواء أحمر الأوائل والأعالي حميدها، أدكن الأواخر(1) والأسافل نكيدها، ولما(2) ضعفت دولة بني مرين وتلاشت أسبابهم وفشلت رياحهم كلب العدو الكافر على السواحل <من بلاد المغرب>(3) وأريافها، وكان ذلك سبب قيام الدولة السعدية بأقصى المغرب في بلاد السوس، وسبب ذلك ما رواه <الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن>(4) الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي عن الشيخ أبي العباس سيدي أحمد <بن علي السوسي>(5) الهشتوكي البوسعيدي أن ابتداء دولة الشرفاء بسوس <سببها>(6) أن بعض السادات الصلحاء وهو سيدي بركات بن محمد بن أبي بكر التدسي(7) توسط في فداء بعض الاسارى فاراد ان يكون الاتفاق مع النصارى على أن لا يقبضوا أسيرا، فكلمهم في ذلك فقالوا له : حتى يكون لكم أمير. فان ملككم قد اضمحل، ثم ان قوما ذهبوا يكتالون من قبيلة هذا الشيخ وهي كسيمة فنهبتهم كسيمة واخذوا جميع متاعهم، فذهبوا الى الشيخ المذكور وكان مسموعا مطاعا، فوقف معهم حتى أخذوا جميع ما نهب(8) منهم، فلما رجعوا الى قومهم قالوا ان هذا الشيخ هو الذي يليق أن تبايعه فذهبوا اليه وطلبوا منه ان يرأس عليهم، فامتنع واحتاط لدينه(9) ودلهم على رجل شريف كان مؤذنا بدرعة، فقال لهم ان كنتم عزمتم على هذا فاذهبوا اليه،

---

(1) في (م) (الاوائل والاواخر)

(2) في (ف) لما بدون واو

(3) وما بين الملامتين سقط من (م) و (ف)

(4) ما بين الملامتين يوجد في الاصل وحده، وابو زيد هو عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، كان مشاركا في الفنون، قوي الادراك، جم التحصيل منفردا بتحقيق التعاليم من هيئة وطب وتوابعهما، تزيد مؤلفاته على مائة وسبعين مؤلفا وكان أبوه يقول عنه انه سيوطي وقته، توفي سنة 1096 هـ-1684 م.

(5) ما بين الملامتين لا يوجد في غير الاصل، والهشتوكي هو ابو العباس احمد بن علي السوسي البوسعيدي الهشتوكي الصنهاجي، عالم عصره وسيد مصره، مؤلف بذل المناصحة، في فضل المصافحة، وصلة الزلفى في التعريف بآل المصطفى، أفاد في الدليل بأنه بالخزانة الفاسية د (سنة 1046 هـ-1636 م).

(6) ما بين القوسين يوجد في الاصل وحده.

(7) بركة بالإفراد، قال الحضيكي، بركة محمد بن محمد بن أبي بكر التدسي، كان رضي الله عنه أستاذا قارئا لكتاب الله تعالى، تاليا بروايات، عابدا ناسكا وليا صالحا، توفي رحمه الله عام 935 هـ-1528 م.

(8) في (م) (الهم) بدل (منهم)

(9) في (ف) (على دينه)

فانه يذكر ان ولديه يملكان المغرب، فقصدوه واتوا به الى بلدهم، وفرضوا لهم مئونة كفايته وأولاده فجعل الناس يجتمعون اليه شيئا فشيئا لجهاد الكفار حتى كان من أمره(10) ما كان، وكان هذا الخبر في حدود التسعة <عشر>(11) وتسعمائة، <وقد>(12) كان الشيخ أبو الحسن علي بن هارون(13) فيما حكى عنه يأخذ ابتداء دولة شرفاء درعة من قوله تعالى {ولقد كتبنا في الزبور} الآية، ولعله وقف على ما أسلفناه في لواء العشامنة، واتفق قرب تاريخ السعدية من ذلك التاريخ الذي بيناه وبينا كيفية أخذه من الآية والله أعلم.

ولما توفي محمد القائم عام 923 وبويع ولده أحمد الاعرج بعهده، ثم قام عليه أخوه محمد فتحا الشيخ فقبض عليه مع جميع أولاده(14) وسجنهم بمراكش عام 946 ثم قام بالامر محمد الشيخ المذكور المدعو المهدي حتى قتله الاتراك عام 964 ثم قام ولده الغالب عبد الله ومات عام 981 ثم عهد لولده محمد الشيخ المعروف بالمسلوخ وقتل مع النصارى في غزوة المخازن عام 986 وكان تغلب عليه أخوه عبد الملك الغازي عام 983 ثم بويع احمد الذهبي المنصور ومات عام 1012 ثم بويع ولده زيدان بفاس وبايع أهل مراكش أخاه أبا(15) فارس فقتل أبو فارس عام 1018 ثم توفي زيدان عام 1037 ثم بويع ولده أحمد بن زيدان ولم يتم له أمر، ثم قام أخوه عبد الملك بن زيدان فقتله الاعلاج عام 1040 ثم قام أخوه الوليد بن زيدان <فقتل عام 1045 ثم قام أخوه محمد الشيخ بن زيدان>(16) وتوفي عام 1064 ثم بويع ولده احمد <أبو>(17) العباس بن الشيخ <بن>(18) زيدان فقتله أخواله

---

(10) في غير الاصل (منه) بدله

(11) ما بين العلامتين سقط من غير الاصل

(12) ما بين العلامتين يوجد في الاصل وحده

(13) علي بن موسى المضغري أبو الحسن من مضغرة سجلماسة عرف بابن هارون، فقيه فرضي عددي مفتي، من تلامذة ابن غازي توفي سنة 951 هـ-1544 م.

(14) كذا بالاصل اما عبارة (ف) و (م) فهي كما يلي : (وبويع ولده احمد الاعرج بعهده، وقبض عليه اخوه، محمد الشيخ مع جميع اولاده) وهي تختلف عن الاصل.

(15) في (م) (فارس) بدون أبا وهو سهو من الناسخ

(16) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(17) ما بين العلامتين سقط من (م) و (ف)

(18) ما بين العلامتين سقط من (ف)

الشبانات وبموت أحمد <أبي>(19) العباس هذا، انقرضت دولتهم، فمدة دولتهم مائة وخمسون سنة.

وأما محمد <بن>(20) الشيخ بن المنصور(21)، وكذلك ولده عبد الله، وكذلك عبد الملك بن الشيخ بن المنصور، وكذلك محمد بن الشيخ المعروف بزغسودة فهؤلاء كلهم ثوار لا بيعة لهم، وكذلك كل من نازع زيدان الذي صحت بيعته كاحمد بن عبد الله أبي محلى(22) ويحيى بن عبد الله بن الشيخ أبي عثمان سيدي سعيد بن عبد المنعم(23) وعلي بن محمد حفيد الشيخ الكامل سيدي أحمد بن موسى السملالي وهو المعروف بأبي حسون(24)، وأما سيدي محمد بن احمد العياشي(25) المجاهد فإن رضى العلماء بفعله، وثناءهم عليه، ووصفهم له بأنه مجاهد كالشيخ عبد الواحد بن عاشر(26) وغيره الظاهر من ذلك انه لا يحسب من الثوار النازعين لليد من طاعة من ثبتت إمامته بدليل ما ذكره الشيخ العلامة سيدي الصغير الافراني في كتابه «صفوة من انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر» قال في ترجمة هذا السيد العياشي ما نصه : كان رحمه الله لما طلب منه السلطان يعني زيدان القيام بالذب عن الاسلام امتنع من ذلك الا أن يجتمع على ذلك أشياخ القبائل <وأعيان الناس>(27) وأهل الحل والعقد ويكتبوا

---

(19) ما بين العلامتين لا يوجد في غير الاصل

(20) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(21) جاء في طرة الاصل بقلم غير قلم الناسخ ما نصه (لعل اصل العبارة، واما الشيخ بن المنصور وكذلك الى آخره، فحرف الناسخ لان محمد بن الشيخ هو زغودة المذكور بعد).

(22) هو الفقيه المؤلف الثائر مدعي المهدوية أبو العباس أحمد بن عبد الله المعروف بابي محلي، وقد تتبع الدكتور محمد حجي مواطن مواقفه في حركته الفكرية توفي عام 1022 هـ-1613 م بعد قيامه عام 1019 هـ-1610 م ورمز لذلك الفقيه أبو العباس احمد المريدي المراكشي فقال (قام طيشا ومات كبشا).

(23) الفقيه المحدث المشارك، قال الحضيكي له تآليف مفيدة وأشعار وأسجاع. توفي سنة 1035 هـ-1625 م.

(24) وصفه صاحب الاستقصاء بأنه كان لين الجانب، محمود السيرة، دعا لنفسه في القطر السوسي لما ضعف أمر السلطان زيدان، واستولى على القطر، وبعد وفاة زيدان مد يده الى درعة فاستولى عليها، ثم على سجلماسة ونواحيها الى أن أخرجه منها المولى محمد بن الشريف العلوي بعد معارك، واستمرت ولايته بسوس الى أن توفي عام 1070 هـ-1659 م.

(25) هو محمد بن أحمد العياشي الزياني الفقيه المالكي الولي الصالح المعروف بالمجاهد، فيحتضن له التاريخ في الجهاد مواقف مشرفة تعرف برلوف الباحث عليها، كان مسلوب الارادة من قبل شيخه وموجهه للجهاد الشيخ عبد الله بن أحمد بن حسون المشهور المتوفى سنة 1013 هـ-1604م ، وتأخر عنه العياشي مجاهدا كما امره الى أن توفي سنة 1051 هـ-1641م.

(26) هو الامام ابو محمد عبد الواحد بن احمد الانصاري المعروف بابن عاشر، كان مشاركا متبحرا مثابرا على التعليم ونفع العباد مع الزهد والورع . توفي سنة 1040 هـ-1630م.

(27) ما بين القوسين في الاصل وحده

ذلك ‹وأنهم قدموه›(28) على أنفسهم والتزموا طاعته، وكل قبيلة خالفته ‹وحادت عن طاعته›(29) كانوا معه يدا واحدة ‹على مقاتلتها›(30) حتى ترجع الى الحق، فوافقوه على ذلك ووافقه علماء الوقت وقضاته من بلاد تامسنا الى تازا، وكان الحامل له على ذلك أن بعض طلبة الوقت قال إنه لا يحل الجهاد الا مع الامير، ففعل ذلك خروجا من تلك الدعوة الواهية، والا فقد كتب له علماء الوقت كسيدي عبد الواحد بن عاشر وسيدي العربي الفاسي(31) وسيدي إبراهيم الجبلالي(32) وغيرهم أن مقاتلة العدو الكافر لا تتوقف على وجود السلطان، وجماعة المسلمين تقوم مقامه، ولم يزل رحمه الله مشمرا على ساق الجد في سد الثغور وحماية البيضة(33) الى أن غدره قوم من الخلط بموضع سمي عين القصب فاحتزوا رأسه في تاسع وعشرين(34) من المحرم سنة إحدى وخمسين وألف، وقد رمزوا لتاريخ وفاته(35) بقولهم مات زرب الاسلام باسقاط ألف الوصل، ‹وفي الرحلة العياشية قال : أخبرني الشيخ محمد الفزاري(36) بمكة قال : كان بالمدينة المشرفة رجل مغربي من أهل القصر، قال فجاءني ذات يوم وقال لي : إني رأيت في النوم أجنة كثيرة وقصورا لا يوصف حسنها، ورأيت رجلا جالسا مقطوع اليد تسيل دما، فقلت له : من أنت ؟ فقال أنا زرب الاسلام، قطعت يدي بسلا، فلما أخبرني قلت له : الذي يظهر من رؤياك أن الرجل الصالح المجاهد العياشي الذي كان بسلا قد قتل، قال فقدم الحاج آخر السنة وأخبرونا بموته›(37) انتهى، المراد منه ‹قلت : وقول من قال من

---

(28) ما بين العلامتين يوجد في الاصل وحده

(29) ما بين العلامتين سقط من (م) و (ف)

(30) ما بين العلامتين في الاصل وحده

(31) هو أبو عبد الله محمد العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري، قال عنه صاحب السلوة، بحر العلم الزاخر، نادرة الزمان حفظا وفهما وإتقانا وذكر له مؤلفات عديدة توفي سنة 1052 هـ-1642 م.

(32) هو إبراهيم بن عبد الرحمان بن عيسى الجلالي أصلا الروياجلي دارا ومنشأ، من صلحاء الفقهاء، له مؤلفات وكلام في الاقضية والنوازل توفي سنة 1047 هـ-1642 م.

(33) في (م) و (ف) (حماية المسلمين).

(34) في الصفرة 19 محرم

(35) في (م) و (ف) (ومرته)

(36) قال عنه العياشي في الرحلة ج 2 ص 46 ما نصه : كان من ألزم المجاورين بالمدينة المشرفة، وأكثرهم للأماكن التي هنالك تزار معرفة، قدم من بلاده فزارة التي بين أعالي النيل وأرض السودان فاستوطن المدينة قريبا من اربعين سنة، وله مشاركة في فقه مالك.

(37) ما بين القوسين سقط من (م) و (ف).

العلماء المذكورين إن قتال العدو الكافر لا يحتاج الى وجود السلطان معناه والله أعلم اذا لم يكن السلطان موجودا بدليل قولهم، وجماعة المسلمين تقوم مقامه، وأما مسألتنا هذه فان السلطان موجود كما هو ظاهر فليتأمل>(38) ولينظر أيضا في أهل الدلاء، فانهم علماء ربما كان اعتمادهم على تأويل، وإن كان بعيدا عن مذاهب الجمهور، وعلى ما ذهبوا اليه من الحجة تكون حجة مولانا محمد بن الشريف وإن كان ذكر هؤلاء الثوار لو ذكرناهم لا يخلو عن ذكر فوائد، ولكن ذلك يفضي بنا الى الطول والخروج عما نحن بسبيله من الاختصار، والله أعلم وأحكم.

(38) ما بين العلامتين في الاصل وحده.

قلب الجيش العرمرم الخماسي
في دولة اولاد مولانا علي الشريف السجلماسي

قال مقيده محمد بن احمد اكنسوس عفى الله عنه ولطف به آمين : إنه لابد لكل مجيب وسائل، في مايحاوله من مقاصد ووسائل وبالضرورة تتقدم الوسائل على المقاصد، إذ لولا الازدراع ما حصد الحاصد، وقد كنا قدمنا أن المقصود عندنا في هذا الجيش إنما هو قلبه وأما ما عداه فإنما سوقه بالتبعية وجلبه، وأن ألويته المرفوعة إنما هي تابعة لهذا اللواء الشريف لا متبوعة.

قلب الخميس مثابة الكبراء ... ومصادر الأحكام والآراء
والقلب تخدمه الجوارح كلها ... وبه الصلاح لسائر الأعضاء

وإذ قد رتبنا المقدمة والجناحين كما وجب فقد آن لنا أن نبرز من جمال القلب ما كان احتجب، فنقول، مستمدين للعون من واهب العقول : هذا اللواء عظيم القدر، راسخ الجدر، عالي الصعدة ساميها، لا يوازي لواء رتبته ولا يساميها، شريف المنتمى، عزيز الاحتمى، أوصافه تبهر العقول وتفوت المقول وإنما تنشر حبره ويروى خبره، للتبرك بذكره، لا لاستيفاء مجده وفخره، وهو لواء مشرق(1) أزهر، أبيض مشوب بحمرة تروق وتبهر.

لواء العز مرفوع بفتح ... ونصر تستضيء به الدياجي
يفيء على البرية كل خير ... وإغناء لشاك باحتياجي

وراياته لها أذيال مخضرة، وبعضها في النادر مغبرة، ثم إنه قبل الخوض في بحار سرد الأخبار، لابد من ذكر مسائل لها في الفائدة اعتبار، من ذلك ذكر ماورد في التبشير بهذه الدولة الشريفة قبل ظهورها، على ألسنة الأولياء شموس الملة وبدورها، ومنها ذكر فضل(2) هذه الدولة على غيرها من الدول بما هو صريح لا يتأول، ومنها ذكر نسبهم الشريف الطالع في بروج القبول والإقبال، الشامخ الثابت في وشيج العز ثبوت الجبال.

أما البشائر الواردة عن الصالحين بظهور هذه الدولة <قبل

---

(1) في (م) (شريف) بدل (مشرق
(2) في (م) فضائل بدله

ظهورها>[3] فكثيرة جدا من ذلك أن الشيخ الحافظ الأكبر، عالم الشرفاء وشريف العلماء مولانا عبد الله بن علي بن طاهر[4] مر عليه أبو الأملاك مولانا الشريف بن علي[5] وهو صبي صغير فسأل عنه، فقيل له : هو ولد مولانا علي، فقال الله أكبر، ففرح به ومسح على ظهره، وقال : ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك والسلاطين ! فتيقن الناس صدقه لما يعلمون من موافقات مكاشفاته العديدة ومعلوم مكان الشيخ في الزهد والورع والتضلع بجميع العلوم والتفنن في سائر الفنون رضي الله عنه، ومن ذلك ماذكر من أن السلطان احمد الذهبي لما أكمل قصره البديع ودعا الناس لوليمة اكماله وكان يطوف في الناس من غير حجاب فرأى رجلا صالحا من المجاذيب فجاءه وباسطه، فقال له : كيف رأيت دارنا ياسيدي فلان ؟ فقال له : إذا تهدمت صارت كدية كبيرة من التراب، فقال له الذهبي : ومن يهدمها ؟ فقال له : سلطان عظيم من شرفاء تفلالت انتهى، ومن الناس من ينسب هذه الواقعة والمقالة لولي الله تعالى سيدي رضوان الجنوى[6] وهو من أشياخ الذهبي، فكان مصداق ذلك على يد مولانا اسماعيل، فإنه هدم قصر البديع في عام 1119 فغيرت مصانعه، وأجدبت مرابعه، واندكت أعاليه وأسافله،

---

(3) ما بين العلامتين سقط من (ل).

(4) عبد الله بن علي بن طاهر هو كما يعبر عنه في التاريخ، شريف العلماء وعالم الشرفاء حافظ لا يشق له غبار له اعتناء بتفسير القرآن، دخل مراكش عام 1004 هـ -1595 م وشرع في قراءته بمسجد الحرة بمسجد عردة بباب دكالة، ولقد اعطانا العلامة احمد بن علي السوسي صورة عن اسلوب تدريسه في التفسير، قال حضرته عام 4 من هذا القرن الحادي، فوجدت لكلامه فيه طلاوة تنصت له الاسماع لما فيه من الحلاوة يمزجها باحوال النبوة وأسرار النزول، ويحدبها بما قل من النحو، وبما لابد منه من التنزل في بسط المناسبات فيما بين الآية والسور بأوائلها وله في ذلك صناعة بديعة واليد الطولى، وكان يكره أهل البدع ويشنع عليهم في دروسه توفي عام 1044 هـ -1634 م كما في النشر، أو 1045 هـ-1635 م.

(5) الشريف بن علي هو ابو الملوك الأولين من الدولة العلوية العالية، كان رضي الله عنه اماما عادلا عالما صالحا ورعا، له مواقف مع أبي حسون المعروف بدميعة الى أن أدخله الى السجن، وقال له : الشريف المذكور لا تفرح بسجني والله ليهد من ولدي الرشيد دياركم وليحرقن زواتيكم وما أخلفه ان تلحق ملك ولدي اسماعيل فكان كما قال توفي سنة 1069 هـ-1658 م.

(6) رضوان بن عبد الله الجنوي المكني بأبي نعيم، المكثر الرواية رحالة زمانه زار مراكش بقصد زيارة شيخه عبد الله الغزواني سنة 935 هـ، وبقي معه في تلك الزيارة أربعة أشهر ثم توفي الغزواني رضي الله عنه، وبقي بعد موته بمراكش نحو العام يقرأ ويطلب العلم ثم رجع الى مسقط رأسه فاس وبها توفي سنة 991 هـ-1583 م ترجمته بالممتع ومرآة المحاسن والدوحة والسلوة والاعلام المراكشي، وافرده بالترجمة في تأليف تلميذه ابو العباس احمد بن موسى المرابي.

وضاعت(7) فروضه ونوافله، وانتشر نظام سلكه، وانكدرت نجوم سمكه، وفرق الدهر الناصر ما كان المنصور جمعه، وكان(8) وعد الله ألا يرفع شيئا من أمر الدنيا إلا وضعه، ومن ذلك أيضا ما ذكر ابن الحاج(9) والبوني(10) من ارتقاب هذه الدولة الشريفة في أواخر الزمان، بدليل ماكتبه عثمان التركي لغا الجزائري(11) لمولاي محمد بن الشريف في رسالته المعروفة وربما نذكرها في مايأتي إن شاء الله تعالى، قال فيها : إياك والاغترار بما عثرت عليه في كتابي البوني وابن الحاج ورسالة أهل سبتة لعبد الحق المريني من أن أوتاد الترك والروم تتقوض من أرض الغرب الى أن قال : فإن جزمت بهذا فإنك لا محالة حانت، فإن كان منكم يقينا فرابع أو ثالث، انتهى، ولا شك أن الروم قد قلع أوتادهم مولانا اسماعيل وهو لامحالة رابع هذه الدولة أو ثالثها، ويقي أمر التركي حتى يأتي أجله إن شاء الله تعالى، ومن ذلك أيضا أن الولي الصالح الشهير أبا حفص سيدي عمر الخطاب(12) دفين زرهون ذكر في كلام له ملحون أن العرايش يفتحها مولاي الشريف بن علي ففتحها ولده مولانا اسماعيل، وإشارات الاولياء يقع فيها مثل هذا التقريب، ومن ذلك أيضا أن سيدي صالح بن الطنجي(13) بن الشيخ سيدي

---

(7) وعلى هامش ذكر ما وقع لقصر البديع من تحطيمه ونسب للشيخ رضوان انه أشار على المنصور بذلك «أقول» اتفق علماء التاريخ المغربي الأولون والآخرون الذين لا يسع اي حد كيفما كانت ثقافته أن يأتي بما يخالف اجماعهم وينقمص جلباب الجمود والذل والهوان وهذا رب الدار العالم بما لها وما عليها جدير به ان يفيدنا عن حقيقة الامر الواقع، وذلك هو مؤرخ الدولة العلوية العالية بالله المولى عبد الرحمان بن زيدان «إذ» يقول في إتحافه الذي يفتخر به التاريخ المغربي، قال وهو يصف مباني مولانا اسماعيل جده قال : ولما وقفت على تلك الرسوم الدارسة المستوحشة، بعد ان كانت مؤنسة وضرب لها مثلا بزاهرة ابن ابي عامر نقلا عن مسامرة الحاقي في تخريب الزهراء الناصرية وغلط في تسميتها بزاهرة ابن ابي عامر، وقال بعد وليس ببعيد من طريق الاعتبار ان تكون الحكمة في سرعة تخريب تلك القصور وغيرها مما يأتي من البناءات الاسماعيلية على عظمتها وفخامة بنائها القاضية بالنظر للعادة بتأبيدها في الجملة جعل ذلك في مقابلة هدم قصر البديع الذي اسسه بمراكش السلطان ابو العباس احمد المنصور السعدي الملقب الذهبي ثم ذكره مؤرخ مراكش العلامة الافراني في النزهة حيث قال : تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة وسبعة عشر، وهذا القدر هو الذي بقي فيه البديع قائما عامرا، فانه فرغ منه عام اثنين والف وشرع في هدمه عام 1119هـ-1707 م، فمدة بقائه بعد تمام بنائه مائة وسبعة عشر على عدد اسمه وذلك غريب الاتفاق هـ الاتحاف ج 1 ص 147، وعن البديع ومآله ما في النزهة ص 102-103 وبستان الزياني في دولة المولى اسماعيل، ونقلنا هذه الفذلكة عن البديع ردا على من أراد ان يحمل الناس على عدم الثقة بتاريخ المغرب ومؤرخيه-اعتمادا منه على وسوسة الاجانب.

(8) في (م) و (ف) وصدق

(9) ابن الحاج، ابو عبد الله محمد بن محمد العبدري التلمساني المالكي المعروف بابن الحاج توفي سنة 737 هـ-1336 م.

(10) البوني في كشف الظنون ج 1 ص 503، لدى كتاب شرح المعارف قال هو للشيخ احمد بن علي البوني المتوفى سنة 622 هـ-1225 م.

(11) عثمان التركي : لم نعثر عليه

(12) ابو حفص عمر الخطاب نزيل زرهون ودفينه : قال في ممتع الاسماع توفي في العشرة الرابعة من القرن العاشر.

(13) ابو عبد الله محمد الصالح بن محمد المعطى الشرقي توفي كما في الاعلام سنة 1139 هـ-1726 م وهو الذي أشار على العلامة أبي عبد الله بوضع تأليفه النزهة كما ذكر ذلك في خاتمتها ص 246.

محمد الشرقي ذكر أنه وقف عليه جده المذكور في المنام وقال له : اذهب الى مولاي اسماعيل وقل له إن الملك لك ولذريتك، ومولاي رشيد إنما هو ممهد لك، وذلك في أيام مولاي رشيد. فلما جاء المرابط المذكور وأخبر مولاي اسماعيل قال له : لولا أنك مأمور لفعلت بك كيت وكيت، أي سلطنة أعظم من هذه التي أنا فيها، إذ أتاح الله للمسلمين من يقوم بأمورهم وأراحني من تعلق حقوق العباد بي، والحمد لله انتهى، وهذا دليل علي رجحان عقل مولانا اسماعيل رحمه الله، ومن ذلك أيضا أن الشيخ أبا زكرياء يحيا بن علال(14) كان يحض أولاده على التقرب الى كنف أولاد مولانا الشريف بن علي والتعلق بأذيالهم ويقول : إنه سيكون لأولاده شأن عظيم انتهى، ويكفي هذا القدر في هذا المحل، والله أعلم وأحكم.

وأما فضل هذه الدولة على غيرها من الدول فإنه في الحقيقة لايحتاج الى دليل، قال العلامة سيدي الصغير الأفراني في أواخر نزهته مانصه : لايخفى على من نظر بعين الانصاف وتحلى بقول الحق الذي هو أحمد الاوصاف، أن هذه الدولة السعيدة لم ير مثلها الراءون ولا سمع بمثلها السامعون لما اشتملت عليه من المفاخر التي يكل في عددها الأول والآخر، ولقد ظهر فيها من الخيرات ما لا يحصى، ورأى الناس فيها من الأمن والرخاء والهناء(15) ما لا يخطر لأحد ببال، وكل ذلك مما شاع وداع، وامتلأت منه الأسماع انتهى.

ومن محاسن هذه الدولة أعز الله برهانها تنقية أرض المغرب من نجاسة الكفر، فقد كانت الثغور المغربية كلها تعبد فيها الأصنام، ولا يذكر فيها دين(16) الاسلام، ومن محاسن هذه الدولة السعيدة وهو أمر قد اختصت به لايشاركها فيه غيرها من جميع الدول، وهو خلو دولتهم من أمرين : الأول فساد الاعتقاد كالتشيع والاعتزال، والأمر الثاني الانهماك في المعاصي والتجاهر بمخالفة الشريعة، فجميع الدول لابد أن تجد فيها فردا أو أفرادا قد خلعوا جلباب الحياء عن وجوههم في استباحة محارم الشريعة بخلاف هذه الدولة، فغاية ما وجد من النادر من الملوك فيها

---

(14) ابو زكرياء يحيى بن علال البوخصيبي العمري المالكي من جلة اصحاب الشيخ عبد العزيز التباع المراكشي قال : في الدوحة توفي اواسط العشرة الخامسة "عهد ابي العباس احمد المريني الذي حضر جنازته".

(15) في (ل) النبأ وهو تصحيف.

(16) في (م) و (ل) شعائر بدله.

المعصية تحت ليل الاستتار والاستحياء والاعتراف، سمعت السلطان العادل البركة مولانا سليمان رحمه الله تعالى يقول : دخلت على أخي اليزيد بهذه القبة وهي قبة اللوح التي على شط النهر بأبي الجلود بحضرة فاس، قال ووجدته على ماهو بسبيله من الشرب والغناء والمغنيات قائمات متجردات بين يده، وقد دعاني لغرض له، فلما قضيت ذلك وأردت الخروج ناولني كأسا مملوءة خمرا ،و قال لي : أفرغه في النهر واغسله، فأخذته وفرغته وغسلته وناولته إياه، فقال : أراك نجست الماء على أهل فاس، فقلت ما تنجس، فقال : أليس الخمر نجسا ؟ فقلت بلى، فقال وهذا الماء يجري الى المساجد والسقايات ؟ فقلت بلى، فقلت له إن النجاسة القليلة التي لا تغير الماء لا حكم لها، فقال : يا أخي سليمان، هذا مثل ذنوب اليزيد مع سعة رحمة الله تعالى، قال فرأيت عينيه قد اغرورقتا بالدموع، فخرجت وعلمت أنه راج لمغفرة الله تعالى انتهى، وهذا المولى اليزيد رحمه الله تعالى هو فيما ظهر أسوء جميع الرايات المذكورة في هذا اللواء الكريم، وأما سوء الاعتقاد فإنه قد انقطع من بلاد المغرب بظهور هذه الدولة الطاهرة، فقد كان فيها الاباظية والصفرية والروافض والمعتزلة والمجسمة، فقطع دابرهم والحمد لله رب العالمين.

ومن محاسن هذه الدولة الشريفة نصوع نسبهم وخلوصه من طعن الطاعنين، فإن الناس قد جبلوا على ماهو كثير معروف من أنهم لابد أن يسروا غمزا ومقالا في أنساب من عالاهم وتفوق عليهم بمزية ولو كان ما عسى أن يكون الا هذا النسب الطاهر فإنه ما قط وسم بشيء يشينه لا قبل ولا يتهم ولا بعدها، أما قبل الولاية فإن جميع الناس يتبركون بذكرهم والتعلق بأطنابهم التماس المدد النبوي منهم، فأحرى بعد الولاية، فقد انضاف بهم خير الدنيا الى خير(17) الآخرة، ومن محاسن هذه الدولة الكريمة أيضا أنها مرغوبة مطلوبة للتقدم والامامة، وغيرها من الدول طالب راغب

(17) في (م) (والاخرة) بالواو العاطفة بدل (الى) وهو تصحيف.

حتى مولانا ادريس رضي الله عنه انما دخل المغرب طالبا(18) وأما هؤلاء السادات إنما دخلوا باستجلاب الناس لهم من مقر عزهم كما يأتي قريبا إن شاء الله بيان ذلك، ومن محاسن هذه الدولة السعيدة حفظ نسبهم فلا يمكن فيه اختلاط ولا اشتباه بحال، فإنه(19) إذا خرج منهم بيت ونزل في قبيل

---

(18) لما اكمل صاحب الجيش كتابة التاريخ، وارسل منه نسخة لامير المؤمنين المولى محمد الرابع قدس سره كلف جماعة برئاسة الوزير الطيب بن اليماني بامعان النظر فيها وتصفحها، وظهر لهم حسب افكارهم ما عساه ان يكون غلطا لذلك ارسل الوزير تقييدا للمؤلف مع كتاب بخطه هذا نصه :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

محبنا وسيدنا الفقيه النزيه العلامة الدراكة النفاعة البركة سيدي محمد بن احمد كنسوس رعاك الله وحفظك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله، وبعد فيرد عليك صحبة التاليف المبارك الذي قدمنا لك الإعلام بأنا على نية توجيهه لتدارك ما فيه وبطيه تقييد ما ينبغي التنبيه عليه فيه، والمقصود إنما هو بيان ما عثر عليه وان كان التنبيه لا ينبه والعارف مثلك لا يعرف وانت حفظك الله اعرف بمباشرة ذلك وتداركه، وليس في ذلك غض من سيادتك ولا خدش في مرتبتك المنيفة فان الغلط والنسيان مركوزان في طباع الانسان، وبطيه قطعة من التقييد مكتوب عليها بخط يد مولانا المنصور بالله وجهناها لك بقصد التبرك والاستدلال على اعتنائه نصره الله بجانبك والا فانك أعزك الله الدر على نظم درره والاسفار عن غرره والله يجازيك من كرمه احسن المجازاة ويمتع المسلمين ببركتك آمين والسلام.

في 19 قعدة 83 الطيب بن اليماني امنه الله

قال في طالعة التقييد المذكور

الحمد لله، تقييد ما عثر عليه من الغلط في كتاب الجيش العرمرم الذي ينبغي التنبيه عليه ليتدارك اولها ما ذكره في محاسن هذه الدولة الشريفة، وانها مرغوبة مطلوبة للتقدم والامامة.

وغيرها من الدول طالب راغب حتى مولانا ادريس رضي الله عنه انما دخل للمغرب طالبا، « فان ذكر المولى ادريس قدس الله سره في هذا المساق مالا يخفى والمحافظة على حسن الادب في هذا المحل متعين سيما وهو رضي الله عنه انما دخل المغرب فارا بنفسه ودينه من الفتن ثم قام داعيا الى دين الله ورسوله متوصلا الى اتمام ذلك بكل ما أمكنه من أسبابه، ومن اعظم وسائل ذلك جمع الكلمة وجمل العصبية، فأكمل الله قصده بفتح المغرب على يده الكريمة وخلد فيه الاسلام ببركته.

وقد كتب المؤلف رحمه الله على هذا التعليق قوله، وهذا لا ينكره الا جاهل ومعاند وليس فيه مايزرى بمنصب مولانا ادريس رضي الله عنه.

قلت ويطيب لي ان اوضح ما أشار اليه بتعليق يبرهن عن جهل الجاهلين فأقول لو تأمل هؤلاء الذين دعتهم العنصرية الجيشة على ان يعكسوا فيردوا المدح ذما "كقوله تعالى في كتابه العزيز في حق سيدنا سليمان (وهب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي) وقوله تعالى في حق سيدنا يوسف (قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) لو تأملوا الآيتين إذا كانوا على علم بهما لادركوا ان مولانا ادريس رضي الله عنه، فانه وان كان طالبا فان طلبه كان عن نية حسنة وهي رد الناس الى الطريق المستقيم، واخراجهم من الظلمات الى النور، وعليه فعبارة الجيش لا تحل بمنصب المولى ادريس رضي الله عنه، بل هي برهان على ان مقامه مقام نبوي من أعظم المقامات وقد برهن قدس الله روحه على ذلك بمد ولايته بما هو معروف في تاريخه الحافل بالامجاد والفضائل من تطهير المغرب من الدنس، قلت : ولايرد هنا ماورد من الاحاديث الشريفة من التنفير من طلب الامارة والولاية، كحديث البخاري المروي عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعبد الرحمن لاتسأل الامارة فانك ان اعطيتها عن مسألة وكلت اليها، وان أعطيتها عن غير مسألة أعنت (عليها) اذ النهي وارد فيما اذا كان الطلب صادرا عن سوء نية اما اذا كان المقصود منه اصلاح الامة والسير بها الى طريق الاستقامة وتوحيد الصف وازالة البدع على اختلاف انواعها، فهو واجب مطلوب شرعا لان عمله حينئذ مشفوع باعانة الله تعالى، وقد تحقق ذلك في العهد الادريسي.

ونظرية اخرى وهي أن في كلام المنتقد من تناقض بين لمن فتح الله بصيرته وهو ان قول السيد الوزير في تقييده، وهو رضي الله عنه انما دخل فارا بنفسه ودينه من الفتنة ثم قام داعيا الى دين الله ورسوله متوصلا الى اتمام ذلك بكل ما امكنه من اسبابه حتى فتح الله المغرب على يده الكريمة وخلد فيه الاسلام ببركته . فلا معنى لهذا الكلام الا انه طلب تاسيس مملكة وهذا ماقاله صاحب الجيش من كونه طالبا غير مطلوب وعجبا ممن يكتب ويصول، ولا يعرف مايقول وختاما،

عبارتنا شتى وحسنك واحد ... تدبر بما تهوى ونهجك فاسد

19) في (م) فانهم بعضير الجمع.

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الفقيه النبيه العلامة الدراكة النفاعة البركة سيدي محمد بن أحمد كنسوس رعاك الله
وحفظك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد فيرد عليك
صحبته التآليف المبارك الذي من عند الله لا علام بأنا على نية ترجمته بتراريخ ما فيه وبطيه
تقييد ما ينبغي التنبيه عليه منه والمقصود إنما هو بيان ما عثر عليه وإن كان التنبيه لا ينبغي
والعارف مثلك لا يغرب وأنت حفظك الله أعرف بباطن ذلك وتداركه ويتيسر ذلك على
من سيادتك ولا حرج في مرتبتك المنيعة جانب الغلط والنسيان مركوزان في طباع الإنسان
وبطيه قطعة من التقييد مكتوب عليها بخط يد مولانا المنصور بالله وجهنا لك لتقف
التبرك ولا شك أن قلبي اعتنا به نصره الله بجانبك ولا مانع أعز الله أمره على نظم ذلك
ولا استغنار عن غيرك والله يجازيك بخير ويرحمك ويمتع المسلمين ببركتك وأوصى
والسلام في قعدة 83 الطيب بن أمان أمنه الله

آخر لا يخفى ولا ينسى ولا يغفل عنه وإن طال الزمان فيقولون بيت <من>[20] بني مولاي فلان بجبال الزبيب مثلا في القبيلة الفلانية أو توات أو في درعة، ولا يقدر أحد أن يتزوج من بناتهم ولو كان التاج على رأسه إذا لم يكن من نسبهم، وهذه عناية عظيمة، سبحان من خصهم بمزيتها[21] ومن محاسن هذه الدولة العزيزة المباركة ظهور عناية الله بها بفيضان البركات في إيالتها بالامن والرخاء ونمو الأموال وأسباب المعاش في غالب أحوال الناس، وكان غالب الأحوال في أيام الدول التي قبلهم حصول الشدائد وارتفاع الاسعار وعدم الامن على الأعراض من أرباب الدولة، وقد ذكروا عن بعض أمراء الحفصيين <بإفريقية>[22] أنه كان عنده من بنات المسلمين الذين قهرهم أربع مائة وبعضهم من الولدان كذلك نحو ذلك، وأما الأسعار والغلاء المتكرر فهو الغالب الكثير حتى قيل إنه في اليوم الذي بويع فيه مولانا الرشيد بفاس كان الزرع بخمس أواق للمد في أول النهار وفي آخره بعد البيعة بموزونتين، فتيمن الناس بولايته، وتيقنوا بركة هذا الملك الشريف وسعادة هذا اللواء الميمون، ويحكى أن سبب الغلاء الذي كان أصاب أهل فاس في ذلك الوقت هو خذلانهم لمولانا محمد بن الشريف وميلهم لأهل الدلاء مع أنهم هم الذين طلبوا من مولاي محمد أن يقدم عليهم فلما أتى إليهم وبايعوه غدروه وخرج عنهم كما يأتي في خبره إن شاء الله، والله أعلم وأحكم.

فالحمد لله إذ ابقى خلافتهم   كهفا لنا من اقام فيه لم يضم

حرزا حصينا وعزا دائما[23] وندى   غمرا دراكا بلا من ولا سام

دامت ودام لها سعد يساعدها   في كل مبتدا منهم ومختتم

وأما ذكر نسبهم الطاهر، المنزه في جميع المظاهر، فنقول : إن عمود هذا النسب، المسمى بسلسلة الذهب، ذكره جماعة من العلماء الأثبات الثقات مثل العلامة الشريف أبي محمد سيدي عبد السلام القادري

---

20) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

21) في (م) وحدها (بها)

22) مابين العلامتين ساقط من (ف)

23) (دائما كذا بالاصل وفي (ف) وذكر في (ف) في الرقم المذكور 23، قبل قوله :

دامت ودام لها سعد   زيادة بيتين قبل هذا البيت

الفاسي[24] والشيخ العلامة البركة سيدي احمد بن ابي القاسم الصومعي[25] والشيخ العلامة سيدي العربي بن يوسف الفاسي.

قد تقدم أن أبا الملوك الكرام هو مولانا الشريف بن علي وأولاده الثلاثة كلهم تملك في الجملة، أكبرهم هو مولانا محمد ثم مولانا رشيد، ثم مولانا اسماعيل أبناء مولانا الشريف بن مولانا علي المراكشي بن مولانا محمد بن مولانا علي بن مولانا يوسف بن مولانا علي الشريف السجلماسي بن مولانا الحسن بن مولانا محمد بن مولانا الحسن الينبوعي الحجازي الداخل الى المغرب بن مولانا قاسم بن مولانا محمد بن مولانا أبي القاسم [بن مولانا محمد][26] بن مولانا الحسن بن مولانا عبد الله بن مولانا أبي محمد بن مولانا محمد بن مولانا عرفة بن مولانا الحسن بن مولانا أبي بكر بن مولانا علي بن مولانا الحسن بن مولانا احمد بن مولانا اسماعيل بن مولانا قاسم بن مولانا محمد النفس الزكية بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المثنى بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع آله الطيبين الطاهرين.

قال العلامة النسابة الأزورقاني[27] : ومن بيت السيد محمد النفس الزكية بينبوع النخل السيد الحسن والسيد محمد ابنا عبد الله ابن [أبي][28] محمد بن عرفة الخ، وكان أصل سلفه بالينبوع، وهو نجار أجداده، لأن جدهم مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم أقطعه إياه. فلذلك بقيت فيه سلالته رضي الله عنهم أجمعين. وأول من دخل الى أرض المغرب منهم هو مولانا الحسن بن القاسم. قال العلامة الأفراني : قرأت بخط بعض فضلاء بلادنا حرسها الله

---

24) نسابة الشرفاء القادري المتوفي سنة 1110هـ 1698م ترجمته في النشر ج 3 ص 86.

25) الصومعي الشعبي الهروي الزمراني دفين الصومعة من تادلا وقبره بها مشهور. وذكر المقري في روضة الآس حيث التقى به بالحضرة المراكشية نقلا عن الفوائد الجمة ان المنصور نقله من تادلا لمراكش بسبب بغضة بينه وبين أمير تادلا ابنه زيدان قال : ولم يزل بها حتى مات. مما يدل على وفاته بمراكش وقيل ذلك ودفن بضريح علي بن مسعود بحومة القصور جوار ضريح الغزواني. والله أعلم وتوفي سنة 1013، 1604م.

26) ما بين المعقوفين زيادة من (ف)

27) الازورقاني : قال اليفرني في النزهة ص 57. وقد وقفت على كتاب الشيخ النسابة الشريف ابي عبد الله الازورقاني فوجدته ذكرهم. [أي الاشراف العلويين نسبتهم الى السيد محمد النفس الزكية].

28) مابين المعقوفين : زيادة من (ف) ومن (م).

ماصورته : أخبرنا شيخنا العلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن سعيد المرغيتي(29) قال أخبرنا سيدي ومولاي واسطة عقد محياي أبو محمد مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني أن جده الداخل للمغرب أواخر المائة السابعة، وكان حينئذ من أبناء الستين أو نحو ذلك، وتوفي رحمه الله قبل انقضاء المائة المذكورة انتهى، وذكر بعضهم ان دخوله كان سنة أربع وستين وست مائة، قال الشيخ الامام أبو اسحاق ابراهيم بن هلال(30) : إن دخوله كان في الدولة المرينية، ذكره في منسكه، وعلى هذا فيكون دخوله في دولة السلطان <أبي بكر بن عبد الحق المريني ووفاته حسب ما ياتي في دولة السلطان>(31) يعقوب بن عبد الحق أخي أبي بكر المذكور ونقل صاحب الارجوزة(32) عن ابن هلال أن ذلك كان في السادسة قال العلامة أبو سالم(33) في رحلته : إن مولانا الحسن دخل المغرب في المائة السابعة، واليه أشار صاحب الأرجوزة بقوله :

ثم أبو سالم عبد الله   اكرم به من عالم أواه
ذكر في رحلته الفاضلة   دخول ذا الأمجد في السابعة

وكان سكناه بينبوع النخل بمدشر يعرف بمدشر بني ابراهيم، وذكر

---

29) نسبة الى مرغيتة مداشر في عد الاخصاص بسوس بناحية تزنيت كما في الصفوة ولد بمراكش سنة 1007 هـ-1598 م وتوفي سنة 1089 هـ-1678 م ودفن قريبا من ضريح شيخه ابي بكر السجستاني المراكشي المتوفى سنة 1063 هـ-1652 م ودفن خارج باب الدباغ وقبره هنالك شهير، وهو الذي سمته العامة بسيدي أبي المال بنيت عليه قبة صغيرة بقرب وادي يسيل.

30) عالم سجلماسة ومفتيها ابو اسحاق ابراهيم بن هلال بن علي الصنهاجي نسبا السجلماسي بلدا ومدفنا المتوفى سنة 903 هـ-1497م، فهرس الفهارس ج 2 ص.326 الا انه قال الصنهاجي نسبا لينفي عنه انتسابه لسيدنا عمر، وأتى بحجة لا تسمن ولا تغني من جوع، قال : حيث وقف على نسبته العمرية في فهرست الشيخ الكرعن عن ذكر شيخه العلامة بن شقرون يروي عن أبي العباس بن عبد العزيز العمري، انظر الفهرس المذكور ج 2 صص.326، والحقيقة ان نسبتهم لعمر مذكورة في التاريخ وكتب الانساب، كما في أنساب محمد الزكي والدرر البهية للفضيلي، وانظر ايضا ركب الحاج المغربي للعلامة الجليل البحاثة الكبير السيد محمد المنوني ص.34، لما تكلم على شيوخ الركب، قال : اولهم السيد ابو ابراهيم العمري كان حيا اول العصر المريني وغاب عن صاحب الفهرس ان الناس مصدقون في أنسابهم، ومن طالع كتابي الانساب للمولى محمد الزكي والمولى ادريس الفضيلي زال عنه الاشكال.

31) ما بين العلامتين سقط من (ت)

32) صاحب الارجوزة لم نقف على الارجوزة

33) العياشي ابو سالم عبد الله بن محمد بن ابي بكر العياشي، نسبة لأيت عياش قبيلة من البربر تتاخم بلادهم الصحراء من أحواز سجلماسة صاحب الرحلة المسمورة ولد رحمه [illegible] قرى صغيرة، ذكر ابن سودة في الدليل انها عند العلامة عبد الحفيظ الفاسي، الفها لتلميذه احمد بن سعيد المجلدي سماها تعداد المنازل لا تتعدى 18 ورقة، وتسميتها تعداد المنازل لم تكن هذه التسمية مذكورة في نسختنا، توفي رحمه الله سنة 1090هـ 1679م [illegible] لم نر ان احدا من المؤرخين ذكر له هذه الرحلة (تعداد المنازل) والله اعلم، ولتراجع ترجمة المجلدي.

صاحب الانوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف الحسنية(34) أن سبب قدوم مولانا الحسن أن أركاب الحجاج المغربية كانت تتوارد على الأشراف هنالك، وكان أمير الركب المغربي أظنه، والله أعلم، السيد أبا ابراهيم(35) فلما حج في بعض السنين اجتمع هنالك بالسيد الحسن المذكور، وكانت سجلماسة يومئذ خالية من سكنى الاشراف بها فلم يزل السيد أبو ابراهيم يحسن ويزين موطنها <والاقامة بها>(36) لمولانا الحسن حتى استماله فأجمع السير معهم(37) وقدموا به مع ركبهم الي المغرب فرغب في سكناه ببلادهم سجلماسة، وقال حفيده الامام أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر في ما قيد عنه : كان الذين أتوا به من أهل سجلماسة أولاد البشير وأولاد المغراوي انتهى، وذكر صاحب الأرجوزة أن الشيخ أبا ابراهيم أحد الذين جاءوا به من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال بعضهم إن أهل سجلماسة لم تكن تصلح لهم الثمار ببلدهم، فذهبوا الى الحجاز بصدد أن يأتوا برجل من أهل البيت، فأتوا بمولانا الحسن المذكور، فحقق الله رجاءهم وأصلح لهم ثمارهم، حتى عادت بلادهم هي هجر المغرب ونقل بعضهم على ما وجد بخط بعض الثقات أن سبب مجيئهم به أن الشرفاء الأدارسة تفرقوا ببلاد المغرب وانتثر نظامهم، واستولى عليهم القتل والصغار من أمراء زناتة، فقل الشرف بالمغرب، واختفى، وأنكر كثير من الأشراف أنه منهم حقنا لدمائهم، فلما طلع نجم الدولة المرينية أكبروا الأشراف وعظموهم ورفعوا أقدارهم واحترموهم، فلم يكن ببلد سجلماسة أحد من الأشراف، فأجمع رأى أعيانهم وكبرائهم على أن يأتوا بمن يتبركون به من النسب الشريف، فقيل إن الذهب انما يجلب من معدنه، والياقوت إنما يطلب من مواضعه، وان بلاد الحجاز هي مقر الأشراف، وهو صدفة جوهر ذلك النسب، فذهبوا إليه، وأتوا بمولانا الحسن

---

34) الانوار السنية او الحسنية، كتاب للعلامة ابي العباس احمد بن محمد بن احمد بن عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن ابي الحسن علي الشريف، وقال : وسميته الانوار الحسنية، في نسبة من بسجلماسة من الاشراف المحمدية "نشرته وزارة الانباء" والذي اشار على صاحب الكتاب بتأليفه، احد ابناء عمه السيد عبد الواحد بن عثمان من اعيان العائلة، قال ابن سودة في الدليل لم اقف على وفاته، وقال : محققه الفلالي توفي سنة 1101 هـ-1689 م وبالجملة فهو المصدر الوحيد لمن الف بعده في موضوع النسب الشريف العلوي.

35) امير الركب ابو ابراهيم السجلماسي القرشي العمري انظر (ركب الحاج المغربي) للسيد محمد المنوني، اذ يقول اول امير عرفه التاريخ بهذا الركب هو الشيخ ابو ابراهيم وانه كان حيا اول العصر المريني.

36) ما بين العلامتين ساقط من (م)

37) في (ل) (معه)

على ما ذكرنا، فأشرقت شمس النبوءة على سجلماسة،وأضاءت أرجاءها. حتى قيل إن مقبرة أهل سجلماسة هي البقيع بالمغرب، وليس لأهل سجلماسة مزية ولا منقبة أعظم من هذه المزية، ولولا هي مارفعت لهم راية، ولا شاع لهم ذكر في موقف الافتخار، وفي ذلك قال الشيخ أبو علي اليوسي(38) رحمه الله :

لولا الكرام من آل المصطفى نزلوا … بأرضهم آخر الأزمان ما ذكروا

وهذا البيت من قطعة له يهجو بها بعض(39) فقهاء سجلماسة وهي هــذه :

حي الأحبة عني أينما ذكروا … وخص من جيرتي قوما هم الغرر
ولاتحي لنا ما قد عهدتهم … سجية فيهم الايذاء والضرر
وقل لذاك السجلماسي إن لنا … عرضا مصونا فلا تهتكه ياغدر
إن المنافق للعوراة ملتمس … والمؤمنون إذاماستبصروا عذروا
وليس من عجب أن كنت منتهساً … لحم الورى فعل كلب ليس ينزجر
فإن أسلافك الأردال قد أكلوا … لحم الكلاب فذاك الفعل مدخر
أهل سجلماسة الأبدون إن نطقوا … وألام الناس أحلا ما إذا قدروا
لولا الأكارم آل المصطفى نزلوا … بدارهم آخر الأزمان ماذكروا

وذكر بعضهم أن أهل سجلماسة لما طلبوا من مولانا قاسم أن يوجه معهم أحد أولاده الى المغرب لأنه أكبر الشرفاء في الحجاز في وقته شهرة وديانة اختبر من أولاده من يليق منهم لذلك فيقال : انه كان له أولاد ثمانية فكان كل(40) واحد منهم بعد الواحد يقول له : ومن فعل معك الخير ما تفعل معه ؟ فيقول : افعل معه الخير ثم يقول ومن فعل معك

---

38) اليوسي، العلامة الجليل الذي طبقت شهرته العالم، نسبة الى بني يوسي قبيلة في عداد برابر ملوية، واصله اليوسفي نسبة الى يوسف جدهم، الا انهم يسقطون الفاء من يوسف كما هي لغة اهل تلك النواحي كما في الصفوة وجدهم هذا هو الاب الثاني عشر للامام اليوسي، وفي السلسلة يوسف آخر جعله صاحب فهرس الفهارس الجد الذي تنسب اليه القبيلة، واستغرب ذلك وهو غلط منه، ومن التحليلات العقيمة ما نقله الدكتور الاخضر في الحياة الادبية عن بيرك بان اليوسي يحقد على المولى اسماعيل بسبب الرسالة المذكورة في التاريخ، وذلك لان الرسالة لا تعني الحضرة الاسماعلية بوجه من الوجوه وانما تعني ما كان شائعا في الاوساط الشعبية وكان منه ذلك مجرد تنبيه لمقامه العالي توفي سنة 1102 هـ-1690 م.

39) المراد ببعض الفقهاء السيد عبد الملك التجموعتي وذلك لما كان بينهما من المناقشة وما ذكره المؤلف هنا منقول من النزهة ص.259.

40) كذا بالاصل ومثله في (م) اما (ف) فان العبارة فيها جاءت هكذا. فكان يدعو الواحد منهم بعد الواحد، وهي اوضح.

الشر ما تفعل معه ؟ فيقول أفعل معه الشر الى أن بلغ لمولانا الحسن الداخل فقال له : ومن فعل معك الشر ما تفعل معه ؟ فقال له : أفعل معه الخير حتى يغلب خيري على شره، فاستنار وجه المولى قاسم وتهلل ودخلته أريحية هاشمية ودعا له بالبركة فيه وفي عقبه، فاستجاب الله سبحانه دعاءه، واماما اشتهر بأنهم وزنوه لأبيه بالمال فحكاية واهية لا رأس لها ولا ذنب، والله أعلم بحقيقة الحال.

فائـدة : بين مولانا الحسن الداخل وبين جده محمد النفس الزكية خمسة عشر أبا كما تقدم، قال صاحب كتاب الأنوار السنية : وعمود هذا النسب لم يزل محفوظا عند بنيه موصولا فيما بينهم ونقل كذلك أيضا عن كثير من الأئمة الأعلام كالسيد احمد بن يحيى العلمي(41) جد الشرفاء الشفشاونيين حسبما قيده بخطه صاحب مرآة المحاسن انتهى كلام كتاب الأنوار باختصار، وقد تقدم ما يؤيد ذلك، وبالجملة فإن شرف موالينا السادات السجلماسيين مما لا نزاع في صراحته عند أهل المغرب قاطبة، وقال الشيخ أبو علي اليوسي إن شرفهم مقطوع بصحته <كالشمس الضاحية>(42) قال العلامة الأفراني : وحدثني صاحبنا الفقيه المؤرخ أبو العباس أحمد الوزير الغساني(43) قال سمعت شيخنا أبا العباس الشيخ الكامل سيدي احمد بن عبد الله بن معن الأندلسي يقول : ما ولي الملك بعد الأدارسة أصح نسبا من شرفاء تافلالت، وسمعت بعض أشياخنا يذكر عن شيخه الامام أبي محمد عبد القادر الفاسي رضي الله عنه أنه قسم شرفاء أهل المغرب بحسب القوة والضعف الى خمسة أقسام، ومثل القسم الأول وهو المتفق علي صحته بأفراد من الأعيان، ومنهم هؤلاء السادات السجلماسيون انتهى.

وكان مولانا الحسن الداخل رضي الله عنه رجلا صالحا ناسكا له مشاركة في العلوم وخصوصا علم البيان، فإنه كانت له فيه اليد الطولى،

---

(41) العلمي ترجمته في النشر ج 1 ص.33 توفي 1001 هـ-1592 م.

(42) ما بين العلامتين ساقط من (م).

(43) الغساني المذكور هنا هو احمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني، لا أخوه صاحب الرحلة قال الافراني في النزهة، والظل الظليل، وحدثني صاحبنا الفقيه المؤرخ ابو العباس احمد الوزير الغساني، وكذلك وصفه في السلوة ج 2 ص. 299 قال : كانت له مشاركة ومعرفة بعلوم الحديث والسير والتاريخ والانساب والتبس محمد صاحب الرحلة على محقق التقاط الدرر بأخيه فقال : في تعليق رقم 6 ويلاحظ ان صاحب سلوة الانفاس سماه احمد بدل محمد، واظن ان صاحب السلوة لم يترجم لصاحب الرحلة محمد، انظر التقاط الدرر ص. 297 توفي المترجم سنة 1146 هـ-1733 م.

ولما استقر بسجلماسة واطمأنت به الدار زوجه أبو ابراهيم ابنته وسكن على مايقال في موضع يقال له المصلح، ولما توفي تنازع في دفنه أهل تافلالت، حتى كادت نار الفتنة أن تنشب بينهم فأجمع رأيهم أن يمسحوا(44) الأرض بالحبال فقسموها أرباعا ودفنوه في موضع يتوسط جميع النواحي الأربعة بحيث لا يكون أقرب الى جهة دون جهة، وكانت وفاته رضي الله عنه حسبما يستفاد مما تقدم سنة ست أو سبع وسبع مائة، قال الأفراني رحمه الله تعالى : في دخول مولانا الحسن وإيواء أهل سجلماسة {إليه} (45) وإكبابهم عليه تصديق للحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال في الجمان(46) روى أن مولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله، وقالت لها امض(47) الى السوق فمن قبلها منك ائتني به، فمضت الجارية الي السوق وقالت من يقبل <مني>(48) صدقة بنت رسول الله صلى عليه وسلم، فقال رجل أنا، فأعطته الصدقة وقالت له أجب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال نعم فلما بلغ <الباب>(49) سألته من أنت؟ فقال : أنا رجل مغربي فقالت له من أي المغرب ؟ فقال : من البربر، فبكت مولاتنا فاطمة رضي الله عنها وقالت : قال والدي رسول الله صلى عليه وسلم : لكل نبي حواري وحواري ذريتي البربر يافاطمة، سيقتل الحسن والحسين ويفر أولادهما الى المغرب فلا يأويهما الا البربر، فيا شؤم من فعل بهم ذلك ! ويا طوبى لمن أكرمهم وأعزهم ! (50) انتهى بلفظه، ولم يخلف مولانا الحسن من الأولاد الا ولدا واحدا وهو مولانا محمد فتحا وترك مولانا محمد هذا ولدا واحدا <وهو مولانا الحسن>(51) سمي باسم جده، وهو

---

(44) في (ف) يقسموا بدل يمسحوا

(45) ما بين المعقوفين اضافة من (م) و (ف)

(46) الشطيبي، أبو عبد الله محمد بن علي الاندلسي البرجي صاحب التأليف وفي درة الحجال ج1 ص. 247 رقم 632 الا انه لم يكن في الطلب بذلك وانما كان جماعة للمسائل من التصوف والتاريخ وغير ذلك وله رحلة حج فيها ولقي فيها أعلاما مات سنة 960 هـ-1552 م.

(47) كذا في الاصول المعتمدة والصواب امضي مع ياء المخاطبة

(48) ما بين العلامتين سقط من (ف).

(49) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(50) ذكره الشطيبي في تاريخه

(51) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

مدفون حول المدينة العظمى بإزاء سيدنا محمد الخراز(52) بسجلماسة، وخلف مولانا الحسن هذا ولدين أحدهما مولانا عبد الرحمان المكنى بأبي البركات وهو أكبرهما، ومن بنيه أولاد السيد أبي حميد(53) بالتصغير القاطنين بواد الرتب بالقصر الجديد علي مرحلة من سجلماسة، ومنهم الشرفاء النازلون ببني(54) زروال، وثانيهما مولانا علي المعروف بالشريف، ومنه تفرعت وتكاثرت فروع المحمديين، وكان رجلا صالحا مجاب الدعوات كثير الأوقاف مجاهدا حاجا ذا همة سامية وأحوال مرضية، رحل في بعض الأوقات الى فاس وسكنها مدة طويلة وكان سكناه منها بالحومة المعروفة بجزا ابن عامر من عدوة القرويين، وترك هناك دارا وأقام مدة بقرية صفروا وخلف بها عقارا وآثارا هي بها الى الآن، وأقام مدة ببلد جرس على مرحلتين ونصف من سجلماسة وترك بها مثل ذلك ودخل عدوة جزيرة الأندلس برسم الجهاد مرارا وأقام بها مدة طويلة، ثم رجع الى سجلماسة فكاتبه أهل الأندلس يطلبون منه الرجوع اليهم ويحضونه على الاعتناء بأمور الجهاد ويشكون اليه بضعف الجزيرة وأنها محتاجة الى من تجتمع عليه القلوب، وقد كانوا راودوه لما كان مقيما عندهم على أن يملكوه عليهم ويبايعوه والتزموا له الطاعة والنصر فرغب عن ذلك زهدا وورعا وغض طرفه عن زهرة الحياة الدنيا رضي الله عنه، وقد كتبوا له رسائل عديدة بعث بها اليه علماء غرناطة أعادها الله دار اسلام يحرضونه على الجواز اليهم واستنفار المجاهدين الى حماية بيضة الاسلام ويذكرون له ان اهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها وظفوا على أنفسهم من خالص أموالهم دون توظيف سلطان عليهم أموالا كثيرة برسم الغزاة الواردين معه من المغرب وحلوه في بعض تلك الرسائل بما نصه :

الى الضرغام الهمام، وقطب دائرة فرسان الاسلام، الشجاع المقدام، الهصور الفاتك، الوقور الناسك، طليعة جيش الجهاد، وعين أعيان الأنجاد، المؤيد بالفتح في هذه البلاد، المسارع الى مرضاة رب العباد، ابي الحسن

---

(52) كذا بالاصل وفي (م) و (ف) الخراز في الصفوة، الشيخ الامام العالم العلامة الاستاذ المقرئ الفهامة ابو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن ابراهيم الاموي الشريشي الشهير بالخراز، وذكر له تأليف قال : وكان يعلم الصبيان بمدينة فاس وبها كان سكناه الى أن توفي بها عام 718 هـ-1318م وهذا مخالف لما هنا من أن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل دفن بإزاء محمد الخراز بسجلماسة.

(53) في (م) الحميدي معرفا

(54) في (م) بابي زروال

مولانا علي الشريف انتهى نص التحلية.

وكتبوا لعلماء فاس يأمرونهم أن يحضوا مولانا علي على العبور الى العدوة فكتب له أهل فاس بمثل ذلك وحثوه على المسارعة الى إغاثتهم وذكروا له فضائل الجهاد وانه من ‹أفضل›(55) أعمال البر، وكان من موجبات تخلفه عن إغاثة أهل غرناطة أنه عزم على الذهاب الى الحج، فقالوا له في بعض الرسائل عوض هذه الوجهة الحجية التي أجمع رأيكم عليها بالعبور الى الجهاد، فان الجهاد أصلحكم الله، عند أهل المغرب أفضل من الحج كما أفتى أبو الوليد بن رشد(56) حين سئل عن ذلك، وقد بسط الكلام عليه في أجوبته ووجه ما ذهب اليه من ذلك انتهى، وكان ممن كتب اليه من علماء غرناطة جماعة منهم شيخ المواق الامام أبو عبد الله بن سراج(57) قاضي الجماعة، ومن شيوخ فاس الذين كتبوا له أبو عبد الله العكرومي(58) شيخ ابن غازي(59)، وأبو العباس المواسي(60) شارح الروضة، وأبو زيد عبد الرحمان(61) صاحب الرجز المشهور وغير هؤلاء تركنا ذكرهم اختصارا، ومما ضمنوه في بعض تلك الرسائل قصيدة طنانة في مدح مولانا علي وصاحبه الفاضل أبي عبد الله سيدي محمد بن ابراهيم العمري(62) وحثوهما على إجابتهم، وهي من انشاء العلامة أبي فارس بن الربيع الغرناطي(63) وهي :

---

(55) ما بين الملامتين ساقط من (ف)

(56) ابو عبد الله محمد بن احمد بن احمد قاضي الجماعة بقرطبة مؤلف البيان والتحصيل وغيره دخل مدينة فاس واخذ عنه جماعة ت 520 هـ-1126م.

(57) وفي الديباج وغيره ابو القاسم الاندلسي الغرناطي مفتيها وقاضي الجماعة بها له شرح على مختصر خليل وفتاوى كثيرة في المعيار 848 هـ-1440م.

(58) ابو عبد الله محمد بن عمر العكرومي القرشي توفي سنة 842 هـ-1438 م جذوة ص 149.

(59) ابو عبد الله محمد بن احمد بن غازي العثماني نسبة الى ابي عثمان من قبيلة كتامة مكناسي النشأة والدار، فاسي الرحلة والاقبار ترجمه مؤرخ الدولة في الاتحاف انظر ج 4 ص2 .919 هـ-1513 م.

(60) احمد بن محمد بن ماواس، البطوي المتوفى بفاس سنة 842 هـ-1438 م وليس هو احمد بن عيسى المواسي الموقت المعدل بمنار القرويين المتوفى سنة 807 هكذا أرخ تاريخ وفاته في الجذوة وفي النيل بهامش الديباج ص.78 قال كان حيا سنة 843 هـ.

(61) الرقعي ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير بن الشيخ بن الحسن بن عبد الله من زاوية الرقعة.

(62) محمد بن ابراهيم العمري تقدم ذكره وانه من جملة الذين كتبوا للمولى علي الشريف ينتدبونه للجهاد بتاريخ 841 هـ-1427 م.

أيا راحلا يطوى المفاوز والقفرا　　رشدت ولقيت السلامة والخيرا

ترحل وجد السير يوما وليلة　　وسافر تجدها في مطالعها زهرا

تحمل رعاك الله مني الى الحمى　　تحية مشتاق تهيجه الذكرى

وأم ديار الحي من سجلماسة　　فتلك ديار تجمع العز والفخرا

وسلم على تلك الخيام واهلها　　سلام محب لم يطق عنهم صبرا

فعندي لهم حب جرى في جوانح　　ومازج مني العظم والدم والشعرا

(64)هم القوم لا يشقى بهم جلساؤهم　　فكم من تقي في سماها سما بدرا

وقل يا أهيل القبلة السادة الألى　　اذا ما دعوا في حادث أسرعوا النفرا

وخص سليل الهاشمي ابن صهره　　علي الذي يعلوا على زحل قدرا

أبي(65)الحسن المولى الشريف الذي به　　على الغرب شمس النصر أشرق بالصحرا

ولاحت بآفاق القلوب عجائب　　بها سلب الألباب تحسبه سحرا

هو الصقر مهما اهتز كل مجلجل　　هزبرا اذا ما أنشب الناب والظفرا

هو الغوث إن دارت رحى الحرب للقا　　وغيث اذا ما المزن ما أمطرت قطرا

أغار على الأعلاج فأجتاح جمعهم　　وجللهم قتلا وشد لهم أسرا

بطنحة قد طاب الممات لزمرة　　بنصرتها ترجو من الملك الاجرا

دعاها بأقصى السوس قدما فأسرجوا　　من الصافنات الجرد لم يأخذوا الحذرا

فهبت ركاب القوم والشمس أشرقت　　وأرهص(66)جيش الله أعداءه خسرا

---

(63) الغرناطي لم نقف على ترجمته ووفاته الا ان القصيدة الرائية المرفوعة للشريف نفس موضوع انتدابه للجهاد وانقاذ غرناطة من العدو وكان ذلك سنة 841 هـ 1437م.

(64) هنا البيت ملفق من بيتين اثنين نصهما :

لذلك بقاع الدين والخير والهدى　　فكم من تقي في سماها سما بدرا

هم القوم لا يشقى بهم جلساؤهم　　بضوع عبير الزهر من بينهم نشرا

رواية عن روضة التعريف ونزهة الحادي، والدرر البهية ج 1 ص.98.

(65) كذا بالاصل و (م) اما في (ف) (أبا) وهو الصواب.

(66) كذا بالاصل وأما (م) و (ف) فقيهما (أوهص) بالواو

وفي روضة التعريف والاستقصاء (أرهق) بدل ارهص و أرهص ومعنى الكلمات واحد اذ كلها يدل على الاخذ الشديد.

ولا عجب ان الألى هو منهم ... ليوت الشرى (.........)(67)
أجر جارك اللهفان من غمراته ... أبا حسن وانصر جزيرتك الخضرا
وناد أبا عبد الاله خليلكم ... به تجلب السراء في حادث الضرا
سليل أبي إسحاق أكرم به أبا ... لقد خلف الفرع الزكي الرضا البرا
أليس الذي لبى ندا أهل طنجة ... وجمع أهل الغرب من حينه طرا
وأوقع بالكفار أي وقيعة ... فمن لم يمت بالسيف مات لها ذعرا
وأصبح ثغر الدين أشنب باسما ... وأرهق وجه الكفر من حزن قترا
ونال من الله السعادة والرضى ... وجنات عدن في المعاد له ذخرا
وقل أيها العدل الذي اتخذ التقى ... شعارا وسامى في منازلها الشعرى
أرى كل من في الغرب أصبح قانطا ... وأندلس يرجو بطلعتكم نصرا
وغرناطة الغراء نادتك(68)أقبلن ... وبالراية البيضاء تنتصر الحمرا
فساكنها وقف عليكم رجاؤه ... كبيرهم والطفل والكاعب العذرا
فجئنا بمن في أرضكم حاميا لهم ... رجالا وفرسانا غطارفة غرا
حماة أباة الضيم من كل ما جد ... كريم يباري الغيث والسيل والبحرا
فدونكما الكفار تفنى طغاتهم ... وتشبع من قتلاهم الوحش والطيرا
منازلنا من كل حصن وقرية ... تناديكما غوثا لخطب أتى مرا
فكم من ضعيف لا حراك لجسمه ... وشيخ بها أربى على مائة عشرا
وبيض وسمر من أوانس كالدمى ... وصبية مهد لا تعي النفع والضرا
ومنبر جمع للخطابة والدعا ... ومسجد دين للصلاة وللاقرا
وكرسي علم مقعد لمهذب ... تصدر يملي ما يضئ لنا الصدرا

---

67) بياض بالاصول المعتمدة، والعجز جاءت روايته في روضة التعريف هكذا
(ليوث الشرى ان عاد مرجعها شهرا)
ومثله في الدرر البهية، والانوار الحسنية. أما نزهة الحادي فجاء فيها ما يلي :
(ليوث الشرى ان عاد من حبها عترا) وذلك غير ظاهر المعنى
وفي الاستقصاء (ليوث الشرى قد اوسعوا مرجها شرا) في الطبعتين القديمة والجديدة.
68) في روضة التعريف. (وغرناطة الغراء نادتكما اقبلا) ومثله في الانوار الحسنية والدرر البهية والاستقصاء.

وأجداث أبناء الصحابة فوقها   وكل ولي أشعث لابس طمرا
تناديكما غوثا من الله سرعة   فقد كاد أن يستأصل الكفر ذا البرا
فحثا لنا بالسير بعدا وقربة   أجيرانا من كفران من أضمر الجورا (كذا)
وعزما بأخرى مثل تلك التي مضت   ليبصر هذا الفنش مثلكم كبرا
وأنتم بحمد الله تدرون ما ألتي   عن المصطفى في الغزو من خبر خبرا
فلله ما أسنى وددت لو أنني   قتلت فأحيا ثم أقتل قد مرا(69)
وما في كتاب الله من آية أتت   كشمس الضحى في الصحو سافرة غرا
خذاها بحمد الله عذراء جيبها   يضوع شذى تهدى لحضرتكم عطرا
وتبلغ عني للكرام تحية   بأندلس للغرب قد عبروا بحرا
فغوثا رجال الله عونا لعدوة   أحاطت بها البأساء والشدة الضرا(70)
فأنتم لنا الجند القوي ونحوكم   تشوفنا فاستعجلوا نحونا السيرا
ونثني على خير البرية ذي الهدى   محمد المبعوث بالملة ـ اليسرى
وآل وصحب ثم تال لنهجه   ومن لذوي الاسلام قد نصر النصرا

وبهذه الرسائل العذبة الألفاظ المستوقفة للألحاظ يعلم أن مولانا علي الشريف كان مشهورا في عصره، متقدما على كافة أهل مصره، وانه كان ملحوضا بعين الاجلال عندهم وأن هذه الدار العالية البناء والاسوار(71) معظمة من قديم مشهود لها بالتقديم، ولم يزل رحمه الله تعالى دءوبا على فعل الخير حريصا على أسباب الطاعة، وقسم عمره بين حج وجهاد، ويحكى أنه في بعض السنين رجع من حجة حجها فسنح له ان يذهب الى ناحية أكدج بكاف معقودة قبل الدال وهي بلدة في السودان فحارب مدينة

69) كذا بالاصل ومثله في روضة التعريف والانوار الحسنية، اما (م) و (ف) ففيهما معا (كم مرا) وجاء في الدرر البهية (قتلت فأحيا ثم اقتل في أخرا).
قلت ورمز بالبيت للحديث الشريف الوارد في كتاب التمني من صحيح البخاري المروي من طريقين عن ابي هريرة رضي الله عنه : (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «والذي نفسي بيده وددت اني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل».
70) في روضة التعريف (واشتدت الضراء) وهو الذي في الدرر البهية والانوار الحسنية والاستقصا.
71) في (ف) (الاسرار) بالراء.

من الكفار وليس لها الا طريق واحدة وهي قنطرة من حديد. فلما ضيق بهم رفعوا تلك القنطرة فحمل على فرسه نحوهم فلم يجد(72) لهم مدخلا فارتمى نحو الباب بفرسه، فلما رأوه داخلا عليهم ألقوا عليه قطعة من الحديد قطعت الفرس نصفين وسلمه الله فتساقط عليه أصحابه المسلمون في الحفير فطلعوا اليه فأخذوا المدينة قهرا، وأتاه الكفار بجاريتين فائقتين في الحسن والجمال، وقالوا له اختر واحدة منهما فاختار واحدة فأخذها الكفار وذبحوها وضيفوه بها، فلما جاءوه بالطعام عليه اللحم فاستنكره مكاشفة رضي الله عنه فسألهم عن اللحم فقالوا له هو لحم الجارية ‹المختارة›(73) فقتلهم عن آخرهم الا من أسلم منهم.

وذكر صاحب كتاب الأنوار أن مولانا عليا مكث أربع عشرة سنة لا يولد له شئ ثم ولد بعد ذلك ولدين وهما مولانا محمد بفتح الميم ومولانا ابو الجمال يوسف وهو أصغرهما، اما مولانا محمد فترك أربعة أولاد : السيد الحسن، والسيد عبد الله، والسيد علي، والسيد قاسم، وهم على هذا الترتيب في السن(74) ويقال لسائرهم أولاد محمد نسبة الى هذا الجد، وفرعهم كثير جدا يطول بنا تتبعهم، وأما مولانا يوسف فانه ولي زاوية والده وأجمع الناس على أنه المتأهل لها دون غيره لرزانته ووفور عقله، فتولاها بعد نزاع كثير ورسم توليته ما زال موجودا عند ‹بعض›(75) أحفاده، وذلك كله في دولة بني مرين، وقال في كتاب الأنوار وقيل إنه لم تكن له أولاد حتى بلغ ثمانين سنة فولد تسعة أولاد، خمسة منهم أشقاء، أمهم السيدة خليفة من ذرية بعض المرابطين بسجلماسة، وهم سيدي علي وهو جد مولانا نصره الله، والسيد أحمد، ‹والسيد عبد الواحد›(76) والسيد الطيب {والسيد عبد الله}(77) والسيد عبد الواحد المكني بأبي الغيث لكثرة ما نزل من الغيث عند ولادته، وكان الناس قبله في جدب شديد، وهم على هذا الترتيب في السن، وأربعة أشقاء أمهم السيدة الطاهرة من ذرية بعض المرابطين هنالك أيضا وهم السيد الحسن بالتكبير،

---

72) في (ف) (يجدوا) برار الجماعة
73) ما بين العلامتين ساقط من (ف)
74) في (ف) (السن) بدله
75) مابين العلامتين ساقط من (ف)
76) ما بين العلامتين ساقط من (ف)
77) ما بين المعرقتين زيادة من (ف)

والسيد محمد، والسيد الحسين بالتصغير، والسيد عبد الرحمان، ومن منازل <هؤلاء> (78) الأشقاء أخنوس وتفصيل <أنساب> (79) هؤلاء السادات الثمانية يطول بنا، ولنقتصر على مولانا علي <المثنى> (80) لأنه الغرض المقصود، فنقول، ولد مولانا علي بن يوسف ثلاثة أولاد هم مولانا محمد، ومولانا محرز، ومولانا هاشم، وهو جد أهل زاوية الامراني، وكلهم قد عقبوا. فأما مولانا محمد فولد له مولانا علي مع عدة من الأولاد ومولانا علي <المثلث> (81) هو جد موالينا الملوك الأكرمين وتوفي بمراكش وبنى عليه حفيده أمير المؤمنين مولانا الرشيد قبة تلقاء ضريح القاضي عياض رضي الله عنه، وولد لمولانا علي تسعة من الأولاد مولانا الشريف، ومولانا الحفيد، ومولانا حجاج، ومولانا محرز، ومولانا حرون، ومولانا فضيل، ومولانا أبو زكرياء، ومولانا مبارك، ومولانا السعيد، فهؤلاء أولاد مولانا علي المثلث وكان مولانا الشريف أفضلهم وأشرفهم، وله رضي الله عنه عدة أولاد كلهم نجوم زاهرة، ذوو همم باهرة، منهم مولانا إسماعيل السلطان أمير المومنين رحمه الله، وهو واسطة ذلك العقد الثمين، ومنهم مولانا محمد، وهو أكبرهم ومولانا الرشيد، وكلهم سياتي خبره في رايته إن شاء الله تعلى، ومنهم مولانا الحران، ومنهم مولانا محرز، ومولانا يوسف، ومولانا أحمد، ومولانا الكبير، ومولانا العباس <ومولانا السعيد، ومولانا حمادي، ومولانا هاشم، ومولانا علي، ومولانا المهدي> (82) وهو شقيق السلطان مولانا إسماعيل، هذا ماتيسر لنا الآن ذكره في هذا النسب الشريف، ذكرناه تبركا، وفيه الكفاية إن شاء الله تعالى، ثم نذكر رايات هذا اللواء الشريف على الترتيب بحسب ما في الخارج بحول الله وقوته.

---

(78) ما بين العلامتين ساقط من (م) ومن (ف)

(79) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(80) ما بين العلامتين ساقط من (م).

(81) ما بين العلامتين ساقط من (م)

(82) ما بين العلامتين ساقط من (م).

الراية الأولى من هذا اللواء الأعظم
راية مولانا محمد بن الشريف
وهي راية حمراء عالية الرمح قصيرة الأذيال

كان مولانا الشريف أبو الخلائف رحمه الله وجيها في زمانه عند أهل سجلماسة وعند كافة أهل المغرب، يقصدونه في المعضلات، ويستشفعون به في النوائب والخطوب الشداد، وتقدم لنا أن مولانا عبد الله بن علي بن طاهر ضرب على ظهره وقال : ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك والسلاطين وهو صبي صغير فعلقت تلك المقالة بضمائر الناس، وكانوا يرقبون ظهور مصداقها لما يعلمون من ولاية مولانا عبد الله، فألقى الله نور تلك المقالة على وجه مولانا الشريف، فكل من رآه هابه وخضع له ظاهرا وباطنا› وكان مولانا الشريف يعد أن كبر وولد الاولاد يشيع أن هذا الأمر لابد أن يصير(1) الى بنيه وأنه يسكون لهم الشأن العظيم اعتمادا على تلك المقالة، وكان ‹بين›(2) مولانا الشريف وبين أهل تبو عصامت وهي حصن منيع من حصون سجلماسة عداوة تامة، فاستصرخ عليهم بأبي الحسن على بن محمد صاحب السوس وهو أبو حسون لمحبة كانت بينهما، واستصرخ أهل تبوعصامت بأهل الدلاء فجاء عسكر ابي الحسن وعسكر أهل الدلاء لاغاثة كل لمن استغاث به، فانفصلا بغير قتال، وكان ذلك عام ثلاث وأربعين وألف، ولما رأي أهل تبوعصامت ما بين مولانا الشريف وأبي الحسن من الصداقة والمحبة مالوا بكليتهم لأبي الحسن وأظهروا له الخدمة والنصيحة والطاعة التامة طمعا أن يفسدوا ما بينه وبين مولانا الشريف إذ(3) كان ظاهرا عليهم به فلم يزالوا يفسدون ما بينهما الى أن أظلم الجو بينهما واستحكمت القطيعة، ثم لما رأى ولده مولانا محمد ذلك انتهز الفرصة في أهل تبوعصامت وخرج ليلا في مائتين من الفرسان مظهرا

---

(1) في الملكية : (يصل).
(2) ما بين الملامتين ساقط من (ف)
(3) في الناسية اذا وهو ظاهر الخطأ

أنه قاصد لبعض النواحي، فما راع أهل تبوعصامت الا مولاي محمد انقض عليهم من الجو وحكم فيهم السيوف، ومكنه الله من رقابهم وأموالهم، واستولى على ذخائرهم، فقرت بذلك عين مولانا الشريف وبلغه الله في أعدائه ما كان يأمل. فلما سمع أبو الحسن ذلك غضب غضبا شديدا وكتب لعامله على سجلماسة ان يقبض على مولانا الشريف فقبضه ووجهه لسوس، فاعتقله في قلعة هنالك مدة الى أن افتكه ولده مولانا محمد بمال عظيم، فرجع الى سجلماسة في حكاية، وكان ذلك <كله>(4) في حدود سبعة وأربعين وألف(*)، وفي مدة اعتقال مولانا الشريف كان ولده مولاي محمد مجمعا على إهلاك بقية تبوعصامت واستئصال شافتهم، وقوي عضده بما أخذ من أموالهم، واتخذ جيشا لا بأس به، وانضاف اليه جمع من أهل سجلماسة ونواحيها لان أصحاب السوسي أساءوا السيرة في الناس وبالغوا في الجور والطغيان، ونصبوا حبائل الطمع حتى بذروا بذر البغضة في قلوب أهل سجلماسة وقد كان أصحابه ضربوا الخراج على كل شئ حتى على من يجدونه في الشمس زمن الشتاء، وفي الظل زمن الصيف، فازدرتهم العيون، وكرهتهم القلوب(5) فلما ثارمولانا محمد وجد فيهم الداعية للخلاف، فاعصوصبوا ووجهوا وجه العناية اليه وحاولوا محو ولاية السوسي عليهم وقلع آثاره من بلادهم واخراج عماله عنهم، فوافقهم القدر، وكان أمر الله قدرا مقدورا، وهذا كان سبب مبايعة مولانا محمد بتافيلالت بعد جلاء أهل السوس عنها، وذلك سنة خمسين وألف، ووافق على بيعته أهل الحل والعقد يومئذ بسجلماسة، ولما تمت له البيعة المباركة شمر لمضايقة السوسي بدرعة إذ كانت تحت ولايته، فوقع بينهما بسببها

---

(4) ما بين العلامتين لا يوجد في (م) و (ف)

(5) في الفاسية : (النفوس)

(*) قال في الاستقصاء، طبعة دار الكتاب ج٧ ص ١٤ : قال في البستان : وأعطى ابو حسون للمولى الشريف وهو معتقل عنده، جارية مولدة من سبي المغافرة كانت تخدمه، قال : وهي ام المولى اسماعيل وأخيه المولى المهدي انتهى قال صاحب الاستقصاء : ولست أدري ما مراده بهذا. فان كانت الجارية سبية في المغافرة فهي حرة فيكون مولاي الشريف قد وطئها بعقد النكاح، وهذا الذي يغلب على الظن، بدليل ان السلطان الاعظم المولى اسماعيل رحمه الله لما عزم على جمع جيش الوداية قال لهم : انتم اخوالي، اشارة الى هذا الصهر كما سيأتي، وان كانت مملوكة لهم ثم صارت الى أبي حسون، فالوطء حينئذ كان بملك اليمين، والله تعالى أعلم.

قال : وصاحب البستان كثيرا ما يجازف في النقل، ويتساهل فيه، فلا ينبغي أن يعتمد على ما ينفرد به من ذلك، وبالله التوفيق.

حرب هائل كانت النصرة فيه لمولاي محمد، والكرة الشنعاء على أهل سوس، فاستولى الشريف بن الشريف على درعة وما انضاف اليها.

ولما عظمت إيالة مولانا محمد واشتدت شوكته، ورفرفت رايته برياح النصر، وانفتحت له أبواب السعادة من كل ناحية، وانتشر له في جميع البلدان خبر الظفر بعث إليه أهل فاس وأعراب الغرب يطلبون منه المجيء الى أرضهم، ويواعدونه بالنصرة له وتقويته بالعدد والعدة، فأقبل اليهم على عجل، فوصل اليهم، وحل بفاس الجديد حلول الشمس بدائرة الحمل، وتستم كرسي الملك بلا كثير عمل، وذلك في مفتتح رجب عام تسع وخمسين وألف، فبايعه أهل البلدين فاس القديمة والجديدة، فبقي هنالك مدة مديدة حتى جلاه عنها أهل الدلاء في السنة المذكورة، فرجع الى سجلماسة، ولم يزل مقتصرا على ما صفا له من درعة <وسجلماسة ونواحيها>(6) الى أن ثار عليه أخوه مولانا الرشيد بعرب أنجاد بعد أن كان تحت أمره وطاعته، رفي زمام خدمته، فوقع بينهما ما أوجب أن فر مولانا الرشيد خوفا من شدة بأس مولانا محمد.

قال في البستان : وفر مولاي رشيد من أخيه فبلغ الى تدغة فأقام بها مدة، وتوجه الى دمنات وأقام بها مدة، وذهب الى زاوية الدلاء وأقام مدة، وتوجه لأزرو وأقام بها مدة، وتوجه لفاس وأقام بها مدة، ومنها توجه لتازا ثم خرج الى أعراب المعقل من الأحلاف فأقام عندهم، ولم يزل يجول في البلاد طمعا في اصطياد الملك والاقدار تدرجه الى ادراك أمله، واستنتاج مقدمات عمله.

< لايؤيسنك من مجد تباعده ... فإن للمجد تدريجا وترتيبا
إن القناة التي علمت رفعتها ... تنمو وتنبت أنبوبا فأنبوبا>(7)

إلى أن أدته خاتمة المطاف الى قصبة اليهودي ابن مشعل التاجر صاحب الأموال الطائلة والدخائر النفيسة، وكان ذلك بعد أن دعا لنفسه وصرح بالخروج على أخيه في سنة 1075هـ وقد اجتمعت عليه قبائل الشرگ

---

(6) ما بين القوسين ساقط من (م)

(7) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

بحذافيرها ودخل وجدة وظهر أمره كل الظهور انتهى.

وكان لليهودي على المسلمين صولة واستهزاء بالدين وأهله فلم يزل المولى الرشيد ينظر في كيفية اغتياله الى أن أمكنه الله منه في قصبته فقتله واستخلص <جميع>(8) تلك الأموال العديدة والذخائر المفيدة والنفائس العجيبة وفرقها في اتباعه وأنصاره، فملك بذلك قلوبهم، واشتد عضده غاية الاشتداد، فانتالت عليه الفتوحات والأمداد، فتناقلت عظم شأنه الركبان، وسارت أحاديث مجده الى جميع الأقطار والبلدان، فلما بلغ خبره لأخيه مولانا محمد تخوف منه لما يعلم من صرامته، فتوجه لمقاتلته والقبض عليه فلما التقى الجمعان كانت أول رصاصة في نحر مولاي محمد فوافقته(9) منيته وقضى نحبه يوم الجمعة التاسع من المحرم عام سبعة وخمسين(10) وألف فأسف مولانا الرشيد لموته، وأظهر الحزن الكثير عليه ولما قتل رحمه الله انحشرت <جموعه>(11) برمتها الى أخيه مولانا الرشيد ودخلوا تحت طاعته أجمعين.

قال صاحب البستان أبو القاسم الزياني : ولما فرغ مولانا الرشيد من مأتم أخيه واجتمع عليه من كان مع أخيه من عرب الأحلاف وبني يزناسن وغيرهم وبايعوه البيعة العامة، وقدمت عليه الوفود بالهدايا، وكتب من كان مع أخيه في ديوان جيشه وكساهم وأعطاهم الخيل والسلاح وكتب عسكرا من إشراقة بني <سنوس>(12) ومديونة وبني عامر والشجع وهوارة، فاحتاج الى المال وقد نفذ ما كان أخذ من قصبة ابن مشعل، وكان أخذ ولد ابن مشعل وقيده في السجن فقدمت عليه أمه تطلبه أن يسرحه فقال لها لا أطلقه حتى تدليني على مال أبيه وإلا قتلته، فدلته على محل في القصبة ففتحه فوجد فيه خوابي مملوءة ذهبا وفضة فاتسع حاله غاية انتهى، وكان

---

(8) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(9) في الناسية له فراقته)

(10) كتب المؤلف على طرة الأصل بخطه مانصه : "هكذا هذا التاريخ عند الزياني، وكأنه مقلوب، والصواب 1075- وفي الملكية : (عام سبعة وسبعين)

(11) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(12) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

ذلك طالعة الفتح الظاهر، انتهى باختصار.

وكان مولاي محمد رحمه الله شجاعا مقداما لا يبالي بنفسه ولا يجول في خاطره الخوف من الرجال، ولا مقاومة الأبطال، ولقد أنصفه أهل الدلاء لما وصفوه فقالوا : اجدل لا يؤذيه سموم الليالي ولا حرارة القيظ في المصيف، عقاب أشهب على قنة كل عقبة، لا يقنعه المال دون حسم الرقبة وكان قويا في ذاته ‹أيّدا›(13) لا يقاوم في الصراع، ولا يطاق له دفاع، حكى أنه في بعض حصاره لأهل تبوعصامت غرز يده في ثقب جدار وصعد عليه ما لا يحصى من الناس كأنها خشبة منصوبة، أو لبنة مضروبة، وكان رحمه الله سخيا جدا حتى أعطى الأديب الشهير الذي له الامامة في الأشعار الملحونة السيد سعيد التلمساني(14) نحوا من خمسة وعشرين رطلا من خالص الذهب مرة واحدة جائزة له على بعض أمداحه، وحكاياته في هذا المعنى شهيرة، قاله الأفراني، ولما قتل مولانا محمد قام ولده مقامه لكنه لم يتم له الأمر في قضية يطول ذكرها، هكذا قال بعضهم، والله سبحانه أعلم وأحكم.

---

(13) ما بين القوسين ساقط من (م)

(14) لم نقف على ترجمته لا في «البستان» ولا في غيره.

الراية الثانية من اللواء الأعظم
راية مولانا الرشيد بن مولانا الشريف
وهي راية حمراء مشرقة فيها أعلام خضر

لما قتل مولانا محمد عام {1075} (1) كما سلف واستولى مولانا الرشيد على جيوشه، ووردت عليه القبائل، وعظم له الشأن، توجه لتازا ففتحها بعد المحاربة الطويلة والممانعة الشديدة، فدخلها عنوة بالقهر ففتك بأبطالها وعتاتها، وأمن ضعفائها، وكانت فاس قبيل ذلك تقاسمها الثوار والخوارج، ونبغ فيها من كل جهة قائم. فكان ابن صالح حامي <بيضة> (2) عدوة الأندلس ومن انضاف إليها، وابن الصغير كبير اللمطيين ومن انضاف اليهم، ووقع بين الفريقين حروب كثيرة، وأما فاس الجديد فإنه كان أمرها بيد قائم يقال(3) له الدريدي، قال صاحب البستان : لما بلغ خبر بيعة الناس لمولانا الرشيد لأهل فاس اجتمعوا مع الحياينة وأهل الحوز <يعني حوز فاس> (4) واتفقوا على مخالفته وعدم بيعته وتعاقدوا على ذلك وتحالفوا، وأمر رؤساء فاس عامتهم بشراء الخيل والإكثار من ذلك، ففعلوا ووظفوا على كل دار مكحلة، ومن لم توجد عنده يعاقب، فاشتروا منها فوق الكفاية، وخرجوا لباب الفتوح لعرض الخيل والسلاح، واجتمعوا مع الحياينة وأحلافهم وحلفوا أن لا يدخل مولانا الرشيد بلادهم بسبب ما فعل أخوه مولانا محمد بالحياينة من الانتهاب والاجتياح ظنا منهم أنه مثله، فعرضوا خيلهم وسلاحهم على رؤسائهم، ولما بلغ مولانا الرشيد هذا الخبر أعرض عنهم، وكان عاقلا داهية، وتوجه لسجلماسة فأقام محاصرا لها تسعة أشهر الى أن خرج عنها <مولاي محمد ولد أخيه السلطان مولاي محمد بن الشريف، فلما اشتد الحصار فر>(5) مولاي محمد الصغير المذكور ليلا ودخلها مولاي الرشيد فسد الفرج ومهد الأطراف، وأصلح كل خلل، ورتب حاميتها، ورجع لتازا فأقام بها، ولما سمع أهل فاس برجوعه اتفقوا مع

---

(1) ما بين المعقوفين زيادة من (م)

(2) مابين العلامتين ساقط من (م) و (ف)

(3) في (ف) : (مسى) بدله.

(4) مابين العلامتين ساقط من (ف)

(5) ما بين العلامتين لا يوجد في (ف)

أحلافهم علي أن يصدموه بموضعه ويغيروا عليه بتازا فتأهبوا للحركة وخرجوا من فاس في شوال عام ستة وسبعين وألف، فلما قابلوا محلته المنصورة انهزموا دون قتال فتبعهم الى وادي سبو ورجع فبعثوا له في الصلح فلم يكمل بينهم وبينه صلح الى أن ملك نواحي المغرب كلها، وذلك من حسن تدبيره وكمال دهائه، وفي صفر عام سبعة وسبعين وألف نزل على فاس وحاصرها وقاتلهم ثلاثة أيام فأصابته رصاصة من طرف أذنه ورجع سالما، ثم أعاد حصارها مرة أخرى في ربيع من السنة فأوقع بهم من القتل والجراحات ما أحزنهم، ثم رجع ولم يكن جاءهم بقصد المقام عليهم فتوجه للريف بقصد اعراض <القائم> (6) فحاصره وقاتله، وكانت بينهما وقائع الى أن أخذه في رمضان، وفي القعدة نزل على فاس وقاتلها الى ثالث ذي الحجة، فدخل فاسا الجديدة من السور من ناحية ملاح المسلمين وفر أميرها الدريدي وهذا الدريدي كان في جملة من إخوانه دريد من جوشم، وكانوا في ديوان السعديين، ولما بايع أهل فاس السيد محمد الحاج كان في عسكره، فلما فشلت ريح أهل الدلاء خالفهم وقام، وكان يشن الغارات على البرابر الى أن نزل مولانا الرشيد ففر الدريدي كما تقدم، وفي الغد نزل السلطان مولانا الرشيد على فاس القديمة فحاربها ففر رئيس اللمطيين ابن الصغير وولده الى بستيون باب الجيسة بالليل، ولما أصبح فر رئيس الأندلس ابن صالح فخرج أهل فاس وبايعوا مولانا الرشيد، وقبض على ابن صالح بحوز المدينة فسجنه السلطان بباب دار ابن شقرة، وقتل عدة من أصحابه، ثم قبض علي ابن الصغير وولده، وبعد سبعة أيام قتلهم(7) وولى على قضاء فاس السيد حمدون المزوار(8) ثم خرج من فاس للغرب بقصد الخضر غيلان القائم، وكان بقصر كتامة فانهزم وذهب لأصيلة، فرجع السلطان لفاس، وفي عام ثمانية وسبعين وألف(9) حرك لمكناسة وقصد آيت ولال من البربر حمية(10) السيد محمد الحاج فأخذهم(11) ورجع، وبعد

---

(6) مابين العلامتين ساقط من (م)

(7) في الفاسية : (قتله) بافراد الضمير

(8) والفقيه العلامة الخطيب القاضي حمدون بن محمد المزوار الزجني نسبة لمدينة قرب وزان يقال لها أزجنات سنة 1084هـ 1673م، نشر ج 2 ص 205.

(9) في الفاسية : (تسعين)

(10) في (م) : (وكانوا أعوان ...) بدل حامية.

(11) في (ب) : فأسرهم.

رجوعه نزل السيد محمد الحاج بجنوده بمزورة قرب فاس، فقاتله السلطان مولانا الرشيد ثلاثة أيام ورجع السيد محمد الحاج، ثم خرج السلطان لتازا ونواحيها ورجع وعزل العشير قائد مكناس، ثم خرج لحركة بني زروال في ثاني النحر فأخذهم وبعث رئيسهم الشريف لفاس، ثم توجه لتطوان فقبض على رئيسها أحمد النقسيس في جماعة من حزبه وتوجه بهم لفاس فسجنه ثم خرج لحركة بني يزناسن فحاربهم ورجع، وفي هذا العام مات كروم الحاج الشباني الثائر بمراكش ونواحيها وتولى ولده أبو بكر ابن الحاج، وفيه خرج السلطان مولانا الرشيد لحركة زاوية الدلاء وولى على فاس الفقيه السيد محمد بن احمد الفاسي في محرم واحد وثمانين وألف(12) فلقى محلة الدلاء عليها ولد السيد محمد الحاج ولم يحضرها هو لكبر سنه، وذلك في موضع يقال له بطن الرمان من فازاز، ووقع القتال فانهزم ولد الحاج والبربر، ورجعوا للزاوية، وتبع السلطان آثارهم الى أن نزل علي الزاوية. قال الشيخ أبو علي اليوسي رحمه الله تعلى في كتابه المحاضرات : كان الرئيس السيد محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي ملك المغرب(13) كله سنين عديدة، واتسع هو وأولاده وإخوانه في الدنيا . فلما قام عليهم السلطان مولانا الرشيد ولقي جيوشهم ببطن الرمان وهزمهم ودخلوا على السيد محمد الحاج وأظهر أولاده وإخوانه غاية الجزع فلما رأى منهم ذلك قال لهم : ما هذا الجزع الذي أرى منكم ؟ إن قال حسبكم فحسبكم، يريد الله تبارك وتعلى، وهذا كلام عجيب. ولما خرج إليه أهل الزاوية عفى عنهم ولم يرق دماءهم ولا كشف لهم عورة(14) لحلمه وكرمه، ولما فرغ من الزاوية نقلهم لفاس وأخلى الزاوية، وكانت هذه الزاوية قد اشتهرت بالزاوية البكرية نسبة الى جدهم أبي بكر الصالح، وليست هذه النسبة الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما يتوهم كثير من لا علم له بهذا. فلما ارتحل مولانا الرشيد عن الزاوية توجه لمراكش فاستولى عليها في صفر وقتل رئيسها أبا بكر ولد كروم الحاج مع جماعة من أنصاره وقرابته، وأقام بها شهرا ورجع،

---

(12) كذا في نسخة المؤلف، وفي الملكية : (واحد وسبعين) وفي الفاسية : (واحد وتسعين) وفي سلوة الانفاس ج 2 ص 320 سنة 1077هـ.

(13) كذا في نسخة المؤلف ومثله في الفاسية : وفي الملكية : (الغرب) وهو المناسب.

(14) في (ف) : (حرمة).

وفي ذلك العام خرج ابن أخيه مولانا محمد الصغير بن مولانا محمد <بن> (15) الشريف من تافيلالت وكذلك الخضر غيلان ركب البحر وتوجه للجزائر، وفي العام المذكور عزل السيد محمد بن احمد الفاسي عن ولاية فاس وعزل المزوار عن القضاء وولي القضاء السيد محمد المجاصي وخطابة القرويين للسيد محمد البوعناني(16) وفي رجب خرج السلطان لحركة الشاوية ورجع في رمضان، وفيه أمر بإخراج أهل الزاوية من فاس ثم عفا عن البعض منهم وبقي الآخرون منهم مستحرمين بضريح سيدي علي ابن حرازم الي تمام العام فردهم جميعا، وبعث السيد محمد الحاج الى تلمسان مع جميع أولاده الى أن مات بها ودفن في ضريح الشيخ السنونسي رضي الله عنه، وحدث من يوثق به من قرابة السيد محمد الحاج أنه لما أشرف على مدينة تلمسان التفت الى من حوله من أولاده وقال : سبحان الله : كنت أرى أني أدخل هذه المدينة مؤيدا منصورا، ثم إني دخلتها أسيرا مقهورا، فبقي أولاده هنالك الى أيام مولانا إسماعيل فوقعت الشفاعة فيهم فأمر برجوعهم لفاس وفي ذي الحجة خرج السلطان مولانا رشيد لحركة آيت عياش وفيه أمر بضرب السكة الرشيدية وأقرض تجار أهل فاس اثنين وخمسين ألف مثقال، وفيه بنيت قنطرة وادي سبو الأقواس الأربعة من ناحية فاس وكان تأسيسها عام ثمانين وألف وفيه خرج لحركة الأبيض <وقبض أولاد أخ الأبيض>(17) ولما بلغ تازا قتلهم، ثم مرض مرضا شديدا حتى أيس من الحياة فأمر بتسريح المساجين وأكثر من الصدقات فعفاه الله سبحانه، وفي شوال عمل العرس لأخيه مولانا اسماعيل بدار ابن شقرة، قال العلامة الأفراني إنه احتفل في ذلك العرس بما لم يعهد الناس مثله، وفي شوال عام احدى(18) وثمانين وألف تحرك لسوس، وفيه دخل تارودانت، وفيه استولى على هشتوكة وقتل منهم أزيد من ألف وخمسمائة، واستولى على أهل الساحل بعد أن قتل منهم أزيد من أربعة الاف، وفيه استولى على قلعة الغ دار

---

(15) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(16) البوعناني الحافظ الخطيب الفصيح ابو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان البوعناني ت 1098هـ 1686م.

(16) المجاصي - العلامة الجليل المحقق المحرر الحافظ ابو عبد الله محمد بن الحسن المعروف بالمجاصي وفي النشر، وفي بعض التقاييد المغراوي من مغراوة الجزائر ت 1103هـ 1691م نشر ج 3 ص 55.

(17) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(18) في الفاسية ما بين العلامتين (82).

ملك أبي الحسن بوحسون المعروف أيضا بأبي دميعة بعد أن قتل منهم بسفح الجبل أزيد من ألفين، وفيه قتل أخوه خليفته مولانا اسماعيل بفاس ستين من أولاد جامع على قطع الطريق وعلقهم بالأبراج الجديدة، وفيه أمر بضرب فلوس النحاس ‹المستديرة› (19) وكانت قبل ذلك مربعة، وجعلها أربعا وعشرين في المزونة، وكانت قبل ثمانيا وأربعين، ورجع لفاس في رجب من العام المذكور، وفي شعبان ابتدأ بناء مدرسة الشراطين بدار الباشا عزوز وأمر ببناء القصبة الجديدة بفاس بديار اللمتونة وعرصة ابن صالح أعطى ألف مثقال لبناء سورها وأمر أصحابه ببناء الدور فيها، وأعطى لشراگة ألف دينار لبناء قصبة(20) الخميس لأن هؤلاء الشراگة قدموا معه من الشرق واستخدمهم في جنده منهم من العرب الشجع وبنو عامر ومنهم البرابر وهم مديونة وبن سنوس وجعلهم قبيلة واحدة حيث أنفوا من ولاية الأتراك ففروا إليه، وخرج السلطان مولانا الرشيد لزيارة الشيخ أبي يعزى، ومنه ذهب لسلا ورجع لفاس، وفي عام اثنين وثمانين وألف وجه خيلا ‹للجهاد بطنجة ووجه خيلا›(21) لسوس قائدهم عبد الله أعراض وخرج للصيد بتفراطا، وبلغه قيام ابن أخيه مولاي أحمد ابن محرز بمراكش فرجع لفاس وخرج منها في عصر يومه فلقيه بفنزارة مقبوضا بيد أصحابه فوجهه لتافيلالت وسار لمراكش وبعث قائده زيدان لفاس ليأتي بالجيش، فأتاه أهل سوس طائعين، ولم يبق للحركة محل بعد أن خرجت الأخبية لوادي فاس، فأقام بمراكش إلى أن عيد عيد الأضحى، وفي ثاني العيد جمح به فرسه في بستان المسرة فأصابه غصن شجرة نارنج فكان فيه سبب موته رحمه الله تعالى، وفي ذلك أنشد بعض الأدباء :

وما شج ذاك الغصن رأس إمامنا — لسوء له خدن المحبة جاحد
ولكنه قد غار من لين قده — وأن من الأشجار ما هو حاسد

ودفن بمراكش الى أن نقله المولى اسماعيل لفاس ودفن بروضة الشيخ سيدي علي بن حرازم قيل بوصية منه بذلك.

قال الشيخ الأفراني : لطيفة : ذكر صاحب الذخيرة السنية في الدولة

---

(19) ما بين العلامتين سقط من (ف)
(20) في ف : (عرصة)
(21) ما بين العلامتين سقط من (ف)

المرينية ومنها نقلت : من بركات فاس الجديدة أنها ما مات فيها سلطان، وما خرج منها لواء الا نصر انتهى.

ومصداق ذلك أن مولانا الرشيد مع كونه مغرما بفاس أشد الغرام لما قرب أجله خرج منها وذهب لمراكش انتهى كلام الأفراني.

والخبر عن فاس الجديد بهذا شائع متواتر كاد أن يكون مطردا ودليله المشاهدة وذلك أنه قيل أن السلطان يعقوب ابن عبد الحق باني فاس الجديدة رصد له علماء دولته لتأسيسها طالع الأسد الذي هو بيت الشمس الدالة بإذن الله تعالى على الملك، ولذلك سمي باب المدينة المذكور باب السبع والله أعلم.

وكان السلطان مولانا الرشيد رحمه الله تعالى محبا في جانب العلماء، مؤثرا لأغراضهم معظما لحرماتهم، رافعا لأقدارهم، حتى إنه وجه لبعض الفقهاء يقرأ عليه فامتنع ذلك الفقيه وقال كما قال الامام مالك رضي الله عنه : العلم يؤتى ولا يأتي، وكما قال الامام محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه، فلما رجع الرسول الى مولانا الرشيد وأخبره بقول الفقيه وامتناعه قال صدق، فكان السلطان مولانا الرشيد يذهب اليه لداره فيقرأ عليه.

قال الأفراني في **الظل الظليل** كان مولانا الرشيد رحمه الله جوادا سخيا مفرطا في الجود، قصده الناس من المشارق والمغارب، ورحلوا إليه من أقطار بعيدة، والأرضين الشاسعة، وقصده بعض طلبة الجزائر مادحا ببيتين فوصله بمال جزيل وهما هذان :

فاض بحر الفرات في كل قطر ... من ندى راحتيك عذبا فراتا
غرق الناس فيه والتمس الفقـ ... ـر خلاصا فلم يجده فماتا

وكان مجلسه غاصا بأهل العلم يتجاذبون فيه أطراف الأحاديث ويتناشدون غرائب الأشعار، قال الافراني في صفوة من انتشر في صلحاء القرن الحادي عشر ما محصله : إن علماء فاس كانوا في مجلس السلطان مولانا الرشيد في بعض الأعياد : وكان من جملتهم المرابط المسناوي(22) فنظر اليه السلطان وعلم أنه يذكر ملك أسلافه وجلوسهم في ذلك المحل، وذلك من فراسته، وأراد مباسطته علي عادتهم(23) فأنشد قول المتنبي

---

(22) ابو عبد الله محمد الشهير بالمرابط محمد بن الشيخ ابي بكر الدلائي حائز قصب السبق في العلوم اللسانية ت سنة 1089 هـ 1678م نشر ج 2 ص 236.

ونظر الى جهة المرابط المذكور :

ومن نكد الدنيا علي الحر أن يرى   عدوا له ما من صداقته بد

فقال المرابط : ياسيدنا رحم الله من قال : من سعادة المرء أن يكون خصمه عاقلا انتهى.

قال مقيده عفا الله عنه : كان من الأدب المناسب لحضرة الملك أن يقول المرابط : من سعادة العبد أن يكون سيده عاقلا ولا يواجه السلطان بكونه خصما ويقر على نفسه بمخاصمته مع أنه سيده لا محالة لكونه أحسن في التجاوز عن ذنوب قومه وحقن دمائهم ولم يفضح شيئا من عوراتهم، وقرب هذا المخاطب ولم يبعده <من عز> (24) حضرته وانسه، بين أبناء جنسه، رحمه الله تعالى وجدد عليه سحائب الرضا والكرامة.

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا والافلالا.

---

(23) كذا في الاصل وفي غيره : (عادته) بإفراد الضمير

(24) ما بين العلامتين سقط من (ف).

الراية الثالثة من اللواء الأعظم من الجيش العرمرم
راية السلطان الناصر لدين الله تعالى مولانا إسماعيل
راية حمراء ذات الأذيال السابغة والأنوار البازغة

لما مات مولانا الرشيد رحمه الله وبلغ خبره لمكناسة بويع مولانا إسماعيل وقدم عليه أعيان أهل فاس وعلماؤهم واشرافهم ببيعتهم، وقدم عليه وفود أهل المغرب من الحواضر والبوادي بهداياهم وبيعاتهم، فجلس للوفود الى أن فرغ من شأنهم ورتب أشغاله من مكناسة، إذ كان لا يبغي بها بدلا حيث أعجبه ماؤها وهواؤها، وشرع في بناء قصوره بها بجوار قصبة الموحدين، ووجه العساكر للنواحي وتوجه لمراكش إذ لم يأته أحد من أهلها، ويلغه أن ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز توجه لتلك الناحية انتهى، هكذا قال في البستان، وهو مخالف لما عند العلامة المحقق الافراني في الظل الظليل وفي آخر النزهة، ونصه : لما توفي مولانا الرشيد رحمه الله تعالى على ما سلف ذكره في خبر وفاته بلغ ذلك لمولانا إسماعيل بفاس الجديد ليلة الأربعاء السادس عشر من ذي الحجة، وكان مولانا إسماعيل في كفالته وتحت ولاية نظره، واستخلفه على مكناسة، ولما ظهرت له نجابته واختبر حسن سيرته، ورأى من فطانته ما زاد به ولوعا بشأنه استخلفه بفاس الجديد وأسكنه بها وزوجه إحدى الحظايا من بنات الملوك السعديين، فكان عرسه من الأمثال السائرة لم ير الناس وليمة مثلها <ولا حضروا عرسا أعظم منه ولا أبصروا من صنع مثله>(1) ولا سمعوا في الأعصار المتأخرة من قاربه، ولما تحقق الناس موت مولانا الرشيد لحقهم من الأسف ما لا يعبر عنه، وأقبلوا على مولانا إسماعيل وراودوه على المبايعة له والانتصاب للإمامة، فأظهر الامتناع واعتذر بالضعف وقلة الأنصار، فلم يزالوا معه حتى قبل، فانعقدت له البيعة، وحضرها أكابر أهل المغرب، ووافق عليها أهل الحل والعقد من العلماء والأشراف كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي والشيخ أبي علي اليوسي وأبي عبد الله محمد بن علي

---

(1) ما بين العلامتين سقط من (ف)

الفلالي(2) وأبي العباس احمد بن سعيد المجلدي(3) وأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأخيه أبي زيد، والقاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن المجاصي، والقاضي أبي مديان(4) وغيرهم من بقية الأعيان، وكانت مبايعته في الساعة الثانية من يوم الأربعاء سادس عشر ذي الحجة متم اثنين وثمانين وألف، ووافق ذلك اليوم الثالث(5) من أبريل، وكان سنه إذ ذاك ستا وعشرين سنة لأن ولادته كانت عام وقعة القاعة، وهي مؤرخة بخط من يوثق به سنة ست وخمسين وألف انتهى.

فلما بلغ مراكش تلقاه أهلها بالحرب، فهزمهم ودخل مراكش عنوة فطلبوا منه الأمان فأمنهم وعفا عنهم، ثم نقل أخاه مولاي الرشيد في تابوت ووجهه [لفاس](6) فدفن في روضة الشيخ ابن حرازم كما تقدم، ورجع من مراكش وفرق الراتب على الجنود بقصد الحركة للصحراء، ثم إن أهل فاس قتلوا قائد المحلة زيدان بن عبيد العامري فاستمر الحرب بينه وبينهم، فوجهوا لابن أخيه مولاي أحمد بن محرز يأتيهم، فقدم لدبدو وبعث لهم رسوله فأعلنوا بنصره في المدينة، وبالليل وجهوا عشرة من الخيل لملاقاته بتازا، ثم أصبح عليهم رسول الخضر غيلان بأنه قدم لتطوان من الجزائر ومعه النقسيس فتوجه السلطان مولانا إسماعيل بعساكره نحو ابن أخيه لتازا، فلما بلغها رجع مولاي أحمد <لتافلالت>(7) ورجع مولانا إسماعيل للغرب بقصد غيلان الى ان ظفر به فقتله، ورجع لفاس الجديد فوقع الصلح بينه وبين أهل فاس بعد حصار أربعة عشر شهرا(8) وثمانية عشر يوما وخلف بفاس الجديد عبد الرحمان المتراري وقيد على فاس أحمد التلمساني، فعاث في المدينة بالضرب والسجن والنهب ورجع السلطان لمكناس واشتغل ببناء قصوره بعد أن هدم ما يلي القصبة من الدور، وأمر

---

(2) الفلالي وبه عرف الفقيه الاستاذ قاضي فاس العليا، توفي سنة 1089هـ-1678م.

(3) المجلدي احمد بن سعيد قاض فاس العليا، اجاز له أبو سالم العياشي، وله كتب فهرسته، قلت : كان العياشي يعتبره كثيرا الى حد أنه لما سمع به انه أراد التوجه الى أداء فريضة الحج كتب له رحلة اصغر من رحلته الكبيرة، سماها تعداد المنازل المقتصر فيها على ذكر المراحل. قال في الدليل اخبره محمد الفاسي ان نسخة منها عند العلامة عبد الحفيظ الفاسي، وفي نسختنا عدم ذكر تسميتها تعداد المنازل والخطب سهل، توفي المترجم 1084هـ-1682م.

(4) لم نهتد لترجمته

(5) في (ف) [الثاني]

(6) ما بين المعقوفين زيادة من (ف)

(7) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(8) في (م) أربعة أشهر

أربابها بحمل أنقاضها، وبنى لهم سورا على الجانب الغربي وأمرهم ببناء دورهم به وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة وزاده في القصبة ‹القديمة›(9) ولم يبق أمامه إلا الفضاء، فجعله كله قصبة، وبنى سور مدينة مكناس وأفردها عن القصبة، وأطلق أيدي الصناع في البناء وجلبهم من حواضر المغرب فلم يبلغ بذلك غرضه، ففرض الفعلة على قبائل المغرب مناوبة كل قبيلة توجه عددا معلوما من الرجال والبهائم في كل شهر ورتب على أهل الحواضر الصناع في كل شهر من البنائين وغيرهم من جميع الصنائع، وأسس المسجد الأعظم بداخل القصبة بجوار قصر النصر الذي كان أسسه أيام أخيه مولانا الرشيد، ثم أسس الدار الكبرى العظيمة التي بجوار ‹ضريح›(10) الشيخ المجذوب(11) وفي محرم أربع وثمانين وألف بلغهُ دخول ولد أخيه مولاي أحمد بن محرز مراكش وكان متوجها لانجاد حيث عاث الأعراب في تلك الطرقات، فتوجه لهم وأخذ سقونة ونهب أموالهم وقتل منهم عددا كثيرا ورجع واستعد لحرب ابن محرز، فتوجه له في العساكر العديدة على تادلة فكان اللقاء بينهما على وادي العبيد ببو عقبة، فانهزم مولاي أحمد ومات قائد محلته حيدة الطويري ورجع لمراكش فتبعه السلطان ونزل على مراكش عام ستة وثمانين وألف، فقتل بالمحلة الشيخ عمر البطيوي وولده عبد الله أعراض وإخوته كانوا أمراء عساكره فبلغه عنهم إرادة المكر فخنقهم، ووجه لمن بقي منهم بفاس فقبضوا وقتلوا وحيزت ديارهم وأموالهم، وأقام السلطان على حرب مراكش الى ربيع الثاني عام سبعة وثمانين وألف، فوقع قتال عظيم قتل فيه من الفريقين ما لا يحصى، فانحصر مولاي أحمد بمراكش وبقي يقاتل من الأسوار، واستمر عليه الحصار الى ربيع الثاني من عام ثمانية وثمانين وألف، ففر مولاي أحمد ودخل السلطان مراكش ‹عنوة›(12) فاستباحها وقتل سبعة من أعيانها وكحل منهم ثلاثين، وفي أثناء مقامه بمراكش خرج يوما للصيد بالبحيرة فوجد رجلا بيده شفرة يقطع بها السدر لغنمه تأكل ورقه فقال

---

(9) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(10) ما بين العلامتين سقط من (م) و (ف)

(11) عبد الرحمن المجذوب دفين مكناس، كان جامعا بين السلوك والجذب ترجمه ابن زيدان في الاتحاف سنة 976هـ-1568م وضريحه بالمشهد الاسماعيلي بمكناس.

(12) ما بين العلامتين سقط من (ف).

للوزعة نادوا أبا الشفرة فأتوا به وأوقفوه أمامه فسأله فانتسب له الى الوداية وأخبره أنهم دخلوا من القبلة بسبب الجدب(13) ودخلوا السوس بنجعهم وافترقوا، كل قصد قبيلة نزل بها، ونحن مع الشبانات، فقال له : أنتم أخوالي، وقد سمعتم خبري ولم تأتوني، والآن أنت صاحبي، فإذا روحت غنمك فاقدم إلي لمراكش وكلف به من يوصله إليه، ولما قدم عليه كساه وأركبه وأعطاه خيلا وكلفه بجمع إخوانه من قبائل الحوز، فجمع من وجد منهم ونقلهم بحلتهم الى مكناسة، ثم دخل نجع آخر بعدهم فكتبهم السلطان في الديوان، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، وعين لهم بجوار قصبته [بمكناس](14) المحل المعروف بالرياض، وأمرهم ببناء الدور، وأعطى لأعيانهم النوائب، وهي الزوايا التي لا تغرم مع القبائل، ثم قدم عليه نجع آخر فكتبهم مع إخوانهم، ولما نقل زرارة والشبانات قوم(15) كروم الحاج من الحوز الى وجدة أخرج الشبانات الذين كانوا بفاس الجديد مع الدريدي ووجههم لوجدة مع إخوانهم، وأعطى فاسا الجديد لأخواله الوداية وجه نصفهم لها وبقي نصفهم بالرياض، وقائدهم علي بوشفرة، والذين بفاس قائدهم محمد بن عطة ‹وكانا يتداولان، مرة هذا ومرة هذا، ثم استقر الأمر على كون بوشفرة بفاس ومحمد بن عطة›(16) بالرياض، وأما خبر زرارة والشبانات وأولاد جرار وأولاد مطاع فإنهم كانوا جندية مع الدولة السعدية وهم عساكرهم، وكانوا يحركونهم بحللهم فأنزلوهم بأزغار على رغم أنوف ‹عرب›(17) جشم من الخلط وأهل الغرب الذين كانوا شيعة لنبي مرين، وكانوا كلما رأوا فشلا في دولة السعديين ثاروا وغدروا، فعين لهم محمد الشيخ هؤلاء المذكورين وأنزلهم بأزغار قمعا وزجرا لهم، فإذا وقع فتور في الدولة قاموا لهم وأوقعوا بهم، هذا دأبهم دائما الى أن نقل المنصور منهم أولاد مطاع ‹لزبيدة›(18) وأوقع بجشم وأسقطه من الجندية ونزع منهم الخيل والسلاح، وقبض منهم الأموال، وتركهم عراة حفاة بين القبائل

---

(13) في (ف) الحرب
(14) ما بين المعقوفين زيادة من (م) و (ف)
(15) في (ف) قدم
(16) ما بين العلامتين ساقط من (م)
(17) ما بين العلامتين سقط من (ف)
(18) ما بين العلامتين سقط من (ف)

يسرحون ويحرسون بالخمس، ولما هرمت الدولة السعدية اجتمعوا ورجعوا لأزغار وتحولوا وأكثروا من الخيل والسلاح الى أن ملك السلطان هذا مولانا إسماعيل فانتزع منهم الخيل والسلاح، وضرب عليهم المغارم، واستمروا على ذلك الى أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله، فظهروا في دولته وكانوا يعسكرون معه في الحروب ويغرمون ما وجب عليهم في الزكوات، وكذلك مع ولده السلطان مولانا سليمان، وحسنت طاعتهم وخدمتهم ليمنه وبركته، وكذلك قبائل المعقل أهل الحوز ما زالوا على الخدمة والطاعة على هذا المنوال في جميع الأوامر السلطانية حفظهم الله تعالى.

وفي مدة إقامة السلطان مولانا إسماعيل بمراكش بعد فرار مولاي أحمد بلغه اجتماع البربر على أحمد بن عبد الله الدلائي وعيثهم فيمن جاورهم من قبائل العرب من تادلة الى سائس فوجه عسكرا لأهل تادلة إعانة لهم فهزمهم البربر واستولوا على تادلة، ووجه عسكرا آخر مع القائد يخلف فيه ثلاثة آلاف من الخيل فقتل يخلف ونهب(19) عسكره، ثم أعقبه بعسكر آخر فوقع له مثل الأول {والثاني}(20) هذا والسلطان بمراكش في ارتقاب مولاي أحمد بن محرز الذي بالسوس الأقصى، ثم بلغه أيضا قيام أخيه مولاي حمادى بالصحراء ومحاربته مع أخيهما مولاي محرز الثائر هناك أيضا، فقام لحرب البربر بتادلة فلقيه أخوه مولاي الحران جاء يستنصره على مولاي حمادى، فلما وقع الحرب مع البرابر بتادلة وهزمهم السلطان وقطع منهم سبعمائة(21) رأس ووجهها مع عبد الله الروسي لفاس، فلما بلغ الروسي لفاس زينت المدينة وخرجت المدافع، وبعد الظفر فر مولاي الحران من المحلة للصحراء، وذهب السلطان لمكناس عام ثمانية وثمانين وألف، وولى علي فاس عبد الله الروسي وولى أباه حمدانا على الإرائة، وولى القضاء السيد العربي بردلة، وأمر بقتل مساجين أهل تطوان الذين بسجن فاس وعددهم عشرون، قطعت رؤوسهم، ثم جئ بمولاي الحران مقبوضا من الصحراء، فلما قابله أمر بتسريحه وأعطاه خيلا ومداشر

---

(19) في (ل) وذهب

(20) ما بين المعقوفين زيادة من (ل)

(21) في (ل) تسعمائة

بالصحراء يعيش بها ووجهه وأقام بمكناسة يقف على البناء، وكلما أكمل قصرا أسس غيره، ولما ضاق مسجد القصبة بالناس أسس الجامع الأخضر أعظم منه وجعل له بابين بابا للمدينة وبابا للقصبة، وجعل لهذه القصبة عشرين بابا عادية في غاية السعة والعلو والارتفاع، وفوق كل باب منها زج(22) للمدافع النحاسية العظيمة الأجرام(23) والمهاريز الحربية الهائلة الأشكال مما يقضى منه العجب، وجعل بهذه القلعة بركة عظيمة تسير فيها الزوارق والفلائك للتفرج، وجعل فيها <هريا>(24) لاختزان الزرع مقبو القنانيط يسع زرع أهل المغرب كله، وجعل بجواره سواني للماء في غاية العمق مقبوا عليها، وفي أعلاها سقالة مستديرة لوضع المدافع موجهة لكل ناحية، وجعل بها إسطبلا لربط خيله وبغاله طوله فرسخ مسقف الدائرة بالبرشلة على سواري وأقواس هائلة كل فرس مربوط في قوس، وبين الفرس والفرس عشرون شبرا، يقال إنه كان مربوطا فيه اثنا عشر ألف فرس مع كل فرس سائس ونصراني من الأسارى لخدمته، وفي هذا الاسطبل ساقية الماء مقبو عليها، وأمام كل فرس ثقب مفتوح يرد منه كالمعدة، وفي وسط هذا الاسطبل قباب معدة لوضع السروج على أشكال مختلفة، وفيه هري عظيم مربع مقبو على أساطين عظيمة وأقواس عالية يقال إنه كان يوضع بها سلاح الخيل، وضوؤه من شبابيك في جوانبه الأربع، كل شباك يزيد وزنه على قنطار من الحديد، وفوق هذا الهري قصر يقال له المنصور، لا يقصر ارتفاعه على مائة ذراع، خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى، فيه عشرون قبة كل قبة فيها شرجب له شباك من حديد يشرف منه أهل القبة على بسائط مكناس من الجبل الى الجبل، وكل قبة بالبرشلة والقرمود منها أربع قباب متقابلات سعة <كل واحدة سبعون شبرا تربيعة وباقي العشرين كل واحدة أربعون شبرا تربيعة>(25) ويجاوز هذا الاسطبل بستان على قدر طوله فيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب عجيب، طوله فرسخ وعرضه ميلان، ويتخلل هذه القصور التي في القلعة مماشي متسعة مستطيلة وأبواب عظيمة فاصلة بين كل ناحية والأخرى،

---

(22) كذا بالأصل ومثله في (ف) اما (م) ففيها برج

(23) في (ف) الابراج

(24) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(25) ما بين العلامتين ساقط من (ف) ومن (م)

ورحاب عظيمة مربعة عارية معدة لعمارة المشور في كل جانب لا يحيط به وصف الواصفين، وذلك شئ لم ير في دولة من دول العرب والعجم ‹والمشارق والمغرب›(26) قال الزياني وقد شاهدنا آثار الأقدمين بالمشرق والمغرب والترك والروم فما رأينا مثل ذلك في دولهم ولا آثارهم بل لو اجتمع آثار دول ملوك الإسلام لرجح به ما بناه مولانا إسماعيل في قلعة مكناسة دار ملكه، وما زال ذلك البناء مع طول الدهر قائما كالجبال الرواسي لم تلحقه عواصف الرياح ولا زعازع الزلازل ولا كثرة الأمطار والثلوج التي تخرب المباني، ومن يوم مات المولى إسماعيل والملوك من أولاده وحفدته يخربون تلك القصور على قدر جهدهم ويبتنون بأنقاضها القصور من الرخام والزليج والخشب، وبنيت بأنقاضها مساجد ومدارس ورباطات بكل بلد من بلدان المغرب، وما أكملوا نصفها هذه مدة نحو مائة سنة، وأما الجدارات فما زالت ماثلة كالجبال الشوامخ، وكل من شاهد تلك الآثار من سفراء الترك والروم يتعجب منه ويقول : هذا ليس من عمل بني آدم، ولا يقوم به مال، رحمه الله تعالى انتهى.

قال مقيدة محمد بن أحمد أكنسوس عفا الله عنه : لو شاهد المنصور الذهبي سورا واحدا من أسوار السلطان مولانا إسماعيل لعلم أن ما أفنى فيه عمره من ذلك المنزل المسمى بالبديع إنما هو في التمثيل كدار إبليس التي تباع في عاشوراء يلعب بها البنات، ولا تحتاج المشاهدة لإقامة البينات، فسبحان من اقدر العبد العاجز على أمثال هذا.

وكان السلطان مولانا إسماعيل لما بلغ مراكش أول أمره وكان يكتب عسكره من القبائل حسبما تقدم حتى أتاه عمر عليلش(27) وكان أبوه كاتبا مع الذهبي السعدي ومع أولاده من بعده بدفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في عسكر الذهبي، فسأله السلطان هل بقي منهم أحد ؟ فقال نعم كثير منهم بأعيانهم ومن أولادهم، وهم متفرقون بمراكش وحوزها وفي قبائل الدير، ولو كلفني سيدي بجمعهم لجمعتهم، فولاه أمرهم وكتب له الى قواد

---

(26) ما بين العلامتين ساقط من (ف).

(27) عليلش عمر (صاحب جمع عبيد البخاري بوكالة محمد بن العياشي الذي أشار على المولى اسماعيل بجمع عبيد البخاري، راجع قصة ذلك الجمع وسبب ذلك في الاتحاف لمؤرخ الدولة ابن زيدان ج 5 ص 100 بترجمة محمد بن العياشي سنة 1139هـ-1726م.

القبائل بإعانته على جمعهم، واشتغل يبحث عنهم بمراكش حتى جمع من وجد منهم به، هذا سبب جمع عبيد البخاري كما وجد ذلك في كناش الوزير الأعظم الكاتب الأجل الأفخم اليحمدي(28) فلما جمع عليلش عبيد مراكش خرج للدير فجمع من وجد به، ثم توجه لقبائل الحوز فجمع من وجد فيها، فلم يترك بتلك القبائل <كلها>(29) أسود سواء كان مملوكا أو حر طانيا، فجمع في سنة واحدة ثلاثة آلاف نفس منهم المتزوج وغيره، فكتبهم في دفتر ووجهه للسلطان، فلما قرأه سر بذلك وأمر أن يشتري الإماء للأعزاب ويخلص المالك (كذا) منهم بدفع الثمن لملاكهم ويكسوهم من أعشار أهل مراكش ويأتيه بهم لمكناس، فقام عليلش بذلك واشتغل بشراء الإماء وجمع الحرطانيات الى أن استوفى الغرض وكساهم وحملتهم القبائل من قبيلة الى أخرى الى أن بلغوا مكناسة، فكساهم السلطان، وأعطاهم السلاح، وعين القواد عليهم، ووجههم للمحلة بمشرع الرمل، ثم كلف كاتبه محمد بن العياشي(30) المكناسي يخرج لقبائل الغرب وبني حسن ويجمع من العبيد من كان لا ملك لأحد عليه يأخذه مجانا، ومن كان مملوكا <يعطي لصاحبه ثمنه، فخرج لذلك وطاف على القبائل فجمع كل أسود وجده من كان مملوكا>(31) أعطى لصاحبه عشرة مثاقيل، ومن كان غير مملوك أخذه بلا شيء، وأمر عماله كلهم أن يشتروا له العبيد من فاس ومكناس وغيرهما من المدن عشرة مثاقيل للعبد وعشرة للأمة الى أن لم يبق عند أحد عبد، فاجتمع من ذلك ثلاثة آلاف فكساهم وسلحهم ووجههم للمحلة بعد أن عين عليهم القواد، ثم قدم محمد بن العياشي بدفتر فيه ألفان من العبيد فيهم المتزوج والأعزب فكتب للقائد بن عبد الله الريفي أن يشتري للعزاب منهم الإماء ويكسوهم ويعطيهم السلاح من تطوان ويعين لهم قوادهم ويوجههم لمشرع الرمل، ففعل ذلك، هذا عدد من نزل بالمحلة في ابتداء جمعهم، ثم كلف أهل دكالة والشاوية أن ياتوا بعبيد المخزن الذين عندهم، فلم يمكنهم إلا جمعهم، فجمعوا كل عبد في قبائلهم وكملوا من عندهم بالشراء

---

(28) اليحمدي أبو عبد الله محمد بن أحمد نسبة الى بني يحمد القبيلة المعروفة قرب جبال اغمارة "تأتي ترجمته في سالفة الجيش وترجمه في الاتحاف ج 4 ص 106.

(29) ما بين العلامتين ساقط من (ل).

(30) ابن العياشي السابق تحت رقم 27.

(31) ما بين العلامتين ساقط من (م).

واشتروا لهم الخيل والسلاح وكسوتهم وأتوابهم، من الشاوية ألفان، ومن دكالة ألفان، فأنزلوهم بوجه عروس الى أن بنى قصبة ادخسان فأنزل أهل دكالة بها وأنزل الشاوية بزاوية الدلاء، ثم في عام تسعة وثمانين وألف توجه لتدويخ السوس وتمهيده، فبلغ الى طاطا وتيشت(*) وأقا وشنقيط، وقدمت عليه وفود العرب أهل الساحل والقبلة مغافرة وديلم وبربوش ومطاع وجرار وودى، وأدوا طاعتهم، وكان في ذلك الوفد الشيخ بكار والد السيدة خناثة أم السلاطين، فتزوجها السلطان وبنى بها وجلب في تلك الحركة ألفين من الحراطين بأولادهم من الأقاليم المذكورة فكساهم بمراكش وسلحهم ووجههم للمحلة، ورجع لتمام العام، وأقام بمكناس ثم توجه لحركة الشرق فترك تلمسان عن يساره وأصحر عنها فقدمت عليه وفود العرب من ذوي منيع ودخيسة وحميان والمهاية والعمور واولاد جرير وسقونة وبني عامر والجشم، فتوجه بهم الى أن نزل القويعة على رأس واد شلف، والذين قادوه وكانوا معه في محلته هم بنو عامر فخرجت محلة الترك من الجزائر بقضهم وقضيضهم ومدافعهم ونزلوا على وادي شلف في مقابلته، ولما كان في وقت العشاء أرعدت مدافعهم ليدهشوا العرب، فكان الأمر كذلك، فلما انتصف الليل فر بنو عامر من محلة السلطان، فلما أصبح وسمع الأعراب بفرارهم انهزموا دون قتال ولم يبق مع السلطان إلا عسكره، فكان ذلك سبب تأخره عنهم ورجوعه دون قتال، وكاتبه الترك أن يتخلي عن بلادهم ويقف عند حد أسلافه ومن كان قبله من الملوك السعدية فإنهم ما زاحموهم قط في بلاده، وبعثوا له كتاب أخيه مولاي محمد بن الشريف الذي وجه لهم مع رسولهم وكتاب مولاي الرشيد الذي فيه الحد بينهم وبينه، فوقع الصلح على أن الحد <وادي>(32) تافنى، ورجع السلطان لوجدة فأمر ببنائها ثم رجع منها لفاس ثم لدار الملك، وذلك كله عام تسعة وثمانين وألف وفيه بلغه خروج إخوته الثلاثة مولاي الحران ومولاي هاشم ومولاي أحمد وثلاثة من بني عمهم ودخلوا لقبائل عطة من البرابر، فتوجه لهم بالعساكر على سجلماسة ووقع بينهم الحرب بجبل ساغرو ومات فيه قائد العسكر موسى بن يوسف ومن أهل فاس أربعمائة دون غيرهم، وكان في تلك السنة وباء

(*) في الأصل : «ليسنت»

(32) ما بين العلامتين ساقط من (ف).

عظيم في كل بلد فانهزم إخوته وفروا للصحراء ورجع السلطان <على>(33) طريق الفايجة فأصابهم الثلج في ثنية الجلاوي وأهلك <الناس>(34) وأتلف أثقالهم وأبنيتهم ولم يخلصوا منه إلا بمشقة عظيمة، ولما نزلوا بزاوية سيدي رحال(35) مدوا الأيدي في أموال الناس بالنهب لما لحقهم من ضرر الجوع، فاشتكى الناس من ذلك على السلطان فأمر بقتل كل من وجدوه خارج المحلة، ثم أمر بالوزير أن يجر الى مكناس وفاس ففعل به ذلك ورمى باقيه، وقتل السلطان في تلك الوقعة نحو الثلاثمائة، والوزير المذكور هو عبد الرحمان المترارى(36) وقتل السلطان جميع أصحابه بالرصاص، ورجع السلطان بمكناس فأقام بها، وفي محرم عام تسعين وألف وقع الوباء بالمغرب فكان العبيد يتعرضون بسبو على الطرقات يردون(37) الناس عن مكناسة، وكذلك كانوا يتعرضون بسايس وكل من يأتي من فاس يقتلونه فانقطعت السبل، وفيه نقل السلطان الشبانات وزرارة قوم كروم الحاج الى وجدة لما كانوا عليه من الظلم والفساد والجور في الحوز، وكتبهم في الديوان وقيد عليهم العياشي بن الزويعر الزرارى وأمرهم بالتضييق على بني يزناسن إذ كانوا شيعة الترك فكانوا يغيرون عليهم ويمنعونهم من الحرث في بسائط أنجاد، وأمر أن تبنى عليهم قلعة بطرف بلدهم من ناحية الساحل ضد وجدة برقادة، وأمر العياشي أن ينزل بها خمسمائة من الخيل من أصحابه تمنعهم النزول والحرث ببسيط التريعة، وأمر أن تبنى قلعة ثالثة بطرف بلادهم بالعيون وينزل فيها ابن الزويعر خمسمائة من الخيل من إخوانه، وأمر أن تبنى قلعة رابعة بطرف بلادهم على ملوية ويجعل فيها خمسمائة فارس من إخوانهم، وجعل لابن الزويعر النظر في القلاع الثلاث وهو بوجدة في ألف فارس، وكانوا في الدفتر ألفين <وخمسمائة>(38) وفي إحدى وتسعين وألف خرج السلطان في العسكر لبني يزناسن لتماديهم على

---

(33) ما بين العلامتين ساقط من (ل).

(34) ما بين العلامتين ساقط من (ل).

(35) الشيخ المشهور الشريف السملالي أبو العزائم رحال الكوش بن احمد. المترجم في الاعلام ج 3 ص 223 وفيه مصادر ترجمته توفي رضي الله عنه سنة 950هـ-1543م.

(36) وقد ذكر في "النشر" ج 2 ص 268 ضمن حوادث 1090 هـ وبها قتل، كما نص الزياني في "البستان" مخطوط خاص" ص 37 وكذا "الروضة السليمانية" (مخطوط خاص) ص 101 وفي (الاستقصاء) ج 4 ص 28 ط مصرية زاد فيه قتله لأمر نقمه عليه.

(37) في (ل) يرمون

(38) ما بين العلامتين سقط من (ل)

الطغيان فدخل عليهم جبلهم وهتك حرمتهم ونسف نعمتهم وخرب قراهم وحرقها وقتل رجالهم وسبى أولادهم، فطلبوا الأمان فأمن بقيتهم على أن يدفعوا الخيل والسلاح التي عندهم فدفعوها عن يد وهم صاغرون، وقاموا بدعوته على رغم أنوفهم، ثم نزل ببسيط أنجاد، ومعه قبائل الأحلاف وسقونة فأرجلهم وأخذ خيلهم وسلاحهم وكلف أشياخهم أن يجمعوا ما بقى منها ففعلوا، ثم بالمهاية وحميان كذلك، ثم رجع، ولما نزل أمر ببناء قلعة تاوريرت التي بناها بنو مرين فجددها وأنزل فيها مائة من العبيد بأولادهم، ولما نزل بوادي مسون أمر أن تبنى بها قلعة بجوار القديمة وأنزل بتازة ألفين من الخيل وخمسمائة من عبيده وقيد عليهم منصور بن الرامي وجعل نظر القصابى التي بين تازة الى المنصور بن الرامي وعين لكل قبيلة قلعتها التي تدفع بها زكاتها وأعشارها لعولة العبيد وعلف الخيل، وهم حراس الطرقات، فمن وقع شئ في أرضه يعاقب <عليه>(39) قائد تلك القلعة، ولما بلغ الكور أمر أن تبنى بها القلعة وأنزل بها مائة من الخيل من عبيده بأولادهم، ولما بلغ لفاس أنزل بقصبة الخميس التي بنى سورها أخوه السلطان مولانا الرشيد خمسمائة من الخيل <بأولادهم>(40) من الشراقة الذين أتى بهم مولانا الرشيد من العرب والبربر، فمن العرب بنو عامر والشجع، ومن البربر بنو سنوس ومديونة، وجعلهم قبيلة واحدة، ثم أمر ببناء قلعة بالمهدوية وأخرى بالجديدة، وأنزل بكل واحدة مائة من الخيل من وصفانه بأولادهم لحراسة الطريق، وبكل قلعة فندق لمبيت القفل، وفي عام اثنين وتسعين وألف ورد الخبر أن مولاي أحمد بن محرز الذي بالسوس استولى على بلاد آيت زينب وقويت شوكته، فأمر بتفريق الراتب وتقويم الحركة من فاس، ثم بلغه إشراف العساكر التي بالمهدية على الفتح وتوقفوا على حضوره، فتوجه إليهم حتى حضر الفتح وأخرج رئيس النصارى فأمنه وأخرج أصحابه وكانوا ثلاثمائة وستة، والغنيمة أحرزها المجاهدون أهل الريف والفحص الذين كانوا رابطين عليها مع القائد عمر أحد والبطيوي، ورجع السلطان لمكناسة وتوجه المجاهدون مع أميرهم عمر بن حدو فأصابه الوباء فمات في طريقه فتولى رئاسة المجاهدين أخوه أحمد بن حدو وفي

(39) ما بين العلامتين ساقط من (ف).
(40) ما بين العلامتين ساقط من (ف).

ثلاث وتسعين وألف خرج السلطان لحركة الشرق فنهب بني عامر ورجع لمكناسة وأمر بإخراج أهل الذمة من المدينة وبنى لهم خارجها ببريمة ثم بلغه أن الترك جاءوا بمحلتهم واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل وان كلامهم مع ولد أخيه مولاي أحمد بن محرز راسلهم وراسلوه، وبلغه ذلك أيضا من خليفته بمراكش فكتب له ان يبقى في حراسة مولاى أحمد بن محرز الى أن يرجع من حركة تلمسان فخرج(41) بالعساكر للقاء الترك فوجدهم رجعوا، ولما بلغهم خروج النصارى بشرشال وأعانهم أهل الجزائر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأخرجوهم ومات من المسلمين نحو السبعمائة ورجع السلطان قاصدا مراكش ومنها للسوس فتلاقى مع ولد أخيه مولاي أحمد بن محرز ووقع القتال خمسة وعشرين يوما مات فيها من الفريقين ما لا يحصى، ودخل مولاي أحمد لتردانت فانحصر بها ثم وقع بينهما حرب أخرى مات فيها خلق كثير وجرح السلطان وجرح مولاي أحمد بن محرز واستمر الحال الى رمضان من العام المذكور.

قال مقيده محمد بن أحمد أكنسوس لطف الله به وعفا عنه : حدثني بعض الثقات أن السلطان مولانا إسماعيل لما ضاق عليه الأمر في هذه الوقعة وأعياه أمر ولد أخيه هذا أصبح يوما مكتئبا دهشا وقال لصاحبه <ووزيره>(42) الفقيه أبي العباس السيد أحمد اليحمدي إنني رأيت رؤيا في هذه الليلة أحزنتني غاية، فقال : وما هي ؟ لعلها تكون خيرا إن شاء الله تعالى، قال : رأيت كأن هذه الجنود التي معنا ما بقي منهم أحد ولم يبق إلا أنا وأنت منفردين في غار مظلم، فسجد اليحمدي شكرا وأطال السجود فرفع رأسه وقال : أبشر يا مولانا فقد نصرنا على هذا الرجل، فقال له السلطان من أين ظهر لك هذا ؟ فقال له من قوله تعالى : {إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} قال عليه الصلاة والسلام : «فما ظنك باثنين الله ثالثهما» ففرح السلطان بذلك غاية الفرح وزال ما حصل له من الحزن والاكتئاب، وعلم أن رؤياه بشارة من الله تعالى ببركة هذا الجليس الصالح والرفيق المبارك، فوقع الصلح بينهما ورجع السلطان لمكناسة فدخلها في القعدة الحرام.

---

(41) في (ل) فرجع

(42) ما بين العلامتين لا يوجد (ل).

وفي هذه السنة أمر السلطان بقبض جميع القضاة فامتحنوا ووصفوا بالجهل وسجنوا بمشور فاس الجديد على أن يتعلموا ثم أخرجوا أيام المولد لمكناس فهددوا أيضا حتى أمر بحبس بعضهم أو بالقتل وأطلقوا معزولين، انتهى من الأزهار الندية، قلت : لعل المراد بذلك قضاة البوادي أو [يراد](43) العموم لأن من ولي الجاهل وقبل خطابه هو الجاهل الأكبر، ثم إذا وقع النظر <ووقع>(44) الاحتجاج وأفضى الحال الى الضرورة <في البوادي>(45) ظهر حكم آخر.

وفي عام أربعة وتسعين وألف خرج السلطان في العساكر لجبل فازاز لحرب البرابر من صنهاجة الذين به، فلما سمعوا بخروجه انهزموا وخرجوا لملوية فاختط السلطان قلعة بعين اللوح بسفح جبلهم ثم نزل بعين أزرو فأمر ببناء قلعة هناك أيضا بسفح الجبل، ثم تبع اثارهم الى أن دخلوا جبل العياشي وتربص بملوية الى أن دخل فصل الشتاء وقصده بذلك التربص إتمام بناء سور القلعتين، ولما رجع أنزل بقلعة أزرو ألف فارس <وبقلعة عين اللوح خمسمائة فارس>(46) فاستراح من ضررهم بطريق سايس، ولما قلت عليهم الأقوات لمنعهم من البسائط قدم على السلطان وفودهم لمكناسة تائبين فأمنهم على <شرط>(47) دفع الخيل والسلاح والاشتغال بالحرث والنتاج فدفعوها عن يد وهم صغرون، وهم آيت ادراسن ودفع لهم عشرين ألفا من الغنم كلفهم برعايتها وحفظها <وأسقط عنهم الوظائف>(48) فصلحت أحوالهم، وفي كل عام يزيدهم الغنم الى أن بلغ عددها ستين ألفا يدفعون كل عام صوفها وسمنها.

وفي عام خمسة وتسعين وألف ورد على السلطان خبر فتح طنجة دخلها المسلمون لما ضاق بالكفار الأمر وطال عليهم الحصار هدموها وتركوها <وخرجوا>(49) واشتغل قائد المجاهدين علي بن عبد الله ببناء ما تهدم من أسوارها ومساجدها وحرث بقرب منها مركب قرصاني فيه مال

---

(43) ما بين المعقوفين زيادة من (ف).
(44) ما بين العلامتين سقط من (ف).
(45) ما بين العلامتين سقط من (ف)
(46) ما بين العلامتين سقط من (ف)
(47) ما بين العلامتين سقط من (ف)
(48) ما بين العلامتين سقط من (ف)
(49) ما بين العلامتين سقط من (ف)

وبضائع جاء مددا لأهل سبتة فحارب المسلمون أهله ودفعوهم عنه واحتووا على ما فيه. وكلف السلطان غمارة بجر مدافعه النحاسية لمكناسة، ووجه الرماة من فاس فأتوا بها لأربعين يوما.

وفي عام ستة وتسعين وألف خرج السلطان حاركا لملوية وجعل طريقه على صفرو ففرت قبائل البرابر لرؤوس الجبال، وهم آيت يوسى وسغروشن <وأيوب>(50) وعلاهم وقادم حيون ومديون فأمر السلطان ببناء قلعة بأعليل وأخرى على واد كيك بأسفله، وأخرى على واد سكورة، وأخرى على واد تشكت(51) فخرج لملوية وفرت القبائل المذكورة لجبل العياشي وتفرقوا بشعابه فأمر ببناء قلعة بدار الطمع وقلعة بتاميوست وقلعة بقصر بني مطير وقلعة بوطواط وقلعة بالقصابي وأقام على نهر ملوية يبث السرايا للبرابر سنة كاملة والخدمة في القلع الى أن أكمل أسوارها وأنزل بكل قلعة أربعمائة من الخيل من الوصفان بأولادهم وجاءه وفود قبائل البربر تائبين فأمنهم على شرط دفع الخيل والسلاح فدفعوها وصفا له هذا الربع الشرقي من جبل درن.

وفي هذه السنة بلغه دخول أخيه مولاي الحران مع مولاي أحمد ابن محرز لتارودانت فتوجه بالحركة إليهما فلما بلغها حاصرهما بتارودانت فخرج يوما مولاي احمد بن محرز مع بعض عبيده فلقيه جماعة من زرارة أصحاب السلطان ولم يعرفوه فتحاربوا معهم وقتلوه وظنوا أنه بعض قواده فاذا هو هو، ولما بلغ خبره للسلطان توجه حتى وقف عليه فعرفه وأمر بتجهيزه ودفنه مع الغرناطي وكان مات يومئذ، وبعد أيام خرج أهل تارودانت ليلا الى قبره فأخرجوه حتى عرفوه وكان اختلف عليهم قبره بقبر الغرناطي فأخرجوهما وحملوا مولاي أحمد في تابوته وتركوا الغرناطي على شفير قبره، وبقي مولاي الحران محصورا بتارودانت والحرب مستمرة مات فيها القائد الزيتوني والباشا حمدان ونحو الستمائة، ثم وقع بعد ذلك حرب اخر مات فيه القائد عبد الرحمان الروسي وتولى مكانه <ولد>(52) الغرناطي، وفي جمادى الأولى عام ثمانية وتسعين وألف دخل السلطان

---

(50) ما بين العلامتين سقط من (ف).

(51) في الناسية (تشركت)

(52) ما بين العلامتين سقط من (ف)

تارودانت عنوة بالسيف واستباحها وهرب مولاي الحران، ولما بلغ خبر فتحها لفاس توجه مولاي محمد بن إسماعيل السلطان للتهنئة مع أعيان أهل فاس وعلمائهم وأشرافهم لتهنئة السلطان بالفتح، وخرج أولاد النقسيس من سبتة فتوجهوا للسلطان للمحلة فأمر بردهم لتطوان وقتلهم بها، وأمر بقتل من في سجن فاس منهم فقتلوا أجمعين.

وفي عام تسعة وتسعين وألف رجع السلطان من سوس ودخل مكناسة ويعث لفاس أن يخرجوا أهل الريف الذين بها لسكنى تارودانت، ثم تهيأ لحركة فازاز فخرج وطلع له من الناحية الغربية، فأول من قدم عليه بالطاعة من قبائله زمور وبنو حكم ولم يحاربوه فولى عليهم رئيسهم بايشي القبلي، فاستصفى منهم الخيل والسلاح وزاد الأموال ولحق بالسلطان وهو ببسيط ادخسان فدفع الخيل والسلاح والأموال فأنكر عليه السلطان ذلك وقال له : ما حملك على هذا ولم آمرك به فقال له يامولانا السلطان إن كان مرادك إصلاحهم وفلاحهم فهو الذي فعلت لك، وهو أصلح، وإن سرت معهم بغير هذا أتعبوك وأتعبوا نفوسهم، إنما طهرتهم من الحرام ليشتغلوا بتكسب الحلال فينموا ويزكو، فاستحسن السلطان قوله وأقام(53) بادخسان يحارب آيت امالو سنة حتى بني قصبة ادخسان الجديدة بمحل القديمة التي كان بناها يوسف بن تاشفين وخربت، فلما دخل فصل الشتاء ترك بالقصبة ألف فارس وخمسمائة من عبيد دكالة الذين كانوا بوجه عروس نقلهم بأولادهم وأنزل بزاوية الدلاء ألف فارس وخمسمائة من عبيد الشاوية، وكانوا بوجه عروس أيضا وأمرهم بحصار البربر ومنعهم من النزول للمرعى والحرث ورجع لمكناسة.

وفي عام مائة وألف أمر الوصفان أهل المحلة بمشرع الرمل أن يأتوا بأولادهم الصغار وبناتهم من عشرة أعوام فأعلى، فلما جاءوا بهم فرق البنات على عياله بداره، كل طائفة في قصر للتربية والتعلم، <وفرق الأولاد للخدمة على البنائين والنجارين وسوق الحمير يتدربون، فإذا أكملوا سنة نقلهم لسوق البغال الحاملة للآجر والزليج والقرمود والخشب، فإذا أكملوا سنة نقلهم لضرب المركز وخدمة اللوح الطابية، فإذا أكملوا سنة

---

(53) في (ف) (وأمر) بدل (أقام)

(54) ما بين العلامتين سقط من (م)

نقلهم للجندية وكساهم ودفع لهم السلاح ‹فخدموا به الجندية وطرقها فإذا أكملوا سنة›(54) دفع لهم الخيل عريا يركبونها بلا سروج، فإذا أمسكوا رؤوسها وأحسنوا الإغارة عليها كذلك وأكملوا سنة دفع لهم السروج فيركبون ويتعلمون الكر والفر والرمي على ظهورها، فإذا أكملوا سنة صاروا من حساب العسكر الحربي فيخرج لهم السلطان البنات اللاتي قدمن معهم ويزوج كل واحد من الأولاد واحدة ويدفع للزوج عشرة مثاقيل مهرها وللبنت خمسة مثاقيل ويقيد عليهم واحدا من آبائهم الكبار ويعطيه ما يبني به داره والنوائل لأصحابه ويوجههم للمحلة بمشرع الرمل فيكتبون في الديوان، وفي العام القابل كذلك وهكذا في كل عام يأتي من المحلة عدد صغير ويتوجه من عند السلطان عدد كبير من عام مائة وألف الى أن مات السلطان.

فبلغ هذا العسكر البخاري مائة ألف وخمسين ألفا ‹ثمانون ألفا›(55) مفرقة في قلع المغرب لعمارتها وسبعون ألفا بالمحلة، وعدد القلع التي بناها السلطان مولانا إسماعيل ست وسبعون قلعة ما زالت قائمة بآفاق المغرب ظاهرة للعيان يعرفها الخاص والعام.

قال الزياني : هكذا وجد في كناش كاتب الدولتين الرشيدية والإسماعيلية السيد سليمان بن عبد القادر الزرهوني(56) مات بتارودانت عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف، وكان بيده دفتر العساكر كلها السواد الأعظم والمتفرقون في قلع المملكة انتهى.

وفي شوال عام مائة وألف توجه القائد أحمد بن حدو رئيس المجاهدين لحصار ثغر العرائش فنزلوا عليها واشتغلوا بقتال الكفار وحفروا مينة تحت خندق سورها من ناحية المرسى وملئوها بارودا فكووها فسقط جانب من السور فدخل منه المجاهدون للمدينة وملكوها وتحصن النصارى بحصن القبيبات الذي بناه السلطان المنصور السعدي فحاصرهم المسلمون فيه سنة الى أن طلبوا الأمان فأمنوهم على حكم السلطان، ونزلوا منه، وتم فتحها

---

(55) ما بين الملامتين ساقط من (م)

(56) أبو الربيع صاحب القلم الاعلى كاتب الدولتين الرشيدية والاسماعيلية المتوفى سنة 1098هـ-1686م. نشر ج 2 ص 337 وهو مخالف للمؤلف.

(57) قاضي مكناس العميري بفتح العين نسبة لبني عمير فرقة من تادلة الجابري التادلي آخر أدباء وقضاة العدل بمكناس، ترجمة مؤرخ الدولة بالاتحاف ج 5 ص 541 توفي 1178هـ-1764م.

والحمد لله، وذلك في عام واحد ومائة وألف انتهى، وقال القاضي أبو القاسم العميري(57) في فهرسته ما معناه ومحصله أن النصارى قد ادعوا أن الفتح المذكور إنما كان صلحا وتأمينا لا عنوة، ثم لما طال النزاع في ذلك أمر السلطان قاضي حضرته المكناسية أبا عبد الله محمد المعروف بأبي مدين(58) فأجاب جوابا طويلا حرر فيه حكم الشريعة المحمدية بما لا غاية فوقه وحكم على أولئك النصارى بالأسر، وقد ذكر ذلك في الفهرسة بتمامه فلينظره من أراده، فأمر السلطان أن تبعث النصارى الأسرى لحضرته، فبعثوهم وكانوا ألفا وثمانمائة فكان يستخدمهم في بناء قصوره بالنهار، ويبيتون ليلا في الدهليز، وعمر العرائش بأهل الريف وأمر قائدهم أن يبني بها مسجدين وحماما ومدرسة ويبني داره بقلعتها، قال في البستان : وفي هذا العام 1101 حج أبو علي اليوسي مع المعتصم ابن السلطان انتهى، ثم توجه المجاهدون لحصار أصيلة فنزلوا عليها وحاربوها سنة إلى أن لحق النصارى الجهد فطلبوا الأمان فأمنوا على حكم السلطان، وبالليل ركبوا سفنهم وهربوا ودخل المسلمون المدينة، وذلك عام اثنين ومائة وألف، وانتقل المجاهدون لسبتة فنزلوا عليها وحاصروها، ووجه لهم السلطان عسكر ابن عبيدة(59)، وأمر قبائل الجبال أن يعينوا حصة لكل قبيلة للرباط عليها، وأمر أهل فاس أن يوجهوا حصتهم فكان عدد المرابطين عليها خمسة وعشرين ألفا ولا ينقطع القتال عليها صباحا ومساء حتى اتهم القواد الذين على حصارها بعدم النصح في فتحها <لئلا يتوجهوا لحصار البريجة ويبعدوا عن بلادهم>(60) لما سئموا أكثر الأسفار ومشقة الحركات الى أن مات القائد علي بن عبد الله وولي ولده القائد أحمد بن علي والقتال لا ينقطع عنها كل يوم، وفي كل يوم يتبدل الغزاة والسلطان مشتغل في تمهيد المغرب الى أن فرغ من إصلاح الأقاليم كلها وبناء قلعها وترتيب حاميتها ولم يبق له في الغرب كله إلا قبة فازاز الذي فيه آيت أمالوا وآيت يف المان وآيت يسرى، ولما أراد الخروج اليهم خلف على فاس الجديد كبير أولاده مولاي محرز(61) ووجه لمراكش مولاي المأمون، وترك

---

(58) تقدمت ترجمته تحت رقم 4.

(59) كذا بالأصل ومثله في (ف) أما (م) ففيها عسكرا من عبيدة

(60) ما بين العلامتين سقط من (م)

(61) في (م) محمد فتحا.

بمكناسة مولاي زيدان، واسمه محمد، وكان فارس أولاده الموجودين، ولما ولي مولاي المامون مراكش أمر رئيس الحضرة وإمام الكتاب الفقيه الكبير أبا العباس السيد أحمد اليحمدي أن يدفع له التقليد ويوصيه، وكان مولاي المأمون يكره اليحمدي أشد الكره، فتوجه له على كره وأخذ منه المكاتب وسمع وصيته جبرا عليه وعاد الى والده وقال : يا مولاي إن اليحمدي ينقصك ويزعم أنه هو الذي علمك دينك وأنك جاهل لا تفرق بين الفرض والسنة، فقال له السلطان والله إنه لصادق إن كان قال ذلك، فإنه هو الذي علمني ديني وعرفني بربي، قال مملي هذا التقييد عفا الله عنه حدثنا بهذه الحكاية السلطان العادل العلامة الحجة مولانا سليمان رحمه الله تعالى في ضمن كلام يمدح به مولانا إسماعيل، وقال صاحب البستان إنه سمع ذلك منه أيضا.

وفي عام ثلاثة ومائة وألف وجه السلطان العدة والرتبة(*) لأهل فاس وأمرهم بالحركة للترك مع <ولده>(62) مولاي زيدان، وبعد العيد بدأ السلطان في حركة فازاز وتبعهم للترك فوقع الصلح بينه وبينهم ورجع، وفيه مات بايشي وولى السلطان ولده علي ويشي على زمور وبني حكم وأمر بالحركة للبربر عام أربعة ومائة وألف بالمدافع والمهاريز والمجانيق وآلة الحصار، ورتب عليهم العساكر من كل وجه وتقدمت لهم الرجال من كل جانب، وكان هو في عسكر العبيد بأدخسان ووجه علي وبركات مع آيت إيمور وآيت دراسن فنزلوا بتفالين ووجه الباشا مساهل(63) في خمسة وعشرين ألفا من أصحابه كلهم رماة طلع من تادلة على وادي العباد ونزل خلف آيت يوسرى، ووجه علي ويشي مع زمور وبني حكم، وأمره أن ينزل بعين شوعا، وبعث لأهل تادغة وغريس والصباح أن يقدموا على علي ويشي بمحلته، ووجه له السلطان المدافع والمهاريز والكور والبسومب والطبجية، ووجه نصارى العرائش يجرون المدافع والمهاريز على طريق اعلين على قصر بني مطير على أضزر الى أن بلغوا علي ويشي بعين شوعا وضرب لهم السلطان موعدا إذا صلوا العشاء من الليلة الفلانية يشتغل

(*) في الأصل «الراتب» بدل «الرتبة»

(62) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(63) في (ف) مساعد.

الطبجية بإخراج المدافع والمهاريز طول ليلتهم ليحصل الروع والدهش للبربر، فإذا أصبح تقدم لهم العساكر من كل ناحية، ويكون ذلك في يوم واحد، فلما سمع البربر بالليل رعود المدافع والمهاريز ورأوا صواعق النيران في الجو دهشوا وحملوا حللهم للفرار، ولما أصبح السلطان قصدهم من ناحيته وتقدمت لهم المقاتلة من كل وجه، ووقع القتال فانهزموا وتشتتوا في الشعاب والأودية، وكل من قصد منهم ثنية وجد العساكر مقبلة منها وحل بهم البلاء، وتمكن منهم الوبال، وانتهبوا دون قتال، وقتلت رجالهم وسبيت أولادهم ونساؤهم، وحيزت مواشيهم وأنعامهم وأسلحتهم، واستمر عليهم القتل ثلاثة أيام والعساكر تلتقطهم من كل الشعاب والأودية وتخرجهم من الغيران، وأمر السلطان قواده مساهل وعلي ويشي وعلي وبركات يجمعون رؤوس قتلاهم ويجمعون خيلهم وسلاحهم ويأتون بذلك لأدخسان، فجمعوا ما وقعوا عليه من الرؤوس وكذلك الخيل والسلاح <وقدموا على السلطان لأدخسان>(64) وكان عدد الرؤوس اثني عشر ألفا وكذا وعدد الخيل الذكور عشرة آلاف وكذا، وعدد المكاحل ثلاثين ألفا وكذا، وبالاستيلاء على هؤلاء البرابر كمل له فتح المغرب بتمامه ولم يبق به من ينبض له عرق، وكتب من آيت يمور ألف فارس، وأنزلهم مع علي وبركات بتغالين بقلعتها، وأنزل حلتهم على رأس آيت أمالو ولم يترك الخيل والسلاح الا عند العبيد وآيت يمور وأهل الريف والوداية.

قال مقيده عفا الله عنه ولطف به : وكأن السلطان مولانا إسماعيل رحمه الله تعالى ارتكب أخف الضررين وأدنى المفسدتين في إضعاف قبائل المسلمين بسلب الخيل والسلاح مع أن المطلوب هو تقويتهم بذلك لمقابلة العدو الكافر، قال تعالى : {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم} ورأى مولانا إسماعيل رحمه الله تعالى أنه لما أعد ذلك العسكر القوي الشديد قام عن المسلمين بالواجب وكفاهم كل مؤونة وأراحهم من كلف القيام بالخيل والسلاح مع أن الفساد الذي يظهر منهم عند ملك الخيل والسلاح أعظم، وذلك بقطع الطرقات ونهب الأموال والأنفس وخلع اليد من الطاعة، وهذا القدر الذي اعتذرنا به عن

(64) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

السلطان ظاهر غاية الظهور(*)، ولعله خفي عن الشيخ أبي علي اليوسي حتى كتب للسلطان مولانا إسماعيل رسالته المشهورة ونصها :

الحمد لله، والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، قطب المجد ومركزه، ومجاز الفخر ومأرزه، وأساس الشرف الباذخ ومنبعه، ومناط الفضل الشامخ ومجمعه، السلطان الأعظم، الأجل الأفخم، مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف، لازالت أعلامه منصورة، وأيامه على العز واليمن مقصورة، سلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته، هذا ولا زائد عندنا سوى المحبة لسيدنا، وغاية التعظيم والإجلال، والدعاء لسيدنا بصلاح الأحوال، وذلك بعض ماأوجبته يده علينا المنبسطة بالبر والاحسان، والتفضل والامتنان، والتوقير والاحترام، والإنعام والإكرام، مع ماله علينا وعلى غيرنا من الحقوق التي أوجبتها منزلته السلطانية، ومثابته العلوية الفاطمية، فكتبنا هذه البطاقة، وهي في الوقت منتهى الطاقة، وكنا كثيرا ما نرى من سيدنا التشوق إلى الموعظة والنصح، والرغبة في استفتاح أبواب الربح والنجح، فأردنا أن نرسل إلى سيدنا ما إن وفق إلى النهوض إليه رجونا له ربح الدنيا والآخرة، والارتقاء إلى الدرجات الفاخرة، ورجونا وإن لم نكن أهلا لأن نعظ، أن يكون سيدنا أهلا لأن يتعظ وأن يحتمي من جميع المذام ويحتفظ.

فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له، والناس عبيد لله سبحانه وإماء له، وسيدنا واحد من العبيد، وقد ملكه الله عبيده ابتلاء وامتحانا، فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والإنصاف والإصلاح فهو خليفة الله في أرضه، وظل الله على عبيده، وله الدرجة العالية عند الله تعالى، وإن قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والإفساد فهو متجاسر على مولاه في مملكته، ومتسلط ومتكبر في الأرض بغير الحق، ومتعرض لعقوبة مولاه الشديدة وسخطه، ولا يخفى على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير إذنه كيف يفعل به حين يستمكن منه، ثم نقول : إن على السلطان حقوقا كثيرة لا تفي بها البطاقة، ولنقتصر منها

(*) وقال أبو العباس الناصري في (الاستقصاء) ج 4 ص 39 حول اعتذار صاحب الجيش عن السلطان، فالحق مع صاحب الجيش، فإنه اعتذار فيه مغزى عظيم لمن له مسكة في مدارك تاريخ التشريع الاسلامي، ط. مصرية.
وما قاله فيما ظهر له من أبي اليوسي لم يتعرض للشيء الذي اعتذر عنه صاحب الجيش، قلت : سبحان الله فمن أول الرسالة الى النقط الثلاثة يعلم كل ذي مسكة من العقل أنها تتضمن الإشارة الى ما نفاه العلامة الناصري.

على ثلاثة هي أمهاتها.

الأول جمع المال من حق وتفريقه في حق، الثاني إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله، وفي معناه تعمير الثغور بما يحتاج إليه من عدد وعدة، الثالث الانتصاف من الظالم للمظلوم، وفي معناه كف يد عاتية(*) عليهم منهم ومن غيرهم، هذه الثلاثة كلها قد اختلت في دولة سيدنا، فوجب علينا تنبيهه لئلا يعتذر بعدم الاطلاع أو بالغفلة فإن تنبه وفعل فقد فاز، وفي ذلك صلاح الوقت وصلاح أهله، وسبوغ النعمة وشمول الرحمة، وإلا فقد أدينا الذي علينا.

أما الأمر الأول فليعلم سيدنا أن المال الذي يجبى من الرعية قد أعده الله للمصالح التي ينتظم بها الدين، وتصلح بها الدنيا من أهل البيت والعلماء والقضاة والأئمة والمجاهدين والأجناد والمساجد والقناطر وغير ذلك من المصالح، ومثال هؤلاء كأيتام لهم ديون قد عجزوا عن قبضها وإلا بوكيل، ومثال الرعية مثال مديان، والسلطان هو الوكيل فإن استوفى الوكيل الدين بلا زيادة ولا نقصان وأداه إلى اليتامى بحسب ما يجب لكل فقد برئ من اللوم ولم تبق عليه تباعة للمديان ولا لليتيم، وحصل له أجران أجر القبض وأجر الدفع، وإن هو زاد على الدين الواجب بغير رضى المديان فهو ظالم <للمديان وإن نقص من غير موجب فهو ظالم>(65) لليتيم، وكذا إن استوفى الديون وأمسكها ولم يدفعها لأربابها فهو ظالم لهم فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جروا ذيول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتشوا العظم وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس دنيا ولا دينا، أما الدنيا فقد أخذوها وأما الدين فقد فتنوهم عنه، وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه، ثم إن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل إليهم حقوقهم فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أيديهم عن الظلم ولا يغتر بكل من يزين له الوقت فإن كثيرا من الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله تعالى ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب، وفي أفضل منهم يقول جد أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : المغرور من غررتموه انتهى، وأن يتفقد المصالح ويبسط يد الفضل على خواص الناس من أهل

(*) في نسخة : عادية بدل عاتية.

(65) ما بين العلامتين ساقط من (ل)

الفضل والدين والخير ليكتسب محبتهم وثناءهم ونصرهم كما قيل :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، ولا تهملهم فيتمنوا غيره ويطلبوا دولة أخرى غير دولة سيدنا كما قيل :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ ... نصيب ولاحظ تمن زوالها

وما ذاك من بغض لها غير أنه ... يريد سواها فهو يهوى انتقالها(66)

وليعلم سيدنا أن السلطان إذا أخذ أموال الرعية العامة ونشرها في الخاصة وشيد بها المصالح، فالعامة يذعنون ويعلمون أنه سلطان، وتطيب قلوبهم بما يرون من إنفاق أموالهم في مصالحهم، وإلا فالعكس، وأيضا السلطان متعرض للسهام الراشقة من دعوات المظلومين من الرعية، فإذا أحسن إلى الخاصة دعوا له بالخير والسلامة والبقاء، فيقابل دعاء بدعاء، والله الموفق.

وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضا، وذلك أنه لم يتأت في الوقت إلا عمارة الثغور، وسيدنا قد غفل عنها، فقد ضعفت اليوم غاية، وقد حضرت بمدينة تطوان أيام مولانا الرشيد رحمه الله تعالى إذا سمعوا الصريخ تهتز الأرض خيلا ورماة، وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صريخا من جانب البحر ذات يوم فخرجوا يسعون على أرجلهم بأيديهم العصي والمقالع، وهذا وهن في الدين، وغرر على المسلمين، وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركات وإعطاء العدة كسائر الناس، فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القليعة إلى ماسة ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما يكلف به غيرهم ويترك لهم خيلهم وعدتهم ويزيدهم ما يحتاجون إليه، فهم حماة بيضة الإسلام، ويتحرى فيمن يوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق وغيرة على الإسلام وأهله، ولا يولى فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على أريكته، والله الموفق.

وأما الأمر الثالث فقد اختل أيضا لأن المنتصبين للانتصاف بين الناس وهم العمال في البلدان وخدامهم هم المشتغلون بظلم الناس فكيف يزيل الظلم من يفعله، فمن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب، فزادوا عليه، ولايقدر

---

(66) في (ف) زوالها بدل انتقالها

أحد أن يشتكي، فليتق الله سيدنا وليتق دعوة المظلوم فليس بينها بين الله حجاب وليجهد في العدل فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا، قال مولانا تبارك وتعالى (إنَّ اللَّهَ يأمُر بالعَدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) وقال تعالى : (ولَيَنْصُرَنَّ اللّه من ينصُرُه إن اللّه لقَويّ عَزيز) ثم ذكر تعالى المنصورين وشروط النصر فقال (الذين إن مكّناهُم في الأرضِ أقامُوا الصّلاةَ وآتوا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونهواْ عن المنكَرِ) فضمن تعالى للملوك النصر وشرط عليهم هذه الأمور الأربعة، فمتى اختل عليهم أمر الرعية أو تسلط عليهم من يفسد عليهم الدولة فليعلموا أن ذلك من إخلالهم بهذه الأمور، فكان عليهم الرجوع الى الله تعالى وتفقد ما أمرهم به، ورعاية ما استرعاهم، وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن الجور لايثبت معه الملك ولا يستقيم، وأن العدل يستقيم معه الملك ولو مع الكفر، وقد عاش الملوك من الكفرة المئين من السنين في الملك المنتظم والكلمة المسموعة والراحة من كل منغص لما كانوا <يتحفظون> (67) عليه من العدل في الرعية استصلاحا لدنياهم، فكيف بمن يرجو إصلاح الدنيا والدين، قال <بعض الحكماء>(68) الملك بناء، والجند أساسه، وإذا ضعف الأساس سقط البناء، فلا سلطان إلا بجند، ولا جند إلا بمال، ولا مال إلا بجباية، ولا جباية الا بعمارة، ولا عمارة إلا بالعدل، فالعدل أساس الجميع، وصنع أرسطاليس الحكيم للإسكندر <الشكل>(69) المستند عنه وكتب عليه : العالم بستان سياجه الدولة، الدولة سلطان تعضده السنة السنة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعضده الجيش، الجيش أعوان يكفلهم المال، المال رزق تجمعه الرعية، الرعية عبيد يقودهم العدل، العدل مألوف وبه صلاح العالم، العالم بستان انتهى وقال صلى الله عليه وسلم (كلُكُم راعٍ وكلكُمْ مسؤول عن رعيّته)(70) وقال صلى الله عليه وسلم (إنّ رجالا يخوضُونَ في مال اللّه بغَيْر حَقّ لهُم النار يومَ القيامَة)(71) أوكما قالَ : قال صلي الله عليهَ وسلم (مَا من والٍ يلي وِلاية إلا جَاء يَوْمُ

---

(67) ما بين العلامتين ساقط من (ل)

(68) ما بين العلامتين ساقط من (ل)

(69) ما بين العلامتين ساقط من (ل)

(70) خرجه البخاري ومسلم واحمد وأبو داوود والترمذي.

(71) في البخاري "عن خولة الانصارية زوجة حمزة بن عبد المطلب وليس لها فيه غيره".

القِيامَ ويداهُ مغلولتان، فإما عَدْلٌ يَفكّه، وإمّا جورٌ يوبِقُهُ)(72) وعن مولانا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (رأيت عمر على قتب يعدو به بعيره بالأبطح، فقلت ياأمير المؤمنين أين تسير قال : بعير من إبل الصدقة شرد أطلبه،فقلت : أذللت الخلفاء من بعدك، فقال : لا تلمني فوالذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو أن عناقا ضَلّت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة لأنه لا حرمة لوال ضيع المسلمين، ولا لفاسق روع المؤمنين، وقد رأى رضي الله عنه شيخا يهوديا يسأل على الأبواب وقال : ما أنصفناك أخذنا منك الجزية مادمت شابا ثم ضيعناك اليوم، فأمر أن يجرى عليه قوته من بيت المال، وليعلم سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه فلا يأخذ لنفسه من المال إلا بحق، ويسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي وما يأتي ومايذر، وقد كان في بني إسرائيل يكون الأمير على يد نبي، فالنبي يأمر والأمير ينفذ لا غير، ولما كانت هذه الأمة المرحومة انقطعت النبوة بنبيها خاتم النبيئين صلى الله عليه وسلم فلم يبق إلا العلماء يقتدي بهم، قال صلى الله عليه وسلم (عُلَماءُ أمّتي كأنبياءِ بني إسْرائيلَ)(73) فكان حقا على خلفاء هذه الأمة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذا وعطاء، وقد توفي صلي الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه، وكان قبل ذلك يبيع ويشتري في السوق لعياله، فلما بويع أخذ ماله الذي للتجارة وذهب إلى السوق على عادته حتى رده علماء الصحابة وقالوا إنك في شغل بأمر الخلافة عن السوق، وفرضوا له ما يكفيه مع عياله، وجعلوا المال على يد أمين فكان هو وغيره فيه سواء يأخذ منه بما اقتضته الشريعة لنفسه ولغيره، وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده، فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدي بأهل الأهواء، ويسأل من معه من الفقهاء الثّقات كسيدي محمد بن الحسن(74) وسيدي أحمد بن سعيد(75) وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون في الله لومة لائم، فما أمروه به ممّا ذكرناه ومما لم نذكره فعله، وما نهوه عنه انتهى، هذه طريق النجاة إن شاء الله تعالي، نسأل الله تعالى أن

(72) عند الامام احمد المسند والطبراني في الكبير.

(73) قال السيوطي في الدرر المنتثرة لا أصل له والعجلوني في كشف الخفاء تقريبه بحديث قال السخاوي رواه الرافعي عن ابن عمر "اكرموا حملة القرآن" الحديث ج 2 ص 179.

(74) الجاصي ترجمه في النشر ج 3 ص 55 توفي سنة 1103هـ-1691م.

(75) تقدمت ترجمته تحت رقم (3)

يرزق لسيدنا توفيقا وتسديدا، وارشادا وتأييدا، وأن يصلح بوجوده البلاد والعباد، وأن يحسم بسيفه أهل الزيغ والعناد آمين، والحمد لله رب العالمين :

ولما فرغ السلطان مولانا إسماعيل من حركة فازاز آيت أمالو وجه مع علي ويشي عشرة الاف من الخيل وقال له لا أرى وجهك إلا إذا أغرت على جروان وأتيتني بعدد هذه الرؤوس التي هنا من جروان لأنهم كانوا بواد زيز يعيشون في طريق سجلماسة، فذهب علي ويشي فصبحهم وهم غارون، فنهب حللهم ومواشيهم وقتل منهم العدد الكثير ونادى في تلك القبائل كلها من أتى برأس جرواني فله عشرة مثاقيل فصار كل من انحاز إليه أحد منهم قطع رأسه وأتى به إليه، واستمر البحث عليهم إلى أن اكتفى من رؤوسهم، ولما اجتمعت الرؤوس دفع لكل من أتى برأس مشقالا وأتى السلطان باثني عشر ألفا من رؤوسهم عدد ما اجتمع بأدخسان، فشكر له السلطان فعله، وقيده على قبائل العرب والبربر،

وفي ربيع من عام ستة ومائة وألف خرج مولاي زيدان من فاس بمحلته للترك بعد أن قتل الخليفة أحمد السلاوي بفاس وحاربهم ونهب ما وجد ورجع، وفي عام سبعة ومائة وألف ورد كتاب السلطان العثماني على مولانا اسماعيل يأمره بالصلح مع أهل الجزائر، قال في البستان، وفي عام ثمانية ومائة وألف ورد كتاب من مولانا إسماعيل للقاضي والعلماء بفاس يعاتبهم ويوبخهم على عدم موافقتهم على تمليك العبيد الذين في الديوان، ثم كتاب السلطان بمدح العامة وذم العلماء وعزل القاضي والشهود انتهى، قال مقيده عفا الله عنه : هذا الكلام الذي قاله الزياني هنا عن السلطان مولانا إسماعيل فيه نظر، فإنه كلام مجمل لأن قضية جمع العبيد مذكورة مفصلة في الكناش الكبير الإسماعيلي، وفيه تمييز المماليك الأرقاء الذين اشتروا بالثمن على الوجه الشرعي بخطوط العدول، وهؤلاء لا كلام فيهم، وأما غيرهم من أهل الديوان من القبائل العديدة فإن السلطان لم يدع فيهم الملكية، وإنما الكلام في جبرهم على الجندية، ووجه السلطان لعلماء المغرب والمشرق السؤالات عن ذلك فكتب له الجوابات بالجواز بخطوطو العلماء، وكل ذلك في الكناش المذكور مبسوطا، وهو شيء كثير وحاشا مقام السلطان مولانا إسماعيل رحمه الله أن يدعى تمليك الأحرار < وقد تقدم كلام الشيخ اليوسي وبيان ما أنكره على السلطان، ولو كان ما ذكره

الزياني متصفا به السلطان لكان ذلك أول ما ينكره اليوسي ولا يسعه السكوت عنه، مع أنه أنكر ما هو أقل من ذلك وأخف بمراتب> نعم في الكناش طوائف معروفة متميزة ثبت عنده أنهم أرقاء للمنصور الذهبي السعدي، فلما انطفأت الدولة السعدية تفرقوا [في ظلام الفترة] (76) في الأقطار وهم الذين تقدم الكلام عليهم في دفتر عليلش، وقد وقع البحث عن رقيتهم وسئل أهل الأسنان من كل قبيلة فعينوا الرقيق من غيره، فثبت ذلك كله عند السلطان، ومع ذلك لم يدخلهم في الأرقاء الخلص الذين اشتروا بالثمن بل ميزهم، فكان ذلك الجند عنده على ثلاثة مراتب، المرتبة الأولى خالص الرقية، والمرتبة الثانية خالص الحرية، والمرتبة الثالثة واسطة، وأما تسمية الجميع بالعبيد فإن السلطان لما جمعهم وظفر بمراده من إدراك العصبية التامة بهم واستغنى عن الانتصار بالقبائل بعضهم على بعض حمد الله تعالى وقال للعسكر وقد أحضر أعيانهم وأحضر نسخة من صحيح الإمام البخاري وقال لهم أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المجموعة في هذا الكتاب، فكل ما أمر به نفعله، وكل ما نهى عنه نتركه، فعاهدوه على ذلك وأمرهم بالاحتفاظ بتلك النسخة وأن يقدموها بين أيديهم وأمام كتائبهم، وفي حروبهم وركوبهم، وما زال الأمر كذلك، فلهذا قيل لهم عبيد البخاري، فما ذكره صاحب البستان ساقط لا يحل لأحد أن ينسبه للسلطان ولا أن يصف به أحدا من المسلمين (فضلا عن أمير المؤمنين المجاهد في سبيل الله)(*) وهذا شأن الزياني في عدم التثبت وأخذ الكلام جزافا وأدائه جزافا، غفر الله لنا أجمعين بمنه.

وفي عام 1111 خلف السلطان ولده مولاي أحمد الذهبي بتادلة وأنزله بقصبتها وأنزل فيها ثلاثة آلاف من الوصفان وأمره أن يزيد في تلك القصبة فبنى قصبة جديدة وبنى قصره فيها، وبنى فيها مسجداً أعظم من مسجد والده في القصبة الأولى واستقر بها، وفي هذا العام ولى ولده مولاي عبد المالك على درعة ونواحيها ونزل قصبتها مع ألف من الخيل، وولى ولده مولاي مَحمد المدعو العالم على إقليم سوس وأنزل معه ثلاثة آلاف من الخيل، وولى ولده مولاي المأمون الكبير على سجلماسة ونواحيها

(*) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومن نسخة «كلية الأدب الرباطية».

(76) ما بين القوسين ساقط من الاصل ومن نسخة كلية الرباطيه

نقله من مراكش وأنزل معه خمسمائة من الخيل بقلعته التي كان بناها بتزمي وبعد عامين مات مولاي المأمون فولى بدله مولاي يوسف، وولى على الشرق ولده زيدان، وكان يغير على رعايا الترك إلى أن شردهم عن نواحي تلمسان، وبلغ مرة إلى أم عسكر ودخلها ونهب دار باي عثمان وأخذ ما فيها من الفرش والنحاس والسمن وغير ذلك لمغيبه عنها في حركة، فانتهز فيها الفرصة، وذلك سبب عزله عن الشرق وتولية أخيه مولاي حفيد لأن السلطان لم يقبل غدره لمن صالحه كما طلب منه ذلك السلطان العثماني كما تقدم.

وفي عام اثني عشر ومائة وألف حرك السلطان للشرق وتحارب مع الترك ورجع فمات من عسكره عدد كثير بالعطش، مات من أهل فاس أربعون دون غيرهم، وهذا كان قبل الصلح الذي أمر به السلطان سليمان، وفي هذا العام قتل عبد الخالق الروسي واحدا من عبيد الدار دخل عليه من غير إذن فوجه السلطان ولده مولاي حفيد ليأتيه به فاستشفع له العلماء والأشراف فلم يسجنه وذهب به مسرحا، فلما بلغ مكناس عفا عنه ورجع لفاس.

وفي عام ثلاثة عشر ومائة وألف وجه السلطان لعبد الخالق الروسي فلما بلغه قتله، ووجه مولاي زيدان لفاس ومعه حمدون الروسي حاكما بها، وفي عام أربعة عشر ومائة وألف وصل مولاي عبد المالك لضريح مولانا إدريس بزرهون مهزوما لاستيلاء أخيه مولاي بنصر على درعة وتغلبه على تلك النواحي فوجه السلطان ولده مولاي الشريف لدرعة، وفي هذه السنة قام مولاي محمد العالم بل الأحمق الجاهل بالسوس ودعا لنفسه وقدم لمراكش فحاصرها في رمضان من العام المذكور، وفي عشرين من شوال دخلها عنوة وقتل ونهب، فلما بلغ خبره للسلطان وجه له ولده زيدان في العساكر فوجد مولاي محمد الجاهل خرج عنها ورجع لردانة فدخل مولاي

زيدان مراكش وأساء السيرة في أهلها أقبح من أخيه فنهب الأموال، وأظهرت العساكر الفساد في الأرض، ثم تبع مولاي محمد للسوس فنزل على ردانة واستمر الحرب بينهما على الدوام(*).

وفي عام خمسة عشر ومائة وألف أتى مولاي حفيد لفاس الجديد ووظف على أهل فاس مغرما عظيما، وجاء الزعيم حاكما بها ثم عزل ورجع أبو علي الروسيي فقتل أناسا وعلقهم، وفي متم شوال من العام مات مولاي حفيد بفاس الجديد، وفي ثالث صفر عام ستة عشر ومائة وألف جاء أمر السلطان أن تعطى كل عتبة عظم سرج ولا يتحرر أحد كائنا ما كان، وفي إحدى وعشرين من صفر، ورد الخبر بدخول مولاي زيدان تارودانت وقبضه على أخيه مولاي محمد بعد حروب ثلاثة أعوام مات فيها أمم وأعيان وقواد، ولما دخلها عنوة قتل جميع من فيها رجالا ونساء وصبيانا، هكذا نقل الزياني، وفي رابع ربيع الأول وصل مولاي محمد لوادي بهت فوجه السلطان من قطع يده ورجله من خلاف بعقبة بهت فمات لما بلغ مكناسة في خامس عشر ربيع، ولما توفي صلى عليه القاضي أبو عبد الله

(*) (كتاب محمد (فتحا) بن عبد القادر الفاسي لمولاي محمد (فتحا) العالم بن السلطان اسماعيل رحم الله الجميع)
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم، وبما كتبه الشيخ الامام سيدي محمد (فتحا) بن الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر الفاسي لمولاي محمد (فتحا) ولد مولاي اسماعيل ونصه : سلام كريم بر عميم يعم سيادة من راقت في افق المجد والشرف انارته وابنع غرس محاسنه لفاق الرياض النضرة نضارته وسامى الشهب الزواهر بثراه وحكى الغر المواطر بجدواه وتهللت بوجوده عزة السيادة وأصبحت بسديد آرائه القلوب منجذبة واليه منقادة مولاي محمد (فتحا) بن مولانا اسماعيل لازال طودا شامخا تتحاماه الأيام وعلما راسخا تخضع له الاعلام. هذا وقد ورد كتابكم الاشرف الاثير على هذا العبد البائس الحقير معربا عن ادامة الود الاكيد والاقامة على العهد العتيد ولا غرابة في بدو خصال المجد من بيت الشرف والعلياء وظهور الاوصاف المرضية التي يصلح بها الدين وتستضرع برباها الدنيا وماذا عسى أن أقول في مقابلة ما أبديتم من الثناء التي انتجته الطوية السليمة والمودة المؤصلة المستقيمة فلنكل مكافأة ذلك الى الله عز وجل اذ نرجو ان ذلك ابتغاء وجهه الكريم ومراعاة لجانبه المعظم اذ هو من الثلاثة التي من وجدها وجد حلاوة الايمان ان يحب المرء لا يحبه الا الله كما في الحديث الصحيح وروى الترمذي وغيره حسن العهد من الايمان وأنت أيها الماجد الفاضل والسيد الخلاحل احق بالاتصاف بمثل هذه الفضائل والجري على منهاج السلف الأوائل وبجازنا فيك ان تحذو على مثالهم وتنسج على منوالهم وتحتي الذين اتبعوا الرسول عليه السلام في سنه وحافظوا على عهده وطريقته وهذا زمان يتعذر فيه ذلك السير لقلة المسعد والمعين ولكن قليل من التشبث بالسنة كثير واحياء بعض ما اندرس من المعالم موجب للاجر الكبير فعليك بعزيمة الصبر على هذه الشؤن ولا يستخفنك الذين لا يوقنون والله سبحانه ينصر من ينصره ويعين من استعان به ويزيد من توجه اليه ويقبل برحمته على من اقبل عليه وقد قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين وكان صلى الله عليه وسلم إذا احزنه امر فزع الى الصلاة ومن اهل لرعاية غيره وتحمل حاجات القاصدين ودفع اذايات الحاسدين حقيق ان يستعين بالصبر والصلاة وفي الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم بركة ونجاة لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية وقال عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الحديث فوجب الاستعداد لجواب السؤال وسلوك ما فيه النجاة بين يدي الكبير المتعال وهذا كله غير خاف على مثلك من علم وفهم وميز بعقله ما يهم وما لا يهم ولكن التذكرة سنة جارية ولسماع الانسان من غيره وقع في النفس ومنفعة سارية جرب ذلك فصح وله شواهد من ان تشرح وامرها اجلى وواضح فلنا عذر حينئذ فيما ذكرناه ولا سيما وقد قصدنا امتثال الامر فيما ابديناه والله سبحانه وتعالى يجعلنا من أهل توفيقه ويعيننا على اتباع الحق وسلوك طريقه ويحشرنا في زمرة النبي الكريم وحزبه وفريقه آمين والسلام.

من خط بعض السادات الفاسيين.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم وبعد فقد كتب به الشيخ الإمام سيدي محمد بن الشيخ
أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي للأمير محمد ولد مولانا إسماعيل ونصه سلام على من كتب بر تعميم
يندم ميلادنا قد زانه وأبدى المجد والشرف لإبلاغه وارتفع قدره بما أسند قيادة الرياض الخضر تضار به
وسما ما النسب الزاكي بمواده وحكى الغرر المواكب بعزواته وتعلقت بوجوده عزة السيادة
واصطفت بسر وجوده آيات العلوم متجزية وإليه منقادة مولانا محمد بن مولانا إسماعيل لا زال كعبة لمن
سار فيها تحدها بالأيام وتملأ أرجائها بخضوع لذلك الجاه هذا وقد وردت كتب الأشرف
أخبر عن فضل العبد الدليل الحقير فيما عرفه أهل الوجدان خير وأجر فإنه عن المقصود
العسير ولا غرابة في بروز هذه الخصال من نسب الشرف والعليا ونظهر لأن طاعة المرضية التي
يكمل بها الدين وتتضوع بريحها الدنيا وهذا أعني الأول في مقابلة ما لم يتم من الثناء التي
أنتجته الصورة السليمة والمودة الموثقة المستفيدة فلنكل مكافأة ذلك إلى الله عز وجل
إنه من جزاء ذلك ابتغاء وجه الكريم ومراعاة لجنابه العظيم إذ هو من الفضائل التي قد وجه الله
وجعل ملاك الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله كما في الحديث الصحيح وروى الترمذي وغيره حسن العهد
من الإيمان وإن ذلك أيها الناصر الفاضل والسيد الملاحظ أحق بالإنصاف بل بحر العجائب والجري
على منهاج السلف الأوائل ورجاؤنا فيك أن تعز على منهاجهم وتمشي على منوالهم وتقتفي الذي
اتبعوا الرسول عليه السلام فيه ونهجوا من عهده وطريقه ومن زمان يتعرض بعد ذلك إلى اليتيم
لمكة السمو والتعبير ولكن قليل من الشيخ بالسنة كثير وإحياء بعض ما اندرس من المعالم موجب
للأجر الكبير فعليك بهمة القصد على حب الشرف ولا تستعجلك الدنيا يوفقون والله سبحانه ينصر
من ينصره ويعين من استعان به ويؤيد من توجه إليه ويقبل بوجهه على من أقبل عليه وقد قال تعالى واستعينوا
بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة
ومن أهم الرعاية عموما وتحمل حاجات القاصرين ومع أداء الخاصين حقوق أن يستعين
بالصبر والصلاة ولا يتشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم بركة وكمالا لقد كان لكم في
رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر الآية وقال عليه الصلاة والسلام
كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته الحديث ويجب الاستعداد لجواب السؤال ويطلب ما يسأل
بين يدي الكبير المتعال ويستدرك كله غير خاف عن مثلك ممن علم وفهم وميز بعقله
ما يهم وما لا يهم ولكن الذكرى مستمرة جارية والسماع للإنسان من غيره وقع في النفس
وينبعث سار به هم لها بيض ولا يستوي من أمر أن يشرح ما أمر الله وأوجب فله عز
منيع بجاه كريم وكريم ونحن منتصرون لأمته إن شاء الله والله سبحانه يجعلنا من
أهل توحيده ويعيننا على اتباع المرسل بطريقه ويحشرنا في زمرة النبي الكريم وحزبه وعليه
السلام والسلام ﴿﴾ من خط بعض السادات الفاسيين

بردلة فنقم عليه بعضهم وأوغر عليه قلب السلطان، وقال له إنه يبغضك، ولولا شدة بغضه ما سرع الى الصلاة على عدوك الذي قام عليك وأراد نزع الملك منك، فكتب السلطان الى القاضي يوبخه ويهدده، فأجابه بأن صلاته نظير صلاة الحسن البصري على الحجاج بن يوسف، فلما ليم على ذلك قال : استحييت من الله عز وجل أن أستعظم ذنب الحجاج في جانب <عفو>(77) مولانا الغفور الرحيم انتهى، على أنني ما صليت عليه بغير إذن بل خرج الإذن من الدار المولاوية، وبلغ ذلك مبلغ الشهرة التي لم يبق معها شك، وذلك بمترجم ينسب الأمر الى الجانب العالي، فلا افتيات بعد ذلك بل الواجب حينئذ هو القيام بذلك اجلالا وتعظيما لجناب مولانا نصره الله.

ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قضية الحديبية (امحُ رسول الله) فقال مولانا علي رضي الله عنه والله ولاأمحوه أبدا، فتعارض وجوب امتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحو ووجوب الإجلال لمقامه فرجح رضي الله عنه جانب الإجلال، والصحيح أن الحدود كفارات، ففي الصحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه (ومَن أصابَ من ذلك شيئا فَعوقِبَ في الدّنيا فهو كفّارة لهُ)(78) انتهى، باختصار للحديث من أوله وآخره، وهذه القضية فتنة عظيمة لأهل القطر السوسي، وقد أصابت غيرهم من العلماء الذين كانوا يخالطون مولاي محمد لولا لطف الله تعالى فإن الشيخ أبا عبد الله المسناوي(79) كان من أخصّ خاصته، فوشي به الى السلطان وقيل له أنه مع شدة اتصاله به لا يغيب عنه عزمه على القيام على أبيه، فهو موافق على ذلك فبادر بعض أصحاب السلطان للاعتذار على الشيخ بأنه كان ينهاه عن إرادة القيام وأنشد للمسناوي

مهلا فإن لكل شيء غايـــة   والدهر يعكس حيلة المحتـــال
فالبدر ليس يلوح ساطع نوره   والشمس باهرة السنا في الحال
فاذا توارت بالحجاب فعند ذا   يبدو بدو تعزز وجمـــال

فقبل السلطان ذلك وتحقق براءته، وقولنا إنها فتنة أصابت كثيرا أهل

---

(77) ما بين العلامتين ساقط من (ف)
(78) اختصره المؤلف وهو مذكور عند البخاري في كتاب الايمان بباب علامة الايمان حب الانصار.
(79) المسناوي الدلائي ترجمه في النشر ترجمة واسعة ج 3 ص265 توفي سنة 1136هـ-1723م.

سوس وذلك لأن ظهوره التام إنما كان هناك، ولأن جل من ينتسب إلى العلم والصلاح منهم كانوا معه موافقين له ومؤيدين، وذلك دأبهم في تنقيص الأمراء عند العامة ووصفهم بكثرة الجور(*). (وتشنيع قبح أفعالهم، يستجلبون بذلك خواطر العامة لاستخدامهم) وذلك موجب ما روي عن الشيخ زروق(80) أنه كان لا يصلي خلف إمام القرويين العلامة السيد عبد العزيز الورياغلي(81) مع زهده وورعه وعلمه لقيام أهل فاس على السلطان عبد الحق المريني الأخير بمشاورته في قتل اليهودي الذي ولاه عليهم، وكان الشيخ زروق يقول في شأن الورياغلي إنه غندور، والصلاة لا تجوز خلف الغندور، وهذا شأن أهل الورع والدين {وفي العام المذكور}(82) قتل مولاي زيدان الكاتب الوزير، وفي رجب عام تسعة عشر ومائة وألف ورد الخبر بموت مولاي زيدان بردانة وأتوا به في تابوت إلى مكناسة ودفنوه ليلا بجانب أخيه مولاي محمد، وفي عام عشرين ومائة وألف كلف عبد الله الروسي الفقهاء أن يكتبوا غلى ديوان العبيد المملوكين فمن كتب نجا ومن أبى قبض عليه، وقبض على أولاد جسوس وأخذ أموالهم وأجلس فقيههم السيد : عبد السلام(83) بالسوق مقيدا يتطلب الفداء، وفي هذه السنة عفا السلطان عن السيد : عبد السلام جسوس، وكان آخر أمر السيد عبد السلام جسوس أنه قتله أبو علي الروسي، فمن الناس من يقول بأمر السلطان، ومنهم من يقول بغير أمره قال مقيده غفر الله له، وقد جرى ذكر السيد عبد السلام بمجلس مولانا سليمان ذات يوم فقال : ما قتله مولاي إسماعيل، وإنما قتله أهل فاس، قال مقيده عفا الله عنه ولم يمكنا أن نسأله عن كيفية ذلك وحقيقته، ونعوذ بالله مولانا من التعرض لأوليائه والمبارزة

(*) بعد العلامة يوجد في الأصل وفي (ف) وفي نسخة الكلية "مع تنقلتهم عن أحوال العامة وقبح افعالهم لولا الأمراء" اماما زيد بين القوسي فهو من الملكية.

(80) الشيخ الشهير والعلامة الكبير العارف بالله أبو العباس احمد بن احمد بن محمد المعروف بزروق، له رضي الله عنه تآليف كثيرة يميل فيها الى الاختصار في الفقه والتصوف وغيرهما، منها في التصوف ما يزيد على عشرين شرحا على الحكم ترجمة في الصفوة والحضيكي في الطبقات. وفي الدوحة توفي سنة 899هـ-1493م.

(81) الورياغلي العلامة امام القرويين عبد العزيز بن موسى الخطيب والامام بجامع القرويين وكان الشيخ زروق لا يصلي خلفه من أجل ان أهل فاس قاموا على المريني عبد الحق بمشورته قال فيه زروق انه غندور والصلاة لا تجوز خلف الغندور، ومعنى الغندور محرك الشر توفي سنة 880هـ-1470م ترجمته في درة الحجال ج2 ص376

(82) ما بين المعقوفين زيادة من (م)

(83) الشيخ عبد السلام المدعو حمدون جسوس "العلامة الجليل المقتول في سجن فاس سنة 1121هـ-1709م قال في النشر في قضية طويلة، وبعد الترجمة ذكرها في حوادث السنة" النشر ج3 ص207.208 وذكرها المؤلف قدس سره بتحقيق وتدقيق.

له بالمحاربة، فإن السيد عبد السلام رحمه الله كان بالغ في إيذاء الشيخ سيدي قاسم الخصاصي(84) في قضايا متعددة، ثم زاد على ذلك وتعدى الي السب والانكار علي الشيخ الكامل سيدي محمد بن عبد الله معن(85) صاحب المخفية وهو شيخ سيدي قاسم، والف في ذلك أوراقا سماها الرصاصة المطفية، في أهل المخفية، فلما بلغ ذلك الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله ذهب إلي سيدي قاسم وبكى عليه وقال له ياسيدي هذا الإنسان قد ماذاك في نفسك فصبرت والآن قد بلغ أمره إلي سب الأموات من أشياخك وأخبره بالتأليف المذكور، قال مقيده عفا الله عنه وهذا الكتاب المذكور ما رأيناه وإنما أخبرنا بذلك الفقيه الشريف العدل سيدي عبد الوهاب القادري الفاسي(86) وكان له اطلاع واسع على الأخبار خصوصا أخبار السادات أهل المخفية رضي الله عنهم، قيل إنه قال له هون علي نفسك فإن إسماعيل يفصل بينا وبينه، وذلك قبل ظهور مولانا إسماعيل، فكان من قدر الله سبحانه ما كان، وفي شعبان عزل أبو علي وولي حمدون ثم رُدّ أبو علي، وفي ذلك العام جاء عبد الله الروسي يبيع أصول المجاورين بالمشرق، قال في الأزهار الندية ومن حوادث هذه السنة إحداث قراءة الحديث المتضمن لأمر الناس بالإنصات بالمسمع عند خروج الإمام يوم الجمعة من المقصورة {وجلوسه على المنبر}(87) وفتح الترك وهروان وورود الخبر بأن بنت ملك الروم أوصت بدفنها في الحرم النبوي {بالمدينة المشرفة}(88) فاحتال الروم في التوصل لذلك بأن أحرقوها وخلطوا رمادها بالعنبر والطيب وحلي بالذهب ورصع باليواقيت والجواهر وبعثوا به الى الحرم الشريف ليعلق به كأنه منارة انتهى، وفي العام الثالث والعشرين ومائة وألف <قام أبو النصر ابن السلطان بالسوس، وفي عام أربعة وعشرين ومائة وألف>(89) سرح السلطان الكاتب الخياط <ابن منصور من السجن وولاه درعة، وفي

---

(84) الشيخ الامام قاسم بن ج قاسم "فصل ترجمته في النشر مع تحقيق نسبته للخصاصين توفي سنة 1083هـ-1692م.

(85) محمد بن عبد الله معن من العارفين بالله وشيوخ التصوف الكبار، له ترجمة كلها الجهاد وعرفان. تبهر القلوب وتفتح الأذهان توفي رضي الله عنه سنة 1062هـ 1651م ترجمته بالنشر والتقاط الدرر ومحقق الالتقاط ذكر مراجع ترجمته ص 130 رقم 3.

(86) اما عبد الوهاب القادري الفاسي، لم اهتد لتاريخ وفاته وترجمته وهل هو عبد الوهاب الفاسي المذكور في السلوى "بل هو بعينه توفي سنة 1078" النشر ج 2 ص 192 "سلو" ج 2 ص 324.

(87) ما بين المعقوفين زيادة من (ف).

(88) مابين المعقوفين زيادة من (م).

(89) ما بين العلامتين ساقط من (م)

عام خمسة وعشرين قتل السلطان>(90) الخياط(91) المذكور وأخاه عبد الرحمان، وفيه ورد الخبر على السلطان أن أولاد دليم بالسوس قتلوا ولده مولاي بنصر، وفي عام ستة وعشرين قتل السلطان القائد أبا الرشيش وثلاثة من القواد وسبعة عشر من العبيد بمشرع الرمل، وفي عام سبعة وعشرين ومائة وألف مات الشيخ القطب مولاي التهامي(92) بن محمد بن عبد الله الشريف بوزان، وفي جمادى من العام ماتت الحرة عائشة مباركة زوجة السلطان، وفي عام تسعة وعشرين توجه للحج ولد السلطان أبو مروان، وفي رمضان منه بعث عامل وجدة مائة رأس من رؤوس بني يزناسن، وفي عام ثلاثين ورد كتاب السلطان بتحرير أهل فاس من الكلف، ثم ورد كتاب آخر يخيرهم بين أن يكونوا جيشا أو نائبه فقال ولد الصحراوي إنما يكون الكلام بين يدي السلطان فقتل وأصبح معلقا، فبلغ ذلك السلطان فقبض على أبي علي وأصحابه وولى على فاس حمدون الروسي، ثم بعده قتل حمدون الروسي عبد الخالق بن يوسف فقبضه السلطان هو وأخوه مسعود وولى على فاس حمو قصارة ثم بعد أيام جاء أبو علي واليا، وفي العام ورد الخبر بموت أبي مروان بالمشرق، وفي العام المذكور عزل السلطان أولاده عن الأعمال كلها ولم يبق إلا ولي العهد(93) بتادلة، ووجه ولده مولاي عبد المالك لمراكش وولاه أمر سوس، واشتغل السلطان ببناء قصوره وغرس بساتينه ورياضاته، وصارت بلاده كلها في أمن وعافية، تخرج المرأة والذمي من وجدة الى واد نون ولا يسألهما أحد من أين وإلى أين مع الرخاء المفرط، فلا قيمة للزرع والمواشي، والعمال تجبي الأموال والرعية تدفع بلا كلفة ولا مئونة ولا حساب، وصار أهل المغرب كفلاحي مصر يخدمون ويدفعون في كل جمعة ومن نتج فرسا يربيه فإذا بلغ أول(94) الركوب دفعه للعامل، ويدفع قيمة السرج، من عنده عشرة مثاقيل، هذا إذا كان النتاج ذكرا، وإذا كان أنثى بقي له ويدفع للعامل

---

(90) ما بين العلامتين ساقط من (م)

(91) الخياط بن منصور لم اقف عليه

(92) م التهامي بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم العلمي الحسني دفين وزان وكان رضي الله عنه اشد الناس ذكر الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولخاصة المومنين وعامتهم، وخصوصا أمير المومنين، كان يعيش عهد المولى اسماعيل توفي 1127هـ 1715م.

(93) في (م) ولم يبق إلا مولاي احمد الذهبي).

(94) في (م) أوان بدل أول.

مثقالا، ولم يبق بأرض المغرب سارق ولا قاطع، ومن ظهر عليه شيء وهرب يؤخذ من كل قبيلة يمر بها وفي كل قرية، وكلما بات مجهول الحال بحلة أوقرية يشقف بها إلى أن تتبين براءته، وإن تركوه فإنهم يؤاخذون به، ويؤيدون ما سرقه أو اقترفه من الجرائم كالقتل وغيره، وكانت أيامه رحمه الله غزيرة الأمطار كثيرة البركة في الحراثة والفلاحة والتجارة والأمن والرخاء والخصب، لم يقع غلاء طول أيامه إلا مرة واحدة بلغ القمح فيها ستة أواقي للمد والشعير ثلاثة أواقي ورأس الضأن ثلاثة أواقي ورأس البقر مثقالين في سائر أيام الرخاء والسمن والعسل رطلين بموزونة والزيت أربعة أرطال بموزونة هكذا نقله الزياني، وهو مخالف لما ذكره العلامة الشريف سيدي محمد بن الطيب القادري في الأزهار الندية وهو أنه بلغ الزرع في بعض السنين في المدة الإسماعيلية إلي ستين للمد، وكان المد في ذلك الوقت صاعا ونصفا وهذا غلاء مفرط ما سمع مثله، ونصه وفي هذه السنة كان غلاء كبير بسبب تأخر المطر، فبلغ ثمن القمح أربعين أوقية للمد والمد صاع ونصف، وصلى الناس صلاة الاستسقاء، فأول خاطب فيها القاضي بردلة كرر الصلاة ثلاث مرات فنزل مطر قليل لم يكف، ثم أعيدت الصلاة، وكان الخطيب فيها سيدي محمد البوعناني ثم أعيدت والخطيب بردلة أيضا، ثم أعيدت والخطيب المرابط الدلائي والقمح ستون أوقية ونحوها، ثم أعيدت والخطيب البوعناني المذكور، ثم أعيدت والخطيب الشيخ الولي الزاهد سيدي العربي الفشتالي(95) وفي عشية غده نزل المطر مع الرعد والبرق ففرح المسلمون وكثر حمد الله تعالى، ثم أعيدت صلاة الاستسقاء أيضا والخطيب القاضي بردلة أيضا وخرج مع الناس شيخ الاسلام وبركة الأمة سيدي عبد القادر الفاسي راكبا على حمار وجعل الأشراف أهل البيت الطاهر أمامه مستشفعا بهم، فنزل عند الرجوع مطر قليل، وفي الغد نزل المطر الغزير الكثير الكافي النافع، فانحطت الأسعار ونزل القمح إلي خمسة وثلاثين بعد الصلاة تسع مرات كما تقدم انتهى.

قال مؤلفه : انظر كيف كرر الناس الصلاة ولم يملوا ولم يقنطوا من رحمة الله تعالى وإن تأخرت باقتضاء الحكمة الإلهية وذلك لأن المراد من

(95) أبو محمد العربي بن احمد الفشتالي الموسوم بالزهد والورع راودوه على القضاء فامتنع "ترجمته بالصفوة" ص 190 والنشر ج 2 ص 297 والحضيكي ج 2 ص 58 توفي 1092هـ 1681م.

الصلاة والدعاء إنما هو إظهار الفقر والفاقة وشدة التضرع لإله العالمين الموجب لرضا الله وعفوه ولطفه بنزول المطر وغيره، وهذا خلاف ماظهر في هذا الزمان من عدم مسارعة الناس للصلاة عند مجيء البأس وحبس الأمطار، بل ألقى الشيطان في اعتقاد العامة أن صلاة الاستسقاء سبب لأمور عظيمة تكون بعدها فجعل الناس يحذرونها، وتلك مكيدة من الشيطان اللعين في تعطيل هذه السنة المباركة وكثير يزعم أنه إذا لم ينزل المطر بعد الصلاة يدل على عدم الرضا من الله تعالى، وينسبون ذلك إلى الإمام الخطيب، ولذلك يمتنع الأئمة من التقدم لها، وذلك كله من مكايد الشيطان الرجيم ومنهم من يقول إن التكرار للصلاة هو الموجب لما ذكر أولا، ويقول الجهال إنها لا تعاد، وهذا باطل، فقد ذكر أنها صليت في زمان واحد بمصر أربع عشر مرة، وحضرها العلماء والصالحون، وذكرا ابن جبير(96) في رحلته أنه حضرها في الحرم المكي الأمين وقد أعيدت ثلاث مرات متوالية، ونصه : وفي ضحوة يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شوال عام تسعة وسبعين وخمسمائة وهو السادس من فبراير اجتمع الناس كافة للإستسقاء تجاه الكعبة المعظمة بعد أن ندبهم القاضي الى ذلك وحرضهم على صيام ثلاثة أيام قبله، فاجتمعوا في هذا اليوم الرابع المذكور وقد أخلصوا النيات لله عز وجل، وبكر الشيبيون ففتحوا الباب المكرم من البيت العتيق، ثم أقبل القاضي بين رايتين سوداوين لابسا السواد، وأخرج مقام ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، ووضع على عتبة باب البيت المكرم، وأخرج مصحف عثمان رضي الله عنه من خزانته ونشر بإزاء المقام المطهر، فكان دفة منه عليه والثانية على الباب المكرم، ثم نودي في الناس بالصلاة جامعة، فصلى القاضي بهم خلف موضع المقام المتخذ، فصلى ركعتين الأولى بسبح والثانية بالغاشية، ثم صعد المنبر وقد ألصق الى موضعه المعهود من جوار الكعبة المقدسة وخطب خطبة بليغة، والى فيها الاستغفار ووعظ الناس وذكرهم وخشعهم وحضهم على التوبة والإنابة حتى نزفت دموعها العيون، واستنفدت ماء الشئون وعلا الضجيج وارتفع الشهيق وحول رداءه. وحول الناس ارديتهم اتباعا للسنة، ثم انفض

---

(96) ابو الحسن محمد بن احمد بن جبير الكناني الرحالة اشتهر برحلته توجد مصادر ترجمته بمعجم المطبوعات واعلام الزركلي ودائرة المعارف الاسلامية توفي سنة 614هـ 1217م بالاسكندرية.

الجمع راجين رحمة الله تعالى غير قانطين منها، والله تعالى يتلافى عباده بلطفه وكرمه، وتمادى الاستسقاء بالناس على الصفة المذكورة <ثلاثة أيام متوالية>(97) وقد نال الجهد من أهل الحجاز وأضربهم القحط، وأهلك مواشيهم الجدب، لم يمطروا في الربيع ولا في الخريف ولا في الشتاء إلا مطرا طلا غير كاف ولا شاف، والله سبحانه لطيف بعباده غير مواخذهم بجرائمهم إنه حنان منان لارب سواه انتهى (98).

تنبيـــه :

اعلم أن الله سبحانه أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة وعد الصدق ومولانا سبحانه لايخلف الميعاد، فمن دعا ولم ير الإجابة فلا يشككه ذلك في صدق وعد الله، وليجوز كون وقوع الوعد الإلهي معلقا على أسباب ومشروطا بشروط استأثر الله بها ان لم تقع تلك الشروط لم تقع الإجابة لأنه إذا فقد الشرط فقد المشروط <فعلى العبد أن يعرف قدره ويتأدب ولايتزلزل اعتقاده>(99)، قال تاج الدين ابن عطاء الله(100) في الحكم : لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاد موجبا ليأسك، فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد انتهى.

وفي عام اثنين وثلاثين ومائة وألف أمر السلطان بهدم قبة مولانا ادريس والزيادة فيها من كل ناحية واشتراء الأصول المجاورة له، وشرعوا في حفر أساسه واستمر البناء والخدمة فيه إلى <أن كمل>(101) عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، وفي عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف مات عبد الله

---

(97) مابين العلامتين ساقط من (ف).

(98) رحلة ابن جبير ص 138 ط بيروت سنة 1379هـ 1959م.

(99) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(100) ابو الفضل وابو العباس احمد بن محمد الاسكندري صاحب الحكم المشهورة ومن فضائله أنه استطاع ان يقف لابن تيمية حجر عثرة، كلما ناظره غلبه وقد كتب بعض الدكاترة مناظرة ابن تيمية مع فقهاء عصره، وهذا مثال من مناظراته مع مترجمنا. قال الشيخ ابن عطاء الله بعد كلام ولكي لاتضل او تنسى، اعد قراءة ابن العربي بفهم جديد لرموزه وايحاءاته تجده مثل القشيري، قد اتخذ طريقه الى التصوف في ظل ظليل من الكتاب والسنة، انه مثل حجة الاسلام الشيخ الغزالي، يحمل على الخلافات المذهبية في العقائد والعبادات ويعتبرها انشغالا بما لا جدوى منه ويدعو الى أن محبة الله هي طريقة العابد في الايمان، فماذا تنكر من هذا بالفقيه، أم انك تحب الجدل الذي يزق أهل الفقه، لقد كان الامام مالك رضي الله عنه يحذر من الجدل في العقائد ويقول كلما جاء رجل اجدل من رجل نقص الدين الى آخر البحث، قال ابن تيمية في الأخير : أحسنت والله ان كان صاحبك كما تقول فهو أبعد الناس عن الكفر، ولكن كلامه لايحمل على هذه المعاني فيما أرى قال : ابن عطاء الله، ان له لغة خاصة وهي مليئة بالرموز والاشارات والايحاءات والاسرار والشطحات 709 هـ 1309 م.

(101) ما بين العلامتين سقط من (ف)

الروسي بمكناس، وفيه غضب السلطان على أهل فاس ووجه لهم حمدون الروسي وأخاه أبا علي وأمرهما بقبض المال <من أهل فاس> (102) فبعثوا العلماء والشرفاء للشفاعة فلم يقبل فاشتغلوا بدفع المال فلم يسلم منهم أحد ولم يعرف له عدد، وخلت المدينة من دوي اليسار، وفيه خرجت محلة الصبليون من سبتة على غرة بمحلة المسلمين واستولوا عليها وعلى محلة القائد علي ابن عبد الله ونهبوها وقتلوا <وسبوا> (103) وحازوا شبارات المسلمين وعساتهم وحازوا قصبة افرگ ورجعوا لسبتة وتوجهوا لبلادهم ولم يبق بسبتة إلا من كان بها، وكان هذا الخطب عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، وفيه مات الباشا غازي صاحب مراكش بوجدة في المحرم وفي صفر مات باعزيز وصدوق صاحب ردانة، وفيه انتقل مولاي عبد الملك بتارودانت.

وكان لمولاي اسماعيل من الأولاد على ماقيل وتواتر به الخبر خمسمائة ولد ذكر، ومثل ذلك من البنات أو مايقرب منه، قال في البستان، والذي خلف من الأولاد وعقب ماهو في دفتر السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله لأنه كان يصلهم كل سنة وكنت أتوجه لتفريق الصلة عليهم بتافلالت مائة دار وخمس دور من أولاده لصلبه وأما الذين لم يعقبوا وانقطع عقبهم فليسوا في الدفتر، وأما الحفدة والأسباط فكان عددهم في أيام سيدي محمد ألفا وخمسمائة وستين، وزادوا اليوم في أيام السلطان مولانا سليمان، ومازال يصلهم على ما في دفتر والده، ومن زاد يزاد واجبه (قال الزياني) (104) وأما من لحقناه من أولاد مولانا إسماعيل لصلبه في دولة سيدي محمد فثمانية وعشرون ومن بنات صلبه ثمانية أنزلهن السلطان بقصر حم وبك ورتب لهن العولة والكسوة والصلة في كل سنة، ومعهن الحفدات اللواتي لا أزواج لهن وكل واحد من هذه المائة والخمس الدور أولاد الصلب الذين في الدفتر كان بني له والده بسجلماسة قصرا يخصه ودارا وأعطاه نخلا وأرضا للحراثة والفلاحة ومماليك يقومون بها ويخدمته، وكل واحد أصله الذي أعطاه على قدر مرتبته عنده ومزية أمه، فتناسل أولادهم ونمت فروعهم، وفر الله جموعهم، وحفظ نظامهم، وكان رحمه الله

(102) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(103) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(104) ما بين العلامتين سقط من (ف).

سديد النظر في نقل أولاده بأمهاتهم من مكناس لسكنى تفلالت مع بني عمهم من الاشراف ليتدربوا على معيشتها التي تدوم، فكان ذلك صونا لهم من نكبات الأيام والليالي ومن فضيحة الخصاصة بعد موته وزوال النعمة وانزواء رداء المملكة الساتر لهم، فلذلك نجحوا وأفلحوا بخلاف إخوانهم الذين تربوا بمكناسة <إلى أن مات والدهم وتتبعوا شهواتهم التي ألفوها>(105) فإنهم لم يتم لهم نسل كإخوانهم الذين بالصحراء.

وأما مبانيه بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده، ومدارسه وبساتينه فشيء من وراء العقول مما تعجز عن بعضه الدول المتقدمة من الفرس واليونان والروم والترك والعرب فلا يلحق ضخامة مبانيه ما بناه الأكاسرة بالمدائن ولا الفراعنة بمصر ولا ملوك الروم برومه والقسطنطينية ولا اليونان بأنطاكية والإسكندرية، ولا العماليق بالشام، ولا ملوك الإسلام كبني أمية وبني العباس والعبيديين والمرابطين والموحدين وبني مرين والسعديين، وأي قدر لبديع المنصور بالنسبة لقصر واحد من قصوره، وأي قدر لبستان المسرة مع أحد بساتينه، فقد كان عنده بجنان الحمرية مائة ألف شجرة من الزيتون وحبسه على الحرمين الشريفين، ومرت عليه العصور المتطاولة والفتن والفترات والناس يحطبون منه فلم يزل على حاله، ولما بويع السلطان سيدي محمد بن عبد الله أحياه وأجرى له الماء وأمر بإحصاء ما بقي من عدده فوجدوا ستين ألفا، وكان رحمه الله تعالى يوجه ثمن غلته كل سنة للحرمين الشريفين وكذلك مولانا سليمان.

وكان في سجون مولانا إسماعيل رحمه الله تعالى من أسارى الكفار خمسة وعشرون ألف أسير يخدمون في البناء، منهم الرخاميون ومنهم النقاشون والحجارون والحدادون والأطباء والمنجمون والمهندسون، وكان يستعمل كل واحد في حرفته، ولم تسمح نفسه قط بفداء أسير بحال، وكذلك كان في سجونه من أهل الجرائم كقتلة الأرواح وأهل الدعارة والمفسدين في الأرض نحو الثلاثين ألفا، وكان يستخدمهم مع أسارى الكفار ويبيتون في السجون والدهاليز تحت الأرض، ومن مات منهم يدفن تحت البناء إن كان يستوجب القتل، ولم يبق لأهل الدعارة والفساد محل يأوون إليه ويتمنعون فيه في أيامه وفي جميع إيالته على طولها، فإنه كان

---

(105) ما بين المعقوفتين سقط من (م).

خليفة أخيه مولانا الرشيد مدة ملكه سبعة أعوام وسلطاناً سبعة وخمسين عاما، وطالت حياته حتى كان الجهال يظنون أنه لا يموت، وقيل كان أولاده يستبطئون موته، وكانوا يقولون له الحي الدائم، وهذه المدة التي تقدمت وهي أربعة وستون سنة ما أقام أحد من الخلائف ولا من السلاطين مثلها في الملك غيره وغير المستنصر من العبيديين كما قدمناه في رايته من لواء العبيديين.

ولما مرض مرض موته وجه علي ولده مولانا أحمد الذهبي من تادلة وهو الذي يسميه صاحب البستان ولي العهد، وليس كذلك فإنه ماعهد لأحد كما أخبرنا بذلك السلطان العادل العلامة الحافظ أبو الربيع مولانا سليمان مرارا، ويحكى في ذلك حكاية وهي أن مولانا إسماعيل لما أيقن بالموت دعا رفيقه وعالم حضرته أبا العباس اليحمدي وأكد عليه في أن يشير عليه بمن يصلح للولاية على المسلمين من بعده، وكان آخر الأمر بعد الممانعة التامة قوله : يا مولانا اعلم أنه ليس لك ولد أولا ولد لك، فقال له السلطان صدقت والله وودعه وخرج، ولم يعهد لأحد، وإنما العبيد كانوا يقدمون من أرادوا ويؤخرون من أرادوا، وكان مولانا سليمان رحمه الله يحكى ذلك في شأن بعض أولاده، وأما قول الزياني إن مولاي أحمد ولي العهد فليس كذلك، ومن العجب أنه قال إنه سمع هذه الحكاية من مولانا سليمان رحمه الله كما سمعناه منه، ولا بعد فيه ثم يقول إنه ولي العهد مع أن مولاي أحمد الذهبي رحمه الله قيل إنه كان لا ينفع <حتى>(106) نفسه لعدم صحوه فهو طافح دائما، وقد حضرنا مرة في مجلس القائد الأجل الرئيس الأفضل البركة أبي مروان السيد عبد الملك أبه الحاجي رحمه الله وذكر بعض طلبته هذه القضية فقال السيد عبد الملك سبحان الله، هذا غير صحيح يعني العهد لمولاي أحمد، قال إن مولاي أحمد من يوم مات والده وقدمه العبيد ما أفاق من سكرته الى سكرات الموت، غفر الله لنا أجمعين

---

(106) ما بين العلامتين سقط من (ت).

الراية الرابعة من اللواء الأعظم
راية مولانا احمد الذهبي بن مولانا اسماعيل
وهي راية أصلها الحمرة وغلبت عليها الدكنة والإتساخ

لما مات مولانا إسماعيل رحمه الله تعالى يوم السبت السابع والعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف اجتمع قواد العسكر البخاري وقواد الوداية وأعيان العمال والعلماء والقضاة والكتاب وبايعوا مولانا أحمد الذهبي بأمر العبيد الشبيه بالجبر، ولم يكن ذلك عهدا من أبيه، وكتبوا بذلك للآفاق، ولما بلغ خبر موت السلطان لفاس وتحققوا ذلك كان أول ما بدأوا به قتل قائدهم أبي علي الروسي وبايعوا مولاي أحمد وكتبوا بيعتهم وتوجه بها أعيانهم لمكناس واجتمعوا به فلم يظهر لهم سوء ما فعلوا ولم يعاتبهم، وولى عليهم القائد المحجوب العلج، وأعطى العلماء والأشراف جائزة الولاية والبيعة ‹ووجههم›(1) وجلس للوفود فورد عليه قواد القبائل(2) وعمالها ورؤساء الحواضر والبوادي فأجاز كلا على مرتبته ووجههم، وتفرغ لشأنه فافتتح بقتل عمال أبيه وأركان دولته فابتدأ بعلي ويشي وبعده أحمد بن علي الأشقر ومرجان الكبير قائد عبيد الدار وصاحب بيوت الأموال،وكان تحت نظره ألفان ومائتان من المفاتي كلها مفرقة بأبواب القصور، وكان لكل واحد من هذه(*) المفاتي عبدان وثلاثة فأكثر لخدمته، وحاصل أمر مولاي أحمد الذهبي أن العبيد إنما أقاموه صورة لأنهم علموا أنه لا يدبر معهم شيئا ولا يقدم ولا يؤخر إلا من قدموه أو أخروه، وكل من ثقل عليهم مكانه من أركان الدولة قتلوه ونسبوا ذلك لمولاي أحمد، ولذلك تركوا من أولاد السلطان من علموا قوته وبطشه وتدبيره، وقتل جماعة من الكتاب والقواد ثم أمر بإخراج الأموال ‹لما قتل من كان بيده حفظها وهو القائد مرجان فأخرجت الأموال›(3) والسلاح والذخائر، وفرقت على العبيد والعمال، وأعطى الأشراف والعلماء وخص أفرادا من العساكر بألوف، وفي أثناء ذلك ورد الخبر أن الباشا أحمد بن علي الريفي حرك لتطوان ودخلها،

---

(1) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(2) في (ف) : العبيد

(*) في الأصل و (م) هؤلاء.

(3) مابين العلامتين سقط من (ف) ومن الأصل.

فقام أهلها مع قائدهم السيد عمر الوقاش فحاربوه وأخرجوه من المدينة بعد مقتلة عظيمة، ولم يحصل منهم على طائل، فأعرض السلطان مولاي أحمد عن ذلك ولم يجب عنه لا بما قل ولا بما جل، فدخل داره واعتكف على لهوه وترك الناس يموج بعضهم في بعض ويفعل كل أحد ما أراده، ولم يول ولم يعزل، ولم يسمع شكوى أحد ولم يلتفت لشيء من أمور الدولة فانحل نظام الملك بقتل أولئك الأجناد(4) الذين كانوا أنياب الدولة وأظفارها، وسرادقاتها وأسوارها، وذلك هو مراد أعداء الله العبيد، والدنيا أضداد لابد أن يعقب كل شيء خلافه، فقد كان علي ويشي عامل العمال ورئيس البربر وغيرهم كما تقدم بيانه في أيام مولانا اسماعيل وأحمد بن علي عامل جبال مرموشة وبني وراين وغياثة والحياينة والجبال نظير علي ويشي يضاهيه في نصح المملكة وجلب الأموال وابن الأشقر أمير الزراهنة وعلى يده اعشار القبائل كلها من أهل الغرب وبني حسن نظير الأولين والقائد مرجان صاحب بيوت الأموال بيده دفتر الداخل والخارج والعارف بما يدفعه العمال في كل سنة، فلما ماتوا استخفت الرعية بمنصب الملك واستراحوا ممن يحول بينهم وبين الفساد ويزجرهم عن القبائح خصوصا البربر فقد كانوا في أقمام النحاس وخرجوا منها بموت علي ويشي ورجعوا إلى شراء الخيل والسلاح، فامتدت أيدي النهب في الطرقات وكثرت الشكايات بباب السلطان.

لقد اسمعت لوناديت حيا ولكن لا حيـــاة لمن تنادي

هذا في مكناس، وأما في فاس فقد قام الوداية بأمره ونابوا عن البرابر في العيث والفساد في الأرض ولم يحتاجوا فيه إلى غيرهم، وفي المحرم عام أربعين ومائة وألف أغار الوداية على سوق الخميس ونهبوا وسلبوا وقتلوا وقبضوا على طائفة من أهل فاس فسجنوهم عندهم فوجه أهل فاس جماعة من أعيانهم وأشرافهم وطلبتهم بقصد الشكاية على السلطان فلم يجتمعوا به وقبضهم محمد بن علي الويشي فسجنهم، فلما بلغ خبر قبضهم لفاس قام أهل فاس لحرب الوداية وأغلقوا أبوابهم وعلموا أن ذلك من السلطان، وبلغهم أن الوداية كتبوا للسلطان بأن أهل فاس شقوا العصا، فترادفت عليهم العساكر وركبت عليهم المدافع والمهاريز

---

(4) في (م) : الأجناد.

والمجانيق، واستمر القتال الى أن وجه السلطان أخاه مولاي المستضيء مع الشرفاء الذين قبضهم محمد بن علي ويشي وشرفاء مكناس ليوقعوا الصلح بين الوداية وأهل فاس فوقع ورجعت المحلة، ومن الغد أصبحت عليهم الوداية بالحرب ورمى الكور والبمب، واستمر الحال إلى أن ورد موسى الجراري من عند السلطان في شأن الصلح فوجهوا معه جماعة من الأعيان والعلماء والأشراف وترك لهم رهنا من أصحابه فلم يجتمعوا مع السلطان ولم يحصلوا على طائل، ورجعوا لفاس وبقي الأمر على حاله إلى أن وجه لهم عبيد الديوان أنهم عزلوا مولاي أحمد وولوا أخاه مولاي عبد الملك وطلبوا موافقتهم فأجابوهم إلى ذلك وحالفوهم على الوفاء وأكرموا وفدهم ورجعوا لمكناسة شاكرين.

الراية الخامسة في دولة مولاي عبد المالك

وهي راية بتراء مخرقة الجوانب والأطراف. (مانالها بعد الإنكار اعتراف)(1) لما رأى قواد العسكر وأمناء الأطراف ورؤساء الدولة وأعيان الناس ما أفضى إليه أمرهم من شيوع الفساد في الأرض وانقطاع السبل وتعذر الأمور والأسباب وظهر لهم سوء التدبير فيما فعلوه من مبايعة مولاي أحمد أرادوا استدراك الأمر ورقع الخرق، فوجهوا من يأتي بمولاي عبد الملك من السوس ظنا منهم أنه أحسن من أخيه مولاي أحمد مع أنهم إنما غسلوا دما بدم، وفعلوا ما يئول الى الندم، فلما بلغته مكاتبهم أسرع السير، فلما سمع العبيد وصوله لبهت دخلوا على مولاي أحمد وقبضوه وخلعوه وأخرجوه من دار الملك وثقفوه بداره التي كان يسكن بها قبل البيعة خارج القصبة، وكان ذلك في شعبان عام أربعين ومائة وألف، وفي الغد ركب الجيش كله لملاقاة مولاي عبد الملك، واجتمعوا به على العادة الملوكية والابهة السلطانية وأدخلوه دار الملك، ثم حضر الأعيان من الأشراف والقضاة والعلماء، والأمراء والعمال فبايعوه وكتبت بيعته لحواضر المغرب وبواديه فقدمت وفودهم للتهنئة وجلس لملاقاة الناس إلى أن فرغ من شأنهم ودفعوا له أخاه مولاي أحمد فوجهه يسجن بفاس، ثم بداله فوجهه لتفلالت، قال الشريف القادري في الازهار الندية ولما وجهه لتفلالت كتب لخليفته أن يسمل عينيه معا بنفس وصوله فأخبر بذلك مولاي أحمد فهرب ليلا وذهب إلى زاوية الشيخ سيدي سعيد أحنصال(3) وكان مقدم الزاوية المذكورة إذ ذاك السيد يوسف بن الشيخ(4) المذكور وكان يتكلم في الحوادث فقال له إنك سترجع إلي السلطنة، فبقي هناك حتى وجه عليه العبيد فردوه بعد خلع

---

(1) مابين العلامتين سقط من (ف).

(2) هي الكتاب المطبوع أخيرا كما سماه مؤلفه كما في نسختنا المنقولة من خط مؤلفه ومن الأمانة التاريخية أن يبقى ذلك الاسم للكتاب كما أراد مؤلفه.

(3) سعيد أحنصال في الصفوة ص : 215 «أبو عثمان سعيد بن يوسف الحنصالي الاخذ في آخر أمره عن شيخه أبي الحسن بن عبد الرحمان الدرعي» وفي النشر ج 3 ص 144 ينسب في الطريقه في الاخذ للشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحمان الدراوي دفين تادلا وفي مخطوط خاص منقول من خط مؤلفه «هكذا» ينسب للطريقة عن أبي علي الحسين بن عبد الرحمان الدراوي دفين تادلا «وفي السعادة الابدية انه دفن بزاويتهم بمراكش مما جعل صاحب الاعلام يرميه بالقصور اعتمادا منه على ما رواه في السلوة ج 2 ص 181 قلت ولا يبعد أن يكون هناك أحد من ذريته دفن بزاويته بحومة أمصفح جوار جامعة ابن يوسف.

(4) أما ولده يوسف بن سعيد فله قصة مع أحمد الذهبي، وقتله المولى عبد الله شر قتلة سنة 1144هـ 1731م لأنه كان سببا في القيام على أخيه انظر الأزهار الندية ج 3 ص 355.

أخيه مولاي عبد الملك انتهى بمعناه، ورجا الناس أن مولاي عبد الملك يسير بسيرة أبيه فأخفق السعي وتخلف الظن، وأمسك الله يده عن العطاء للعساكر والوفود والمستحقين ولم يخطر له ذلك ببال، وكان ذلك من الأسباب التي جرت عليه الوبال، فلما طلب منه العسكر البخاري راتب البيعة وجه لهم أربعة الاف مثقال، وكان راتبهم في عقد مولانا إسماعيل مائة ألف مثقال لا ينقص لهم منها شيئا إن لم يزد، ولما بويع مولاي أحمد زادهم خمسين ألفا في الراتب، فلما رأوا هذه المسخرة الواقعة من مولاي عبد الملك اجتمعوا على خلعه وتكلموا بذلك سرا وعزموا على ذلك حتى يهيئوا وقته، فبلغه ذلك فصار يكتب لقبائل العرب ويجمع كلمتهم وظن أنهم يقاومون العبيد، وكتب للبربر يغريهم بالعبيد، وأغرى العبيد بالبربر، وقال لهم لا يستقيم لنا أمر إلا بعد الإيقاع بهؤلاء البربر <وحينئذ يكون الكلام، فشغل العبيد بحركة البربر>(5) ودهاهم بذلك وأمر أهل فاس أن يوجهوا حركتهم لحضرته فقدموا واشتغل بهذا التضريب والمكايد بين العسكر والبربر، فاطلع العبيد على ذلك فقوي عزمهم على خلعه ورد مولاي أحمد لسخانه وتفويض الأمر لهم يفعلون ما أرادوا كما تقدم، فلما تحقق مولاي عبد الملك ذلك منهم وجه لهم الشيخ القطب الرباني مولاي الطيب بن محمد الوزاني(6) فتوجه إليهم ووعظهم <ووعدهم>(7) بالخير إن فعلوا ماأمرهم به من عدم الخروج على السلطان وخوفهم من غضب الله تعالى وقدرته عليهم فلم يزدادوا إلا قساوة وشدة، فوجهوا الخيل لتأتي بمولاي أحمد من سجلماسة وركب العبيد من الديوان وأغاروا على مكناسة وأخذوا سرحهم ودخلوا المدينة فنهبوها وهتكوا الحرمات وقتلوا من أرادوا من أعيانها ودخلوا دار الملك للقبض على مولاي عبد الملك فلم يجدوه لأنه لما سمع ما فعلوه من العيث ركب في أصحابه وفر لفاس ودخل لحرم مولانا إدريس وبعث لأعيان فاس فاستحرم بهم فوعدوه بالدفاع عنه والقيام بأمره، فلما بلغ ذلك للعبيد منعوا رماة أهل فاس الذين توجهوا للحركة وثقفوهم حتى يدفعوا لهم مولاي عبد الملك إذا قدم مولاي أحمد، فلما قدم مولاي

---

(5) ما بين العلامتين سقط من (ف).

(6) الطيب الوزاني ترجمه في الازهار الندية ج 4 ص 178 والمطبوع أخيرا وفي المخطوط بعض النقص والزيادة، خصوصا عند توقف القادري في لطبانيته، توفي رضي الله عنه سنة 1181هـ 1767م.

(7) ما بين العلامتين سقط من (ف).

أحمد أمر بسجنهم وجاء القواد والأعيان وجددوا بيعة مولاي أحمد، وكتبوا بذلك للآفاق، وكان ذلك في ذي الحجة عام أربعين ومائة وألف، ولما بويع مولاي أحمد دخل دار الملك وفرق الأموال والكسى والذخائر تفريق سرف رتبذير لما خوفه العبيد من مثل البخل الذي أوجب عزل مولاي عبد الملك، وكان فعل مولاي عبد الملك أحسن وأقرب للصواب لو رتبه ودرجه تدريج العقلاء شيئا فشيئا ولكن

يغمى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ولم يقدم أحد من أهل فاس لبيعة مولاي أحمد عند رجوعه خوفا مما ارتكبوه من قتل الروسي ونهب، داره وأمواله وأموال المخزن التي كانت تحت يده، وكان مولاي أحمد أعرض عنهم في البيعة الأولى لأن العبيد لم يأمروه بشيء من ذلك فرحا منهم بما ظفروا به من التلاعب بالمملكة، ولما دخل مولاي عبد الملك لفاس بايعوه وجهروا بالمخالفة والعصيان خوفا مما صدر منهم، فكتب لهم مولاي أحمد أن يدفعوا إليه أخاه أو يأذنوا بحرب فامتنعوا ولجوا وأغلقوا الأبواب وعولوا على الحصار، ثم وجه مولاي أحمد للقائد صالح الليريني قائد الرماة المسجونين <أن يسرح ويذهب لإخوانه ينذرهم ويأتي ببيعتهم ليسرح لهم إخوانهم المسجونين>(8) فلما بلغهم وفرغ من قراءة كتاب السلطان مولاي أحمد عمدوا إليه وقتلوه وجروه وصلبوه على التوتة التي بالصفارين وقتلوا الخياط عديل بباب داره، وخرج عبد الله ابن إدريس الإدريسي في جماعة من الخيل والرماة إلى زواغة وأغار على ماشية الوداية غنما وبقرا وكان ذلك شيئا كثيرا فأتوا بها وأدخلوها لفاس فباعوها بأبخس ثمن حتى بيعت البقرة بستة أوجه والشاة بموزونة على ما قيل فخرج السلطان من مكناسة في أول يوم من المحرم عام واحد وأربعين ومائة وألف، فنزل علي فاس ونصب، عليها آلة الحصار، وأحاطت الجنود بها من كل ناحية وأمر بالعيث في بساتينها وبحايرها ونسف ثمارها وإفساد غلاتها، وأمر الطبجية بإرسال الكور والبمب والحجارة عليهم فأرسلوها ليلا ونهارا إلى أن عمها الخراب وتهدم كثير من دورها بالصواعق المدبرة(9)، المهلكة، واستمر عليهم الحرب أياما كثيرة متوالية

---

(8) مابين العلامتين سقط من (م)

(9) كذا بالاصول ولعلها (المدمرة)

ومات أكثر رجالها بعضهم بالحرب <وبعضهم بالردم>(10) وبعضهم بالكور والبمب، فضاق بهم الحال وضعفوا عن مقاومة الجنود، وقلت الأقوات وارتفعت الأسعار فبايعوا السلطان وصالحوه على دفع أخيه، وكتب السلطان لأخيه يخبره في التوجه لتفلالت أو المقام بالحرم، فاختار المقام بالحرم، ثم أمر السلطان أهل فاس ألا يجتمع معه أحد ولا يكلمه ولا يشتري أحد شيئا من أصحابه ولا يبيع لهم شيئا ومن فعل ذلك يعاقب، فلما رأى مولاي عبد الملك ذلك وجه للعبيد ولده يطلبهم أن يؤمنوه فيخرج معهم، فقدم عليه الباشا سالم الدكالي في خمسين من قوادهم وعاهدوه بضريح مولاي إدريس وخرج معهم بالأمان فدفعوه لأخيه فلما وقف بين يديه أمر بسجنه ووجهه لمكناسة مسجونا بدار الباشا مساهل، ولما رجع السلطان لمكناسة مرض فلما أحس من نفسه بالفوت أمر بخنق مولاي عبد الملك<بل إنما فعل ذلك العبيد ونسبوه له>(11) فخنق ليلة الثلاثاء أول يوم من شعبان عام واحد وأربعين ومائة وألف، وفي رابع شعبان مات مولاي أحمد فبينهما ثلاثة أيام، والبقاء والدوام لله وحده، وكان مولاي أحمد أشبه الناس بالأمين بن الرشيد العباسي في زيه ولهوه وارتكاب شهواته وتضييع الحزم والجد والعكوف على المزاح حتى انتشر النظام وفسدت الأحوال، وكان ما كان والأمر لله سبحانه.

(10) بين العلامتين سقط من (ف) ومن الأصل.

(11) بين العلامتين سقط من (ف).

الراية السادسة من اللواء الأعظم من الجيش العرمرم في دولة مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل رحمه الله

وهي راية عالية طويلة الأذيال مختلفة الالوان راكدة الرياح <عليها من كل ناحية صياح>(1)

لما مات السلطان مولاي أحمد الذهبي اجتمع أعيان الجيش البخاري والوداية وقوادهم ورؤساؤهم، واتفقوا على بيعة السلطان مولانا عبد الله وهو بسجلماسة، كان مع أخيه مولاي عبد الملك بسوس، وجاء معه للغرب لما وجه عليه العبيد وبايعوه، فلما ردوا مولانا أحمد الذهبي وفر مولاي عبد الملك لفاس ذهب مولاي عبد الله لداره بتافيلالت فبايعوا مولاي عبد الله بالمحلة ومكناسة ونادوا بنصره، ووجهوا الخيل لتأتي به، وكتبوا لأهل فاس يعزونهم فيمن مات من إخوانهم في الحرب، والحصار ويؤكدون عليهم في الموافقة وعدم المخالفة في بيعة السلطان مولانا عبد الله، ولما بلغ الكتاب قرئ على منبر القرويين فأجابوهم بعدم المخالفة <إن حضر>(2) فلما بلغته الخيل قدم ونزل بظاهر فاس بالمهراس فخرج لملاقاته الأعيان والأشراف والفقهاء ففرح بهم وباشرهم بالإحسان وواعدهم للدخول لزيارة مولانا إدريس في غدهم، ورجعوا لفاس، وفي الغد تهيأوا بلباس الزينة والركوب وحمل السلاح على العادة ونشر ألوية الفرح والسرور، وخرجوا إليه فركب معهم ودخلوا به مع موكبه وخدامه ودائرته على باب الفتوح وكان في جملته حمدون الروسي عدو أهل فاس، فلما رآه بعض مساعر الفتن ومشاهب البلاء من أولاد ابن يوسف وكان قتل أباهم فقصدوه فلما رآهم تنحى فتبعوه ففهم مرادهم وأنهم أرادوا قتله. فأركض فرسه لناحية السلطان فأخبره خبرهم وهو على قنطرة الرصيف، فرجع على طريق جامع الحوت على جزاء ابن عامر وخرج على باب الحديد ولم يزر مولانا إدريس، ودخل لفاس الجديد ولم يعلم أحد سبب رجوعه عن الزيارة الى أن شاع ذلك وطلع أعيان فاس وعلماؤهم وأشرافهم ببيعتهم فدفعوها له واعتذر بعض

---

(1) مابين العلامتين سقط من (ف)

(2) مابين العلامتين سقط من (ف).

الفقهاء بأن ذلك الواقع من السفهاء في شأن حمدون الروسي فأعرض عن ذلك وسكت وأمر أهل فاس بتقويم الحركة معه على العادة فعين خمسمائة من الرماة توجهت معه لمكناسة، ولما بلغ مكناسة قدم عليه أهل الديوان وقواد القبائل والوفود وفرق الراتب ولم يحرم أحدا غير أهل فاس لم يعطهم شيئا الى أن حضر العبيد وقدم العيادون من فاس بهديتهم لحضور العيد، وخرج السلطان للمصلى، وركبت القبائل والعساكر وحضروا صلاة العيد، ولما رجع فرق المال على كل من حضر عدا أهل فاس، وفي الغد أمر بحضور أهل فاس للمشور، فلما خرج وقفوا بين يديه فقال لهم : يا أهل فاس كاتبوا إخوانكم يسلمون لنا البساتين والقصابي فإنها للمخزن ومن وظائفه، فإن أبوا فإني أهدم عليهم تلك القرية، فأجابوه بالسمع والطاعة ورجعوا لرحالهم، ولما جن الليل ركبوا وهربوا وباتوا سائرين وأصبحوا على باب فاس فأبلغوا الخبر الى إخوانهم فاجتمع الأعيان والأشراف والعلماء للنظر فيما يقع به الائتلاف وأخرجوا نسخة بيعته وشروط ولايته، وقالوا ما على هذا الفعل بايعناه، ولا لهذا الجور قلدناه، فاشهدوا أننا خلعناه، وكانت هذه البيعة من إنشاء الفقيه النبيه العلامة الوجيه الذي ولاه السلطان مولانا اسماعيل القضاء ووجهه مع مولاي أحمد الذهبي لتادلة لما خلفه بها، وهو القاضي السيد إدريس بن المهدي المشاط المنافي المرفوع نسبه الى عبد مناف، بيت كبير وشرف قرشي شهير، ونصها :

الحمد لله الذي جعل العدل صلاحا للملك والرعية والعباد، كما جعل الجور هلاكا للحرث ‹والماشية›(3) والبلاد، وسدد العادل بعنايته وأعد للجائر ما هو معلوم له يوم المعاد، وجعل المقسطين على منابر من نور يوم القيامة كما جعل القاسطين الجائرين في العذاب والحسرات والأنكاد، فأسعد الملوك يوم القيامة من سلك مع الرعية سبيل السداد، وأصلح ما أظهره الجائر في الأرض من الفساد، نحمده أن تفضل علينا بإمام عادل، ونشكره أن حكم فينا من لا يصغي ‹في الحق›(4) لقول عادل، فولى علينا الخليفة من نسل الشفيع يوم التناد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي لا يسأل عما يفعل يؤتى الملك(5) من يشاء وينزع الملك ممن

---

(3) مابين العلامتين سقط من (ف)

(4) مابين العلامتين سقط من (ف)

(5) في (ف) (الحكمة)

يشاء في أي وقت شاء وأراد، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله ‹الشفيع في أمته يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا يقبل من القاسطين فداء بطريف ولا تلاد›(6) صلى الله عليه وعلى آله الذين أظهروا الشريعة ومحوا الظلم محو المداد، أما بعد حمد الله الذي أمر بطاعة أولي الأمر، ووعد من نصر دينه بالظفر والنصر، فقال عليه الصلاة والسلام : {من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية}(7) وفي "صحيح مسلم" عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : {من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان} وفي "صحيح مسلم" أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : {من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، وأراد أن يفرق جماعتكم فاقتلوه} وفي "صحيح البخاري" عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {من كره من أميره شيئا فليصبر فإن من خرج عن السلطان شبرا مات ميتة جاهلية} وفيه أيضا عن أبي هريرة أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني} قال الإمام مولانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن عقبة : لعلك لا تلقاني بعد اليوم، فعليك بالطاعة لله تعالى، والسمع والطاعة للأمير وإن عبدا حبشيا، واتفق أئمة الدين على أن نصب الإمام واجب على المسلمين وإن كان من فروض الكفاية كما أن القيام بذلك من الواجبات، كما دلت عليه نصوص الأئمة والآيات، وقيل :

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

ولما كان من ‹أمر›(8) الله سبحانه ما أراده وقدره، وقبض خليفته وأقبره، دهش المسلمون وخافوا من توالي الشرور والفتن فتوجهوا له سبحانه أن يغمد عنهم السيوف، وطلبوا من فضله المعهود أن يصرف عنهم صروف المحن والخسوف، فأجاب الكريم الدعوات، ونفس الهموم والكربات، ونشر رحمته، وأزاح نقمته، فصارت القلوب ناعمة بعد بؤسها، والوجوه ضاحكة بعد عبوسها، والشرور والفتن قد أدبرت، وأعلام الأمن

---

(6) ما بين علامتين سقط من (ل)

(7) الحديث في صحيح مسلم «عن ابن عمر رفعه من خلع يدا من طاعة لقي الله ولا حجة له» الحديث.

(8) ما بين العلامتين سقط من (ل)

والأمان والعافية قد أقبلت، فوفق الله جيوش المسلمين للأعمال المرضية، وألهمهم لما فيه صلاح الدنيا والدين والراعي والرعية، فاقتضى نظرهم السديد، ورأيهم المبارك الرشيد، على بيعة من في أفق السعادة قد طلع، وظهر في سماء المعالي بدره وارتفع، الإمام الهمام، العلوي الهاشمي العدل في الأحكام ‹الموصوف بالكرم والشجاعة والحزم والزعامة المتواضع لله›(9) المتوكل في جميع أموره على الله، أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن الشريف الجليل، الماجد الأصيل، أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف ‹فبايعوه›(10) أعزه الله على كتاب الله وسنة الرسول، وإقامة العدل الذي هو غاية المأمول، بيعة التزمتها القلوب والألسنة، وسعت إليها الأقدام والرؤوس خاضعة مذعنة، لا يخرجون له عن طاعة، ولا ينحرفون عن مهيع الجماعة أشهدوا على أنفسهم عالم الطويات، المطلع على جميع الخفيات اننا بايعناك وقلدناك لتسير فينا بالعدل والرفق، والوفاء والصدق، وتحكم بيننا بالحق، كما قال الله تعالى لنبيه داوود في محكم وحيه {يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق} وقال تعالى وقوله الحق : {ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما} وقال تعالى {ولا تكن للخائنين خصيما} وهذه الرعاية تطلب لربها أن يعين مالكها ويساعده، ويقذف الرعب في قلب من يعانده، وأن يفتح له ما عسر على غيره، ويمده بعزيز نصره، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وبيده القوة والحول نعم المولى ونعم النصير، شهد على نفسه ومن معه العبد الفقير، المذنب الحقير، مميليها وكاتبها إدريس بن المهدي المشاط(11) بمحضر فلان وفلان، وجمهور الفقهاء والأعيان، في يوم الاثنين سابع صفر عام ‹واحد›(12) وأربعين ومائة وألف انتهى.

هذه البيعة نقلها صاحب البستان نقلناها تتميما للأخبار، وإلا فهي كما يرى باردة المزاج مهلهلة الانتساج(13).

---

(9) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(10) ما بين العلامتين سقط من (ف)

(11) المشاط من بني المشاط من بيوتات فاس المشهورين بالحضارة والعلم «كان من العلماء المومنين ولاه المولى اسماعيل القضاء» ووجهه مع ولده احمد الذهبي خلفه بتادلة «وهو عربي قرشي منافي من بني عبد مناف» لم اقف على وفاته عند احد ذكره في تاريخه.

(12) ما بين العلامتين سقط من (ف) وقوله : سابع صفر، تبع فيه الزياني صاحب والترجمان «وفيه نظر. والصحيح ما عند صاحب» الاستقصا » من كونه سابع رمضان، لأنه قدم وأن موت أحمد الذهبي كان رابع شعبان والبيعة لم تكتب الا بعد موته، وقد نص ابن زيدان في «الاتحاف» على تصحيح هذا الغلط.

(13) في (ف) (الانتاج)

ولما وقع ما تقدم من أهل فاس من الاتفاق على عدم التمكين من القصبات والبساتين، وأعلنوا بالخلاف ونادوا في المدينة : من أراد الخروج إلى بلاده فليتهيأ إلى أجل ثلاثة أيام أغلقوا الأبواب، فلما سمع السلطان بذلك تهيأ لحربهم، وجهز العساكر، وخرج في خامس عشري شوال من العام، ونزل على فاس بعساكره من كل ناحية، وسرحها للعيث وقطع الأشجار، وتخريب المباني، وإفساد الزروع والبحائر، وقطع عنهم الوادي، واستمرت العساكر تحاربهم من كل ناحية على كل باب، وفي الليل يأمر الطبجية بإرسال الكور والبمب والحجارة والصواعق المدبرة، فلا ينامون ليلا ولا يستريحون نهارا الى أن ضاق عليهم المتسع وأيسوا من الفرج، ونفدت الأقوات، وارتفعت الأسعار، وكثر الهرج، فبعثوا للسلطان في الصلح، فقال : على تسليم القصابي والبساتين، فامتنعوا وتجلدوا وعادوا الى الحرب الى أن فشلوا بالكلية، وعجزوا عن المدافعة، وعضهم اتصال الحروب، فأذعنوا بدفع القصابي والبساتين، فوقع الصلح على يد القائد محمد السلاوي بضريح مولانا إدريس، فتوجه معه الأعيان والعلماء لفاس الجديد، فأكرمهم وأعطى الشرفاء والعلماء ألف دينار، وكسا الأعيان، وقيد عليهم الحاج علي السلاوي، وفي ثاني المولد النبوي دخل القصبة وعمر أصحابه القصابي والبساتين، وافتتح علي السلاوي <عمله>(14) بقتل الشيخ دحمان المنجاد، فلما بلغ خبره السلطان عزله وولى على فاس البادسي ولد حمدون الروسي، ثم بعد حين قليل عزله وولى عبد النبي بن عبد الله الروسي.

وفي العام وجه السلطان ولده سيدي محمد مع أمه <وجدته>(15) للحج وهو دون بلوغ، ولما أراد السلطان الخروج من فاس ولى عليها حمدون الروسي، وارتحل في العشرين من ربيع الأول عام اثنين وأربعين ومائة وألف، فلما بلغ مكناسة وجد القبائل عادت الى حالها من ركوب الخيل واقتناء السلاح والعيث في الطرقات، فأمر العبيد بتجهيز الحركات لتمهيد البلاد وقصد تادلة بقصد ايت يمور الذين نزلوا بها وأضروا بأهلها لما طردهم آيت أمالوا من رأس ملوية وغلبوا عليهم نزلوا على تادلة وأوقدوها نارا

(14) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(15) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

وفتنة، فكثر شاكيهم على السلطان، فلما أحسوا بقدومه فروا ودخلوا لبلاد آيت اسرى فتبعهم الى أن أوقع بهم في وادي العُبَّاد وقتل منهم آلافا ونهب أموالهم، ولما رجع لتادلة قتل من أعيان<رماة>(16) فاس عشرين، وكتب لأهل فاس يعتذر عن قتل من قتل وأمرهم بتوجيه حركة أخرى فعينوها ووجهها حمدون الروسي، ومن الغد قتل حمدون عبد الواحد بتير ومحمد بن الأشهب بباب السجن وجرهما، ومن الغد أصبح حمدون يهدم أبواب المدينة، فهدم باب المحروق وباب الفتوح وباب الجيسة وباب بني مسافر وباب الحديد وحمل دفوفها لفاس الجديد، وفي أول يوم من المحرم عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف شرع في هدم سور المدينة، ثم ورد كتاب السلطان بالعفو عن أهل فاس فهرب حمدون لزرهون ورجع السلطان من تادلة.

وفي هذا العام حرك السلطان لسوس فمهده ورجع، وفيه بنى باب منصور العلج وأكمل سور القصبة وأمر النصارى والشعابينة (*)أن يهدموا مدينة الرياض التي فيها أخواله الوداية، وفيها دور العمال والقواد والكتاب وأعيان دولة والده مولانا إسماعيل ركب عند الفجر وأشرف على كدية وأمر بالهدم من كل ناحية والناس نيام لا علم لهم، فمن بادر وحمل رزقه نجا، ومن لا معين له أو تراخى بقي متاعه تحت الردم، وارتحل الوداية لفاس الجديد مع إخوانهم، وتفرق غيرهم بالمدينة، وكانت مدينة الرياض زينة مكناسة وبهجتها، وفيها آثار أهل الدولة الاسماعيلية كل من كان له وظيف بخدمتها بنى بها، وتنافس العمال في بناء القصور والدور، فقد كان بدار علي ويشي أربعة وعشرون حلقة يجمعها باب واحد، وكذا دار عبد الله الروسي وأولاده، بل هي أعظم حضارة وضخامة كأنها حومة <وأمثالهما من القواد وبنى كل عامل مسجدا في حومته>(17) ويوسطها المسجد الأعظم السلطاني ومدرسته وحمامه وفندقه وأسواقه المحبسة عليه، وكل ذلك أتى عليه الهدم والإتلاف والفساد والافساد، وكانت تباع بها البضائع وتساق إليها التجارات أكثر من غيرها لأنها محل النفاد والإنفاق، فما مضت عليها نحو عشرة أيام إلا وقد صارت كدية تراب، ولم يبق بها إلا

---

(16) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(*) في الأصل «الشعابنية» وفي (ف) «الشعبانية».

(17) ما بين العلامتين ساقط من (م)

الأسوار والجدرات قائمة.

وفي هذا العام قتل السلطان موسى الجراري وثلاثمائة من أصحابه <قدموا عليه من الحركة ثم قتل بعدهم ثلاثمائة من المجاهدين أهل الريف>(18) قدموا عليه بهدية الباشا أحمد بن علي، فكان قتله لهم سبب نفور أحمد بن علي عنه وإيقاده نار الفتن وفساد دولته كما يأتي، وفيه قتل مائتين من حجاوة على دعوى قطع الطريق ببلادهم، حتى إنه لما قتل هؤلاء القوم خرج لمحل قتلهم فوجد البطالين والنظارين مجتمعين للنظر للمقتولين بباب البطيوي فاتفق خروجه على ذلك <الباب>(19).

فلما رآهم مجتمعين قصد نحوهم، فلما رأوه فروا إلى كهف هناك قريب من ذلك المحل ودخلوه وهو يراهم، فوقف على باب الكهف وكان بقربه ردان من الأحجار للبناء فأمر المسخرين بوضع السلاح وسد باب الكهف بذلك الحجر والتراب، ومات ذلك الجمع الكثير غما ولم يوقف لهم على خبر ولا عرف لهم عدد، ولما صدر منه هذا الفعل الشنيع كتب له أهل الديوان من مشرع الرمل ينكرون عليه قتله للمسلمين دون سبب ولا موجب، فوجه لهم الراتب وأمرهم بالحركة لفازاز، وعلى هذه الحالة السيئة كان القاهر العباسي، قيل إنه كانت له حربة إذا حملها لا يضعها حتى يقتل بها إنسانا فأخذه الجند وخلعوه وسملوا عينيه بالنار ونهبوا متاعه، وكان يقف بالمسجد يوم الجمعة يتكفف الناس ويقول أنا من عرفتم فتصدقوا علي، والعياذ بالله من سلب نعمته وفجأة نقمته، وفي هذا العام وجه السلطان محمد وعلي عاملا على فاس وأمره بقبض المال ورميه بوادي أبي الخراريب ولايتركه لهم، وقال له إنه ما أطغاهم إلا المال حتى استخفوا بالمملكة، ثم جاء لفاس ونزل بدار أبي علي بالمعادي وعين نقيبا من كل حومة عارفا بأهل اليسار فجمعوهم له إلى أن كانوا بين يديه فأمر بسجنهم ووظف عليه أولا خمس مائة ألف مثقال ووزعها على التجار وأهل اليسار <درن غيرهم من العشرة آلاف على الواحد الى الألف واشتغل بالقبض ومن تراخى بالدفع يضرب ومن تغيب من أهل اليسار>(20) قبض ولده أو أخوه أو زوجته، فلما استوفى ذلك العدد رجع إلى أهل الحرف والأصول والبطالين

(18) ما بين العلامتين ساقط من (م)

(19) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

(20) ما بين العلامتين ساقط من (ف)

من الألف الى المائة حتى لم يبق من المدينة أحد بلا غرم، ففر الناس للبوادي والقرى والجبال ومنهم من قصد تونس ومصر والشام والسودان ولم يبق بفاس إلا النساء والذرية الذين لا ولي لهم، والعميان وأهل العاهات، ثم إن الذين كانوا بالسجن لما خرجوا منه فروا وتركوا الأولاد، وأقام بفاس سنة وشهرا، وكلما قبض مالا وجهه لمكناسة، وفي ستة وأربعين ومائة وألف وجه محلة من العبيد وفيها خمسة عشر ألفا من الخيل قائدهم قاسم بن ريسون وثلاثة آلاف من الوداية عليها القائد عبد الملك بوشفرة بجبل آيت أومالوا، فلما قطعت المحلة وادي أم الربيع على قنطرة البروج ونزلت ادخسان فرت البرابرة امامهم للجبال مكيدة فتبعوهم إلى أن توغلوا في الجبال وبعث البربر ‹بالليل›(21) من سد الثنايا التي دخلوا منها بأشجار الأرز والأحجار فلما أصبحوا ‹هجموا›(22) عليهم بالحرب من كل ناحية إلى أن هزموهم ورجعوا على طريقهم فوجدوا الثنايا مسدودة وازدحموا عليها فترجلوا وتركوا الخيل والمتاع والأبنية والأثقال فنهب ‹البربر›(23) جميع ذلك وجردوا العساكر ولم يقتلوا أحدا ورجعوا لمكناسة ملبين، فكان هذا سبب بغض العبيد للسلطان ‹مع إسرافه في قتل رؤسائهم فأعطاهم مالا لكسوتهم ووعدهم باخلاف ما ضاع ورجعوا لمشرع الرمل، وفي سبعة وأربعين ومائة وألف فسد مابينه وبين العبيد›(24) لإسرافه في القتل حتى كاد أن يأتي على عظمائهم وذلك لسبب قتلهم لأخيه مولاي عبد الملك، فكل من حضر منهم قتله أو وافق على قتله، وبلغ عدد من قتل أزيد من عشرة الاف، فاتفقوا على قبضه وقتله، فأنذره بعضهم فهرب ليلا وأصبح في حلة آيت دراسن ففرحوا به وأكرموه وتوجهوا معه إلى أن بلغوا تادلة ومنها إلى مراكش، ومنها إلى سوس، ومنها لوادي نول فنزل على أخواله المغافرة، وكان معه ولده سيدي محمد السلطان صغيرا دون بلوغ، وولده مولاي أحمد بالغا وأقام عندهم ثلاثة أيام(25) وأما محمد وعلي فإنه لما بلغه فرار السلطان خرج من فاس ليلا وأصبح بزرهون ونجا لسبيله.

---

(21) ما بين العلامتين ساقط من (ا)

(22) ما بين العلامتين ساقط من (ا)

(23) ما بين العلامتين ساقط من (ا)

(24) ما بين العلامتين ساقط من (م)

(25) في (م) (أعوام) بدل (أيام)

الراية السابعة من اللواء الأعظم، من الجيش العرمرم في دولة مولاي علي الأعرج بن مولانا إسماعيل وهي راية قصيرة متلاشية شاحبة اللون <ليس لها من الله تاييد ولا عون>[1]

لما هرب السلطان مولانا عبد الله اجتمع عبيد الديوان واتفقوا على بيعة مولاي علي بن مولانا إسماعيل، فبايعوه وكتبوا له ووجهوا الخيل لتأتي به من سجلماسة، فلما بلغ صفرو تلقاه أعيان أهل فاس وعلماؤهم وأشرافهم فبايعوه وفرح بهم وأكرمهم وقدم معهم لفاس الجديد فولى عليهم مسعودا الروسي في ربيع عام سبعة وأربعين ومائة وألف، وكان هذا السلطان مولاي علي رجلا حليما عاقلا متوقفا عن سفك الدماء، فستره الله ولم يفتضح في موقف، ولما ولى عليهم مسعودا المذكور أمره ألا يقبض إلا الهدية والزكاة والأعشار الشرعية، ولما بلغ مكناسة بايعه الجيش البيعة العامة وقدمت عليه الوفود من جميع البلدان ببيعاتهم وهداياهم، وفرق المال على الجيش، ثم لما نفد ماعنده قبض على السيدة خناثة أم مولانا عبد الله وسجنها إلى أن يأخذ ماعندها وامتحنها لتقر بالمال فلم يحصل على طائل منها، وهذه السيدة هي أم السلاطين أعزهم الله، وكانت صالحة عابدة <عالمة>[2] حصلت العلوم في كفالة والدها الشيخ بكار، وقد رأيت خطها على هامش الإصابة لابن حجر وعرف به من عرفه وقال هذا خط السيدة خناثة أم السلطان مولانا عبد الله بلا شك انتهى ثم إن مسعود الروسي قتل الحاج <أحمد>[3] بودي رئيس اللمطيين وأمرهم بجره لباب الفتوح إذ كان هو الذي سعى في قتل أخيه أبي علي لما مات مولانا اسماعيل، فاجتمع أهل فاس وحملوا السلاح وتوجهوا لقتل مسعود فهرب فكسروا السجن وأخرجوا المساجين وقتلوا الحراس، فلما بلغ الخبر الى السلطان أعرض عنهم ووجه لهم القائد غانم الحاجي مع أخيه مولاي المهتدي وقال لهم في كتابه إني عزلت عنكم مسعودا الروسي ووليت عليكم غانم الحاجي

---

(1) مابين العلامتين ساقط من (ف)

(2) مابين العلامتين ساقط من (ف)

(3) مابين العلامتين ساقط من (ف).

فلم يقبلوه ورجع من الغد ووجهوا مع مولاي المهتدي جماعة من العلماء والأعيان بهدية كبيرة، فلما اجتمعوا به قبض هديتهم وعدد عليهم أفعالهم وما ارتكبوه وأمر بسجنهم، فلما بلغ الخبر لفاس أغلقوا أبواب المدينة وأعلنوا بالخلاف وقتلوا أصحاب مسعود الروسي ومن كان له اتصال به، ووقع الشر <مع الوداية>(4) من كل ناحية، وفي رمضان قدم القائد عبد الله الحمري من قواد العبيد واجتمع بأهل فاس واعتذر عن السلطان وأمرهم بتوجيه الهدية والشرفاء والعلماء، وكتب للسلطان يعتذر عنهم فتلقاهم بالتهديد والتشديد، ثم سامحهم وسرح لهم إخوانهم وولى عليهم عبد الله الحمري، وفي عام ثمانية وأربعين ومائة وألف ولى عليهم عبد الله بن الاشقر واشتغل بتجهيز العساكر لآيت أومالو في خاطر العبيد ليأخذوا بثأرهم وخرج بهم في محرم تسعة وأربعين ومائة وألف، فلما أحسوا بإقباله إليهم أظهروا الفرار أمامه وهو ينزل في منازلهم ويتبع آثارهم إلى أن قطعوا وادي أم الربيع وتوغلوا في الجبال فكروا عليهم وانقضوا من كل ناحية من الثنايا والشعاب وأحاطوا بهم فولوا منهزمين وازدحموا في الأوعار وتركوا الخيل والأثقال فأنزلوهم وجردوهم ولم يتعرضوا لمولانا علي في موكبه وخاصته الى أن قطع أم الربيع ورجعوا عنه ودخل مكناسة فطالبه العبيد بالكسوة والسلاح والرواتب، فلم يكن عنده ما يعطيهم، وفي ذي الحجة من العام وصل الخبر بوصول مولانا عبد الله لتادلة قدم من وادي نول فتحدث العبيد برده للملك وخالفهم سالم الدكالي الذي تسبب في عزله مع شيعته وقالوا لانعزل مولاي علي، ثم إن شيعة مولاي عبد الله تقوت علي الأخرى واتفقوا علي بيعته، فهرب سالم الدكالي ومن معه من القواد لزاوية زرهون، ولما سمع بذلك مولاي علي هرب لفاس وأراد الدخول لفاس الجديد فمنعه الوداية، فنزل بوادي سبو حتى قضى ما يحتاج إليه وتوجه لتازا ومنها للأحلاف ففرحوا به وأكرموه وصاهروه وأقام عندهم عدة أعوام معرضا عن الولاية وأسبابها إلى أن رجع لمكناسة بأمر أخيه السلطان مولانا عبد الله لما قدم عليه بدار دبيبغ وأعطاه مالا ووجهه لداره بمكناسة وأعطاه المكس وأجنة المخزن وأرض المخزن، ثم إن العبيد قبضوا عليه ووجهوه له وقالوا هذا أفسد علينا بلادنا فسرحه ووجهه لتافلالت إلى أن مات بها رحمه الله تعالى.

---

(4) مابين العلامتين ساقط من (م).

الدولة الثانية لمولانا عبد الله

لما فر مولاي علي من مكناسة بايع العبيد مولانا عبد الله وبايعه الوداية وأهل فاس وجميع القبائل، ثم بعد ذلك كتب سالم الدكالي من زرهون لأهل فاس يقول لهم إن الديوان اتفق على عزل مولاي عبد الله، وبيعة سيدي محمد بن اسماعيل والمشورة لعلمائكم فأجابوه وقالوا نحن تبع لكم، فلما سمع أهل الديوان ذلك خرجوا من المحلة وتوجهوا لزرهون وقبضوا علي سالم الدكالي ومن معه من القواد ووجهوهم لمولاي عبد الله بتادلة فاستفتى فيهم القاضي أبا عنان(5) كان معه فأفتى بقتلهم فقتلوا، وبلغ الخبر سيدي محمد بن عربية وهو ‹بتافلالت›(6) وظن بأن ذلك صحيح فقدم للغرب فلما بلغ صفرو وجد الناس بايعوا مولاي عبد الله فسقط في يده فقدم لفاس خفية واختفى عند الشيخ البركة سيدي عبد الرحمان الشامي(7) بداره كان صاحبه ويعتقده ويعده بالملك، ولما بويع مولانا عبد الله هذه البيعة الثانية توجه إليه أعيان أهل فاس وأشرافهم وعلماؤهم فوجدوه بقصبة أبي فكران ولما وقفوا بين يديه وبخهم وهددهم وقبض على من كان هناك من أعيانهم فقتلهم وفعل مثل ذلك من أعيان أهل مكناسة واستباح حرماتهم وعزل قاضيهم أبا القاسم العميري، ورجع الأشراف والعلماء لفاس وولي عليهم محمد وعلي ويشي وبقي بالقصبة ولم يدخل لفاس خوفا على نفسه، واشتغل الوداية بنهب الطرقات فأغاروا على سرح فاس كله ولم يتركوا بقرا ولا غنما ولا بهائم، ونهبوا كل مادخل لسوق الخميس، ولما وقع ذلك اتفق أهل فاس وتحالفوا على بيعة سيدي محمد ابن اسماعيل ومخالفة مولاي عبد الله وذلك عام خمسين ومائة وألف.

---

(5) أبوعنان اثنان كلاهما كان قاضيا على عهدي عبد الله1 عبد الواحد الصغير بن علي ت سنة 1151هـ 1738م و2، يوسف بن الطالب بن عبد الواحد البوعناني "ت سنة 1153هـ 1740م، ولا ادري من هو صاحب الفتوى المذكورة" ويغلب على الظن انه القاضي يوسف لملازمته للمولى عبد الله ملازمة الظل للشمس "انظر السلوة العلوي" ج 1 ص 201" وفي انساب الشريف أبي عبد الله محمد الزكي بن هاشم توفي سنة 1270هـ 1853م مخطوط خاص.

(6) مابين العلامتين ساقط من (م).

(7) "أبو زيد عبد الرحمان الشامي الخزرجي من بني الشاميين الخزرجيين الفاسيين" وفي الدرر البهية أنهم يرفعون نسبهم الى سعد بن عبادة الخزرجي "وفي السلوة قال انه لم يعثر على تحقيق وفاته الا أنه كان حيا عام 1150هـ 1737م" قال والغالب أن وفاته في أواخر هذا القرن سلو" ج 3 ص 20 من آخر ترجمته.

الراية الثامنة من اللواء الأعظم من الجيش العرمرم في دولة سيدي محمد بن اسماعيل وهي راية قصيرة مخرقة اسمال مهجورة الاستعمال

لما خالف أهل فاس على السلطان مولانا عبد الله أخرجوا سيدي محمد بن عربية من دار الشيخ ولي الله تعالى سيدي عبد الرحمان الشامي وتعاهدوا معه وقوموا كلما يحتاج إليه من خيل وسلاح حرب وبايعوه في عاشر جمادى الأولى عام خمسين ومائة وألف، وكتبت بيعته في خامس عشر من الشهر المذكور وكتب عليها الفقهاء وامتنع بعضهم وقالوا بيعة مولانا عبد الله لازالت في الأعناق فعزلوا عن الخطط وامتحنوا، وكتب أهل فاس للعبيد بالديوان يعرفونهم بما فعلوا ويطلبون موافقتهم، فأجابوهم بالموافقة وبايعوا ابن عربية، وفر السلطان مولاي عبد الله لجبل البربر وأقام عندهم وفتحت أبواب فاس ودخل السلطان سيدي محمد فاس الجديد، ومن الغد توجه لمكناسة وبايعه العبيد بيعة عامة وقدم عليه الوفود بهداياهم، وفرق على العبيد ماعنده من المال، فلم يقنعهم ذلك وأطلق أيدي النهب في المسلمين، واشتغل هو بنهب الزروع من دور أهل مكناس والبحث عنه في الأهرية والمطامير ومن ذكر له أنه عنده زرع يقبضه إلى أن يظهر ماعنده وكل من أتى بزرع من أهل البادية يؤخذ منه فكثر الهرج والفتنة وفر الناس من المدينة وعم الانتهاب من خارجها، وانقطعت السبل، ثم إن السلطان مولاي عبد الله الذي فر للبرابر جاء ليلة ودخل الإسطبل مع أصحابه وقتل من وجد من العبيد، وحرق نوائلهم ‹ولما بلغ الخبر سيدي محمد› أمر الخيل أن تركب وخرج وقصد السلطان مولانا عبد الله للحاجب›(1) فلما رأى العساكر مقبلة هرب وترك أبنيته ومحلته فنهبها العبيد وتبعوه إلى أن توغل في الجبل ولم يقفوا له على أثر، ولما بلغوا ملوية رجعوا فاعترضهم البربر فحاربوهم وهزموهم وأخذوا أثقالهم ولما بلغوا صفرو وجه ابن عربية لأهل مزادغ وأهل تلك القرى المستضعفين وأمر بقطع رؤوسهم وتوجيهها لفاس يوهم أنها رؤوس البرابر، ووجه أخاه مولاي الوليد لفاس وأمره بقبض

(1) مابين العلامتين سقط من (ب).

الأموال من أشراف فاس فمن أعطى يجلس ومن أبى يخرجونه للحركة فتحير الناس، ولما قدم لفاس قبض على الحاج بوجيدة برادة وكان مثريا وقتله وأخذ أمواله ‹وباع أصوله، ثم قبض على عبد الخالق عديل فأخذ أمواله›(2) ثم تسلط على أهل الزوايا وكل من ذكر أنه من أهل اليسار إلى أن أكمل غرضه، وتوجه لمكناسة ففعل بأهلها كذلك حتى لم يسلم منه أحدٌ، والناس في محنة عظيمة من المجاعة والفتنة ونهب الديار ليلا لا ينام أحد من أهل اليسار، ورجع كل الناس لصوصا والوداية يعيثون في أطراف المدينة والأجنة ويغيرون على القصارين(3) بوادي فاس وبعد أن صاروا يقصرون الكتان بمصمودة أخذوه لهم وأخذوا القفل من الفنادق والسلطان معرض عن جميع ذلك لايلتفت إليه، وقد مات من الجوع عدد لايحصى وأخبر صاحب المارستان أنه كفن في رجب وشعبان ورمضان ثمانين ألفا وكذا دون من يكفنه أهله، وبالجملة فأيام سيدي محمد بن عربية أيام نحس ووبال على المسلمين، وكذلك أيام المستضيئ الذي يساق إليه الحديث، وفي رابع عشري صفر عام واحد وخمسين ومائة وألف قبض العبيد على سيدي محمد بن عربية وقائده على فاس الشريف عبد المجيد المشاوي وسمروا عليهما أكبالا ووجهوا الخيل لتأتي بمولاي المستضيء بتافلالت وأخوجوا بن عربية وعياله من دار الملك وأنزلوه بداره التي على وادي وسلان بجنان حمرية ورتب له العبيد من يحرسه إلى أن يأتي مولاي المستضيء.

---

(2) مابين العلامتين سقط من (م).

(3) في (ف) : (القاصرين) وهو تحريف صوابه ما في الأصل وفي مصباح الفيومي ما نصه : "وقصرت الثوب قصرا بيضته والقصارة بالكسر الصناعة والفاعل قصار".

الراية التاسعة من اللواء الأعظم من الجيش العرمرم في دولة مولاي المستضيء ابن مولاي اسماعيل وهي راية غبراء، واهية سيئة الماهية

لما قبض العبيد على سيدي محمد بن عريبة بايعوا مولاي المستضيئ وكتبوا بيعته للآفاق، ولما بلغ صفروا لقيه أعيان فاس وشرفاؤهم وعلماؤهم ببيعتهم، وقدموا معه لفاس الجديد فولى عليهم القائد أحمد القعيدي والحال ماحال، والظلم ما استحال، وولى عليهم القعيدي خليفته شعشوع اليازغي، وتوجه السلطان لمكناسة، ولما بلغها بايعه العبيد البيعة العامة، ووردت عليه القبائل بهداياهم، ثم وجه أمره لفاس الجديد أن يحضر أعيان فاس لقراءة كتابه ففروا ولم يحضر منهم إلا نحو العشرين فقبضوا وسجنوا بفاس الجديد، ووظف عليهم مالا كثيرا لايقومون به، ثم وجه لفاس سيدي محمد بن عريبة مكبلا يتوجه لسجلماسة يسجن بها، ووجه قائده الشريف عبد المجيد المشامري والشيخ عبد الرحمان الشامي يسجنان بفاس الجديد، ونهبت دار المشامري وعذب إلي أن مات تحت العذاب ومثل به، واحتاج السلطان الى المال للعبيد فاشتغل بالبحث عما في المخازن الإسماعيلية التي لم يلتفت إليها أحد من الملوك قبله، فوقع علي خزين من الحديد وباعه، ووجد الخزين الكبير فيه آلاف من قناطير الكبريت فباعها، ووجد ملح البارود والشب والبَقَّم(1) كان يأتي ذلك من الغنائم، فباع ذلك كله، وقطع سراجب الشطرنجية وهي من نحاس مذهب والدرابيز التي عن يمينها وشمالها من الحديد من باب الرخام الى قصر مولاي يوسف، فألزم أهل الذمة بثمنها، فغرقوا، ثم أنزل المدافع النحاسية التي بالأبراج فكسرها وضربها فلوسا فما أغنى ذلك شيئا، ثم شرع هذا السلطان في القتل وسفك الدماء فقتل كذا وثمانين من بني حسن، وسلط العذاب على مساجين أهل فاس ليدفعوا المال له، فدفعوا ما قدروا عليه، ثم أمر بقبض أشراف فاس ليشتروا أصل المساجين وعذبوا إلى أن دفعوا بعض المال، ثم قبض علي الشريف العراقي الذي بجرنيز على مال أودعته عنده خناثة بنت بكار

---

(1) مابين العلامتين مشكل بالاصل بفتح البا، والقاف مع شده.

فضربوه فامتحنوه، ثم ولى مولاي عمر المدني على فاس ووجه خليفته ابن زيان الأعور وكلفه بقبض مال الأشراف وامتحانهم، فقدم واشتغل بالظلم الفاحش وضيق علي الشرفاء وعذبهم، وكان مولاي عمر يأمره بذلك <حيث نهبت داره أيام ابن عريبة ولم يتكلم عليها أهل فاس فصار ينتقم منهم بذلك>(2) ثم أمر مولاي المستضيئ بقبض ابن زيان ويطاف به علي حمار وهو يقول هذا جزاء من يضر بالشرفاء، ففعل به ذلك وقطع رأسه وعلق بباب المحروق، وبقي الأشراف في العذاب ثم أمر بمساجين أهل فاس فتوجهوا له في السلاسل والأغلال فقتلوا بباب القصبة كلهم، وأمر بإخراج ولد مامي من ضريح مولانا إدريس فلما بلغه قتله، وأسرف في القتل والظلم وأراد أن يتشبه بأخيه مولاي عبد الله الذي جرد السيف وبسط الكف وغطى سخاؤه كل عيب، هذا كان وصف مولانا عبد الله، وأما مولاي المستضي، فإنه كان ظلوما بخيلا سفاكا للدماء، فهو شر كله، وأما مولانا عبد الله فإنه خير وشر، والحسنات يذهبن السيئات، وكان مولاي المستضي، مهزوم الراية حيثما توجه، غير مبارك الغرة، ثم خرج لحركة فازاز معه العبيد والوداية ‹وأهل فاس›(3) فرجع مهزوما يحمد الله على سلامة مهجته وصحة دماغه، فكتب لأهل فاس أن يزينوا المدينة كأنه غلب فتزينت، ثم بعد أيام زينت لصحته، ثم قتل القائد غانم الحاجي والقائد سعدون قائد مكناسة وستة من أولاد الراتمي أصحاب السجن، ثم إن السلطان مولاي عبد الله الذي عند البرابر أمرهم بنهب الوداية والطرقات فمدوا أيديهم في ذلك وانقطعت السبل، وكان مولاي زين العابدين مسجونا عند مولاي المستضيئ، فأمر بإخراجه وضربه بين يديه وامتحنه الى أن أشرف على الموت وبعث به مقيدا لتافلالت مع شرفائها، فبعث العبيد من رده وسرحوه ووجهوه لبني يازغة للقائد أحمد القعيدي وأمروه أن يتركه عنده مسرحا، وفي أثناء ذلك ورد الخبر بأن أحمد بن علي الريفي(4) دخل تطوان ونهبها وقتل من أعيانها نحو الثمانية وهدم أسوارها ووظف على أهلها مالا عظيما بأمر مولاي المستضئ وحيث لم يقبلوا ولايته عليهم، وكان حرك لهم في أيام مولاي أحمد الذهبي وهزموه. فوشى بهم لمولاي

---

(2) ما بين العلامتين سقط من (م)

(3) ما بين القوسين سقط من (ف)

(4) في (ف) (مولاي علي) بدل (احمد بن علي)

المستضيء وقال إنهم شقوا العصا وخالفوا فأمره بالفتك بهم، والسبب الحقيقي الذي حمل أحمد بن علي على ذلك منازعته مع أمير تطوان الفقيه عمر الوقاش(5) الذي ولاه السلطان مولانا إسماعيل حكومة تطوان وكان كاتبا معه، ولما كبر سنه ولاه على إخوانه، وكان الوقاش على أدبه طائش العقل مختل المزاج، ولما حرك لهم أحمد بن علي أيام مولاي أحمد ودخل تطوان على غرة من أهلها وتداركوا أمرهم وحاربوه مع الوقاش أميرهم الى أن أخرجوه وقتلوا من إخوانه عددا كثيرا فكان أحمد بن علي يتربص بهم الدوائر مع ما وصفه به الوقاش ووصف به إخوانه أهل الريف حيث هجاهم هجوا مهلهل البناء مكسوف السنا، وذلك مما يدل على سخافة عقله، من ذلك قولـــه :

بلغت من العلياء ما كنت أرتجي ... وأيامنا طابت وغنى بها الطير
ونادى البشير مفصحا ومصرحا ... هلم أبا حفص فأنت لها البدر
نهضت مجيبا للندا راقصا بها ... وما راعني إذ ذاك زيد ولا عمرو
شرعت بحمده الله للملك طالبا ... وقلت وللمولى المحامد والشكر
أنا عمر المذكور إن كنت جاهلي ... فسل تجد التقديم لي ولا فخر
ظهرت لأحمي الدين بعد اندراسه ... <فطوبى لمن أمسى يحادي له الأمر>
<ولم يبق ملك مستقر بغر بنا>(6) ... وعندي انتهى العلم المبرح والسر
أنا عمر المذكور في كل غمرة ... أنا البطل المقدام والعالم الحبر
ضبطت البلاد وانتهيت لغيرها ... وعما قريب يعظم الجاه والقدر
ففر طوط والرحمون والقوط عصبتي ... <وراغون كنزي والصغير به الظفر>
<أولئك أنصاري وأرباب دولتي>(7) ... وأهلي وأنصاري هم الأنجم الزهر

إلى أ ن قال غير مستحي بسخيف المقال :

وجئت بعدل للعمرين تابعـا ... أنا الثالث المذكور بعدهما وتر
فـمن ذا يضـاهيني ومـالي(8) وافـر ... وذكري معمور به البر والبحر

---

(5) الوقاش الحاج عمر بن الحاج عبد السلام الوقاش به اشتهر، ويعرف بلوقشر بفتح القاف وأصله لوكسر اسم لعائلة أندلسية من بقية ملوك بني أمية سموا باسم حصن من حصونها قال في الاتحاف ج 5 ص 489، كذا في عمدة الراوي لأبي العباس احمد بن محمد الرهوني التطواني وقال توفي سنة 1156، ورده صديقنا الأستاذ محمد داود مؤرخ تطوان بأن وفاته سنة 1149هـ-1736م. وبالجملة فقصة الوقاش تعرف من التاريخ، النشر ج4، ص24. 2 ، الزياني في بستانه وروضته،3، الجيش العرمرم،4، الدرر المنتخب لابن الحاج ،5، الاستقصا،. 6، الاتحاف لمؤرخ الدولة ابن زيدان ،7. تاريخ تطوان للفقيه الاستاذ مؤرخ تطوان مجلد 2 ،3 فصل ترجمته حسب بغية الباحث.

(6) مابين العلامتين سقط من (م).

(7) مابين العلامتين سقط من (م).

(8) في (ف) (وليس) بدله (مالي).

ويعد هذا من الهذيان الدال على الحماقة، والسكر الذي لم تعقبه الإفاقة، ما لا يمكن ذكره، ولا يجحد نكره، وقد أجابه السيد محمد بن بجة الريفي(9) العرائشي بكلام على رويه وصفته حذو النعل بالنعل، فلا تسود بها الصحيفة(10) ولا تدنس بمثله الحضرة الشريفة، وإنما ذكرنا ما تقدم لأنه من التعجب بمكان، وفي رابع عشر ذي القعدة عام اثنين وخمسين ومائة وألف بلغ مولاي المستضيء أن العبيد أرادوا عزله وبيعة مولانا عبد الله فخرج من مكناسة بقصد زيارة مولانا عبد السلام رضي الله عنه، فتبعه السلطان مولانا عبد الله والعبيد فتحاربوا معه فهزمهم ورجعوا عنه، وتوجه لنواحي طنجة فأقام بها نحو شهرين، وتوجه لمراكش لأنهم كانوا بايعوه، وكان أخوه مولاي الناصر خليفة بها، ولما دخلها وجه لقبائل الحوز يستصرخهم على أخيه مولانا عبد الله ويتوجهون معه فلم يجيبوه الى ما طلبه لأن عبدة والرحامنة وأهل سوس شيعة السلطان مولاي عبد الله، ولم يبق معه إلا دكالة أخواله، وبنو حسن من عرب اليمن، فأقام بمراكش الى عام خمسة وخمسين ومائة وألف، فاتفق العبيد على بيعة مولاي عبد الله.

---

(9) محمد بن محمد بن بجة الريفي العرايشي "الذي أجاب الرقاشر على كلامه السخيف الذي يصدر من جاهل فضلا من فاضل "وكان الجواب بدوره مثل المجاب في سخافته حسب انتقاد المؤرخين.

(10) أورد الزياني جواب بجة الريفي على شعر الوفاشر في نظيم من 44 بيتاً في كتابه البستان والروضة "وأورد صاحب الاستقصا، بيتين من النظم قال بعدهما إن القصيدة طويلة الا أن قائلها لم يحكم صناعة الشعر فلذا تركناها الاستقصاء ج 4 ص 56 طبعة مصر دار الكتاب بالدار البيضاء ج 7 ص 117.

دولة مولانا عبد الله الثالثة

لما توجه مولاي المستضئ لمراكش خلعه العبيد وبايعوا مولانا عبد الله وكتبوا للوداية وأهل فاس فبايعوه وخطبوا به، وزينت المدينة، وفي الغد قدم لفاس مولاي زين العابدين الذي كان عند القعيدي ببني يازغة، وفرح ببيعة أخيه وزوال مولاي المستضئ وفراره، فتوجه لمكناسة، وفر وزير مولاي المستضئ وهو السيد علي العميري(1) أخو القاضي أبي القاسم ودخل القاضي أبو القاسم العميري للحرم ووجه أهل فاس أشرافهم وعلمائهم وأعيانهم للسلطان ببيعتهم، وتوجه معهم الحجاج والتجار والسلطان مقيم بالمزم، ووجه العبيد لفاس عبد الله الحمري قائدا بها عن أمر الديوان، وقد كثر القطاع في الطرقات واللصوص بالمدينة، وفي خامس عشر رجب عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف قدم السلطان من المزم لمكناسة وقبض على القاضي أبي القاسم العميري والسيد أحمد الشدادي(2) والعباس ابن رحال(3) والفقيه المليتي(4) وأزال عمائمهم وفضحهم، وقال لهم كيف تزوجون نسائي من أخي وأناحي، ونكلهم النكال الكبير وأمر بسجنهم، وولى على فاس شيخ الركب الحاج عبد الخالق عديل، وعلى قضائها السيد يوسف أبا عنان(5) وأمره أن يعزل القضاة والخطباء الذين خطبوا بمولاي المستضيء في البلدان كلها، وأعطى دار القاضي العميري لواحد من العبيد، وقال لهم من أراد منكم دارا يأخذها فامتدت أيدي العبيد لأهل مكناسة حتى صاروا يقفون لهم بالأبواب ويقولون سيدي أعطاني دارك وبنتك، فيفتدون منهم بالمال، وكانوا معهم في محنة ومشقة

---

(1) العميري بفتح العين نسبة لبني عمير فرقة من تادلا التادلي علامة مشارك أحد صدور علماء الدولة الإسماعيلية" ولاه السلطان وزارة الأوقاف بسائر إيالته يحاسب النظار ويسجل عليهم،" واستوزره المستضيء بن المولى اسماعيل في دولته فصار سيرة حسنة توفي سنة 1150هـ 1737م الاتحاف ج 5 ص 475

(2) "الشدادي نسبة لبني شداد من القبيلة الزجلية بأعلى شفشاون، كان مع الجماعة المنكرية من قبل المولى عبد الله بن المولى إسماعيل، ولي الأتحاف ج 5 ص 544. قال وفي يوم الخميس 11 رجب عام 1153هـ 1740م. قبض السلطان عبد الله على المترجم (أي أبي القاسم العميري) بدعوى أنه مع غيره من العلماء (سيدي أحمد الشدادي) وابن العباس أحمد بن الحسن بن رحال المعدني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الله المليتي وفضحهم على رؤوس الاشهاد وقال لهم كيف تزوجون أخي المستضيء بنسائي وهن لم يخرجن من عصمتي بوجه من الوجوه الشرعية وعفا عنهم بعد سجنهم ونكلهم النكال الكبير. النشر ج 4 ص 24، وص 77 توفي سنة 1163هـ 1749م

(3) ابن الحسن ابن رحال المعدني لم أقف على ترجمته.

(4) المليتي كذلك.

(5) ترجمه في السلوة ج 1 ص 201. قال في حقه ولي القضاء بفاس وهو ابن عشرين سنة، ولاه إياه السلطان مولاي عبد الله العلوي سنة 1153هـ وفوض له في الولاية والعزل في القضاء والأئمة والخطباء والنظار والمحتسبين ولم يذكر سنة وفاته.

لم تلحق غيرهم ومن شكا منهم يعاقب ويسجن، والسلطان مقيم بباب الريح لم يدخل القصبة التي كان بها مولاي المستضيء، وأما الوداية فلم يقدم على السلطان أحد منهم، وكذا الباشا أحمد ابن علي وأهل الريف والفحص وقبائل الجبال، فاغتم السلطان لذلك غاية، وتشفعت في الوداية أم السلطان السيدة خناثة بنت بكار، ووجهت له جماعة منهم فعفا عنهم، وفي أثر ذلك بلغ السلطان أن أحمد بن علي توجه للقصر ونواحيه، ونهب أموالا كثيرة لأهل الغرب وشيعتهم ممن ليس من حزبه، فوجه السلطان جيشا من عبيد الرمل ينزل بالقصر لحراسة الرعية، فلما سمع به أحمد بن علي فرق الراتب وتهيأ للخروج إليهم فورد عليه شرذمة من الوداية وأخرى من العبيد، فأخبروه أن المحلة رجعت لأن ذلك الوقت لم تجتمع فيه كلمة لأحد من الرعية ولا من الجيش، وكان السلطان مولانا عبد الله وجه عامله القائد أحمد القعيدي عاملاعلى جبالة والحياينة يجبي الأموال والزكوات، وكان في وسط بلاد الحياينة فعمدوا إليه وقتلوه، فلما بلغ الخبر للسلطان اغتم غما شديدا واغتاظ لأنه كان عماد دولته وركنا شديدا منها، فانحل بموته نظام الملك، وفسدت الطرقات، وكثر النهب في كل موضع، ثم إن السلطان أمر المسخرين الذين كانوا معه أن ينهبوا زروع مكناسة، فوقع من الفتن مالا يدخل تحت الحصر، وذلك عام أربعة وخمسين ومائة وألف، ووظف عليهم وظائف كثيرة من دفع المئونة له ولأصحابه وإعطاء الخدامين لباب الريح للبناء، وتشفعوا له مرارا فلم يقبل شفاعتهم، وفي ربيع الأول من العام هربت أم السلطان السيدة خناثة وخرجت من مكناسة لفاس الجديد لما سمعت أن العبيد أرادوا عزل ولدها، ومن الغد تبعها ولدها ونزل برأس الماء(6) فخرج إليه الوداية وأهل فاس وفرحوا به واستعطفهم وقال لهم أنتم جيشي وعدتي ويميني وشمالي، وأريد منكم أن تكونوا على كلمة واحدة، وعاهدهم ورجعوا، وفي أثناء ذلك بلغه أن الباشا أحمد بن عبد الله(7) وجه لعبيد الرمل واتفق معهم على خلعه وبيعة مولاي زين العابدين، وكان عنده بطنجة فأذنوا له في بيعته، فبايعوه بطنجة وتطوان وتلك الجبال وخطبوا به، ووجه معه الخيل لمكناسة فبايعوه بها في ربيع عام أربعة وخمسين ومائة وألف.

---

(6) في (ل) راس الراو.

(7) في (م) أحمد بن علي وهو الصواب.

الراية العاشرة من اللواء الأعظم من الجيش العرمرم راية مولانا زين العابدين بن مولانا إسماعيل وهي راية غبراء مكسورة غير مرفوعة ولا منشورة

لما قدم مولانا زين العابدين لمكناسة وبويع بها البيعة العامة، وقدمت عليه الوفود ماعدا الوداية وأهل فاس فر السلطان مولانا عبد الله من ‹رأس الماء›(1) لبلاد البرابر، وفي نصف جمادى الأولى نزلت محلة العبيد مع سلطانهم بسيدي عميرة بقصد الحصار على فاسين وحرقوا الزرع بالأندرو وفي غده افترقت كلمتهم وانتشر عقد رأيهم، فرحلوا بسلطانهم وكفى أهل فاس شرهم ورجعوا خائبين، فلما بلغت محلة العبيد مكناسة نهبوا خريف الأجنة، وأفسدوا ما قدروا عليه، وذهبوا للرمل، وفي سادس عشر ‹جمادي الأخير›(2) دخل السلطان مولانا عبد الله فاسا الجديدة وتلقاه الوداية وأهل فاس وخرج من يومه لدار دبيبغ، وفي النصف من رمضان وردت عليه كثيبة من الخيل وجماعة من قواد العبيد وأخبروه أن إخوانهم عزلوا مولاي زين العابدين وبايعوه، ففرح بذلك وخرج الوداية مع العبيد ولعبوا البارود على الخيل وزينت المدينة وجاء الخبر أن مولانا زين العابدين هرب من مكناسة.

الدولة الرابعة لمولانا عبد الله

لما بايعه العبيد ‹بالرمل›(3) جددت بيعته الوداية وأهل فاس والقبائل والبربر والعرب واستمر الحال على ذلك إلى آخر القعدة، فورد الخبر أن غوغة العبيد رجعوا عن بيعته وبعثوا لمولاي المستضيء لمراكش فاشتغل السلطان مولاي عبد الله بتأليف القبائل من العرب والبربر مع الوداية وأهل فاس، فتحالفوا على أنهم يدافعون عنه ويحاربون من قصده، وأنهم يموتون دونه فتم له ما أراد من ذلك، وفي تلك الأيام ورد الحاج أحمد السوسي من مراكش فتحدث أنه دعا أهل فاس سرا لمبايعة

---

(1) مابين العلامتين سقط من (م).

(2) مابين العلامتين سقط من (ف).

(3) مابين العلامتين سقط من (ف).

مولاي المستضيء، فأعلموا السلطان بذلك فأمر بقتله فقتل وفي المحرم عام خمسة وخمسين ومائة وألف دخل مولاي المستضيء مكناسة ومعه السيد علي العميري وأخوه القاضي أبو القاسم وفي آخر المحرم ورد كتاب الباشا أحمد بن علي لأهل فاس يطلب منهم أن يبايعوا مخدومه مولاي المستضيء ويدخلون في زمرته، فامتنعوا من ذلك، وفي ربيع الأول من العام نزلت محلة العبيد مع مولاي المستضيء بظهر الزاوية من فاس، فهرب السلطان مولانا عبد الله من دار دبيبغ إلى آيت ادراسن، وفي الغد وقع الحرب بين الوداية وأهل فاس والحياينة وشراقة وأولاد جامع مات فيه من الفريقين <عدد كثير>(4) وفي ربيع الثاني ورد السلطان مولانا عبد الله بجموع البربر من آيت أمالوا وزمور وبني حكم وآيت ادراسن وجروان بعدد لا يحصيهم إلا خالقهم، وشارة من اللباس والسلاح تحزن الأعداء، وتفرح الأوداء. فلما رأى مولاي المستضيء ومن معه من العبيد جموع البربر وتحققوا أنه لا طاقة لهم بحربهم ارتحلوا ليلا ولم يصبح الا أثرهم، ففرح الناس بذلك لانفصال تلك الجنود بلا قتال، وفي سادس جمادى الأولى ماتت السيدة خناثة أم السلطان رحمها الله ودفنت بقبور الأشراف من فاس الجديد.

وفي جمادى الثانية وقعت فتنة بين الحاج عبد الخالق عديل وسيدي محمد الغالي الإدريسي، فاشتكى به عديل للسلطان فأمر بقبضه فهرب لضريح جده، فأمر أهل فاس بإخراجه فضيقوا عليه الى أن طلب الأمان وخرج ووبخه السلطان وضربه وسجنه، وأمر أهل فاس بقتل أصحابه فقتلوهم، ولما سافر الركب النبوي وجه معه السلطان ثلاثة وعشرين مصحفا كلها محلاة بالذهب منبتة بالدر والياقوت ومن جملتها المصحف الكبير العقباني الذي كان يتوارثه الملوك بعد المصحف العثماني الذي كان عند بني أمية بالأندلس، وانتقل الى هذه العدوة على يد عبد المؤمن بن علي ثم إلى بني مرين كذلك إلى أن غرق في البحر في أسطول أبي الحسن، وهذا مصحف عقبة ابن نافع الفهري نسخه بالقيروان من المصحف العثماني إحدى النسخ التي كتبها سيدنا عثمان رضي الله عنه وجهها للآفاق، فكان هذا المصحف العقباني وقع بيد الأشراف الزيدانيين فتداولوه بينهم

(4) مابين العلامتين سقط من (ف).

إلى أن بلغ السلطان مولانا عبد الله فغربه من المغرب ورجع دره إلى صدفه وابريزه إلى معدنه، قال الشيخ المستاوي : وقد وقفت عليه حين وجهه السلطان للحجرة النبوية، وظهر لي أن تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر لبعد ما بينهما، وبعث معه ألفين وسبعمائة حصاة من الياقوت المختلف الألوان للحجرة النبوية على الحالّ بها أفضل الصلات وأزكى السلام، وفي ثاني عشري المحرم عام ستة وخمسين ومائة وألف نزل الباشا أحمد بن علي الريفي بجموعه بالعسال، ونزل مولاي المستضيء بجواره مع عبيد البخاري قائدهم فاتح بن التوبي(5) ولما بلغ الخبر للحياينة وأولاد جامع وشراقة انحازوا كلهم لفاس ونزلت حللهم داخلها وخارجها وأجنتها ووقعت فتنة عظيمة، ودهش الناس من هول هذا الريفي، وانتهبت مواشي فاس، وماتت جوعا وارتفعت الأسعار، وفي كل صباح ومساء تخرج المدافع وتقرع الطبول في محلة الريفي ومحلة مولاي المستضيء، فاستعد الناس للحرب وركب السلطان مولانا عبد الله في نحو عشرة من الخيل وقصد آيت ادراسن بسهب عشار، ودخل حلة عبد الله ويشي، وقلب سرجه وسطها، فاجتمع عليه من حضر من البربر، وقال جئتكم لتنصروني على هذا الجبلي الذي هو عبدنا وخديمنا وأطغاه المال الذي اكتسبه في خدمتنا، وسرقه من أمانتنا، وأراد أن يفضحنا وجره إلينا أخونا المستضيء وهو أراد الاستيلاء على بلادنا، وهي في الحقيقة بلادكم، وما قصد إلا إهانتكم وأنتم أحق وأولى من ينصر أهل البيت ويحمل العار وعليكم السلام وركب فرسه ولم يبت إلى دار دبيبغ وفي الغد ارتحل الريفي إلى بلاد الحياينة وهو يظن أنهم مازالوا بها ولما لم يجد بها أحدا رجع إلى محله الذي كان به، وفي الغد وقع حرب خفيف بين الوداية والحياينة والشراقة، وفي غده ركب الباشا ووقف برجاله على كدية تامزيزت فوق القنطرة، وقطعت جموعه لأرورات وتبعها مولاي المستضيء بعساكر العبيد ووقفت الوداية والحياينة وإشراقة وأولاد جامع < وأهل فاس>(6) بالعين المقبي(*) إلى دار ابن عمرو، فلما شاهدوا جموع الريفي ومولاي المستضيء بتلك البسائط صاحوا بهم صيحة واحدة، فلما خالطوهم انهزموا ووقع بهم ما وقع وأحاط بهم القتل والسبي وازدحموا

---

(5) في (م) : التوني.

(6) مابين العلامتين سقط من (ل).

(*) بالأصل وف «المنقبي».

على القنطرة وتراكموا فيها وتساقطوا في الوادي والبربر في أثرهم يقتلون ويسلبون وأما الريفي فإنه لما رأى الهزيمة متوجهة إليه ركب واستقبل الفضاء فارا بدماغه، ولم يلتفت أحد من المنهزمين من نحو المحلة، فلما بلغها البربر تركوا أتباع الهزيمة واشتغلوا بالنهب في المحلة للمباني والكراع والأثقال والأمتعة الفاخرة ولم يتركوا إلا المدافع والكور والمومب والبارود، ووقف القائد بوعزة صاحب الشربيل على آلات الحرب من المدافع وغيرها، فحازها ورجع الناس بالغنائم الكثيرة ولقيهم <البرابر>(7) الذين لم يحضروا فانتزعوا منهم ذلك وكان السلطان سيدي محمد بن عبد الله حاضرا في تلك الوقعة مع أبيه، قال وجهني والدي مع إخواننا الوداية فلما هبت رياح النصر وانهزم العدو في ساعة واحدة وكنت في خمسين خيلابين أصحابي والوداية فقصدنا المحلة فوقفنا على قبة الباشا وأحرزتها وقبضنا الحمارة فحملوا لنا على عشرين بغلة من الريال في ربائعه، وحملنا على ثلاثين جملا من الملف والكتان حمله لنا البداوة أصحاب الإبل، وحملوا لنا قبتين قبة أحمد بن علي وقبة أخرى أظنها قبة مولاي المستضيء <والبرابر والحياينة وشراقة والوداية وأهل فاس كل واحد يحمل من ناحية>(8) ولما خرجنا من المحلة وقف علينا طوائف وكتائب من البربر الذين لم يحضروا المعركة فلما اختلطوا بنا ماعرفنا <أين>(9) البغال ولا الإبل وسار مع كل بغلة <أو جمل>(10) خمسون من الخيل فأكثر، فلم يجتمع منا اثنان ورجعنا كما خرجنا من ديارنا بالسلامة، وهكذا وقع لكل من نهب شيئا من حزبنا إلا من دخل مع البربر في الحصة ولما فرغ الناس من النهب اشتغل العبيد بجمع الرؤوس فكان عددها مابين البيض والسود ثمان مائة ونيفا فيهم رأس الباشا فاتح ابن التوبي(11) ووجه السلطان مولاي عبد الله بغاله ورجاله لجر المدافع والمهاريز وحمل البارود وعدده ثلاثمائة برميل في كل برميل قنطار، فأدخلوه لخزين فاس الجديد، وحملوا الكورة والبومب والمدافع

---

(7) مابين العلامتين سقط من (ف).

(8) مابين العلامتين سقط من (ف).

(9) مابين العلامتين سقط من (ف).

(10) مابين العلامتين سقط من (ف).

(11) سجلت هذه النسبة وكانت في الأصل وفي الفاسية : (التوبي) بمثناة فوقية وباء أما في (م) فكانت : (التوني) بنونين بلفظ حرف الهجاء. أما هنا فكانت (التوبي) كالمنسوب الى التوبة في الأصل وفي الفاسية أما (م) ففيها : (التومي) بالتاء المثناة من فوق والميم وليحقق ماليه.

والمهاريز لدار دبيبغ، وكانت هذه الوقعة فتحا عظيما، قال السلطان سيدي محمد : وهذه أول وقعة وجهني والدي فيها وأول حرب باشرته وأنا إذ ذاك في سن البلوغ وكان لي ولوع بالطعن والرمي بالرمح والحرب، إلى أن أحكمت ذلك إحكاما تاما، انتهى كلامه. ‹ولما بلغ المنهزمون جبل الحبيب اعترضهم أهله وقاتلوهم وقتلوا سيدي محمد ابن المستضيء حسبوه من أهل الريف›(12).

ولما بلغ الباشا طنجة اشتغل بتخليف ماضاع له من الخيل والسلاح والخزائن والأبنية لأهل الريف والعبيد، وصمم على إعادة الحركة لفاس وحلف أن لا يأكل لحما ولا يشرب لبنا حتى يدخل فاسا وينهبها، ولم يقل إن شاء الله تعالى، ووجه لسلطانه مولاي المستضيء مائتين من الخيل ومائتين من الخباوات وألف مكحلة وخمسين ألف مثقال يدفع ذلك للعبيد، فلما فرغ من قضاء أمور سفره وذلك في جمادى عام ستة وخمسين ومائتين وألف، خرج من طنجة ولما بلغ خبر خروجه للسلطان مولانا عبد الله لم يسعه التخلف عن ملاقاته، وكتب لأهل الغرب والحياينة وشراقة وأولاد جامع وجميع شيعته وفرق الراتب علي العبيد والوداية وزرارة، وعين أهل فاس حركتهم وبعث لآيت اضراسن وكروان، وقال لهم إن أردتم الأموال فتأهبوا للحركة لطنجة فأسرعو للقدوم عليه بألفين من الخيل وأكثر من الرماة، وخرج السلطان من فاس آخر جمادى، ونزل على وادي سبو وأقام به إلى أن عرض العساكر وعبى الجيوش ورتبها، فجعل رماة عبيده ورماة أهل فاس في رحى قائدهم بوعزة صاحب الشريبل، وجعل الوداية وزرارة وأهل سوس في رحى خيلهم ورماتهم لنظر حاجبه القائد عبد الوهاب اليموري وسار علي هذه التعبئة فلقيه شراقة وأولاد جامع وأولاد عيسى فجعلهم في رحى قائدهم الشيخ أحمد بن موسي الشرقي، ولما قطع وادي ورغة وجد أهل الغرب ‹بمحلتهم›(13) في انتظاره قبات معهم بعين قرواش، وفي الغد جعل بني مالك في رحى قائدهم القائد بوسلهام الحمادي وسفيان في رحى قائدهم عبد الله السفياني وتوجه في ظلال النصر والسعادة.

وأما مولاي المستضيء مع العبيد وبني حسن فإنه لما بلغه خروج

---

(12) مابين العلامتين سقط من (م).

(13) مابين العلامتين سقط من (ف).

السلطان من فاس خالف هو لدار الملك لمكناسة فدخلها علي غرة من أهلها فعات وأفسد، ونهب ما وجد وفعل بنو حسن فيها الأفاعيل من سبي النساء والذرية، ثم تدارك أهلها أمرهم وقاموا لحربهم في وسط المدينة وقتلوا منهم ما لا يحصى ورجعوا منهزمين. وأما أحمد ابن علي الريفي فإنه أقام بالقصر في جموعه من أهل الريف والفحص وجبالة وبداوة والخلط والطليق وأهل العرايش والقصر ينتظرون سلطانهم مولاي المستضيء في العبيد وبني حسن، ولما أبطأ عليهم وسمع بقدوم السلطان مولانا عبد الله ارتحل من القصر، وفي ذلك اليوم اجتمع مع السلطان مولانا عبدالله بدار العباس على وادي لكس، فلما تراءى الجمعان وأرادا النزول قال لهم السلطان لا نزول إلا بالغنيمة أو الهزيمة فأعجل أعداؤه على النزول فتقدم في أخواله وعبيده فحمل على مقدمتهم فصدمها وهزمها في حين، وكان فيهم الخلط والطليق وأهل الفحص والبداوة فظهرت راية أهل الريف التي فيها الباشا أحمد فحمل عليها السلطان حملة ثانية فانهزمت مدبرة فتبعها العساكر يقتلون ويسبون الي أن أظلم الليل وبقيت جميع الأثقال والكراع والمتاع بأيدي عسكر السلطان، فنزل هو بمحلته بدار العباس ورجعت العساكر بالغنائم وأتو برأس الباشا عرفه بعضهم في وسط القتلي فقطعه وأتى به إلي السلطان فبعثه إلي فاس يعلق بباب المحروق، وفي الغد توجه السلطان لطنجة فقدم عليه وفود جميع القبائل بها للتهنئة بالظفر، فأمن من كان في حزب أحمد بن علي وعفا عنهم إلا من كان من خاصته، وله اتصال بخدمته، ودخل السلطان لطنجة وكلف الخواجا عديل وجماعة من أهل فاس بإحصاء ما في دار الباشا أحمد فأخرجوا المال من الخزائن والكساوي والملف والكتان والسلاح وغير ذلك من السروج والفرش والنحاس والإماء والعبيد والخيل والبغال وأمر بجمع المواشي من البقر والغنم والإبل فجيء بذلك فأعطى الماشية كلها للبرابر وأطلق أيدي المحلة على الزرع ونقله من الأمراس إلى أن استوفى غرضه واستخلص ماعند عمال الباشا وكتابه وخاصته من الأموال وأقام بطنجة أربعين يوما.

وأما مولاي المستضيء فإنه لما انهزم من مكناسة بعد دخوله وبلغه موت أحمد بن علي ونهب محلته وداره سقط في يده، فلما بلغه أن السلطان رجع من طنجة حرض العبيد وبني حسن على تجديد الحركة

واعتراض السلطان في الطريق عند رجوعه، فتوجه قاسم بن عريف لبني حسن يأتي بهم، وتوجه مولاي المستضيء «مع العبيد يجددون الحركة فقوم العبيد عشرة الاف من الخيل وقوم بنو حسن عشرة الاف كذلك ولما قدم القائد قاسم بمحلته للرمل خرج مولاي المستضيء»(14) بعشرة الاف من العبيد وتوجه لاعتراض السلطان وفجاءته على بغتة وغرة، وما علم أن الحازم لايغتر فجاءتهم عيونهم أن السلطان بات بدار العباس فصبحوه بها، فركب السلطان في الخيل علي عجل وترك الرماة بالمحلة فلقي العبيد وبني حسن ووقع القتال ساعة فانهزم بنو حسن في الميمنة وبقي مولاي المستضيء في الميسرة مع العبيد فقصده السلطان فيمن معه فهبت رياح النصر فانهزم العبيد مع سلطانهم فوجه السلطان بوعزة صاحب الشربيل في راية وأمره ألا يقتل العبيد، وإنما يجردهم لا غير، ويوصي أهل الغرب والبربر بمثل ذلك، فكفوا عن قتلهم ولم يقع القتل إلا في بني حسن، وكانت هزيمة عظيمة قتل فيها من بني حسن أكثر من ألف قتيل، ونهبت لهم أزيد من خمسة آلاف(15) من الخيل والسلاح، وتوجه مولاي المستضيء معهم يرجو الكرة حيث كانوا شيعته هم ودكالة وأهل مراكش، وكان أخوه مولاي بناصر خليفته على مراكش، ولما بلغ السلطان لفاس الجديد فرق المال على أخواله وعبيده وأسهم أهل فاس وأقام بدار دبيبغ عام خمسة وسبعين ومائة وألف فقدم عليه جماعة من قواد العبيد تائبين متنصلين(*)، فعاتبهم وعفا عنهم، وقال لهم لا كلام بيني وبينكم إلا إن انقطع دابر بني حسن ومن معهم من شيعة المستضيء، وأعطاهم الراتب وأمرهم بالقدوم عليه لمكناسة بمحلتهم، فتوجهوا وتجهزوا للحركة ومعه العبيد والوداية وأهل فاس والحياينة وشراقة وأولاد جامع وأهل الغرب، ولما بلغ مكناسة قدم عليه العبيد بمحلتهم فحضر أعيانهم وأهل الحل والعقد والعلماء والقضاة وبايعوه بأجمعهم بيعة جديدة مباركة سعيدة في العام المذكور.

---

(14) مابين العلامتين سقط من (ف).

(15) في (م) : خمسمائة.

(*) بالأصل «متنعلين».

الدولة الخامسة لمولانا عبد الله بن إسماعيل

لما بويع مولانا عبد الله هذه البيعة الخامسة وخرج يريد الحوز واقتفاء آثار مولاي المستضئ فمر على طريق الفج وأراد أن يحول بين بني حسن والشعاب (التي)(1) تعودوا الهروب إليها والتمتع بها فوجدهم غارين على بسيط زيدة ومعهم مولاي المستضئ، فشن عليهم السلطان الغارة فلم يشعروا به حتى لعبت الخيل في حللهم، ووقع النهب في أموالهم وتشتتوا ولم يفلت مولاي المستضئ إلا على سوابق الفرار، على خطر واغترار، وافترقت العساكر على السبي وجاء وفد بني حسن للسلطان يطلبون عفوه، والإبقاء على بقيتهم، فأمر بالكف عنهم ورد عليهم سبيهم وترك لهم خيلهم، وتوجد لدكالة فنزل قصبة أبي العوان، ونزلت عساكره أمامه في بسائط دكالة، وفر أهلها مع مولاي المسضئ لناحية الحوز، واشتغلت العساكر تنهب الزروع من الأمراس، وتستخرج الدفائن والهمائل، وتخرب القرى، وتقطع الأشجار، وتتقلب في تلك البسائط المتسعة كلما فرغت من ناحية انتقلت لأخرى والسلطان لم يزل مقيما بالقصبة المذكورة سنة كاملة، فلما فرغ من شأن دكالة بحيث لم يبق ما تلتقطه الطير انتقل الى بلاد السراغنة، فقدم عليه أهلها وقدم عليه قبائل تلك الجبال بهداياهم ومئوناتهم، ثم انتقل الى ناحية دمنات ففر دكالة مع مولاي المستضئ وتحصنوا ببلاد مسفيوة، وكان مسفيوة بايعوا مولاي المستضئ ومن حزبه، فنزل السلطان مولاي عبد الله على وادي الزات، وقدم عليه الرحامنة وزمران وأهل الحوز، وكانوا مستمسكين بطاعته، ونزلوا مع محلته، وامتدت أيدي الانتهاب الى بلاد مسفيوة إفسادا وتخريبا، والحرب قائمة معهم كل يوم حتى أتى التخريب على وادي الزات كله، ولم يبق منه محل ينتفع به، ثم انتقلت المحلة الى وادي كجي وفعلوا به كما فعلوا بالزات وعجز أهله عن الحرب، وحرقت قراهم، وهدمت حصونهم، وقطعت أشجارهم، فطلبوا الأمان ونادوا(2) بالطاعة وأتوا تائبين، وجاءوا مستشفعين بصبيانهم، فقال على شرط أن تأتوا بالمستضئ، فقالوا له إنه

---

(1) ما بين العلامتين سقط من (ل)

(2) في (ل) : وداتوا.

هرب بالأمس ولو بقي لأتيناك به فعفا عنهم وسامحهم، ثم أتاه دكالة بنسائهم وأولادهم وقالوا هؤلاء أولادنا، ونساؤنا وأما الأموال فقد ذهبت وما عندنا ما نقتات به، فافعل بنا ما تريد، فعفا عنهم وأمرهم بالرجوع الى بلادهم.

وأما مولاي المستضيء فإنه لما هرب قصد الدخول لمراكش فمنعه أهلها من ذلك، ووجد أخاه مولاي بناصر الذي كان خليفة فيها قد مات، فدفعوا له قشه ومتاعه ليكفوه عن الدخول إليهم، فانصرف على عقبيه ووجهوا وفدهم للسلطان وأعلموه بما وقع مع مولاي المستضيء وأنهم منعوه من الدخول فسامحهم وعفا عنهم بعد العتاب والتقريع، وطلبوا منه أن يتوجه الى بلدهم، وكذلك أهل الحوز، فوعدهم بذلك وأقام إلى أن وفدت عليه قبائل الدير كله، فلما تفقد المحلة التي معه وجد أكثرهم هرب لطول الغيبة والمشقة وكثرة الحروب وقلة الزاد والخوف، لأنهم كانوا لا يقتاتون إلا بالنهب، فلم تمكنه الزيادة والدخول لمراكش، فدافع أهل الحوز باستخلاف ولده البار سيدي محمد، فوجهه معهم لمراكش ووجه أخاه مولاي أحمد بن عبد الله خليفة لرباط الفتح على قبائل الشاوية وبني حسن، وأقام في هذه الحركة سنتين، وفي ربيع الثاني عام تسعة وخمسين ومائة وألف بلغ مكناسة، ولم يدخل القصبة ونزل في أبو فكران، وهناك قدم عليه جماعة من المجاهدين أهل الريف من طنجة فوق المائة ومعهم زوجة الباشا أحمد بن علي الريفي وولداها منه بهدية عظيمة، فقبض الهدية وقتل الولدين ومن معهما من أهل الريف، ثم قتل معهم من بني حسن ثلاثمائة قدموا عليه للتهنئة فكان ذلك سبب نفور الناس عنه، وكثرت المقالات الرديئة في الناس والجيش والأسواق والرعية كلها والحواضر والبوادي، وقبض الناس أرجلهم، ولم يأته أحد من البربر، وكانوا حرثوا بحوز مكناسة، فلما أدرك الزرع أمر العبيد بنهبه ودرسه، ففسدت نية البرابر كل فساد، ثم إنه كتب لمحمد وعزيز، وكانت له معه خلة ومصافاة تامة، وهو الذي جمع له البرابر في تلك الوقائع المتقدمة حتى انتقم من عدوه الأكبر أحمد ابن علي الباشا، وكان يقول له أنت أبي، فلما كتب له يلومه على التخلف والانقباض عنه، وتخلف قبائله عن الحضور لبابه لأنهم شيعته وأنصاره فورد عليه الكتاب فلم يمكنه التخلف عن مقابلته، فاستشار إخوانه في القدوم عليه فلم

يوافقوه، فحتم عليهم أن يعينوا الوفد الذي يذهب به لحضرة السلطان، وجمع الهدية لذلك، فقالوا له أما ترى ما وقع لمن قدم عليه، فقال لهم لا ترون إلا الخير وأزال خوفهم، فتوجه بهم مع هديتهم بعد ما ردوه عن ذلك بكل ما قدروا عليه فلم يساعدهم، وأبى إلا القدوم عليه، فساعدوه على كره لما لم يسعهم إلا موافقته، فلما وردوا عليه لقصبة بوفكران ورآهم الحاجب عبد الوهاب اليموري، بهت، ولكنه لم يمكنه ردهم بعدما بلغوا لذلك المحل، وكانوا نحو المائة من الأعيان، فنزلوا وتركوا خيلهم وسلاحهم ودخل بهم فوجدوا السلطان على كرسيه بوسط القلعة فأدوا واجب التحية، وأشار لهم بالجلوس فجلسوا، ودخل الحرس والزبانية من المشاورية، ووقفوا على رؤوسهم، فعاتبهم على ما يركبون من العيث في الطرقات والغارات على المستضعفين من العرب، وقوافل التجار وما وقع منهم في عساكر الملوك من النهب، ووبخهم على أفعالهم الذميمة ومذاهبهم السقيمة، الغير المستقيمة، وأمر بقبضهم، فانقض عليهم الحرس انقضاض العقبان فاختطفوهم وأوثقوهم في الحبال، ولم يقبض محمد وعزيز، فقال له يا مولانا ما هذا الغدر بعد العهد ولست من أهله ؟ فقال له السلطان : هؤلاء القوم حادوا عن الشرائع، واستوجبوا الزجر والنكال، وأحل الله دماءهم وأموالهم لخروجهم عن الطاعة، وبعدهم عن الاستقامة، وقد أعياني أمرهم، وما دخلت في هذا الأمر بعد خروجي منه إلا بسببهم، وأردت أن أقابل هذا التيس الأسود بهذا الكبش الأبيض، وأستريح من عضة من تلف منهما، وأتمسك بالباقي منهما، ولولا أنك بمنزلة والدي ما أطلعتك على ما في ضميري، فقم في حفظ الله، وانصرف في ذمة الله، فقال له : والله لا أقوم ولا أتوجه إلا مع إخواني، إن ماتوا مت معهم ويبقى لك غدرك، ولا يتحدث أني أمنتهم وغررتهم ودفعتهم للذبح ورجعت سالما، هذا لا يكون أبدا، وإلا فبأي وجه ألقى أولادهم وإخوانهم ؟ وإلى وأين أقصد ؟ وأي أرض تمنعني من عشائرهم ؟ فلابد لي من القتل، فقتلك <لي من جملتهم أوفق لي>(3) واجمل فاقض بي ما أنت قاض بهم، ولا إثم عليك في ذلك لأني أنا الذي ظلمت نفسي وظلمتهم، فقدتهم لك وخدعتهم حتى دخلوا عليك متجردين من السلاح، كما تدخل العرائس على الأزواج، وقد عرضوا

(3) ما بين العلامتين سقط من (ل)

على هذا كله فآمنت بالله تعالى وبعهدك المكرر، فلما فرغ من هذا الكلام البليغ الذي تنهد له الجبال الرواسي جعل السلطان يتدبره وهو مطرق رأسه، والتفت إلى الحاجب وقال : يا عبد الوهاب لا خير في رجل يقول لرجل أبتي ولا يشفعه في قبيله، خلوا عنهم فسرحوهم وركبوا وخرجوا وتوجهوا لحللهم وتحدثوا(4) مع وعزيز وعاتبوه على ما حملهم عليه من الوفود عليه، وقالوا له : نحن متنا وبعثنا فلابد لنا من أخذ ثأرنا، فاتفق رأيهم على الحركة له لثلاثة أيام ومن تخلف عنها تحرق خيمته فتفرقوا لمحالهم وقوموا الحركة فلم يرع السلطان بعد ثلاثة أيام إلا الجنود المجندة، والكتائب المكتبة، وقد أطلت عليه من الحاجب، فلم يمكنه إلا حمل أثقاله وركوب عياله وجواريه وجعلهم أمامه مع رحى من رماة المسخرين وأردفهم برحى من الخيل وركب هو في موكبه خلفهم وأردفته رحى من الخيل من العبيد، وانحدروا من بطن الوادي، وبقيت خزائن العبيد بيد العدو، فاشتغل بها جلهم، وتفرق البربر عليه يمينا وشمالا وكلما دفعت طائفة منهم على المسخرين أخرجوا فيهم ساروتا من الرصاص، وإذا دفعت على الخيل كذلك فيسقط منهم الأربعون والخمسون، وهكذا دأبه معهم على هذه التعبئة، وهم يحملون عليه فيردهم الى أن دخل باب القزدير، فمات من العبيد نحو الثلاثمائة، ومات من البربر على ما قيل نحو الخمسمائة، ورجعوا عنه خائبين، وجمعوا موتاهم وكفنوهم في الخباوات، وكانت هذه الوقعة عام تسعة وخمسين ومائة وألف.

ولما دخل العبيد لمكناسة واجتمعوا مع إخوانهم تكلموا بما في نفوسهم وأظهروا ما في قلوبهم وبواطنهم، وقالوا : إنه قال لمحمد وعزيز إنما أردت أن أقابل هذا الكبش الأبيض بهذا التيس الأسود، ودارت بينهم هذه الكلمة وحملوا منها أمرا عظيما، وقالوا انه لم يبق لنا شك أن هذا الرجل ما له غرض إلا في إهلاكنا، فانظروا لأنفسكم، وكتبوا للديوان يخبرونهم بالواقع، ويستشيرونهم في أمره، فأخبر السلطان بذلك بعض عيونه من العبيد وبما دار بينهم وبكتابتهم للديوان، فكتب السلطان لأخواله الوداية يقول لهم : إن كانت لكم حاجة في ولد أختكم عبد الله فاقدموا عليه الساعة، واشتغل بشد متاعه وحمل ماله وأسرج خيله وهيأ

(4) في (م) : وتوجهوا.

مراكبه وأموره وقال لأصحابه غدا إن شاء الله نرجع لأبي فكران، وبعد العشاء بلغته خيل الوداية في أربعمائة فركب وخرج على باب القزدير وحمل عياله وماله، وسرى طول ليلته فأصبح في فاس، ودخل داره وأمن على نفسه، ولما بلغ كتاب العبيد إلى إخوانهم بالديوان قالوا لا ينفعنا المقام هنا في وسط بني حسن، لا ننفع إخواننا ولا ينفعوننا وتواعدوا بالرحيل لمكناسة بعد ثلاثة أيام، فرحلوا ودخلوا للقصبة ونزل بعضهم بالمدينة وبعضهم بألاروى وبريمة وهدراش، وفي العيد توجه جماعة من قوادهم مع القاضي والأشراف والعلماء لفاس لحضور العيد مع السلطان على العادة ويطلبونه في الرجوع واعتذروا عما بلغه عنهم، فأعطاهم مالا ووعدهم بالرجوع، ولما رجعوا من عنده اعترضهم البربر بالجديدة وجردوهم وأخذوا ما معهم ولم يتركوا أحدا كاسيا إلا القاضي السيد أبا القاسم العميري تركوه على بغلته، وأصبح العبيد بباب مكناسة مجردين، وأما البربر فإنهم لما رجعوا من وقعة أبو فكران كتب محمد وعزيز لأهل فاس وأعلمهم بما وقع منهم، فدخلوا في حزبهم، وكتب أيضا للحياينة وأهل الغرب، فقالوا له نحن تبع لكم ومن حزبكم وخالفوا على السلطان، واستمر الحرب بين الوداية وأهل فاس، فلما بلغ ركب الحجاج لتازة استغاث أهل فاس بالبربر ليأتوهم بالحجاج، فتوجهوا في خمسمائة من الخيل واجتمعوا بالحياينة فدخلوا في حزبهم وتوجهوا معهم لتازة ورجعوا معهم الى أن دخل الحجاج على باب الفتوح، ونزل الحياينة والبربر بالزيتون، ودخل من دخل منهم لقضاء غرضهم بفاس، فأغار عليهم الوداية وقتلوا منهم كثيرا، فأمرهم السلطان أن يعلقوا رؤوسهم بقصبة شراقة، وبعد هذا اتفق رأي أهل فاس على مبايعة السلطان مولانا عبد الله ووجهوا له، فأمرهم بالوصول إليه فخرج أعيانهم وأشرافهم وعلماؤهم، فلما وقفوا بين يديه وبخهم وعنفهم وهددهم وعدد عليهم أفعالهم وشرط عليهم شروطا من جملتها أن يعطوه زرع أهل الغرب المخزون عندهم، ويهدموا دورهم، ويبنوا دار دبيبغ بأنقاضها، ويختاروا إحدى مسألتين : إما أن يكونوا جيشا أو نائبة، فقالوا : نجتمع مع إخواننا ويكون الجواب، ولما رجعوا من عنده أغلقوا أبواب المدينة وقالوا لا نفعل شيئا من هذا كله، ورجع الحرب كحاله الأول فضاق الخناق وارتفعت الأسعار، وفي تاسع الحجة نهبوا القفاطين التي كانت بفندق النجارين على

يدي عديل وهي ثلاثة آلاف، ففرقوها على رماتهم عيدوا بها، وقبضوا على الحاج الخياط عديل ليدفع لهم مال المخزن الذي عنده فافتدى منهم بثلاثة آلاف مثقال من ماله.

وفي أول جمادى الأولى عام ستين ومائة وألف جاء قبائل البربر وقبائل الغرب لإعانة أهل فاس على حرب السلطان فنزل القائد الحبيب بأهل الغرب والخلط والطليق بدار الأضياف، ونزل محمد وعزيز مع البربر باتغات(*) والجحر الوداية بفاس الجديد، والعبيد بقصبة شراقة، والسلطان بدار دبيبغ، وفي الغد ركب الحبيب وجموعه وقصدوا دار دبيبغ <على آثارهم>(5) فلما بلغوا حريم دار دبيبغ بلغهم أن البربر نهبوا محلتهم فرجعوا منهزمين وقطعوا الوادي وتوجهوا لغربهم والبربر لما نهبوا المحلة توجهوا لسايسهم، قيل إن السلطان هو الذي وجه المال لمحمد وعزيز فرقه في البربر على أن يشتتوا تلك الجموع، فدبروه بنهب المحلة، ولم يبق غير أهل فاس في محنتهم، فبعثوا رسولهم لمولاي المستضئ يأتيهم ليبايعوه وهو بأحواز طنجة، فرد جوابهم بالوعد، وفي أثناء هذا قدم بنو حسن على السلطان شاكين بأهل الغرب أنهم لما رجعوا بمحلتهم نهبوا أموالهم وأغاروا عليهم ببلادهم، فوجه معهم المحلة من العبيد والوداية يأكلون أهل الغرب فهربوا من بلادهم هم والخلط والطليق وتوجهوا للعرائش وتحصنوا بها، فلما بلغتهم المحلة انحصروا وضاعت مواشيهم جوعا وطال عليهم الحصار ثلاثة أشهر، ثم أتى الأمر من عند السلطان بالأمان، وجه المصحف والسبحة وعاهدهم فارتحلت عنهم المحلة وتوجهوا للسلطان بهديتهم فسامحهم وولى عليهم القائد الحبيب وعلى قبائل الجبل كلها، وأما المحلة فإنهم لما ارتحلوا من العرائش باتوا بالقصر وضيفوهم بما قدروا عليه من العلف والمئونة والطعام، وفي الغد دخلوا <القصر>(6) فاستباحوا ونهبوا وقتلوا من دافع عن نفسه وسبوا وفعلوا الأفاعيل، واستمر عليهم ذلك ستة أيام فتأسف جميع المسلمين على ذلك، وكان ذلك في محرم عام واحد وستين ومائة وألف.

وفي جمادى الثانية خرج السلطان للحركة ونزل بوفكران بقصد البربر

(*) بالأصل و «م» (بتغات).

(5) ما بين العلامتين سقط من (ل)

(6) ما بين العلامتين سقط من (ل)

وهو يظن أن المحلة تقدم عليه على عادتها، فلم يأته أحد، فبعث إلى العبيد يأتونه بالمحلة بقصد البربر فقالوا له : حتى يأتي الوداية والقبائل ونتوجه جميعا وحيث لم يأتوه رجع لمكناسة، فلما سمع البربر بأنه قصد الحركة إليهم اتفقوا على الحركة إليه وقال لهم محمد وعزيز الرأي هو أن تنزلوا بسايس وتحولوا بينه وبين العبيد فلا يصلهم ولا يصلونه، فنزلوا به، ثم نزلت جموع البربر الى فاس ونهبوا مواشي الوداية وزروعهم وضيقوا عليهم الفضاء المتسع وتسوقوا فاسا وباعوا واشتروا عشرة أيام وانصرفوا.

وفي رجب من العام ورد الخبر أن أهل الريف قبضوا على مولاي المستضيء ونهبوا ماله وخيله وكل ما معه وسجنوه حتى يدفعوه للسلطان لأنه اشتغل بظلم الناس وبكل فساد وقبيح بطنجة والفحص وتلك النواحي، وأما أهل تطوان فإنهم لم يبايعوه ولا وصلوه، وكان قبض على القائد عبد الكريم أخ الباشا أحمد فأخذ أمواله وسمل عينيه، وفي العام المذكور أحرق الوداية باب محروق لئلا يفطن بهم العساسة ودفعوهم عنها، وفي الغد ركب لها أهل فاس بابا جديدا.

وفي القعدة وقع الصلح بين السلطان وأهل فاس على يد شريف من أهل تافلالت وجهوا له معه كتابا بالتوبة والعذر، فأجابهم وحلف لهم أنه لم يأمر بحربهم ولا ضررهم، وانه ما فعل ذلك إلا الوداية، وبعد هذا الكتاب توجه أعيانهم والأشراف والفقهاء والحجاج الى حضرته بمكناسة ففرح بهم وسامحهم ورجعوا، ووقع الصلح بينهم وبين الوداية بضريح مولانا إدريس. وفتحت المدينة بعد حصار سنتين وثلاثة أشهر، وفي العيد توجهوا له بالزطاط(7) ورجعوا به، ولما سمع البربر بصلح أهل فاس وسمعوا أن العبيد عزموا على الحركة إليهم، شنوا الغارات على العبيد يخطفون أولادهم من الأجنة وأموالهم، وقطعوا عنهم الداخل والخارج، فلما وجه العبيد الى البربر بالصلح قالوا لهم إن السلطان هو الذي أمرنا بذلك، فلما سمع العبيد ذلك لم يشكوا فيه اعتمادا على ما كان تقدم من قول السلطان لمحمد وعزيز التيس الأسود الكبش الأبيض، فلما أمرهم بالحركة إلى البربر امتنعوا واتفق رأيهم على قبضه وقتله، وفي المحرم عام اثنين وستين ومائة وألف هرب السلطان لفاس ونزل دار دبيبغ لما سمع ما اتفق عليه العبيد،

---

(7) في (ف) : بالرباط

وفي صفر من العام قدمت الهدية للسلطان من ولده سيدي محمد من مراكش، وبلغ الخبر أن العبيد اصطلحوا مع البربر على أن يبايعوا لسيدي محمد بن عبد الله فبايعوه بمكناس ووجهوا البيعة مع أعيانهم لمراكش، وخطبوا به في مكناس وزرهون، وهذا هو الخلع السادس لمولانا عبد الله.

وفي شعبان من العام أمر السلطان أن ينادى في أسواق فاس على العبيد الذين فيها من لم يحضر الى دار دبيبغ فلا يلوم إلا نفسه، فتوجهوا إليها فأعطى كل واحد منهم خمسة دنانير وقال لهم : اكتبوا الى إخوانكم بمكناسة من أتى منهم يقبض مثل ما قبضتم، فلما بلغهم ذلك لم يزدادوا إلا بغضا وبعثوا للبربر الذين بسايس وقالوا لهم : كل من قبضتموه من العبيد متوجها لفاس فاقتلوه، وصرحوا بخلع السلطان، وفي رمضان قدم محمد وعزيز مع إخوانه لحضرة السلطان فأعطاهم عشرة آلاف مثقال(8) <وفي العيد قدموا عليه فأعطاهم عشرة آلاف دينار أخرى وللوداية عشرة آلاف ولأهل فاس عشرة آلاف>(9) وفي عام ثلاثة وستين ومائة وألف لم ينزل المطر ووقع الوباء فيه، وفيه قدم سيدي محمد من مراكش وخاصم العبيد ووبخهم حيث وجدهم يخطبون به وتبرأ منهم وقال لهم إنما أنا عبد لأبي، فتركوا الخطبة له وجددوا البيعة للسلطان، وهي البيعة السادسة، وفي هذا العام مات مولاي أحمد بن عبد الله ولد السلطان، ودفن بفاس الجديد بمقابر الشرفاء.

---

(8) كذا بالأصل وفي غيره : دينار

(9) ما بين العلامتين سقط من (ف).

لما ثاب العبيد على يد سيدي محمد وبايعوا للسطان بمكناسة توجه سيدي محمد منهم بأربعة الف مع محلته الذين قدموا من الحوز لحضرة السلطان، وخرج الوداية وأهل فاس لملاقاته، فلما اجتمع مع والده شفع فيهم فشفعه وعفا عنهم، وقال له : لا تبت هنا، فلم يبت إلا برأس الماء، ثم قدم لحضرة السلطان جماعة من گروان وبني مطير للعيد، فأعطاهم عشرين ألف مثقال وقدم عليه قواد العبيد من مكناسة فلم يعطهم شيئا، وفي عام أربعة وستين ومائة ألف وجه سيدي محمد من مراكش مع أصحابه هدية لوالده فأثنى عليه ودعا له بكل خير، وفي القعدة أعطى السلطان للوداية عشرة الاف ريال ‹وللعبيد›(1) الذين معه ثلاثة آلاف ريال وذلك لما سمع أن العبيد توجهوا لولده سيدي محمد وقالوا له : إما أن تكون سلطانا أو نبايع عمك مولاي المستضيء وشكوا له إهمال والده لهم لما توجهوا له في العيد، وأعطى البربر أعدائهم ولم يعطهم، فأعطاهم سيدي محمد مالا من عنده طيب به خواطرهم، وكتب لوالده فسامحهم وأعطاهم عشرين ألف ريال، وتم الصلح بينه وبينهم بسعادة سيدي محمد ورجعوا لمكناسة ‹واستكانوا›(2) وفيه ورد الخبر أن أهل تطوان قتلوا قائدهم محمد تميم وجاؤا للسلطان وقال لهم أنتم قيدتموه وأنتم قتلتموه، فاختاروا لأنفسكم من ترضونه، فاتفقوا على محمد بن الحاج عمر الوقاش، فولاه عليهم وانصرفوا.

وفي ربيع الأول من عام خمسة وستين ومائة وألف قدم باشا دور الأسبنيول بمائة ألف ريال دورو وما يناسبها من الحرير والملف والكتان والتحف بقصد فكاك أسارى جنسه وقدم معه أهل تطوان بهدية فيها ثلاثون ألف دينار، فقبض المال وقال للباشا دور حتى يأتي أسارى المسلمين، وأعطى العبيد من ذلك المال ريالين لكل واحد، ولنسائهم كذلك، وكانوا ألفين ومائتين.

---

(1) ما بين العلامتين سقط من (م).

(2) ما بين العلامتين سقط من (ف).

وفي ستة وستين ومائة وألف قام أهل فاس لشراء الخيل وأكثروا منها، وقدم العبيد للعيد مع السلطان فأعطاهم عشرة الاف ريال.

وفي عام سبعة وستين ومائة وألف(3) كانت الزلزلة العظيمة التي هدمت أكثر مباني فاس ومكناسة وزرهون، ومات فيها خلق كثير.

وفي عام ثمانية وستين ومائة وألف مات محمد وعزيز وقام آيت اضراسن للحركة لجروان ففروا منهم واستحرموا بدار دبيبغ والوداية واشتغلوا ببيع مواشيهم فبلغت الشاة أوقية والبقرة خمس أواقي بسوق فاس، فأمر السلطان الوداية بإعانتهم وآخى بينهم فقاموا بنصرتهم وإعانتهم ووقع القتال فكانت الهزيمة على آيت اضراسن وانتهبت حلتهم وفرت خيلهم {وفر} (4) من سلم منهم لبلاد شراقة، فنزلوا بها وكان عدد من قتل منهم على ما قيل نحو الخمسمائة، وهذا سبب أخوة الوداية مع جروان.

وفي عام تسعة وستين ومائة وألف قدم عبيد مكناسة علي السلطان بقصد أن يتوجه معهم لدار ملك أبيه، فقال لهم : كيف أذهب معكم وفي وسطكم فلان وفلان وفلان لجماعة من فسادهم سماهم لهم، فلما رجعوا للمحلة وجن الليل قاموا فقتلوا من سمى لهم فيهم القائد محمد السلاوي والقائد زعبول والقائد سليمان بن العسري في آخرين تطييبا لخاطره، فلما بلغه ذلك وجه لهم أربعين ألف مثقال راتبا، وقال لهم إذا فرغت من عملي أقدم عليكم إن شاء الله تعالى ووجههم لمكناسة.

وفي العام قدم عليه القائد محمد بن عمر الوقاش من تطوان بهدية فيها مائة ألف ريال دورو وسلع ونصارى غنمهم غلاتطة(5) فأكرمه وأعطاه جاريتين ورجع، وفي العام المذكور قدم عليه أخوه مولاي علي الأعرج

---

(3) في النشر أن هذه الزلزلة كانت سنة 1169 في 26 من المحرم يوم السبت ولاشك ان القادري كان يعيش في ذلك الوقت فالصواب ماعنده والله أعلم.

(4) مابين المعقوفين اضافة من (م).

(5) كذا بالأصل وفي (م) غلاتطة بغين معجمة وفي (ف) : بلاتطة.

المخلوع فأعطاه مالا وحوائج قومت بعشرة الاف [ريال] (6) وخيره بين تافيلالت ومكناسة فاختار مكناسة فأعطاه مكوسها وأجنة المخزن التي بها وأرض الحراثة وتوجه لها، ولما بلغ وقت الحرث حرث بها فقبضه العبيد ووجهوه للسلطان وقالوا له هذا أفسد علينا بلادنا فسرحه ووجهه لتافلالت وفي العام نهب البرابر ماشية الوداية وأفسدوا زروعهم وبحائرهم، والله تعالى أعلم وأحكم.

(6) مابين المعقوفين اضافة من (م).

ذكر ما كان في خلافة سيدي محمد بن عبد الله في حياة والده بمراكش

أول ذلك أن السلطان لما هزم مولاي المستضيء وشرده ورجع من بلاد مسفيوة وقدم عليه الرحامنة وأهل الحوز وطلبوا منه أن يذهب معهم إلى مراكش خلف ولده سيدي محمد ووجهه معهم، وقد مر هذا كله مفصلا، فلما بلغ الخليفة سيدي محمد نزل بالقصبة وهي إذ ذاك لا عمارة بها إلا البوم على الجدرات الخربة من آثار السعدية والموحدين فضرب بها مضاربة واشتغل بحفر أساس داره، فلما رأى الرحامنة ذلك اتفقوا على منعه لأنهم أعتادوا الفساد في الأرض، وخافوا أن استقر وتحصن أن يمنعهم من ذلك، فواجهوه بالمنع من البناء، فخرج بعدما شرع في العمل فتوجه لناحية آسفي فلقيه عبدة وأحمر وفرحوا بقدومه وأكرموه، وأهدوا له هدية معتبرة، ولعبوا بين يديه سرورا بقدومه، وساروا معه لثغر آسفي فتنزل بالقصبة، وأهدى له أهل آسفي وتجاره المسلمون والنصارى واليهود، وعمر عليه عبدة برجالهم وأعيانهم، ودفعوا له أولادهم لخدمته وواصلوا بكل ما قدروا عليه، وسرح الوسق للتجار بالمرصى، وأقبلت إليها المراكب من كل ناحية، وترادفت عليه الخيرات ووجوه القبائل، فلم يزل أمره في الزيادة كل يوم وكثر المال وعظم الأمر الى الغاية العليا، فأعطى وأركب وكسى وشاع صيت عزه ونصره، ودخل الشياظمة وحاحة في حكمه وطاعته وخدمته، فلم يمض إلا مدة قريبة حتى كان يركب في نحو الألف من مراكبه وأصحابه، فلما سمع بذلك الرحامنة وأهل الحوز ورأوا ما أدرك عبدة وأحمر من العز والإقبال وهم أعداؤهم راجعوا بصائرهم، فاجتمع أعيانهم وأقبلوا إليه لآسفي بهداياهم والتزموا الطاعة له، وأظهروا الندامة من الواقع منهم، ونسبوه للسفهاء وتبرأوا منهم وحلفوا له أنهم ما عملوه ولا أمروا به وتضرعوا له وسألوه بحرمة أسلافه أن يتوجه معهم ويرجع لمحله، وحلفوا أنهم لا يبرحون ببابه ولا يرجعون لخيامهم إلا وهو معهم ولو أقاموا سنين متطاولة، فلم يمكنه الا مساعدتهم لأنه ظهر له صدقهم وخلوص محبتهم، فتوجه معهم وركب معه عبدة بألف فارس من أعيانهم، زيادة على أصحابه وعبيده في الخيل العتاق والسلاح الفاخر والزيّ الملوكي، فلما بلغ مراكش نزل بمحله من

القصبة وجاءه أهل مراكش وحوزها بهداياهم وكذلك قبائل الدير كلهم، ثم فعل الرحامنة مثل مافعل عبدة فأتوا بأولادهم لخدمته وكذلك قبائل الحوز، ثم جاء عبيد دكالة الذين كانوا بسلا فنزلوا عليه وأنزلهم بالقصبة، ولما سمع بذلك عبيد مكناسة تسارعوا إليه أفواجا فاستعملهم في خدمة البناء ورتب لهم مئونتهم وبنوا بيوتهم واجتهد في بناء داره الى أن أكملها وسكنها، واشتغل بترميم ماوهى من أسوار المدينة وخصوصا القصبة <فلما حصن القصبة>[1] عزلها عن المدينة، وركب لها الأبواب الوثيقة، واشتغل بغرس البساتين حول داره، والزيادة من القصور والمشاور، واستركاب الرجال واستلحاق الأبطال وتشبيد أركان الدولة والعصبية <والعز>[2] حتى أدرك من ذلك في المدة اليسيرة ما بهر العقول، فكان عنده من العبيد ألف وخمسمائة <ومن عبدة وأحمر ألف وخمسمائة>[3] ،من الرحامنة ألف فارس، ولما ظفر بتأليف الفشتالي المترجم بمناهل الصفا أعجب به وبأخباره وخصوصا أخبار الذهبي فإنه يستحسن أحواله وضخامة ملكه وهيأته في سلطانه وقوة أمره، فجعل ذلك نصب عينيه، فلا تفارقه غالبا ترجمته، فيقتفي آثاره في ترتيب أحواله في الركوب والأكل واللباس والأطعمة وطبقة الكتاب وأهل الأشغال المخزنية وكل شيء جعل له وقتا مخصوصا وحدا محدودا لا يتعدى شيء مركزه <فعلى هذا بنى أمور دولته، وكان المنصور الذهبي في ذلك شيخه ومعلمه>[4].

وأما بقية خبر مولاي المستضيء، فإنه لما فر من مسفيوة وذهب يدخل مراكش فمنعه أهلها ووجد أخاه مولاي بناصر قد مات فأخرجوا له تركة أخيه المذكور ولم يتركوه يدخل إليهم، فسار الى دكالة فوجدها خاوية على عروسها من بركته فجاز الى الشاوية فلم يلتفت إليه أحد ومر الى بني حسن فلم يجد من يكلمه، فذهب الى الفحص فأقام هناك في أحواز طنجة فاشتغل بظلم المساكين وتكليفهم مالا يطيقون ونهب أموال الناس الي أن قبض على القائد عبد الكريم بن علي أخي الباشا أحمد بن علي فسجنه وأخذ أمواله وسمل عينه. فخرج له أهل الريف فقبضوا عليه ، ونهبوا

---

(1) ما بين العلامتين سقط من (م).

(2) ما بين العلامتين سقط من (ف).

(3) ما بين العلامتين سقط من (ف).

(4) ما بين العلامتين سقط من (ف).

مضاربه وخيله ومتاعه، وسلبوا أصحابه وسجنوه وامتحنوه وأرادوا أن يوجهوه للسلطان مولانا عبد الله أخيه، ثم بعد ذلك رحموه وسرحوه، فكتب لأخيه مولانا عبد الله يستعطفه ويسأله بالرحم ويعتذر عما سلف ويطلبه محلا يستقر به، فأجابه السلطان وقال له : إنه لاذنب عليك إنما كنت تطلب ملك أبيك كما أطلبه أنا، والملك بيد الله يوتيه من يشاء والآن إن أردت الخمول مثلي فاسكن لأصيلة واستقر بها فإنها أحسن من دار دبيبغ التي أنا بها، وأرح نفسك كما أرحت نفسي، وإن كنت مازالت نفسك متشوفة للملك فشأنك به، أما أنا فلا أنازعك والسلام فلما وصله الكتاب انتقل الى أصيلة ونزل بها وأصلح دار الخضر غيلان التي بقصبتها فسكن بها عام ستين ومائة وألف، فاجتمع عليه بعض سماسرة الفتن ممن كان معه، فأشاروا عليه بوسق الزرع للكفار وتوسطوا له في الكلام مع بعض التجار النصارى من طنجة وتعاقدوا معه على وسقه وجاؤوه لأصيلة، ولما جاءه الركب وسق الزرع وأعطى الواجب على ذلك وهو الصاكة، فظهر له الربح، وحمد تلك المنزلة، ورغب في شراءه هو وبيعه لمن يأتي من التجار، وبلغ خبره بر النصارى فقصده التجار بمراكبهم، وكان يشتري الزرع ويبيعه، وعمرت المرسى وجاء الأعراب بالزرع وهو يشتري ويخزنه حتى تجيء المراكب فيبيع بالربح الكبير فكثر المال وكثرت أتباعه وجعل يشتري العدة بكثرة لأصحابه، واشتعلت ناره بعد خمودها، فبلغ خبره للسلطان فندم علي إذنه له في سكنى ذلك المحل فكتب للقائد عبد الله السفياني يأمره أن ينزل عليه بأصيلة، وكتب لولده سيدي محمد بأمره أن يبعث من يخرجه منها ويتوجه معه عبد الله السفياني، ووجه له سيدي محمد من مراكش ابن عمه مولاي ادريس بن المنتصر في مائة من الخيل <وأمره أن يصحب معه عبد الله السفياني في خمس مائة من الخيل>(5) الى أن يخرجوه منها فتوجهوا إليه ونزلوا عليه، ولما اجتمع مع ابن أخيه مولاي ادريس رغب منه أن يخلي سبيله، واعتذر له بأن السلطان أخاه أعطاه هذا المرسى وأمره بالنزول فيها، فلم يقبل له عذرا وأخرجه وحاز كلما وجد عنده من المال والسلاح والبارود والقش، وتوجه بذلك كله للسلطان مع مولاي ادريس بن المنتصر، فلما وصل لفاس نزل بضريح الامام أبي بكر بن العربي ووجه ولده

(5) ما بين العلامتين سقط من (م).

للسلطان يشكو ما فعله به سيدي محمد، فقال له السلطان : قل لأبيك لا سبيل لي عليه فهو أعظم مني ومنك، فسر لبلد أبيك وأسلافك واسترح من التعب›(6) فإن الموت قريب مني ومنك، فما وسعه الا التوجه لصفرو وترك عياله بدار مولاي التهامي بالجوطية، ودخل هو دار الامارة بصفرو، ثم توجه لأعيان آيت يوسى فقدموا عليه فطلب منهم نصرتهم والقيام بدعوته، فتخاذلوا عنه وقالوا له : نحن وحدنا لا نقدر على هذا، فاذهب الى آيت ادراسن وگروان، فإن أجابوك فنحن معك، ولما بلغ متاع مولاي المستضيء للسلطان لم يأخذ منه شيئا إلا البارود، وقال لقائد فاس، يكتب لمولاي المستضيء يوجه وكيله يحوز له متاعه كله، فوجه من قبض له ذلك ودفعه لعياله لدار مولاي التهامي، ولما خاب سعيه الذي كان يسعى فيه مع البرابر ولم ينجح له عمل، وجه من أتاه بعياله من فاس وراح لسبيله بتافيلالت، وكان عاقبة أمره ‹خسرا›(7) وكان ذلك عام ستة وستين ومائة وألف ‹فاستوطن تافيلالت الى أن مات رحمة الله عليه عام ثلاث وسبعين ومائة وألف›(8).

قال الزياني : وكان المستضيء ظلوما جهولا سفاكا للدماء، نقلت عنه في الظلم حكايات منها ما حدثني به التاجر الحاج ‹علي›(9) الجنيح الطرابلسي بتطوان قال : لما جئت من طرابلس نزلت بجبل طارق بقصد التجارة، فبلغنا أن الزرع يوسق من أصيلا على يد المستضيء فشرهت نفسي لذلك، وكانت بين يدي عشرون ألف ريال دورو، فأكريت مركبا وحملت بضاعتي وأخذت معي هدية للمستضيء، وتوجهت لأصيلة ولما أرسينا بها جاءتنا الفلوكة، فسألونا، فقلنا أتينا بقصد الوسق، فأمرني صاحب الفلوكة بالنزول، فأخذت الهدية ونزلت معه، فلما بلغنا القصبة دخل وتركني ثم رجع وأخذني معه، ولما واجهني المستضيء سألني عن بلادي فقلت من طرابلس، ولي اتصال من بجنابكم فإني أعرف سيدي محمد بن عبد الله لما كان عندنا بطرابلس ‹بدار الباشا›(10) مع جدته السيدة خناثة

---

(6) ما بين العلامتين سقط من (م).
(7) ما بين العلامتين سقط من (ف).
(8) ما بين العلامتين سقط من (م).
(9) ما بين العلامتين سقط من (ف).
(10) ما بين العلامتين سقط من (م).

بنت بكار، ودخل دارنا، وكان حينئذ من أقراني، وتصاحبت معه، فهش لسماع كلامي، وقال لي : مرحبا بك وآنسني حتى طمعت في إحسانه، وقال لبعض خدامه سر معه حتى يري الزرع الذي عندك، فسار معي الى مخزن ففتحه وأراني الزرع، وتكلمت معه في الثمن والجمرك الى أن وقع الاتفاق ورجعت للمركب، ولما أصبحت حملت الحناشي في الفلوكة ونزلت، فقدم علينا الرجل وذهبنا للمخزن وعبرنا الزرع وحمله الحمالون الى الفلوكة وأفرغوه في المركب ورجعوا واستمر حالنا في الوسق الي أن أكملنا وسق المركب ووقع الحساب، فكان مبلغ الثمن والصاكة أربعة عشر ألف ريال وكذا، وفي الغد أنزلت العدد الواجب من المركب وتقدمت به الى الرجل فتوجه معي الي الباب ودخل، فلما رجع حمل المال ودخل به ورجعت أنا الى المركب فبت، ولما أصبح جاءني الرجل للمركب ومعه أعوان وخدام فأنزلوني من المركب بمالي وحوائجي وأمر البحرية أن ينزلوا الزرع من المركب في الفلاتك، ورده للمحل الذي خرج منه، وأدخلني للسجن، وأخذ جميع الحوائج والمال، وأقمت بالسجن يأتيني كل يوم قرصان قرص بالغداة وقرص بالعشي سبعة أشهر الى أن أخرجه مولاي ادريس بن المنتصر فسرحني أهل أصيلة واكتراني أحدهم بهيمة لتطوان، فلما دخلتها بعت ساعة ذهبية سلمها الله من النهب لأنها كانت معي في جيبي، فخلصت الرجل في كراء بهيمته، وركبت لجبل طارق ودخلت منزلي الذي كنت فيه وأنا لا أملك غير ثمن الساعة، وحمدت الله على سلامة نفسي، فبينما أنا جالس ذات يوم في قهوة علي البحر إذ بان لي مركب من بعيد على الأفق فناديت رئيس فلوكة فركبت عنده وقال لي أين تريد ؟ قلت أريد المركب الذي في الأفق، وأريته إياه فقال : بعيد، فقلت له ركب القلع وسر ولا عليك، فلما بلغته طلعت للمركب فوجدت رئيسها من جنس الأنجليز قدم من انجلترا، وكنت أحسن لسانهم، فسألته عن سلعته، فنزل بي الى القاهرة وأخرج لي الفاتورة وسردها علي وذكر مبلغ ثمن السلعة فجاريته في السوم الى أن وقع الاتفاق على ذلك، فدفع لي الفاتورة وأعطيته خط يدي بالشراء ومبلغ الثمن، وأطعمنا حلاوي وسقانا، ولما بلغنا المرسى نزلت فلقيت جماعة من تجار اليهود والنصارى، فقالوا من أين قلت من المركب وهو لي، وهذه فاتورته فمن أراد الشراء فليأت، ودخلنا القهوة وتكلموا بينهم وعملوا

الثمن بعدما قرأوا الفاتورة الى أن وقع الاتفاق على الثمن على خمسين ألف ريال دورو فدفعت لهم الفاتورة وقبضت لهم خطوط أيديهم، وفي الغد أنزلوا سلعتهم وخلصوا ثمنها، فدفعت لربها ثلاثين ألفا، فأخذت العشرين ربحا، وهي التي أخذها المستضيء حراما ظلما أخلفها الله علي في الحين، ولم أذكر ذلك الذي كان أصابني منه لأحد، ولكنني صبرت وشكوت لله سبحانه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، انتهى كلام الزياني، فلينظر الناظر الى هذا الظلم التي تكاد السماء أن تنفطر منه، هذا آخر أمر مولاي المستضيء.

وأما بقية خبر خلافة سيدي محمد بن عبد الله فإنه لما طرده أهل مراكش من الرحامنة وأهل الحوز كما قدمنا، وسمع ذلك أهل الرباط وسلا وكان أخوه مولاي أحمد بن عبد الله خليفة كما تقدم طمعوا أن يطردوه كذلك <فطردوه>(11) بعد محاربته وحصاره بالقصبة هو وعبيده فلان(12) الذين كانوا إدالة فيها من زمان مولانا اسماعيل، وقطعوا عنهم الماء والميرة حتى لحقهم الجهد، فطلبوا الأمانة فأمنوهم وخرجوا، وتوجه مولاي أحمد لأخيه سيدي محمد وهو بآسفي وفرق أهل الرباط العبيد بالمدينة بحيث لم تبق لهم شوكة، فلما رجع سيدي محمد من آسفي لمراكش وبنى داره وأكملها وسكنها غرس بستانا متصلا بها سماه النيل، وأسس قصرا آخر متصلا بالبستان المذكور من الجهة الأخري سماه القصر الأخضر، وجعل لهذا البستان أربعة أبواب في كل ركن باب، وباب القصر الشرقي وهو الدار الكبرى وباب القصر الاخضر وهو غربي، وجعل في وسط النيل قبة في مركزه لها أربعة أبواب كل باب أمامه ممشى يتوجه لقبة أمامه، فكان ذلك من منازه الدنيا وزينتها، وطول النيل بالتقدير نحو من مائتي غلوة(13) وهو بين القصرين المذكورين، وله باب الى ناحية الشمال متصل بمسجد الإمارة المسمى ببريمة، وهو الذي أسسه سيدي محمد على هيئة عجيبة بديعة الشكل متقنة الوضع تحير من تأملها وتروق من أبصرها، والحاصل أنه مسجد جامع حافل أقامه بباب داره لصلاته وجمعاته لا يرى أحد مثل

---

(11) ما بين المعلامتين سقط من (ف).

(12) عبيد فلان : إدالة قصبتا الرباط أيام مولاي إسماعيل

(13) في مصباح الفيومي : الغلوة : الغاية وهي رمية سهم أبعد ما يقدر عليه ويقال هي ثلاثمائة ذراع الى أربعمائة.

شكله في جميع المساجد ثم أصلح ما وهى من جامع المنصور وكان قد تداعى للاضمحلال، وبنى مدرستين للطلبة بالقصبة، وبني حماما وعمر مساجد أخرى بالقصبة للعبيد والأحرار، وفرق المال على من معه لبناء دورهم بعد أن كانت من القصب والطين، وجند الأجناد وكتب الكتائب، وأول حركاته للسوس الي أن تخلل أرجاء ه <ومهد أحياءه>(14) بسائطه وجباله وجبى أمواله وقرر الحامية بتارودانت، ثم توجه لمرسى أگادير فقبض على الطالب صالح الشائر فيه المستبد بخارج مرساه <فسجنه>(15) واستصفى جميع أمواله التي حصلها ورتب الحامية في أگادير، ثم إن صالحا المذكور الذي في السجن ذبح نفسه، ثم رجع سيدي محمد لمراكش، وذلك عام تسعة وستين ومائة وألف، وفي هذا العام حرك للشاوية لما أظهروا الفساد في الأرض يقطع الطرقات والنهب للسبل، فقتل منهم العدد الكثير، وقبض منهم عددا كثيرا، واستباح أموالهم وجهزهم في الأغلال والسلاسل لمراكش، وتوجه للرباط فنزل برباط الفتح، وخرج له أهل الرباط بالهدية والضيافة والمئونة، وأما عبد الحق فنيش رئيس سلا فانه أغلق أبواب مدينته فلم يخرج منهم أحد فأعرض عنهم سيدي محمد وقطع على المجاز وتوجه للقصر، فقدم عليه العبيد مع كبيرهم الباشا الزياني من مكناسة، وفي الغد رحل، وفي ذلك اليوم قتل العبيد الباشا الزياني المذكور لأنه كان يمنعهم من القدوم على سيدي محمد، وقتلوا أيضا القائد يوسف لأجل ذلك، وقيد سيدي محمد على العبيد القائد السعيد بن العياشي وتوجه لتطوان وتلقاه أهلها مع قائدهم الوقاش فقبضه وهدده ثم سرحه، وتوجه على طريق سبتة وعبر منها الى طنجة ثم الى العرائش ورجع لسلا ثم الى مراكش، في عام سبعين ومائة وألف وقع حرب كبير بين آيت آدراسن وگروان أعان فيها الوداية گروان فوقعت الهزيمة على آيت ادراسن كما تقدم.

---

(14) ما بين العلامتين سقط من (ل).

(15) ما بين المعقوفين إضافة من (ل).

الخبر عن مآل العبيد من موت مولانا إسماعيل الى أيام سيدي محمد بن مولاي عبد الله

وقد تقدم جل ذلك في رايات ملوك اولاد مولانا إسماعيل، وذكرنا أن عددهم بلغ في أيام مولانا إسماعيل مائة ألف وخمسين ألفا، كان منهم بالرمل سبعون ألفا بين الخيل والرماة، وكان بتانوت ووجه عروس خمسة آلاف كلها رماة، ورؤساؤهم وقوادهم بالخيل وأصحاب الباشا مساهل وهم الأنجشارية خمسة وعشرون ألفا كلها رماة غير قوادهم، وباقي العدد وهو خمسة وأربعون ألفا متفرقة في قلع المغرب من وجدة الى شنقيط بأقصى القبلة، ومن توات الى آخر المعمور بالصحراء، فرقهم هناك لعمارة السبل وتأمين البلاد وحماية الثغور، وكانوا في غاية من الكفاية كل قبيلة تدفع أعشارها في هري قلعتها لعولة جيشها وعلف خيلهم طول أيامه، ولما مات انقطع عن عسكر القلع المدد الذي كان به قوامهم، ولم يلتفت إليهم أحد من أولاده الملوك من بعده، ولا وصلهم بإعانة وخرجوا للتمعش علي أولادهم وأنفسهم بالقبائل التي هم فيها، وامتدت أيدي النهب للقلع التي تركوها، فأخذوا أبوابها وسقوفها ولم يبق الا الجدران، وهكذا وقع للمحلة بالرمل لما ارتحلوا عنها ودخلوا لمكناسة أغار عليهم بنو حسن وكل من وجدوه بها متأخرا نهبوه، وأخذوا كل ما تركوا مما ثقل عليهم حتى يرجعوا إليه، بل لم يقنعهم إلا تخريب الدور وحمل أبوابها وخشب سقفها لسلا، وكان في المحلة دور أكابرهم وقصورهم أحسن مما في الحواضر، إذ كان كل قائد يباهي غيره ويفتخر على الآخر ببناءه وتشييد مساكنه، فخرب بنو حسن ذلك كله في أيام قلائل، وتفرق العبيد في القبائل لما افترق عشهم ورجع كل واحد الى القبيلة التي كان فيها قبل جمعهم وبعدما بلغ مكناسة من وصلها لم يقر قرارهم لقلة المدد وغلاء الأسعار وتوالي الفتن، وكانت تلك الأيام أيام مجاعة فلم يبق في مكناسة إلا القواد أهل اليسار ومن له حرفة، وضاق عليهم الحال لغلبة البربر المحيطين بهم كانوا يغيرون عليهم ويختطفون أولادهم من الأجنة والبحائر المرة بعد المرة، فلذلك انتشر نظامهم وتفرق ذلك الجمع، والدنيا أضداد، والبقاء لله سبحانه، ولما وقعت الزلزلة المتقدم ذكرها مات من العبيد في الزلزلة نحو الخمسة آلاف ولم يدرك منهم

سيدي محمد بعد سلطنته إلا القليل، وهو الذي جمعهم من القبائل بعد الانتشار، وتدارك شأنهم قبل الاندثار، وجمع شملهم وأمن روعتهم ورفع لهم البنود وسبرهم أعز الجنود، فأدركوا به من العز ما قارب(16) العز الأول، وبذلك كانت دولته تفتخر على الدول.

هذا آخر الكلام على السادات الشرفاء أولاد السلطان مولانا إسماعيل رحم الله الجميع، وقد نقلنا ما عثرنا عليه من أخبارهم ‹مفصلا›(17) بحسب الامكان، وإن كان الحق الذي لا شك فيه أن كل من قام منهم بعد بيعة السلطان مولانا عبد الله إنما هو ثائر لا إمامة له، وإنما يكون ذكره مسوقا من جملة أخبار دولة مولانا عبد الله فهو السلطان المعتبر بعد وفاة والده مولانا إسماعيل، فاعلم ذلك واعتمده ولا تلتفت الى غيره، والله أعلم وأحكم، ولذلك اقتصر مولانا عبد السلام بن محمد في تأليفه، المسمى بدرة السلوك بعد ذكر مولانا إسماعيل على ذكر مولانا عبد الله، ولم يزد عليه ذكر أحد من إخوانه، نعم ذكر نزرا يسيرا من خبر مولاي أحمد الذهبي وأخيه مولاي عبد الملك ‹ومولاي المستضيء›(18) وذلك ذكر كلا ذكر لأنه أجحف كل الإجحاف، وأجمل كل الإجمال، الشبيه بالاهمال فقال مشيرا الى ما ذكرناه ما نصه، وقد كان عمنا مولاي المستضيء نزل بأصيلة وأراد أن يظهر بعض الاستبداد، وسمت نفسه الى تملك بعض البلاد، فوجه إليه والدنا المنصور بالله صاحبه ابن عمه مولاي إدريس ابن المنتصر في جملة من الفرسان، فطرده عنها وسار يريد فاسا، ومنها توجه لسجلماسة، فبقي بها الى أن مات في أول خلافة والدنا رحمه الله تعالى، ولم يزل والدنا نصره الله يصلح ما وهى من أمر الخلافة والعساكر، والقبائل، والعشائر، حتى رد الخلافة الى عنصر شبابها، وقد كانت بيوت الأموال قبله قد ضعفت، وجنود الحضرة قد اضمحلت وتلاشت، لما توالى من الفتن بمقاساة حروب الثوار، فتدارك الله أمر المسلمين، بولاية مولانا والدنا أمير المؤمنين، وكانت خلافته بمراكش ونواحيها سنة ثمان وخمسين ومائة وألف، ومات والده رحمة الله عليه سنة إحدى وسبعين ومائة وألف، انتهى، فانظر الى هذا الاجحاف المفرط، فمن اطلع على ما قدمناه

---

(16) في (ف) : (أدرك) بدل : (قارب)

(17) ساقط من (ف).

(18) ساقط من (ف).

من الأخبار الهائلة الواقعة خصوصا مع مولاي المستضيء في تلك الأزمان الممتدة، والحروب المشتدة، ومكابدة السلطان مولانا عبد الله لمدافعته عن كل ناحية حتى ركدت رياحه وسمع كلام مولانا عبد السلام تيقن أنه لو ترك الخبر عنه بالكلية لكان أولى، فإن كلامه يوهم أن مولاي المستضيء إنما ظهر بأصيلا، ثم طرد عنها، وذهب لتافلالت وهيهات هيهات، فإن في خلال ذلك أهوالا كما تقرر في رايته، والله أعلم وأحكم، وصلى الله على النور <المطلسم>(19) وعلى آله وسلم.

(19) ساقط من (م).

الراية المباركة الجليلة، ذات الأفياء الظليلة في دولة سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن إسماعيل

لما توفي السلطان مولانا عبد الله رحمة الله عليه عام واحد وسبعين ومائة وألف في ربيع الأول، وبلغ الخبر لولده سيدي محمد بمراكش، أقام عزاءه على الوجه المعتاد، فلما فرغ من ذلك حضر أعيان مراكش من الأشراف والعلماء وأهل الحل والعقد، فبايعوه، ثم وردت وفود قبائل الحوز والدير وسوس وحاحة والشياظمة وعبدة بهداياهم، وتلقوا بيعته بالقبول والفرح، والتزام الطاعة. ثم قدم الوداية والعبيد وأهل فاس أعيانهم وأشرافهم وعلماؤهم بهداياهم، ولم يتخلف أحد عن بيعته من أهل المغرب، قال مولانا عبد السلام <بن محمد في كتابه جواهر السلوك>(1) وبويع لمولانا الوالد السلطان الأعظم البيعة التامة، الصحيحة العامة، حضرها جماعة من أعيان العلماء، مثل قاضي الجماعة بمكناسة السيد سعيد العميري(2) وقاضي الجماعة بفاس السيد عبد القادر بوخريص(3) وشيخ الجماعة السيد محمد جسوس(4)، والامام المحقق رافع لواء المنقول والمعقول أبو حفص شيخنا سيدي عمر الفاسي(5) وابن عمه السيد أبو مدين الفاسي(6) وهو الذي تولى كتابة البيعة بيده، وإمام جامع الشرفاء الأستاذ مولاي عبد الرحمان المنجرة(7) وشيخنا العلامة السيد التاودي ابن سودة

---

(1) مابين العلامتين ساقط من (م) ومن (ف) والكتاب تقدمت تسميته "بدرة السلوك".

(2) هو سعيد بن أبي القاسم العميري التادلي الأصل المكناسي القرار والوفاة ت 1131هـ 1718م. «التقاط الدرر» ص 314 «النشر» ص 238. وماذكره مولاي عبد السلام في حضور البيعة غير صحيح لأنه توفي قبلها بما يقرب من 40 سنة والمراد انما هو ولده أبو القاسم كما يأتي.

(3) هو أبو محمد عبد القادر بوخريص الكاملي الجعفري الفلالي الفاسي، القاضي العادل ت 1188هـ 1774م «الشجرة» ص 356 «السلوة» ص 12 ج 2.

(4) أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس علامة جليل، شيخ علماء وقته. ت 1182 هـ 1768م «النشر» ج 4 ص 188 «الشجرة» ص 355.

(5) أبو حفص عمر بن عبد الله بن يوسف، خاتمة المحققين الأعلام، من أكبر شيوخ الأسرة الفاسية اللامعة ت 1188هـ 1774م "الحياة الادبية" ص 306 "الشجرة" ص 356.

(6) ابن محمد فتحا بن شيخ الاسلام عبد القادر الفاسي ت 1182هـ 1768م هكذا في «النشر» ج4 ص181 وفي «عناية أولي المجد» للامام العادل مولانا سليمان ت1181هـ 1767م ص59.

(7) أبو زيد عبد الرحمن بن ادريس الحسني الادريسي ينتمي الى أسرة ادريسية من تلمسان ت 1179هـ 1766م «الحياة الأدبية» ص286 «الشجرة» ص354.

المري(8) وإمام المسجد الكبير بفاس الجديد السيد عبد الله السوسي(9) والإمام الحافظ المحدث سيدي إدريس العراقي(10) وغيرهم ممن لا يحصى كثرة، انتهى.

قال مقيده : وهذا الكلام أيضا فيه إجمال وإرسال ونظر، أما الإجمال فإن هذه البيعة لاشك أنها وقعت في فاس، وهو لم يبين هل كانت قبل قدوم سيدي محمد من مراكش بأن بايعوه في غيبته بنفس موت أبيه، ووجهوا البيعة له مع وفد التهنئة والتعزية لمراكش، وهذا هو الظاهر، فإنه إنما بويع بمراكش كما تقدم، أو هذه البيعة إنما وقعت بعد قدومه من مراكش، هذا محل الإجمال، وأما النظر فإنه ذكر أن القاضي سيدي سعيد العميري حضر هذه البيعة مع أن القاضي بمكناسة قبل ذلك بكثير أيام مولانا عبد الله ومولاي المستضيء، إنما هو ولده السيد أبو القاسم، والظاهر أن السيد سعيد توفي في أواخر أيام مولانا إسماعيل.

ولما وردت الوفود على السلطان سيدي محمد لمراكش للتهنئة كما تقدم جلس لهم لمباشرة ملاقاتهم وإجازاتهم، فلما فرغ من ذلك أعطى للعبيد خيلا كثيرة وسلاحا عتيدا وتجهز للحركة للغرب بعد أن استقدم عساكر أهل الحوز. واستنهض أعيانهم لصحبته، فلما بلغ مكناسة دخل دار الملك وفرق الأموال والخيل والسلاح على العبيد، يريد بذلك جبر كسرهم، وكانوا على غاية ما يكون من سوء الحال، لأن البربر قد نالوا <كل>(11) المنال الفظيع، كانوا يأخذون أموالهم وأولادهم وبناتهم من الأجنة والبحائر، فضلا عن البقر والبهائم والمواشي، فجبر الله صدعهم بولاية سيدي محمد، ثم ارتحل لفاس ونزلت عساكره بالصفصافة، وهو من جملتها نازل بالمحلة، وخرج لملاقاة أهل فاس والوداية واختلط مع العامة بغير حجاب، والناس يتبركون

---

(8) أبو عبد الله محمد التاودي بن سودة المري القرشي الأندلسي أصلا الفاسي دارا ومنشأ ت1209هـ 1794م «الفكر السامي» ج 4 ص 127 «الدرر البهية» ج 2 ص 294 «السلوة» ج 1 ص 112.

(9) أبو محمد عبد الله السوسي من أهل سوس المستوطنين فاسا الجديد ت1177هـ 1763م «النشر» ج 4 ص 155 «السلوة» ج 1 ص 141 وحقق تاريخ وفاته من النشر.

(10) أبو العلاء ادريس بن محمد بن ادريس العراقي ت1183هـ 1769م «النشر» ج 4 ص 193 «الشجرة» ص 356.

(11) ما بين المعقوفين إضافة من (م)

به ويقبلون أطرافه(12) ولا يدفعهم أحد، وفرق المال والكسوة والسلاح في الوداية وعبيد السلوقية، وأعطى الشرفاء والعلماء وطلبة العلم والمدارس والأئمة والمؤذنين والفقراء والمساكين، ولم يحرم أحدا من المستحقين، فلما كان يوم الجمعة جاء لفاس الجديد وخرج من المحلة في هيأة عجيبة، وأبهة سلطانية، تروق الناظرين، وتسوء الحاسدين، وخرج أهل المدينتين كلهم لرؤيته، وكان ذلك موقفا مشهودا، فصلى الجمعة بفاس الجديد، فلما فرغ جلس مع الفقهاء، وسأل عنهم واحدا بعد واحد إلى أن عرف أعيانهم بأسمائهم وصفاتهم، قال مولانا عبد السلام : رحمه الله : وكان له ولوع بمجالسة الفقهاء، واعتناء عظيم بهم وبمذاكرتهم وإلقاء المسائل الغريبة عليهم وتعجيزهم بها، يريد بذلك مباسطتهم واستخراج ما عندهم من ذلك، وله أخبار في ذلك يطول ذكرها، ولأدباء المغرب أمداح في أموره المتجددة من الأعياد والحركات شئ كثير، ثم خرج الى ضريح والده فزاره ورتب عليه القراء، وعين لهم مستفاد الصدقات، ودخل لدار الملك على أخواته وعيال والده، فعزى كل واحدة منهم، وواصلهن بما يناسب ذلك المقام، وخرج للمبيت بالمحلة، وفي الغد ركب لدار دبيبغ فدخل إليها، ووقف على متخلف والده من الأموال والخيل والسلاح والأثاث وأحصى ذلك، وكلف كل واحد من أصحاب أبيه بما كان تحت يديه، والجميع الى نظر الحاجب عبد الوهاب اليموري، وباشر أصحاب والده بالاحسان، ووعدهم بالجميل، وأعطاهم مالا اقتسموه، ثم بعد ذلك حاز مال والده وجد أكثره ذهبا، وذلك ألف سماط من الجلد الفيلالي تكون على السرج بأقفالها، في كل واحد ألفا دينار(13)، وهي من سكة ضربه، أعدها تكون محمولة على خيله خفيفة في السفر، فإذا نزل في المحلة يدفعونها في القبة كل يوم، كل واحد فلان باسمه، ويوم الرحيل تدفع لهم كذلك بالزمام، ووجد مائة رحى من الذهب الإبريز، كقرص الشمع الختم(14) كل رحى فيها وزن أربعة آلاف دينار تكون محمولة علي البغال، أربعة في الشواري مغطاة بالحنابل، مضروب عليها بالحبال، على خمسة وعشرين بغلة، تسير أمامه، فإذا وصل المنزل تدفع بالقبة مع الصماطات، وهذا من الحزم، والحازم لا يفارقه من ماله ما فيه كفاية

---

(12) كذا بالأصل وفي (م) (يتبركون به وبأطرافه) وفي (ف) ويقبلون يده.
(13) في (م) و (ف) ألف، بالأفراد
(14) سقط من (م)

الضرورات والنوائب، وربما يفجأ العدو، وتدعو الضرورة للفرار ويبقى ماله لعدوه، ووجد أيضا ثلاثمائة ألف ريال إلا خمسة عشر ألف ريال، ونحو العشرين ألف مثقال من المزونات الرقيقة من سكة ضربه، هذا ما تركه السلطان مولانا عبد الله من المال، وكان على يد القائد علال بن سعود من وصفانه، وهذا ما تركت النوائب مع ما هو معلوم به من أنه كان يعطي بلا حساب العطاء الخارق للعوائد، وهذا القدر من المال قليل بالنسبة للمملكة العظمى، فإن جميع ما ذكر ما بلغ مليونين، ولكن في ذلك الزمان كان هذا القدر في غاية العظمة فيما يقال.

تنبيه : وجود هذا المال ذهبا على هذه الصفة، مع ما علم من أن كثرة عطايا مولايا عبد الله إنما تكون ذهبا وأكثر سكته إنما هي ذهب وديناره في غاية ما يكون من الصفاء والخلوص والكبر والجودة، مع كونه ما علم أنه كان له اتصال بأرض الذهب الذي هو السودان، هذا كله مما يكاد يصحح ما استفاض أنه يعرف صنعة الاكسير(15)، وإن اختلف العقلاء في إمكان وجودها واستحالته، على فرض الامكان هل برزت من القوة الى الفعل أم لا ؟ وهذه الأقوال التي أشرنا إليها كلها مبرهن عليها في كتب الحكماء، وإن كان القاضي العلامة عبد الرحمان بن خلدون بالغ في إنكارها إمكانا فضلا عن الوجود، ولكن القرائن حاسة سادسة كما قيل، وقد حدثني بعض الثقات من شرفاء تافلالت أن مولانا عبد الله ظفر بها على يد رجل لا يعرفه، قدم عليه وهو بدار دبيبغ، وقال له أعرف الصنعة الالهية وأريد أن أعلمها لك تكون لك عونا على ما أنت بصدده، فأدخله لمحل خلوة، وجعل يباشر له ذلك ويوقفه على أسراره، حتى أكملها وعملها السلطان بيده بحضرة الرجل فأتقنها، فلما تيقن كيفية العمل واختبر ذلك المعمول فوجده في غاية الجودة وقبول الامتحان، قال له السلطان، إني أخبرك في إحدى خصلتين : وإما أن تبقى في محلك هذا ولا تخرج أبدا ما دمت أنا في الحياة، وإما أن أقتلك إن أردت الخروج، فاختار عدم الخروج، وبقي كذلك مدة، وكل ما يحتاجه يأتيه، ثم إنه ذات يوم خرج السلطان لصيده على العادة، وكان ذلك وقت شدة الحر، واستلذاذ الظل البارد فخرج ذلك الرجل

(15) في (ف) (صحة) بدل (صنعة).

<يتروح فوجد البوابين غلبهم النوم فخرج الرجل>[16] عن الباب، فلما انفصل عن دار دبيبغ لقيه السلطان راجعا، فلما قرب اختبأ في محل يمر فرآه، فقال لهم : انظروا ذلك المختبئ من هو ؟ فأتوه به، فقال لهم شدوا وثاقه ورماه للقناجر فافترسوه، وكان ذلك جزاء من أفشى سر الله تعالى، <وأما مولانا عبد الله فإنه سلب الملك من يومئذ ولم تنفعه تلك الصنعة الشريفة، فكان الناس يلعبون بالذهب في أصحابه وأتباعه ولم يغن عنه شيئا>[17] <قال ذلك المحدث>[18] ويقال إن مولانا عبد الله علمها لولده سيدي محمد، والله أعلم انتهى، وحدثني الزياني أبو القاسم في بعض أخباره عن السلطان سيدي محمد أنه لما وجهه لأسطنبول مع من كان توجه معه بعث أحمالا من بارات الذهب كبارات الحديد مشدودة بالحبال على ظهور الدواب كما يحمل الحديد، قال : وكان سيدي محمد <أحمق>[19] يجمع صرر الذهب ويسبكها على تلك الحالة كالبارات ويبعثها للمشرق لأسطنبول وللحرمين ليقول <الناس>[20] إنه يعرف الإكسير انتهى، أقول إن هذا أيضا مما يصدق ما ذكره ذلك الشريف من أن سيدي محمد علمه أبوه والله أعلم وأحكم.

ثم نقل سيدي محمد السلطان متروك أبيه لمحلته، ووكل به أهل خدمته، وأوصى أصحابه بأصحاب أبيه بالتوقير والاحترام، ونظمهم في سلك خدمته، ومن ظهرت نجابته قربه وأدناه، ومن لا عبرة به ولا فائدة فيه أهمله وأقصاه، وورد عليه بفاس عامة قبائل المغرب بالهدايا فأكرم كلا بما يليق به، وكان في ابتداء أمره، وأوائل دولته سهل الحجاب، ولم يعزل أحدا من عمال القبائل وقواد المدائن، بل ترك ما كان على ما كان إلا بعد الاختبار والامتحان، غير أن أهل تطوان فر قائدهم الوقاش لضريح مولانا عبد السلام، بجميع ماله وأولاده خوفا على نفسه لسوء ما تقدم له مع السلطان في أيام أبيه وهو خليفة، كان إذا كتب له على شئ لا يفعله ويقول

---

(16) ما بين العلامتين سقط من (م)
(17) ما بين العلامتين ساقط من (ف)
(18) ما بين العلامتين سقط من (م)
(19) سقط من (ف)
(20) سقط من (ف)

لمن يأتيه أنا متزوج برجل لا يملك بضعي غيره، فلما فر قدم أهل تطوان فأخبروا السلطان بفراره فولى عليهم عبد الكريم ابن زكور(21) أحد كتابه كان وجهه لمراكش واليا على العرائش، فلما وفد عليه أهل تطوان ولاه عليهم لكونه حضريا يناسبهم، وأقام السلطان بفاس شهرين ورجع لمكناسة، ومنها توجه لناحية غمارة، بسبب المرابط أبي الصخور الخمسي، كان له صيت عظيم بتلك القبائل، وكان يقول لهم إن هذا السلطان لا يطول ملكه، فقبضه وقتله ووجه رأسه لفاس، وولى على قبائل غمارة والأخماس وتلك النواحي كلها الباشا العياشي، وأنزله بشفشاون.

وفي أول المحرم عام اثنين وسبعين ومائة وألف رجع من حركته لمكناسة مريضا، ثم عافاه الله بفضله <ففرح الناس>(22) لما تخلف قول المرجفين لما مرض إنه أصابه ما أصابه من قتل أبي الصخور، وصدق في قوله إنه لا يطول ملكه، وفي صفر توجه لمراكش بعد أن أمر بنقل عبيد السلوقية لمكناسة مع إخوانهم، وأخذ معه لمراكش ألفا من رجلية العبيد بقصد أن يعطيهم الخيل والسلاح ويكسوهم، فلما دفع لهم ذلك ردهم ووجهوا ألفا آخر <كذلك واستمر هكذا كلما أركب ألفا وجهوا ألفا آخر>(23) حتى أكمل لهم العدد، واستوفوا خيلهم وسلاحهم، ولم يسأل عما كان عندهم في أيام والده، وفي عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف تجهز للحركة وقدم لمكناسة وفرق الراتب على العبيد، ووجه للوداية راتبهم، وأمر بالحركة للمراسي، وخرج من مكناسة فنزل بتطوان، وأمر ببناء برج مرتيل، وفرق المال على العبيد الذين بمرتيل وهم بقية عبيد سبتة لأنه لما انتثر نظام الملك بموت مولانا إسماعيل وفر العبيد من سبتة وبقي هذا الألف الذي لا قبيل له يرجع اليه فنقلهم الوقاش لمرتيل، وكان يحسن إليهم ويستظهر بهم على مراده وحقه، وكان يدافع بهم عن بلاده، ثم نهض السلطان من تطوان وجعل طريقه على سبتة فلما سامتها وقف هناك وتأملها حق التأمل، وكان لم يعرف حقيقة وضعها فتحقق مناعتها وحصانتها، وأنه لا مطمع لعاقل في أخذها عنوة، وأمر العساكر بإخراج حاضرونًا من البارود، فرد عليه الكفار

---

(21) عبد الكريم بن عبد السلام بن زاكور، أحد كتاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله ت1200هـ 1785م «وفيات ابن سودة» ص 66.

(22) سقط من (م)

(23) ساقط من (م)

حاضرونًا بالمدافع والكور، فكادت الجبال أن تنهد بذلك، فتعجب السلطان من ذلك، وما كان قصده بتلك الحركة إلا الوقوف على سبتة وأن يطلع على كنه أمرها، فيطمع فيها أو ييأس منها، فيئس منها وقطع أمله من منازلتها، وعلم أنما أعجز مولانا إسماعيل لا ينبغي لغيره الطمع فيه، ثم أوصى أهل أنجرة بتعيين طائفة من رماتهم للحراسة والوقوف على الحدود، وأعطاهم الإعانة على ذلك وتوجه لطنجة فنزل قريبا منها ولقيه أهل الريف بأعدادهم وعددهم وأبهتهم التي أدركوها في أيام أحمد ابن علي الريفي، وكان قائدا عليهم عبد الصادق ابن أحمد ابن علي، وكان عبد الصادق قدم عليه لمراكش قبل وفاة والده مولانا عبد الله فأكرمهم وفرق عليهم المال والكسى وأمر عبد الصادق أن يوجه أخاه عبد الهادي يقف على إنشاء الغلائط بتطوان، ثم توجه السلطان للعرائش فوجدها خالية ليس فيها إلا نحو المائتين[24] من أهل الريف تحت ولاية أهل الغرب فقيديها عبد السلام ولد علي وعدي وأمر أن تأتيها مائة من عبيد مكناسة، وتوجه لرباط الفتح فأقام بها وأمر عليا مرسيل أن يبني صقالة على البحر ‹بالرباط›[25] وقائد سلا عبد الحق فنيش أن يبني أخرى بسلا ‹تقابلها على البحر، وأمر بإنشاء سفينتين، واحدة بالرباط وأخرى بسلا›[26] ولم يكن عندهم قبل إلا سفينة واحدة مشتركة بين العدوتين أنشأوها أيام الفترة وتوجهوا بها لأكادير ومنه وجهوا رسلهم لسيدي محمد وهو خليفة بمراكش، فأكرم الرسل وأعطاهم مالا كثيرا للمجاهدين، ووجه السلطان من الرباط محلة العبيد والوداية فرجعوا لبلادهم وتوجه هو لمراكش وكتب لتجار النصارى بآسفي أن يأتوه بإقامة المراكب القرصانية صواري وأنطانات، وكمن ومخاطيف وحبال وقلوع، فتنافسوا في ذلك وفرحوا بأمره لهم.

وفي هذا العام أيضا أمر رحمه الله بقدوم حراطين الصحراء الذين بالرتب وتافلالت وهم الجبابرة والمعاركة وأولاد بو احمد بلغه أنهم يعينون عمه مولاي الحسن بن إسماعيل على الشرفاء ومحاربتهم فنقلهم لمكناس وأعطاهم الكسوة والسلاح وكتبهم في ديوان الجيش، وفي عام ثلاثة وسبعين ومائة وألف بلغ خبر موت عمه مولاي المستضئ بتفلالت، وبلغه عن

(24) في (م) مائة بالافراد.

(25) سقط من (ل).

(26) ما بين العلامتين سقط من (م).

الوداية أنهم ما زالوا على ضلالهم وفسادهم القديم، وأنهم يدخلون بين البربر بالإغواء والنميمة لأنه لما مات محمد وعزيز افترقت كلمة آيت ادراسن وجروان، ووقع الحرب بينهم مرتين وأعان الوداية جروان كما تقدم ذلك في محله، ولما بويع سيدي محمد انحاز له، آيت ادراسن، إذ هم شيعة أبيه مع محمد وعزيز، وقيد عليهم سيدي محمد ولد محمد وعزيز، وأنزلهم بحوز مكناس إذ سمع ما وقع لهم مع جروان وحماية الوداية واشتغالهم بفساد الطرقات، وقبض الزطاطة هم والوداية وكان رئيسهم في تلك الوقت جبور فآخي السلطان بين آيت ادراسن، وايت يمور وعاهدهم وأوصى عاملهم على مكناس بالاحسان معهم والاعتناء بهم، وأمر جروان بالكف عنهم فلم يرجعوا عن ذلك ولم يمتثلوا أمره وتمادوا على حرب آيت ادراسن. فأمر السلطان قائد العبيد وقائد آيت يمور أن يشدا[27] عضد آيت ادراسن ويركبا لنصرتهم على جروان، حيث انتصر لهم الوداية، وخرج الوداية بمحلتهم لواد فاس في أول يوم من رمضان وأقاموا به مفطرين منتهكين لحرمة الاسلام قبل سفرهم الحرام، وقصدوا مكناس مع جروان وزحفوا لآيت ادراسن، فكان اللقاء على واد وسلان فنصر الله، آيت ادراسن ووقعت الهزيمة علي جروان والوداية، ونهبوا محلة الوداية وحلة جروان، وقتلوا منهم نحو الخمسمائة، وقطعوا رؤوس أعيان الوداية، وعلقت بباب الجديد بمكناس، فلما بلغ الخبر للسلطان غضب على الوداية وأظهر إرادة المكر بهم.

وفي عام أربعة وسبعين ومائة وألف قدم السلطان من مراكش بقصد الوداية، فلما بلغ مكناس وجه الوداية عجائزهم وصبيانهم للشفاعة والاستعطاف، فتعرضن له في الطريق واستشفعن له، وسألنه بالرحم، فلقيهن باللطف وطيب قلوبهن، ووعدهن بالاحسان والعفو، وأعطاهن كسوة ودراهم وجئن صحبته لفاس، فنزل بالصفصافة وخيمت العساكر هناك وخرج أهل فاس والوداية لملاقاته ففرح بهم وأظهر البشر لهم، وفي الغد أمر بعمارة المشور بدار دبيبغ، وأخرج أهل فاس طعام الضيافة على العادة، فأمر بالطعام أن يدخل لدار دبيبغ، ولما صلى العصر خرج لعمارة المشور

---

(27) في (ل) «يشد» بدون أن

(28) ساقط من (ل).

فوقف ‹في موقف›(28) العرض، ودفع القبائل هداياهم، ولما فرغ أمر العبيد والوداية بالدخول لأكل الطعام بدار دبيبغ، وكان قد رتب فيها ألفا من المسخرين لقبض الوداية في ناحية أفردها لهم، فلما دخلوا وغلقت الأبواب أمر بالقبض عليهم، وجردوهم من السلاح، وكتفوا أيديهم خلف ظهورهم، وأضجعوهم علي الأقفية، ولما أكل الناس الطعام أمرهم بالركوب والإغارة على حلة الوداية والمغافرة باللمطة فركبت تلك العساكر وأغارت وتوجه السلطان من خلفهم فلما واجه فاسا الجديد رموه بالكور من الأبراج، ولم يغن ذلك عنهم شيئا، فوقف السلطان ببنود على دار(29) الرخا فلم يكن إلا ساعة حتى أقبلت العساكر بالغنائم والسبي والخيام، وفي الليل هرب من بقي منهم بفاس الجديد بعضهم لضرائح الأولياء بفاس، وبعضهم لزاوية الشيخ اليوسي، وبعضهم لسيدي أبي صرغين بصفرو وبعضهم لسيدي بوعلي، والضعفاء منهم على الأسوار يطلبون الأمان فأمنهم وخرجوا لفاس البالي، وأمر السلطان العبيد أن يأتوا بألف كانون ينزلون بفاس الجديد وأخلاه من الوداية، وأمر بتسريح أربعة من الوداية أحدهم قدور بن الخضر وأمرهم بالوقوف علي مساجينهم وأن يعينوا له المشهورين منهم بالعتو والطغيان، فأتوه بزمامهم وهم خمسون، كلهم من أهل الزيغ والفساد، فأمر أن يقيدوا بالأكبال، ويجعل كل اثنين في سلسلة ويوجهوا علي الإبل لمراكش كذلك اثنان على جمل، وأمر قدور بن الخضر بتسريح الباقين، ويكمل عليهم ألفا من الوداية والمغافرة، ويطرد الباقين لقبائلهم، ويحملون أولادهم لمكناسة يسكنون بها مع العبيد، وعين لسكناهم الأروى ينزلون به كأنه قصبة مستقلة، وأمر قدورا بتأديبهم وتجرية الأحكام عليهم حتى يتربوا بتربية المملكة، وكانوا قبل ذلك جفاة الطباع، في غاية الغلظة والقوة، فقيد عليهم السلطان قدور بن الخضر وهو أصغرهم سنا وأكبرهم عقلا ونجدة، واشتغل السلطان يدفع لهم الخيل والسلاح والكسوة إلى أن أكمل لهم ألفا، فصلحت أحوالهم، وبعد هذا التفت السلطان إلي الأمراء الذين كانوا أيام والده بكثرة الثروة تنازعهم نفوسهم، ويظهر لهم أن لهم على الدولة المزية والمنة، وأنه لولاهم ما قامت الدولة على ساقها،

---

(29) في (م) (باب) بدل (دار).

فاستمروا علي ذلك الضلال ولم يقلعوا، وأقاموا على عتوهم وما رجعوا، وكان السلطان في صدر ولايته أعرض عن شأنهم حتى يتفرغ لهم، وهم يظنون أنه جاهل بحالهم، فازدادوا ضلالا، فلما تفرغ لهم قبض على قائد الغرب الباشا الحبيب المالكي وأودعه المطبق وأمر بنهب أمواله ومواشيه وهدم قصره وأمر بحمل أنقاضه للعرائش، فلما دخل المطبق منع نفسه من الأكل والشرب غيظا إلى أن مات والطعام والشراب بين يديه، وصار إلي غضب الله سبحانه نعوذ بالله ورحمته من درك الشقاء وسوء القضاء، ثم قبض على صاحب سلا عبد الحق فنيش الذي كان السلطان أعرض عن سوء فعله معه أيام والده لما مر به وسد الأبواب دونه ولم يبالي بأمره ذهابا وإيابا كما تقدم ذلك، في أيام خلافته، فلما ولاه الله صفح عنه وأمهله وما أهمله، فاستمر علي ذلك ثم قتل رجلا من أعيان سلا ظلما وجورا، فلما رفع ذلك للسلطان وقام بين يديه أولياء المقتول يشكون به قبض عليه ودفعه لهم يقتلونه قصاصا، فتهيبوا من قتله، وطلبوا أن يقتل لهم وهم ينظرون، فأمر السلطان بقتله بحضرتهم، ووجه من حاز أمواله وباع أصوله ورباعه وأصول إخوانه وقرابته لبني حسن، ونقلهم من سلا للعرائش، فسجنوا بها، ثم بعد مدة عطف عليهم وسرحهم وفرقهم في ثغور السواحل، وولاهم رياسة الطبجية وآلات الحرب من مدافع مهاريز، بعضهم بالعرائش، وبعضهم بطنجة، وبعضهم بالرباط وبعضهم بمراكش، وبعضهم بالسويرة، وأعطاهم الديار المعتبرة والرباع المستغلة، ورتب لهم الرواتب اللازمة الكثيرة، وبلغوا في أيامه من الثروة والعز مالم يبلغه أسلافهم، ثم عزل قائد بني حسن بوعريف وولى عليهم خادم والده محمد القسطالي، وعزل قائد تامسنا ولد المجاطية وقائد تادلا الراضي الورديغي، وولى على تادلا وتامسنا جميعا زيادة علي دكالة وزيره السيد محمد بن حدو، وكان ولاه على دكالة لما قبض على عاملها ابن العروصي قائد مولاي المستضيء، وأودعه المطبق مدة أعوام، ولما سرحه ولاه مدينة شفشاون وأعمالها، ولما فرغ من هذه الأشغال واستقرت الأمور في مراكزها وولى المراتب من يستحقها من أهل الكفاية والنجدة رجع السلطان لمحله.

وفي هذا العام باع السلطان مكوس فاس فاشتراها الصفار باثني عشر ألف مثقال في السنة، وذلك أنه لما بويع رحمه الله وقدم لفاس دفع له

أهل فاس ما كانوا يدفعونه لمولانا عبد الله من ثمن الموازين، وهو ثلاثمائة مثقال في كل شهر، فلما حضر فقهاء الوقت سألهم عن حكم ذلك في الشرع ليعرف مستند ذلك فقالوا له إذا لم يكن للسلطان مال يجوز له أن يقبض من الرعايا ما يقوم به جنود الاسلام ومصالح الدين، فأمرهم أن يكتبوا ذلك فكتبوا تأليفا اعتمده السلطان فوظف على الأبواب والسلع والغلل، وممن كتب له في ذلك الفقيه السيد التاودي بن سودة والسيد محمد جسوس والسيد عمر الفاسي والشريف سيدي عبد الرحمان المنجرة والسيد محمد بن عبد الصادق والسيد أويس(30) والقاضي السيد عبد القادر بوخريص، وعلى فتوى هؤلاء اعتمد، قال الزياني : وأما أهل القوانين من الأتراك والروم فإنهم يسوون بين العدل النبوي والعدل السياسي، ويقيمون العدل الاصطلاحي مقام العدل الشرعي الإلهي، وعندهم الجور المرتب أي المنضبط أحسن من العدل المهمل، ولا شيء أصلح للسلطان من ترتيب الأمور، ولاشيء أفسد له من إهمالها، ودرهم يؤخذ من الرعية على وجه الإهمال وإن كان عدلا أفسد لقلوبها من عشرة دراهم تؤخذ منها على جهة السياسة المرتبة أي علي زمان معلوم أو شيء معلوم مألوف، وإن كان جورا كالمكس المرتب انتهى كلام الزياني، قال مقيده عفا الله عنه : وهذا الكلام خارج عن الشريعة المحمدية، قال مولانا جل وعلا (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من لم تصلحه الشريعة لا أصلحه الله انتهى.

وأما قضية المكس وهي الملقبة بالمعونة فإن الكلام فيها معلوم قديما وحديثا، وقول ابن البراء(31) لأمير المؤمنين يوسف بن تاشفين معلوم مقرر وفتاوى <العلماء>(32) غير ابن البراء بخلاف قوله، وجرى عمل الدول السالفة من دولة المرابطين الى الآن على فتاوي غير ابن البراء حتى في هذه الدولة الشريفة الحسنية، ما عدا مولانا سليمان رحمه الله، قيل أن أهل فاس شرطوا عليه في بيعته ترك المكس، وقيل إنما ترك ذلك باختياره ورعا

---

(30) أويس لقبه، علامة، مفتي، ورد على فاس بعد العشرة السادسة ت1170هـ 1756م «النشر» ج4 ص249 «الاتحاف» ج 2 ص 76.

(31) لم أقف على ترجمته.

(32) سقط من (ف).

وتعففا والله أعلم(*).

وفي عام خمسة وسبعين ومائة وألف حرك السلطان للشاوية فنهب الأموال وقتل عددا كثيرا منهم، وقبض آخرين ووجههم في السلاسل لمراكش، وفي طريقه أغار علي اشقيرن من آيت أمالوا بنواحي تادلة فنهب أموالهم وقتل من ظفر به وتوجه للغرب قاصدا الحياينة لفسادهم، فابتدأ بآيت سكاتوا وثنى ببني سادن وثلث بالحياينة، ففروا لجبل غياثة، وتحصنوا بها، فترك العساكر ببلادهم تأكل الزروع وتوجه هو لتازا فدخل عليهم لبلد غياثة فأبادهم بها قتلا وقبضا والعساكر في بلادهم تستخرج الزروع والدفائن وتحرق العمائر وتخرب الي أن دمر بلادهم ولم يترك بها ما ينتفع به وفي مقامه بمكناس أمر بقبض الشيخ محمود الشنكيطي المتصوف، كان قدم من بلاده ونزل بمستودع القرويين، وكان يجتمع عليه أعيان التجار يتبركون به ويعتقدونه، قال صاحب البستان : فلم يقتصر على ماهو بشأنه بل صار يتكلم في أمر المملكة ويكاتب البربر ويزعم أن سلطان الوقت جائر متعد ولم يوافق عليه أحد من الأولياء، فبلغ قوله هذا للسلطان، فأمر بقبضه فوجهه لمراكش فسجن به وامتحن ‹إلى أن مات›(33) ولم تبكه أرض ولا سماء، انتهي ما في البستان قال مقيده : الذي حدثنا به الثقات الأثبات أن السيد محمود هذا من أصحاب القطب الكامل المكمل سيدي أحمد الحبيب اللماطي(34) رضي الله عنه وأنه ارتقبه حتى حصل له حال في بعض مواجده، فسأله بالله تعالي ألا يموت حتى يفتح له، فقال له الشيخ : نعم على بلوي تصيبك، فلما قدم لفاس نزل بالمستودع الذي حول باب القرويين الذي يدخل منه الى مصلى الجنائز، ولما أراد الله ابتلاءه البسه ملبس الاشتهار فأقبل عليه الناس وخصوصا التجار وأرباب الأموال وكان يذهب الي المارستان ويجلس الى بيت امرأة من الأولياء في المارستان ويسمع منها بعض الكشوفات فيخبر بها بعض أولئك المتهافتين عليه

(*) وقبل رقم 31 الذي يشير الى ترجمة ابن الهراء : تهميش يؤكد الاعتراض على الزياني في كونه قدم القوانين التركية والرومانية على الشريعة الإسلامية ونص الهامش، ولاشك أن هذا كلام من ألا إيمان في قلبه والعياذ بالله تعالى من المكر والخذلان.

(33) ساقط من (ل).

(34) أحمد الحبيب اللماطي بن محمد السجلماسي نسبة للماط بالتحريك، رحط من سجلماسة، فريد العصر والمآثر التي لا يدركها الحصر، دفن بداره بسجلماسة، وبني عليه ضريح. (النشر) ج 4 ص 94 والحياة الأدبية، وبها مصادر ترجمته ص 257 ت 1165هـ 1751م.

فيصدق ذلك في الواقع كما أخبر، وهذا كان سبب اشتهاره وافتتان الناس به، وفي بعض الأيام سمع من تلك المرأة المجدوبة أن السلطان يموت بعد شهر أو نحو ذلك من مدة قريبة. فقال ذلك لبعض التجار من خاصته، وأوصاه أن لا يحدث أحدا بذلك فكأنه أوصاه أن لايترك أحدا إلا حدثه به، فشاعت المقالة، وأهل فاس شواهة، فقام كل من سمع ذلك لشراء الأقوات وادخار الحطب والفحم والسمن وغير ذلك، وحصلت فتنة في المدينة وكان السلطان بمراكش لا بمكناس كما تقدم للزياني، وكان للسلطان عيون في كل مدينة رتب لهم الخراج والرواتب الكثيرة يخبرونه ويكتبون بكل ما سمعوه من خير وشر وصدق وكذب من كل ما يدور في الناس، فأنهي إليه هذا الخبر على وجهه فكتب للعامل وأمره بقبضه وتوجيهه له بمراكش، فلما قبض عليه وجعل في السجن ليسافر به وجه صاحبا له وقال له اذهب إلى البيت الفلاني من المارستان واسمع ما تقوله لك المرأة التي فيه، فذهب، فلما رأته قالت له : والله ما قلت إلا ما سمعت من الديوان، ولكن الله تعالى يفعل ما يشاء، أو كما قالت فلما وصل الى السلطان بمراكش أمر أن تجعل بمبة في عنقه مربوطة ويطرح في الصهريج، وقيل إنه ما فتح عليه حتى شرعوا في تهيئة البمبة ليجعلوها في عنقه، نسأل الله الكريم البر الرحيم ألا يبتلينا، فصدق قول الشيخ على بلوى تصيبه، انتهى.

وفي ذلك التاريخ خلف السلطان ولد عمه مولاي ادريس بن المنتصر بفاس وولاه قبائل الجبل كلها، وفيه قبض على الحاج الخياط عديل واخوانه وسجنهم على مال كان لوالده عليهم فأدوه وسرحهم. وفي تمام العام وجه الحاج الخياط عديل والسيد الطاهر بناني سفيرين لاصطنبول، وفي عام خمسة وسبعين ومائة وألف تولى الحاج محمد الصفار أمكاس فاس باثنين وعشرين ألف مثقال في السنة، وفيه أمر السلطان بتحبيس الكتب الإسماعيلية التي بدويرة الكتب من مكناسة، وعددها اثنا عشر ألف مجلد وزيادة، على مساجد المغرب كله، وتوجه لمراكش، ولما بلغها قدم عليه أعيان مسفيوة بمائة وخمسين رجلا فقتلهم كلهم إلا القاضي، وأمر المحلة بالركوب لنهب بلادهم، فتوجهوا لها، وكان مسفيوة من الضلال والطغيان والفساد في الأرض والاستخفاف بالمملكة على غاية ما يقال، ومن حين نزل السلطان بمراكش في أيام خلافته في أيام أبيه وفي أيام دولته بعد بيعته

وهو يعالج داءهم بكل ما أمكنه، فما نفع فيهم دواء إلى أن اجتمع له منهم هذا العدد، فلما قتلوا ونهبت أموالهم وخربت ديارهم وقطعت أشجارهم في هذه الوقعة رجعوا للطريق مع المسلمين وصلحت أحوالهم.

وفي عام ستة وسبعين ومائة وألف حرك السلطان للغرب ونهب في طريقه آيت سبر من زمور ومزقهم كل ممزق، ولما بلغ مكناسة أمر القبائل بدفع الزكاة والأعشار الحيانية وشراقة وأحواز فاس يدفعون بهرى فاس، وأهل العرب وبنو حسن والبربر يدفعون بمكناس، ثم خرج السلطان لحركة مرموشة فهزمهم ونهب أموالهم واستولى على معاقلهم وقتل منهم العدد الكثير بعد أن ظهروا على العساكر فتقدم لهم هو بنفسه وعبيده المسخرين فهزمهم، وتوجه لتازا فأصلح نواحيها ورجع، وفيه مات قائد القواد السيد محمد بن حدو الدكالي، وكان ركنا من أركان الدولة رحمه الله تعالى، فولى السلطان ابن عمه محمد بن أحمد.

وفي عام سبعة وسبعين ومائة وألف أمر السلطان ببناء قبة الشيخ سيدي علي بن حرازم،، وفيه قام أحمد الخضر في الصحراء من نواحي فجيج، وكان يزعم أنه مولاي عبد الملك، ثم صار يقول إنه داعيته، وفتن الناس بكثرة الحروب، فوجه السلطان لأعراب تلك الناحية فقتلوه ووجهوا رأسه للسلطان بمكناس وكان مريضا، فلما شفاه الله توجه لمراكش، ولما بلغ الرباط وجه الحاج التهامي مدون باشا دور لبلاد دينمرك ليأتيه بإقامة المراكب، ووجه الحاج عبد الوهاب باشا دور لبلاد السويد ليأتيه بإقامة المراكب والبارود، ووجه العربي المستارى في مركبه باشا دور لبلاد النجليز يصلح مركبه ويجعل له إقامة جديدة ومدافع النحاس، فتوجه لها وجدد مركبه وجعل له إقامتين ومدافع النحاس ورجع لتمام العام.

وفي عام ثمانية وسبعين ومائة وألف كان عرس ابن السلطان مولاي علي بمراكش على ابنة عمه <مولاي أحمد وعرس ابن أخيه>(35) سيدي محمد بن أحمد على ابنة السلطان، وكان ذلك عرسا عظيما حضره عامة أهل المغرب حواضره وبواديه بهداياهم وخيلهم ورجلهم وأبهاتهم وزينتهم إلى غاية ما يذكر.

---

(35) ساقط من (ل).

ولما فرغ منه توجه للصويرة بقصد عمارتها فأسسها وترك الخدمة فيها وأمر العمال والقواد أن يبني كل واحد منهم بها داره ورجع، وفي هذا العام في ذي القعدة أرسى الفرنصيص مراكب على مدينة سلا ورموها بالكور والبمب ثلاثة أيام إلى أن خرج أهلها للأجنة، ثم أقلع النصارى وانصرفوا.

وفي المحرم من عام تسعة وسبعين ومائة وألف أرست مراكب الفرنصيص على العرائش ورموا مرساها بالكور والبمب إلى أن هزموهم عنها، ودخل الوادي، فلما رجعوا وجدوا أهل الغرب مع القائد الحبيب قد اعترضوهم بباب المرسى ومنعوهم من الخروج، وأعانهم الله سبحانه بريح شديدة بحرية عظيمة الأمواج، فإذا توسطوا للخروج في وسط الوادي ردهم الريح، وإذا انحازوا للشطين رماهم المسلمون بالرصاص إلى أن استأصلوهم وخالطوهم في الفلاتك عموما، وكانت خمسة عشرة فلوكة، فيها ألف من العسكر أخذوا بين جريح وأسير وقتيل، وكل من قبض أسيرا توجه به للسلطان فأعطاهم وكساهم وبقي النصارى في الأسر الى أن توسط الاصبنيول في فدائهم بأموال كثيرة بعد صلحه، وفي هذا العام توجه السلطان للعرائش بقصد ترميمها واستصلاحها فبنى الصقائل والأبراج بها، وأقام بها شهرا، ووجه خاليه عمارة بن موسى ومحمد بن ناصر باشا دورين للاصبنيول مع كاتبه أحمد الغزال كاتبا لهما، فلما بلغوا جبل طارق كتب الغزال كتابا لأحد كتاب السلطان يقول له : أريد منك أن تعرف أمير المؤمنين بأن هذين الرجلين لا معرفة لهما بقوانين <الروم>[36] وأنا خفت عاقبة الأمر، فلا يواخذني سيدي بما عسى أن يقع من الفالطة فإني بريء له منهما، فأخبر السلطان بذلك فقال : صدق والله ما قال إلا الحق، فقد ندمت على تقديمهما لذلك، وكانت مني بادرة قبل التأمل، وما رعيت إلا صورة اللحم والدم، فاكتب لطاغية الاصبنيول وقل له : إني وجهت لكم كاتبي الغزال باشا دورا ووجه له الكتاب فإذا بلغه يقبض الكتاب الذي عندهما، فلما بلغه الكتاب قبض الذي عندهما وتولى الأمر حتى قضى الغرض المطلوب، وفي هذا العام كلف السلطان أهل فاس بتقديم الإدالة للسويرة

---

(36) ساقط من (ل).

خمسين راميا بقائدها وفقيها مدرسا وموقتا ومؤذنا وشاهدين عدلين وأسقط عنهم الحركة التي كانوا يعطون فيما سلف، وهي خمسمائة رام فقدموها بمشقة وكراهة، وتوجهوا لحضرته بمراكش فوجههم للسويرة ورتب لهم المئونة، وكانوا يحرسون المرسى وينزل المال بدارهم عند قائدهم، فانتفعوا غاية إلى أن صاروا يتزاحمون على طلب التوجه لها ويوشون عليه لما يحصل لهم من الفوائد، واستمر الحال على ذلك، وفي العام وجه السلطان عليا مرسيلا لبلاد الفرنصيص لتقرير الصلح وقبض مال الأسارى وشراء الإقامة منه، فأعطوا الإقامة والمال، وفيه وجه السلطان الفقيهين السيد الطاهر السلاوي[37] وسيدي الطاهر الرباطي[38] باشا دورين لاصطنبول للسلطان مصطفى العثماني بهدية فيها خيل بسروج مذهبة منبتة باليواقيت النفيسة والجواهر الثمينة والزمرد الرفيع، وفيها أسياف موصلة محلاة بالذهب منبتة بأحجار الياقوت الملونة من عمل المغرب، ولما رجعا أصحبهما مركبا موسقا بآلة الحرب من المدافع والمهاريز وإقامتها والبارود وإقامة المراكب القرصانية من كل ما يحتاج إليه، وفي هذا العام حرك السلطان للريف وجاز على تطوان وجبال غمارة والأخماس فمهد تلك النواحي كلها ورجع على تازا، وفيه قدم ولد السلطان مولاي علي خليفة لفاس الجديد وولاه قبائل الجبل والريف وجميع تلك البلاد الغربية، وفيه قدمت ربة الدار العالية مولاتنا فاطمة بنت سليمان لفاس لزيارة مولانا إدريس وسيدي حرازم وسيدي عبد الله التاودي فزارت ليلا وذبحت أكثر من مائة ثور، وفرقت من الأموال صدقة شيئا كثيرا، وتوجهت لصفرو لزيارة سيدي أبي سرغين وسيدي أبي علي، فزارت وذبحت وتصدقت ورجعت لفاس، ومنه توجهت لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش، فتوجه معها أعيان أهل فاس وأشرافهم وعلماؤهم واعترضها أهل الغرب بهداياهم، وقدم عليها قواد المراسي لضريح الشيخ مولانا عبد السلام، فلما زارت فرقت مالا عريضا على أشراف العلم

---

(37) في (م) محمد السلوي بدل : الطاهر السلوي، وهو ابن عبد السلام، كان له اتصال بأمير المؤمنين سير محمد بن عبد الله، ومن الفقهاء الذين يحضرون مجلسه، وأحد سفرائه للعثمانيين، في «الاتحاف الوجيز» لمحمد بن علي الدكالي ص 121 أنه توفي في حدود 1180هـ 1766م. وتعرض له «الإعلام» ج 6 ص 75.

(38) الطاهر بناني الرباطي. قاضي الجماعة بمراكش، وأديب الوقت. ذكر المولى عبد السلام في «درة السلوك» أن والده سير محمد بن عبد الله، بعث المذكور سنة 1175 مع الأمين الخياط عديل في مهمة للخليفة العثماني إذ ذاك، ثم بعثه مرة أخرى مع الفقيه أعلاه السلوي ابن عبد السلام في نفس المهمة ت في العشرة الثانية من القرن الثالث عشر الهجري. «الاعلام» للمراكشي ج 3 ص 263.

ورجعت للقصر، وتوجهت منه للعرائش، وأقامت بها ثلاثة أيام، ومنها تفرق القواد وذهب كل واحد لعمله، وتوجهت لمراكش في ألف من الخيل التي قدمت معها من العبيد مع القائد مصباح.

وفي هذا العام قدم لفاس ولد السلطان مولاي اليزيد ومعه رؤساء البحرية والطبجية ليجروا المدافع والمهاريز النحاسية التي بفاس الجديد والتي بمكناس ويذهبوا بها للعرائش، وكل قبيلة تبلغ للأخرى إلى أن أبلغوها لمشرع مسيعدة فجاء أمر السلطان للقبائل التي بحوز العرائش بالنهوض لجرها من سبو، فجرها أهل الغرب الى واد الدر دار، ثم جرها أهل العرائش <وأحوازها الى العرائش>(39) وكان يوم وصولها موسما عظيما أخرجت المدافع والمهاريز، ولعبت الخيل الى العشي، ورجعت الرؤساء والبحرية والطبجية مع مولاي اليزيد لحضرة السلطان بمكناس، ومنها خرج لحركة آيت يمور بتادلا، فلما بلغها أمر آيت يمور أن يقدموا عليه بخيلهم ورجلهم ليتوجهوا معه لسرية آيت أمالو، فلما قدموا عليه أمر بعرض العساكر فركبت كلها، ووقفت بقرب القصبة، فكلما قدمت عليه قبيلة أمرها بالوقوف في ناحية يعينها لها إلى أن لم يبق إلا آيت يمور، فلما وقفوا بين يديه أمر رحاه أن يخرجوا فيهم حاضرونا من الرصاص وقد كان عهد إلى العساكر أن كل من قرب منه آيت يمور يضربهم ويقتلهم ويسبيهم، فكلما توجهوا لناحية رموهم ففروا من جهة دكالة فكان عدد من قتل منهم ثمانمائة(40) فأزيد، فحزت رؤوسهم ووجهت لفاس وعلقت بأسوارها، وأمر السلطان العساكر بقصد حللهم فنهبت وسيقت مواشيهم وخيامهم وفر من أفلت منهم إلى جبل آيت اسرى، وتوجه السلطان لمراكش فقدموا عليه تائبين، فعفا عنهم ونقلهم من تادلا إلى حوز مكناسة.

وفي هذا العام مات قائد فاس الحاج محمد الصفار فولى السلطان ولده العربي، وفيه أمر السلطان العبيد والوداية وجروان أن ينهضوا لحرب آيت ادراسن لما زاغوا، فتوجهوا لهم فوقع بينهم حرب عظيمة إلى أن هزموهم ونهبوا حللهم وقتلوا العدد الكثير، وقبضوا كذلك فوجههم السلطان في السلاسل لمراكش، وفيه أمر السلطان بجمع الأنجشارية من

---

(39) سقط من (ف).

(40) في (ف) ثلاثمائة.

قبائل الحوز كلف القائد عبد النبي المنبهي فكتبهم في ديوان العسكر، كل من هو عزب وأراد الجندية يكتبه، فاجتمع منهم أربعة آلاف وخمسمائة، فأعطاهم الكسوة والسلاح.

وفي عام ثمانين ومائة وألف قبض السلطان لما قدم لمكناس القائد عبد الصادق بن أحمد الباشا الريفي ومائة من أهل الريف من قرابته ومن هو على مذهبه فسجنهم، وتوجه لطنجة فنهب داره نقل إخوانه بأولادهم للمهدية، وقيد عليهم محمد بن عبد الملك، ولم يترك بطنجة من أهل الريف إلا أهل الصلاح والسداد، وأنزل معهم بطنجة ألفا وخمسمائة من العبيد بعددهم بحيث لا يطمعون بعد ذلك في قيام ولا ثورة.

وفي عام إحدى وثمانين ومائة وألف وقعت وقعة كلخ بمراكش، وهو صعلوك ينسب لسيدي رحال، كان يظهر للعامة الصعاليك مثله الكرامات الكاذبة، وتبعه الجهال من البادية البطالين بعدد لا يحصى، فدخلوا مراكش في تلك العوالم من الأوباش يقولون كلخ سلخ، هذا شعارهم، وهم كالسيل الذي لا يطاق رده، فافتتن الناس ولايدرون بماذا، ووقع الهرج في المدينة، وسدت الأسواق، فبلغ ذلك السلطان، فأمر الأعوان والعبيد فاعترضوهم قبل بلوغ القصبة، وكان وعدهم أن يفتح لهم بيت المال يحوصونه جزافا، ولذلك دخلوا مراكش، ولأجله تبعوه، فقبضه الوزعة، وفرت أتباعه، وأبلغوه إلى السلطان فأمر بقتله، وسكن الناس في الحين، وفي هذا العام وردت هدية السلطان مصطفى العثماني مع الحاج عبد الكريم راغون التطواني، كان توجه بالهدية عام ثمانين ومائة وألف، وهدية العثماني مركب موسوق بالمدفع والمهاريز النحاسية وإقامتها وإقامة المراكب القرنصانية من صواري ومخاطيف وگمن وحبال وقلاع وبراميل، وفيها ثلاثون من المعلمين الذين يفرغون المدافع والمهاريز والكور والبمب، ويصنعون المراكب، والذين يرمون البمب ونزلوا بالعرائش، فأمر السلطان بتوجيه المعلمين لفاس يقيمون بها إلى أن يأتي السلطان لمكناس ويقدمون عليه، ولما قدموا عليه لمكناس وتكلم معهم في شأن الخدمة، قالوا نحتاج إلى بناء دار الصنعة، ووصفوها له ورسموا مثالها وبينوا كيفيتها، فرأى أن ذلك لا يتم إلا في عشرة أعوام، ولا يكفي في بنائه مال، فأعرض عن ذلك ووجه معلمي المراكب للرباط فأنشأوا فيها ثلاثة شكطريات، ووجه

معلمي البمب لتطوان، فكانوا يفرغون فيها البمبة من قنطارين، ووجه معلمي الرمي للرباط فكانوا يعلمون الطبجية من أهل الرباط وسلا، ورد أصحاب المدافع والمهاريز لفاس، فأقاموا بها إلى أن ماتوا رحمهم الله تعالى، وفي هذا العام مات الشيخ مولانا الطيب[41] مولى وزان رضي الله عنه.

وفي عام اثنين وثمانين ومائة وألف وجه السلطان ولده الكبير الخليفة مولاي علي مع شقيقه مولاي عبد السلام صغيرا دون بلوغ لإقامة فريضة الحج، وأصحبه هدية عظيمة لأهل الحرمين الشريفين، ولأمير مصر والشام وطرابلس ومالا كثيرا يفرق على أشراف الحجاز واليمن، وجوائز للعلماء والنقباء، وأهل الوظائف بمكة والمدينة، ووجه معه من وجوه أهل المغرب وأولاد أمراء القبائل وأشياخهم وجملة من خدامه وأصحاب أشغاله بالخيول العتاق والأبهة الفاخرة ما تحدث به أهل المشرق دهورا، ومعهم كان زفاف ابنته مع أخيها لسلطان مكة الشريف سرور مع ذلك الركب النبوي، وكان في زفافها ما يربي على مائة ألف دينار من الذهب والياقوت والدر واللؤلؤ النفيس، وكان دخولها لمكة المشرفة يوما مشهودا ومهرجانا[42] عظيما حضره عامة أهل الموسم الأكبر من العوالم، وفي هذا العام وجه السلطان ابن عمه مولاي علي ابن الفضيل وكاتبه السيد سعيد الشليح الجزولي لسوس يقصد جمع عبيد المخزن الذين هناك، ووجه وصيفه القائد المحجوب ولد قائد رأسه لاقليم طاطا ‹وأقا›[43] وتسينت بالقبلة فأتو بألفين من عبيد السوس بأولادهم ‹وألفين من طاطا وأق وتسينت›[44] فأنزلهم بظاهر مراكش إلى أن دفع لهم السلاح والكسوة وقيد عليهم المحجوب المذكور، ولما توجه السلطان للرباط أمر بقطع الأجنة التي بأكدال، وأنزل العبيد به وبنى لهم الدور والمساجد والحمام[45] والمدارس والسوق، وزاد عليهم ألفين وخمسمائة مجتمعه من القبائل، كتبهم في الديوان، وسماهم الوداية مقابلة لعبيد مكناس، ووداية الذين بها، وأفاض عليهم العطاء والإحسان الكثير

---

(41) تقدمت ترجمته بالرابة الخامسة لمولاي عبد الملك بن مولاي اسماعيل.
(42) كذا في الأصول المعتمدة بتقديم الراء على الهاء.
(43) سقط من (ف).
(44) ما بين المعقوفين إضافة من (ف).
(45) في (م). الحمامات بالجمع.

لسكناهم بثغور الجهاد، وفي هذا العام نزل السلطان على مدينة البريجة بالعساكر والجنود وحاربها، ونصب عليها المدافع والمهاريز، وحضر حربها الحاج سليمان التركي المعلم في الرمي وأبدأ فيها وأعاد، وظهرت ثمرة علمه حتى شاهدها كل أحد إلي أن فتحها الله على المسلمين وعمرها السلطان بأهل دكالة إذ هي في وسط بلادهم، وأضاف لهم طائفة من عسكره، وغنم فيها المسلمون من الأمتعة ما سرهم وأغناهم، وفي هذا العام كتب الأصبنيول للسلطان انه لم يبق من أسارى المسلمين أحد من أهل المغرب، ولم يبق الا أسارى أهل الجزائر، فطلب من السلطان أن يتوسط لهم في فداء أسراهم من أهل الجزائر، ويدفعون لأهل الجزائر أسراهم، وتكون هذه المفاداة علي يد السلطان، حتى لا يقع فيها خلف ولاغدر، وتكون علي هذه الصورة، الرئيس بالرئيس والبلوط بالبلوط واليكانجي بالكانجي، والجندي بالجندي، والبحري بالبحري، ومن فضل عنه فضل من البحرية بخمسمائة ريال، والرئيس ألف ريال، فأجابهم السلطان لذلك كما طلبوا، وبادر الى إنقاذ المسلمين، وفرح بذلك ابتغاء مرضاة الله وثوابه، وكان السلطان قبل ذلك كتب لهم فيمن تحت أيديهم من أسرى المسلمين، فوجهوا له أهل المغرب، واعتذروا بأن أسرى أهل الجزائر أرادوا أن يفكوا بهم أسراهم التي عند أهل الجزائر فامتنع أهل الجزائر من الفداء ولم يبالوا بمن عند الكفار من أسراهم وإخوانهم، فكتب السلطان للغى الجزائر، فامتنع من الفداء، ثم أعاد لهم الكتب وحضهم على فكاك المسلمين وخوفهم من مكر الله وعذابه، وذكرهم وأنذرهم من سطوة الله إن لم يفعلوا، فما أمكنهم إلا اجابته ‹وامتثال أمره›(46) وجبر خاطره، وكتبوا له أن يوجه احدا من أعيان دولته ليحضر للفداء ويباشر حتى يدفعوا الأسارى بيده، ويدفعهم هو للأصبنيول ويقبض لهم عددهم من عندهم، ولما ورد الجواب كتب للأصبنيول وأمره أن يوجه المسلمين في مركب للجزائر، وينتظرون الباشا دور الذي يوجهه السلطان من عنده حتى يدفعوا له المسلمين ويدفع لهم إخوانهم الكفار، فوجه لهذا الغرض كاتبه الغزال ورفيقه عمارة بن موسى ومحمد ابن ناصر، وبوصولهم للجزائر، أرسى مركب الأصبنيول بمرساها، وأنزل من

---

(46) سقط من (ل).

المركب ألف مسلم وستمائة وكذا، ودفع أهل الجزائر ألف كافر وستمائة وكذا، ودفع الأصبنيول ما فضل عنده مالا، وانفصلوا، ورجع الباشا دور ومن معه لحضرة السلطان، وكتب الله له أجر ذلك وجعله في صحيفته.

وفي عام ثلاثة وثمانين ومائة وألف حرك السلطان لتادلا لأن أهلها قد فسدوا وتعدوا الحدود، واشتغلوا بالحروب <بينهم>(47) فأوجف عليهم الجنود والعساكر فنهب أموالهم وبدد شملهم، وولى عليهم صالحا ولد الراضي فاستصفى أموالهم وتركهم عيالا لا يقدرون على الانتقال من محل لآخر لقلة الظهر والكراع.

وفي عام أربعة وثمانين ومائة وألف حرك السلطان لجروان فأوقع بهم بوادي كريكرة ونهب أموالهم وقتل منهم نحو الخمسمائة وتركهم يتكففون في القبائل وأسواق فاس، ونقلهم لأزغار في وسط الغرب، وفي هذا العام نزل السلطان على مليلية بالعساكر وآلالات الحرب ونصب عليها المدافع والمهاريز وابتدأ الرمي عليها في أول المحرم عام خمسة وثمانين ومائة وألف <فحاربها أياما>(48) فكتب له طاغية الأصبنيول يعاتبه على حصارها، ويذكره الصلح المنبرم بينهما، وقال له : هذا <خط>(49) كاتبك الغزال الذي كان واسطة في المهادنة، فقال له السلطان : إنما جعلت معك المهادنة في البحر وأما المدن التي في بلادنا فلا مهادنة فيها، ولو كانت فيها المهادنة لخرجتم لنا ودخلنا لكم، فكيف هذه المهادنة، فوجه له الطاغية عقد الصلح بعينه عاما في البر والبحر، فكف عنها ورجع عنها وترك آلات الحرب من مدافع ومهاريز وكور وبمب وبارود وكراريط وشرط عليهم أن يحملوها في البحر لما في جرها من المشقة، فأنعم بذلك وحمل بعضها لتطوان وبعضها للسويرة لمحلها الذي جاءت منه، وكان هذا السبب في تأخير الغزال عن كتابته، فبقي عاطلا إلى أن كف بصره ومات رحمه الله.

وفي عام ستة وثمانين ومائة وألف حرك السلطان لجبل آيت أمالو برأي بلقاسم الزموري، وكان ولاه عليهم فلم يقبلوه فطلب من السلطان المحلة فأعطاه ثلاثة آلف من الخيل مع إخوانه زمور وبني حكم وتوجه لهم،

(47) سقط من (ل).

(48) سقط من (ل).

(49) سقط من (ل).

ولما نزل على وادي أم الربيع حاربوه فهزموه ورجع عنهم، فلما بلغ خبر هزيمته للسلطان غضب غضبا شديدا وأمر بخروج العساكر وبعث لأمراء القبائل من العرب والبربر، فلما اجتمعوا عنده خرج من مكناس، قال الزياني، وكنت معه في تلك الحركة وأنا عنده، في حيز الإهمال أتوقع الموت كل يوم بسبب ماكتب له عليّ بلقاسم الزموري، وإني أنا الذي أفسدت عليه قبائل البربر، ولما بلغ السلطان إلي محلة بلقاسم واجتمع معه ونزلت تلك العساكر كلها في بسيط مريرة أشار على السلطان أن يقسم تلك العساكر على ثلاثة ثلث ينزل بتسماكت، وثلث ينزل بزاوية الدلاء بطرف بلادهم، وثلث يتوجه معه علي طريق تكط، وينزل السلطان في عساكره بقصبة ادخسان، وتقصدهم العساكر من كل ناحية، فتوجه كل لناحيته المعينة له، ونحن توجهنا مع السلطان لأدخسان، ولما قطعنا واد أم الربيع وجه السلطان جروان للإغارة أمامه ونحن على آثارهم إلى أن بلغوا قصبة ادخسان، فلم يجدوا أحدا، ووقفوا إلى أن بلغهم السلطان، فقالوا ما رأينا أحدا ولا وجدنا أثرا، وهذا قصبة ادخسان، فأمر السلطان بالنزول فنزلت المحلة وبقي متحيرا وقال نادوا فلانا بلقاسم الزياني فأتيته وهو مازال راكبا، فقال لي : أتعرف هذه البلاد ؟ فقلت نعم، قال فأين أهلها ؟ قلت في جبلهم، فقال : أليس هذا هو جبلهم ؟ قلت : لا هذه قصبة المخزن، والجبل من تلك الثنايا السود إلى أمام، وأريته الثنايا فقال : وأين الزاوية التي توجهت اليها العساكر مع قدور بن الخضر ومسرور ؟ فقلت هي عن اليمين من تلك الثنايا في البسيط قال : وأين تسمّاكت التي توجهت إليهما أمم البربر مع محمد وعزيز ؟ قلت : بيننا وبينها مرحلتان من وراء تلك الثنايا، قال : ومن أين يأت بلقاسم ؟ فأريته الثنية التي يأتي منها، وقلت : لا يصلنا الا في غد <إن سلم>(50) فقال : وما عملنا الآن ؟ قلت : ضرب في حديد بارد، الذي بالزاوية لا ينفع، والذي بتسمّاكت لا ينفع، وآيت أمالوا محصنون في الجبل، وبلقاسم رجل مشئوم غشوم عصمنا الله من شؤمه، فلما حدثته بحقيقة الحال ظهر له خلاف ما سمع من بلقاسم وتحقق فساد رأيه، وعلم أنه أخطأ فيما ارتكبه من الغرر بالمسلمين، وبينت له السبب الذي هرب به آيت أمالو من بلقاسم حتى عرفه، فقال لي : أكتب

(50) ما بين العلامتين ساقط من (ل).

لزيان يأتون، فإني سامحتهم، فكتبت ووجهت لهم بعض الأشراف من ادخسان مع اثنين من أصحاب السلطان، وساروا لهم ليلا، وفي الغد أصبح علينا أربعة منهم فدخلت بهم للسلطان، ففرح بهم وقال لهم : إني سامحتكم على وجه كاتبي هذا فلان، ووجههم بالبشارة، وباتت تلك الليلة العساكر كلها بلا علف ولا تبن، وفي الغد ظهرت محلة بلقاسم، والعبيد باتوا في الحرب طول ليلتهم، ولما بلغوا أمرني بالتوجه إليهم وأنزل العبيد بجوار السلطان، وبلقاسم ينزل مع إخوانه زمور وبني حكم وأعرض عنه السلطان وعن الكلام معه، وأمره أن يوجه إخوانه لبلادهم، ووجه القبائل كلها، وفرق ذلك الجمع وارتحل لتادلا راجعا، وأما الذين نزلوا بتسمَّاكت مع محمد وعزيز فبيتهم آيت أمالو وشتتوهم ونهبوا المحلة وقتلوا عددا كثيرا، ورجعوا إلى مكناس مفلولين، ولما بات السلطان بالزرهونية ورد عليهم أصحاب قدور ابن الخضر بكتاب يذكر فيه أن البرابر اجتمعوا علينا من كل ناحية، فإن لم تدركنا هلكنا، فأمرني بالتوجه إليهم وإعمال الحيلة في تخليصهم بما أمكن، فرجعت للزاوية فوجدت القبائل محيطة بهم، فاجتمعت مع آيت يسري ووعدتهم بالمال من السلطان والعطاء الذي يرضيهم على أن تجوز المحلة في بلادهم، فانعموا بذلك، وحملت المحلة مع الفجر، وتركنا بلاد آيت أمالو وقطعنا الوادي لبلاد آيت يسري، وتوجه معنا نحو المائة من أعيانهم إلى أن خرجنا لتادلا لوادي تقبالت، ورجعوا عنا، وقدمت للسلطان فأخبرته بقدوم المحلة وبلوغها لتقبالات فسره ذلك وقال لي : لابد أن ترجع إليها الساعة ‹وأعطاني مالا أفرقه عليها›(51) واكتب لهم المنازل لمكناسة وينتظرون السلطان بها، فرجعت في الحين ولما أصبح الصباح فرقت عليهم المال وتوجهوا، فرجعت إلى السلطان فوجدته قد أصابته الحمى فمرض هنالك بقصبة تادلا، وكان يعالجه طبيبه الأديب الفقيه أحمد أدراق(52) ولا يدخل عليه غيره وصاحب طعامه الحاج عبد الله إلى أن عافاه الله، فأعطى الطبيب ألف دينار مرة واحدة، رحمه الله ورضي عنه انتهى، وأما خبر مثال الجشائرية الذين استخدمهم السلطان من القبائل فإنه حصل منهم الضرر الكثير والفساد العظيم في الأموال والحريم في كل

---

(51) ساقط من (م).
(52) أحمد بن محمد أدراق الطبيب الماهر في دولة مولانا إسماعيل ت1116هـ 1704م «التقاط الدرر» ص 293.

ما يمرون به وقت سفرهم، وصار ذلك الفساد عادة لهم، وكل منزل يبيتون به يكلفون أهله ما لا طاقة لهم به، فإذا كلمهم أحد من المسلمين وأعيان الرعية يقولون هذه عادة للجيوش المخزنية لا يمكن تركها، وهي من قوانين المملكة، فلما بلغ السلطان سوء حالهم ومايرتكبون من الظلم للرعية، لم يسعه إلا إسقاطهم من الجندية، فانتزع منهم السلاح وردهم للمغرم مع إخوانهم رحمه الله ورضي عنه.

وفي عام ثمانية وثمانين ومائة وألف عزل السلطان ابن أحمد الدكالي عن القبائل ولم يترك له إلا إخوانه دكالة، فقيد على الصراغنة محمد الصغير، وعلى أهل تادلا ولد الراضي، وعلى أولاد بورزق مولى الطابع، وعلى أولاد بوعطية عمر ابن بوسلهام، وأمر ابن أحمد أن يقبض من إخوانه الذين كانوا خلفاء على القبائل ما أكلوا من الأموال، فقبض منهم مائة وخمسين ألفا.

وفي عام تسعة وثمانين ومائة وألف كانت الطامة الكبرى والفتنة العظمى، وهي خروج العبيد على السلطان وبيعتهم لمولاي اليزيد ولده، وكان السبب في ذلك أمره لهم بتعيين ألف منهم يرحلون لطنجة بأولادهم، ووجه لهم القائد الشاهد رأس الفتنة وقيده على ذلك <الألف>(53) فلما بلغ الشاهد مكناس قال لهم : لا يتوجه معي إلا الأعيان ومن له دار وجنان وأرض حرث، ولا يتوجه معي إلا أمثالي، فانحرفوا من كلامه هذا وشرطه، وركبوا الخلاف وامتنعوا كل الامتناع، ولما بلغ السلطان ذلك وجه لهم ولده مولاي اليزيد بقصد الإصلاح، فكان هو عين الإفساد، قال الزياني : وكنت أنا بالرباط، ولما رجعت لمراكش لقيت مولاي اليزيد بالسانية فسألني عن العبيد، فقصصت عليه ما بلغنا عنهم، فسره ذلك وجد في السير، وفهمت مراده، فلما دخلت على السلطان سألني عن خبر العبيد فاخبرته بما سمعت من أمرهم، فقال لي : أين لقيت اليزيد ؟. فقلت بالسانية، وحملني ما أجد على التجاسر عليه، فقلت ياسيدي كيف توجه المولى اليزيد لمثل هذه الفتنة وأنت لا تجهل حاله ؟ فإنه والله لا يسعى في صلاحهم. ولا تجده إلا موافقا لهم، فقال هذه مني إحدى السقطات في الرأي، ولو أمكن إدراكه لوجهت من يرده، ولكن ما شاء الله كان، فاسترح يومك وغدا

---

(53) ساقط من (م).

تتوجه، ولما بلغ مولاي اليزيد مكناس بايعوه، وفتح بيت المال وفرق عليهم تفريق اسراف وإتلاف، وفتح خزائن السلاح والبارود، وفرق، وبايعه كل من كان قريبا من العبيد جبرا منهم من قبائل الأعراب والبربر غير الوداية وآيت ادراسن وجروان، وهم شيعة السلطان، وبعد ثلاث وجهني لهم بمكاتب، فأقمت عند الوداية والبربر الى أن جاءهم مولاي اليزيد للاروى لاغاثة آيت ادراسن وجروان للوداية، ووقع الحرب بالمشتهى من القصبة، فانهزم العبيد وسلطانهم، ومات منهم نحو الأربعمائة والمجاريح بلا عدد ورجعوا خائبين، فكتبنا للسلطان بذلك فخرج من مراكش فاعترضته بسلا وأخبرته بحقيقة الحال، فلما قرب من مكناس فر مولاي اليزيد لضريح الشيخ ابن حمدوش(54) ووجهني السلطان للعبيد فأتيت بمائة من ذوي أسنانهم ومعهم الأشراف والمرابطون والنساء، ولما رجع من زيارة مولاي إدريس أتاه الأشراف بولده مولاي اليزيد <تائبا>(55) فعفا عنه وأصحبه ولقيته بالعبيد فعفا عنهم وسامحهم على الخروج من مكناس لسكنى الثغور، وأقام السلطان بمكناس يدبر أمرهم الى أن أخرجهم وفرقهم في المراسي، فوجه طائفة منهم لرباط الفتح <وطائفة للعرائش>(56) وطائفة لطنجة، وقصد بتفريقهم دفع غوائلهم وتوهين عصبيتهم، ثم فرق الذين كانوا بالرباط، فوجه لسوس ألفين ولمراكش ألفا، وأبقى ألفين بالرباط مع عبيد مكناسة، واستراح من مكرهم وشرورهم مرة واحدة، ثم إن العبيد الذين بطنجة قاموا على قائدهم القائد الشيخ وعلى قائد أهل الريف القائد محمد بن عبد الملك، وأرادوا قتلهما ففرا لأصيلة والسلطان بمكناس، فلما بلغه الخبر وجه لهم فقبضوا أصحاب الفعلة ووجهوهم وتبرأوا منهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فاستكانوا، ورجع القواد لمحلهم بطنجة، وتوجه السلطان لمراكش، فأخذ معه عبيد مكناسة لمراكش فأنزل أهل القصبة بالمنصورية لأنهم رءوس العصاة وأنزل الباقين بمراكش وعزل قوادهم وأنزل قوادهم الذين حضروا الفعلة وأبقاهم فرادى عاطلين من الرياسة، وقيد غيرهم مكانهم، ثم إن العبيد الذين بالمراسي أضروا بأهلها في أموالهم وأعراضهم وجناتهم، فلما

(54) علي أبو البركات بن محمد الدعو حمدوش بن عمران الشريف العلمي، العروسي دفين جبل زرهون بزاويته ت 1135هـ 1722م «النشر» ج 3 ص 163 «لتقاط الدرر» ص 325. «الإتحاف» ج 4595.

(55) ساقط من (م).

(56) ساقط من (م).

بلغه ذلك خرج من مراكش بسببهم، فلما بلغ السلطان الرباط كتب للعبيد يقول لهم : إني عفوت عنكم وبررت قسمي برحيلكم من مكناس، والآن إذا وصلكم البغال والإبل يحمل أهل طنجة أولادهم الى دار عَرْبي ويتزلون بها ويوجهون البغال والإبل لأهل العرائش يحملون أولادهم الى دار عربي وينزلون بها، ومنها أوجه لكم بغالي تحملون أولادكم كلكم لمكناسة ‹فلما بلغهم الكتاب فرحوا بالرجوع لمكناس›(57) ولما بلغهم الإبل والبغال حملوا أولادهم وأمتعتهم وارتحلوا من طنجة، ثم وجه السلطان لهم قائدهم سعيد ابن العياشي الذي عزلوه أيام الفتنة، وقال له : انزل بدار عربي وأقم بها حتى يرد عليك العبيد، ولما بلغ أهل طنجة نزلوا عليه بحلتهم وردوا البغال والإبل لأهل العرائش، فحملوا أولادهم ونزلوا مع إخوانهم بحلتهم بدار عربي، وقدم السلطان بعساكره من الرباط ونزل بمسيعدة، ثم انتقل الى سوق الأربعاء قريبا منهم، وأمر بني حسن وأهل الغرب أن ينزلوا على العبيد ويجعلوهم في وسطهم دائرة بهم محلتهم من كل جهة، وقال لهم إني أعطيتكم العبيد بخيلهم وسلاحهم وأولادهم ومالهم وكل ما عندهم فاقتسموهم وكل واحد منكم يأخذ عبدا وأمة وأولادهما، المرأة تطحن وتسقي والعبد يحرث ويحصد ويحطب، والولد يسرح، فاحملوا سلاحهم واركبوا خيلهم والبسوا كسوتهم بارك الله [لكم فيهم](58) فأنتم عسكري، ورجع للرباط فوجه العبيد الذين بقرابه لمراكش وأنزلهم بها، وعزل قوادهم وتركهم فرادى وقيد غيرهم وأدبهم بهذا الأدب اللطيف العجيب، فحسنت حالهم بعد ذلك، وبعد أربعة أعوام عفا عنهم وردهم من عند أهل الغرب وكساهم وأعطاهم الخيل والسلاح وردهم للديوان، وعزل قبائل الخلط والطليق أنزلهم بالقصر، وسفيان وبنو مالك بمسيعدة، وبنو حسن بسيدي قاسم، واللحياينة وجبالة بتامدرت بفاس، وأقاموا كذلك مدة أعوام يوجهون فرضهم في الحركات، ثم نقلهم لمراكش وأقبل عليهم بالعطاء الكثير الى أن رجعوا أحسن مما كانوا، ثم بدا له رأي فيهم، فوجه عبيد سوس لتارودانت، وعبيد حاحة والشبانات للصويرة، وعبيد السراغنة وتادلة لدمنات، وعبيد دكالة بأزمور، وعبيد الشاوية لأنفا(59) وعبيد زعير والدغمة للمنصورية،

---

(57) ساقط من (ل).

(58) ما بين المعقوفين إضافة من (م).

(59) في (م) لآسفي.

وعبيد بني حسن للمهدية، وبقي معه بمراكش عبيد سفيان وبني مالك والخلط والطليق والمسخرين أصحاب العباس، وبسبب قيام العبيد انحل نطاق المملكة وسرى الفساد في القبائل كلها عربا وعجما، ولولا سعادة السلطان وسداد رأيه وقوة جأشه لانتثر عقد الدولة، ولكن الله سلم، والحمد لله رب العالمين.

وفي عام تسعين ومائة وألف ارتفع المطر ووقع القحط، واشتدت المجاعة في المغرب الى عام ستة وتسعين ومائة وألف، فالستة أعوام كلها مجاعة الى أن أكل الناس الميتة والخنازير والآدمي، وفني أكثر الخلق لما تجلى الله سبحانه بأوصف القهر والجلال والكبريا ،، والسلطان يكابد المشاق العظام في ذلك، ويصرف على جيوشه الأموال الثقال الراتبة المتوالية الى أن خلصوا من المجاعة، ورتب الخبز في كل مدينة يفرق على الضعفاء والمساكين في كل حومة، وأسلف للقبائل الأموال الطائلة فاقتسموها على الضعفاء الى أن يردوها في زمان الخصب، ولما حصل الخصب وأرادوا ردها قال : ما أعطيتها بنية الرد وإنما ذكرت الرد لئلا يستبد بها الأشباخ إذا سمعوا عدم الرد، فلله دره ما ألطفه وأرحمه بإيالته، وأسقط عن جميع القبائل الوظائف والمغارم في هذه السنين الست حتى برئ الناس وتمولوا، وكان رحمه الله في سني المجاعة يعطي الأموال للتجار لجلب الأقوات من الأقطار لبلاد المغرب ويأمرهم ببيعه بثمنه الذي اشتري به رفقا بالمسلمين.

وفي عام سبعة وتسعين ومائة وألف مطر المغرب، وحرث الناس، وبلغ الزرع وحصد، ورخصت الأسعار، واشتغل السلطان بتمهيد الدولة ومباشرة الرعية مرة ثانية، فوجه العساكر لأولاد أبي السبع لعبثهم في البلاد وظلمهم لأهل الحوز، فحاربوهم ونهبوهم وأخرجوهم من الحوز الى سوس، وقتلوا منهم عددا كثيرا وقبض السلطان على كثير من رؤسائهم وأعيانهم، فسجنوا بمكناس الى أن ماتوا بسجنها، وأمر قبائل السوس أن يطردوهم من بلادهم، ويخرجوهم الى القبلة وصحرائهم ففعلوا، ثم نقل قبيلة زمران بعد نهبهم من الحوز الى بلاد أولاد بو السبع فعمروها ثم نقل تكنة ومجاطا ودويلال من شوشاوة للغرب فنزلوا بفاس الجديد، ثم آيت يمور من الغرب الى تادلا ثم نقل قطاية وسمكت ومجاط من تادلا الى الغرب ثم نقل جروال من أزغار الى الجبل. وفي هذا العام كانت فتنة الشيطان محمد

والحاج اليموري كان يزعم أنه من الأولياء، ويتكلم في المغيبات ويزعم أنه يمهد لصاحب الوقت، وسرى فساده في البربر، وقصده الجهال والبطالون والرعاع من كل وجه، وكان يأمر آيت يمور بالعيث في جوارهم من قبائل العرب، فقام اليه أمير سفيان وجمع قبائل الغرب وقصد آيت يمور وشيطانهم وهم بجبل سلفات، ونزل على سبو ووقع القتال فهزمت الأعراب وقتل قائدهم الهاشمي السفياني وعدد كثير من أعيانهم وتركوا محلتهم بما فيها، وعظم أمر هذا الشيطان وشمخت أنوف آيت يمور، ولما قدم السلطان لمكناس وجه من قبضه، فلما بلغه قتله، وفي هذا العام وجه السلطان ولده مولاي عبد السلام لأداء فريضة الحج لأنه لم يدرك لما حج مع شقيقه مولاي علي.

وفي عام ثمانية وتسعين ومائة وألف توجه السلطان لحركة زمور فدخلوا شعاب تغدايت وتحصنوا بها، فرجع عنهم وأمر آيت ادراسن وجروان إذا خرجوا من الشعاب ينهبهم، فلما سمعوا أن السلطان توجه للحوز خرجوا من الشعاب فأحاطوا بهم ونهبوهم الى أن تركوهم يتكففون في القبائل، وفي هذا العام وجه السلطان ولده مولاي اليزيد للحج بغير ركب مفردا مع من أمره يصرف عليه دفعا له وإبعادا عنه حذرا من مكره، وكان السلطان غرضه أن يتوجه لسجلماسة فلم يرد أن يتركه خلفه بالغرب، وتوجه السلطان لتافلالت بقصد زيارة جده مولاي علي الشريف وقطع عادية البربر من آيت عطة وآيت يفلمان، وكان آيت عطة شيعة عمه مولاي الحسن ابن إسماعيل، وكان يحارب بهم الأشراف فيقتلهم، فصعب عليه أمر عمه الى أن تردد عليه الأشراف بالشكايات فلم يسعه تركه على ذلك، وأرد كفه عن الظلم وجزره عن الفساد والطغيان وقطع عادية البربر عن إذاية الشرفاء فتوجه لها، قال الزياني : وكان وجهني قبله لاخراج البربر من قصورهم التي بتافلالت، وإن كان عندهم ما يثقل عليهم من زرع أو تمر أعطاهم ثمنه لينقطع بذلك عذرهم، وإن أقاموا بها حتى يقدم عليهم السلطان فإثمهم على أنفسهم، ففعلت ما أمرني به، فلم يقدم حتى وجدهم خرجوا، وفي يوم وصوله وجهني لعمه مولاي الحسن يأمره بالرحيل من تافلالت الى مكناس، وعين له ما يكفيه من البهائم لشقله، وحمل أولاده وعياله ومتعلقاته، فتوجهت له وباشرته بالأدب الواجب والملاطفة التامة الى أن أجاب، وفي

الغد توجهت به لمكناس، وأمرني أن أعطيه دارا تناسبه لسكناه وأرتب له ثلاثمائة مثقال في الشهر مئونة، ووعده بكل خير، وقال لي : إذا فرغت من أمره اصحب معك أولادي الثلاثة مولاي سليمان ومولاي الحسن ومولاي الحسين ومالا ومدافع ومهاريز وكورى وبومبى وكمانية وألفا من عسكر المراسي رجلية لجر المدافع والمهاريز، فقضيت الغرض ورجعت بما أمرني به لتافلالت، فلما بلغناها ورد الخبر بموت الخليفة مولانا علي رحمه، فقد كان من سادات العلويين وأنجادهم ونجبائهم ومن أهل المروءة التامة والأوصاف العالية المحمودة علما وعقلا وأدبا وكرما وهمة عالية، وكان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، بل لا يمسك شيئا ولا يدخره، ولما أشرفنا على تافلالت خرج السلطان بنفسه لملاقاة أولاده، وأمر الشرفاء وأهل البلد أن يخرجوا للسلام عليهم ويشاهدوا آلة الحرب التي لم تكن معهودة عندهم ببلادهم، فخرجوا وركبت العساكر مع السلطان وكان ذلك اليوم من الأيام المذكورة كأنه عيد، فلما قضى غرضه من سجلماسة ومهد أمورها كلها من الأعراب والبربر وآيت يفا المال <وتفقد>(60) أطرافها ولى عليها القائد علال ابن حميدة الزراري من أكبر قواده وأعيان دولته، وتوجه لمراكش على طريق الفائجة، ولما بلغوا ثنية الكلاوي نزل عليهم الثلوج المتراكمة فأتلفت المباني والروام والأثقال، وبات السلطان منفردا عن قبته ومضاربه، وأصبح عيد الأضحى، فخطب السلطان بنفسه ودعا للعثماني، ولما بلغ مراكش واستراح بها ودخل فصل الربيع عزم على الحركة الى الصويرة بقصد زيارة رجراجة بالساحل على عادته، إذ كان له ولوع بهذه الصويرة التي أنشأها سنة ثمانية وسبعين ومائة وألف، ولما توجه لها أشخص معه جماعة من العلماء أهل دولته يملي عليهم الحديث النبوي ويؤلفونه على مقتضى إشارته، منهم الفقيه العلامة الحجة السيد عبد الله الغربي الرباطي(61) والفقيه العلامة السيد محمد ابن الأمير السلاوي (62) والفقيه الدراكة السيد محمد الكامل الرشيدي (63)، والفقيه سيدي عبد الرحمان

---

(60) ساقط من (م).

(61) القاضي ابو عبد الله محمد بن العلامة الامام احمد بن عبد الله الغربي الدكالي ثم الرباطي، من جملة جلساء السلطان سيدي محمد بن عبد الله. ت 1218هـ 1803م (الاغتباط) لأبي جندار ص 134.

(62) من علماء الحضرة السلطانية الذين كانوا يؤلفون الحديث على مقتضى إشارة أمير المومنين. ت 1214هـ 1799م أو 1220هـ 1805م. (الاعلام) ج 6 ص 161.

(63) الفقيه الدراكة. كذلك من علماء سيدي محمد بن عبد الله، لم يذكر وفاته في (الاعلام) ج6 ص 162.

بوخريص(64)، هؤلاء أهل مجلسه الذين يؤلفون له ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التي جلبها من المشرق كمسند الإمام أحمد، ومسند أبي حنيفة النعمان، والصحيحين والشفاء، وغير ذلك من كتب الحديث متونا وشروحا، وكان مستغرق الأوقات في مطالعة الحديث لا شغل له بغير ذلك في أوقات فراغه من الأحكام وتدبير ملكه، وكان بعد صلاة الجمعة يجلس في مقصورة الجامع مع فقهاء مراكش ومن يحضر عنده من علماء المغرب الوافدين عليه يجالسهم إكراما لهم وتنويها بأقدارهم، ويذاكرهم في الأحاديث والآداب وأيام العرب وأخبار الدول، وكانت له اليد الطولى في جميع ذلك، وكان يحصل له النشاط التام بالمذاكرة في العلوم، وكثيرا ما يقول لهم على سبيل التأسف : والله لقد ضيعنا أعمارنا في البطالة واللهو في حالة الشبيبة.

وقد كنا قدمنا أنه كان يتخلق كثيرا بأخلاق المنصور الذهبي السعدي ويعجبه حاله وأخباره، يتحلى بسيرته ويستحسنها، ولما فاته الاشتغال بالعلوم في حال صغره اعتكف على سرد كتب التاريخ وأخبار العرب وأيامهم ووقائعهم إلى أن بلغ الغاية القصوى من ذلك وتضلع منه، وكان حافظا مستحضرا لكل ما يطالعه حتى كاد أن يحفظ كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني لا يعزب منه شئ إلا النادر، وكان منه هذا الولوع في أيام خلافته أيام والده، وأما في حال مملكته فأكثر اشتغاله إنما هو بكتب الحديث وسرد المساند والصحاح ومجالسة العلماء ومذاكرتهم فيه، ورتب لذلك أوقاتا مخصوصة مضبوطة لا تنخرم على عادة المنصور الذهبي حسبما هي مرسومة في مناهل الصفا عند الفشتالي، حتى إنه لما كان يخرج للنزهة أو للزيارة في فصل الربيع أو للصيد ويقيم عليه الستة الأيام {ونحوها}(65) ولا يدخل إلا لصلاة الجمعة فلاينزل إلا في منازل الذهبي التي كان ينزل فيها عند خروجه للصيد أو للزيارة بأغمات، ويقول هذا منزل المنصور لما خرج في الوقعة الفلانية أو للغرض الفلاني، وهو أستاذنا ومقتدانا، ولذلك لما خرج في هذه الحركة المذكورة عام ثمانية وتسعين ومائة

---

(64) أحد العلماء الذين يجالسون الملك. وذكر في (الاعلام) ج 8 ص 122 انهم كانوا في جلسة بالحضرة المراكشية سنة 1198 هـ 1783م.

(65) ما بين المعقوفين إضافة من (م).

وألف في فصل الربيع وأبرز قبابه، وضرب عليها سياجه المسمى بأفراگ، وفي وسط القباب القبة العظمى البديعة الشكل العديمة المثال التي أهداها له سلطان الفرنج المبطنة بالديباج محاريبها بالموبر المختلف الألوان وسفائفها من الگالون الإبريز وأطنابها وحبالها كلها من الحرير الساذج، قيل إن مبلغ ما صرف عليها خمسة وعشرون ألف دينار، ومصداق ذلك أن جامورها الذي يوضع على رأس العمود من الذهب الخالص، زنته أربعة آلاف مثقال أخرجها هذه المرة وخرج معها الخاصة والكتاب والقواد بمضاربهم، وكان معه جملة وافرة من الكتاب المعتبرين في الإنشاء والترسيل، كالمهدي الكحاك(66) المراكشي، وعبد الرحمان ابن الكامل المراكشي(67) وأحمد ابن عثمان المكناسي(68) وأحمد الغزال الفاسي(69) ومحمد سكيرج الفاسي(70) والطاهر بناني الرباطي والطاهر ابن عبد السلام السلاوي وسعيد الشليح الجزولي(71) وإبراهيم اكبيل السوسي(72) وغيرهم، وتوجه لهذه النزهة واصطاد وبلغ إلى السويرة، ثم رجع على طريق رباط شاكر فأمر بتجديد مسجده وحفر أساسه، في رجوعه طلع مع وادي نفيس إلى أن بلغ أغمات وزار ضريح أبي عبد الله الهزميري(73) وغيره من صلحائها ونزل بمحلته تحتها، وعند نزوله أتى جماعة من أهل القرية مع قاضيها بأواني فيها شهد عسل وكبش سمين معلوف، ولما استؤذن على القاضي ووقف أمامه انسه بالكلام وسأله عن أشياخه، فأجابه بما لا محصل تحته، وقال للحاجب توجه بالقاضي إلى خزانة القاضي عبد الرحمان ابن الكامل، وهو الذي

---

(66) من الكتاب المشهورين. كما ذكره الزياني في «الروضة السليمانية» خدم السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل ثم أخاه المستضئ. ثم اتصل بخليفة العصر سيدي محمد بن عبد الله. هذا وكلمة «الكحاك» تعني صانع الكحك لغة في الكعك. ت بمكناس في العشرة الثامنة بعد مائة وألف. (النشر) ج 4 ص 233 (الإعلام) ج 7 ص 271.

(67) قاضي المحلة. نص عليه الزياني في (الروضة السليمانية) لم يذكر وفاته مؤلف (الاعلام) ج 8 ص 121.

(68) من علماء الحديث الذين نقلهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله. وفرقهم على مساجد مراكش يدرسون بها. وبالتالي يحضرون مجلس السلطان. لم ينص على وفاته صاحب (الاعلام) ج 2 ص 394.

(69) الغزال الفاسي آخر أدباء الوقت، بعثه سيدي محمد بن عبد الله سفير الجزيرة الأندلس سنة 1179 مثل أبيه. فألف في سفره رحلة أفاض القول فيها في عجائب تلك الأرض. ت 1191هـ 1777م. (الاعلام) ج 2 ص 393.

(70) كان من كتاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله المعتبرين في الانشاء والترسيل ت 1194هـ 1780م (الاعلام) ج 6 ص 86.

(71) ممن امتازوا في الانشاء والتراسل في عصر السلطان سيدي محمد. لم ينص على وفاته (الاعلام) ج 10 ص 150.

(72) من الكتاب المعتبرين لدى السلطان المذكور، لم يذكر وفاته (الاعلام) ج 1 ص 190.

(73) الشيخ الصالح، العالم الزاهد، العارف بالله، الأغماتي. له كرامات ت 678 هـ 1279 م ترجمه (الاعلام) ترجمة واسعة ج 4 ص 253.

يتوجه قاضيا مع المحلة، فأنزله عنده وادفع له هذا الكبش والعسل، فتوجه به وبالكبش والعسل إلى خيمة قاضي العسكر، وأمر أن يبيت القاضي عنده ويكرمه، وارتحل السلطان من الغد راجعا، ولما بلغ وادي نفيس وضرب(74) سوان الراضة على النهر وجه للقاضي عبد الرحمان ولطلبة الكتاب، ولما جلسوا بين يديه سأل القاضي عبد الرحمان ابن الكامل على وجه المداعبة والمباسطة وقال له : بماذا أجزت به ضيفك على كبشه وعسله ؟ فتلعثم في الجواب وعلم أنه وقع في محذور، ولما رأى رضي الله عنه خجله قال : لعلك لم تجزه بشيء، فلو مدحته بأبيات على عسله وكبشه لكنت أصبت الصواب وخرجت من العهدة، وقال للحاضرين : ما وجهت لكم إلا بسبب هذا الكبش والعسل، فإني سهرت ليلتي ولم أنم إلا قليلا حيث تذكرت ما وقع من المنصور رحمه الله ومن كتابه في مثل هذه القضية ومثل هذه الزيارة، وهو من غريب الاتفاق، فأردت أن أنظر هل بقي في الحي حي فوجهت العسل والكبش للقاضي، ثم ظهر أنه لم يبق اليوم في وقتنا هذا كتاب ولا قضاة ولا ملوك، فإني هجوتكم وهجوت نفسي، وسأسمعكم ما وقع في زيارة المنصور لهذه القرية الأغماتية، ثم أمر كاتبه ابن المبارك(75) وقال له : اسرد عليهم، فسرد هذه الترجمة من كتاب مناهل الصفا في أخبار دولة الشرفا للفشتالي(76) وزير المنصور ‹ومؤرخ دولتهم وأمر بكتبها›(77) ونصها : وأما حركة أمير المؤمنين أحمد المنصور لزيارة صلحاء أغمات فإنه خرج يوم الاثنين عاشر شعبان من عام اثنين وتسعين وتسعمائة وكانت زيارة وراحة واحتفل لذلك بأفخم زي وأكمل بهجة وأرغد عيش، وكنت تأخرت بعده هنيهة فخرجت أقتفي أثره فبينما أنا في أثناء الطريق وقد اصفر الأصيل، ومد على الارض طرازه المذهب، وتراءت لي قباب الخلافة العالية تلوح من بين شرافات السياج المضروب عليها، وهو

---

(74) في (م) بلغ بدل ضرب.

(75) السجلماسي اللمطي، علامة الزمن له مؤلفات كثيرة، مات بالطاعون سنة 1156هـ 1743م، ودفن مع شيخه مولاي عبد العزيز الدباغ خارج باب الفتوح بفاس. (النشر) ج 4 ص 40.

(76) عبد العزيز الفشتالي، مؤلف ومناهل الصفاء في أخبار دولة الشرفاء» من أهل فاس. وأصل سلفه من فشتالة قبيلة جبلية بشمالها. أشهر وزراء الدولة السعدية، وأكبر كتاب المغرب وشعرائه في عهدها وعلى هامش ذكر (مناهل الصفاء) قال المقري في (نفح الطيب) ج 9 ص 289 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد : وعهدي به انه أكمل منه ثماني مجلدات اهـ (النشر) ج 1 ص 241 ت 1031. وفي (مشاهير رجال المغرب) انه ت 1032هـ 1622م. وذكر عبد الوهاب بن منصور في تعليقه على (روضة الآس) انه ت 1031هـ 1621م فوائد النشر.

(77) ساقط من (م).

قصر اتخذه أمير المؤمنين من الخشب المؤلف من اللوح بعمل عجيب مموه، فيرتحل به في الأسفار القريبة، إذ أدركني شيخنا العلامة الفاضل السري مفتي الحضرة الشيخ أبو مالك سيدي عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني(78) فارتجل نصف بيت عندما وقف علي في معنى التشوق وشكوى البين ومفارقة الأحباب وهو هذا :

وهو هذا : أبا فارس بان(79) الخليط وودعوا

وقال : أجز فقلت : وولوا وحسن الصبر مني شيعوا

ثم قال : وغرد حادي البين وانشقت العصا

ثم قلت : وكاد فؤادي للنوى يتقطع

ثم قلت أيضا :

إلى الله أشكو فرقة منهم وقد   تجرعت من كأس النوى ما تجرعوا

ثم زدت وتخلصت :

لان شرد السلوان عني بعدهم   ففي صحبة المنصور أنسي أجمع

ثم قال :

تدور عليه هالة من قبابه   ومركزها قصر الخلافة يلمع

فقلت :

سياج به بحر الندى متموج   ومن أفقه شمس الإمامة تطلع

فانتهينا إلى المحلة السعيدة عن سبعة أبيات أو ثمانية، وتهيأ لنا الدخول إلى مقامه الشريف، فعرفته خبر الأبيات وسردتها عليه، فارتاح عند سماعها واستحسنها، وبتنا ومن الغد ارتحلنا، ولما نزلنا بساحة أغمات صدرت من جلاله العالي أبيات من نظمه البارع الذي يسلب الوقار، ويفعل فعل العقار، في الاعتذار عن ترك الوداع وهي هذه :

تبدى وزند الشوق يقدحه النوى   فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم

---

(78) أبو مالك الفلالي نزيل مراكش ومفتيها، وهو آخر المحدثين بها. كان في أول أمره كاتبا لدى الوزير أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ، ثم تخلى عن ذلك ولزم التدريس، وتقلد خطابة جامع الأشراف وبه معظم تدريسه ت 1003هـ 1594م ودفن تجاه القاضي عياض في قبة الأشراف هناك. (الصفوة) ص 41 (النشر) ج 1 ص 30. (الاعلام) ج 8 ص 522.

(79) في (م) أبا حسن. بدل أبا فارس.

وهش لتوديعي فأعرضت مشفقا ... علي كبد حرى وقلب يقسم
ولولا ثواه بالحشا لأهنتها ... ولكنها تعزا إليه فتكسرم
فأعجب لآساد الشرى كيف تحجم ... على أنه ظبـي الكناس ويقدم (80)

فانثال عليه من بالمحلة من كتاب حضرته وشعراء دولته انثيال الهيم على الورد، والنحل على الشهد(81) وتباروا في تذييلها، ونظم حصياتهم في إكليلها، ونَصُّوا إلى ذلك وأعنقوا، وأراهم غبارا ثم قال الحقوا(82) وكان أول الحلبة في ذلك الميدان، وأحرزهم لرايات السبق يوم الرهان، شيخنا العلامة مفتي الإسلام، وعلم الأعلام، أبو مالك عبد الواحد ابن أحمد الشريف الحسني أبقاه الله فقال :

وأعجب من ذا طور صبري عندما ... تجلى يدك والجنان متيم
تحمل مني القلب في شرك الهوى ... وحل اصطباري حبله وهو مبرم
وغادرني مضنى حليف صبابة ... وقدما بتعذيبي خليق ومغرم
فلله عينا من رآنا وبيننا ... رسائل شوق لا تبين وتكتم

ثم تلاه شاعر الدولة أبو عبد الله محمد ابن علي الهوزالي فقال :(83)

أخوض عباب الموت في حومة الوغى ... وسُمْرُ القنابين الضلوع تحطم
وأصدع قلب الفيلق المَجْر(84) عنوة ... ويصدع قلبي أحور العين أفحم
وأحمي ذمار الملك شرقا ومغربا ... ويحمي فؤادي وهو فيه محكم
وأكتم ما أنويه حتى عن الحشا ... وأودع من بلواه ماليس يكتم

---

(80) كذا هو في الأصول المعتمدة، وكتبْ عليه المؤلف بطرة المخطوطة ما نصه :«قوله فاعجب بهمزة لقطع فيه ما فيه، فلو قال :
عجبت لضرغام الشرى كيف يحجم
لكان أصاب، ولكن مثل هذا من الملوك مقبول، ولو قرئ : اعجب فعلا مضارعا وقال :
... من أسد الشرى... الخ لكان احسن.
(81) كتب المؤلف بخطه على طرة المخطوطة فيما يتعلق بهذه القرينة ما لفظه :
لو قال هكذا لأبدع :«والنحل على ارتشاف ثغور أزاهر الورد».
(82) فيه اقتباس من قول المتنبي :
اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق ... اراه غباري ثم قال له : الحق
(83) الهوزالي الاديب الناظم الناثر الملقب بالنابغة، وهو من الأدباء الذين حضروا مع المنصور زيارة اغمات. (درة الحجال) ج 1 ص 263 (نزهة الحادي) ص 75 (روضة الآس) ص 180. (الاعلام) ج 5 ص 182.
(84) المجر بفتح الميم وسكون الجيم الجيش العظيم الكثير.

ثم تلاه صاحبنا الكاتب أبو علي الحسن ابن احمد المسفيوي فقال :(85)

ثوى بيْ ما بي من أسى وصبابة هواها فبات الدمع عنها يترجم
فها حزني أودى بحسن تصبري وذا جلدي نهب لديه ومغنم
ليهنهم مثوى الضلوع فإنه سليم على حكم الصبابة مسلم
فإن يَكُ تعذيب المتيم في الهوى فإن فؤادي في هواهم منعم

ثم تلاه مؤلفه عبد العزيز الفشتالي فقال :

ألم يك هذا الخشف يألف وجرة فما باله بالمنحنى يتلوم
صحبت أخاه البدر في الليل ساهرا يمثله لي الهوى والتوهم
وقالوا نظير الخيزران قوامه فقلت غلطتم إنه منه أقوم
لقد وسع الأرضين صدري فسحة فضاق احتمالا بالذي منه يكلم

قلت أردت بالمنحنى الضلوع، فوريت بالمكان المعروف، ثم رشحت ذلك بذكر وجرة، وتلاني بلدينا محمد ابن علي الفشتالي فقال : (86)

خضوعي حكام الغرام قضوا به وشأن القضاة بالشهادة تحكم
فلو لم ير العدلان دمعي وزفرتي لما كان رسم للقضية يعلم
غزال كخوط البان لينًا وأنني لأنجد دأبا في هواه وأتهم
فهبني أروم كتم نار صبابتي فإن لسان الحال عنها يترجم(87)

ثم تلاه الفقيه الفاضل نادرة العصر، ونخبة الدهر، القائد أبو الحسن علي منصور الشياظمي(88) وقد تخلص من الغزل إلى المدح وتخطى القطعة الى القصيدة على عادته في الاكثار مع الإجادة أبقاه الله بمنه آمين.

فيطلع قرص الشمس من تحت دجنة يمر بها أملود بان مقوم
غزال على الأقوام جرأةُ النوى بقلب جريء للهوى فيه معلم
يصول فيردي الضد وهو مصمم وتثني المها عنه العنان وتحجم

---

(85) الكاتب الناثر الناظم البليغ المجيد البالغة. الذي لم يدرك ابن نباتة في النظم مراتبه. له قدم راسخ في علم الطب، وهو المتولي قراءة كتاب «الشفاء» بين يدي المنصور السعدي. ولد 968هـ 1560م. (روضة الآس) ص 163؛ (درة الحجال) ج 1 ص 128. (الإعلام) ج 3 ص 150 وبه سنة وفاته 1032هـ 1622م.

(86) الفقيه الكاتب المجيد والأديب الذي يبدع في المحاسن ويجيد ت 1021هـ 1612م (روضة الآس) ص 180 (النشر) ج1 ص 174. (الاعلام) ج 5 ص 221.

(87) كتب المؤلف بخط يده على طرة المخطوطة بإزاء هذا البيت ما نصه : لو قال هكذا : وفهبني كتمت النار نار صبابتي». لسلم من ثقل الكسر.

(88) الفقيه الأديب القائد الرئيس من أهل مراكش. قال المقري في الروضة ص 173 : لقيته بمراكش المحمية، وشاهدت جملة من أحواله السنية. وقد رأيته في مجلس البخاري يورد كثيرا من الأسئلة الدالة على رسوخ قدمه في الفنون ويجيب عن الأسئلة. ولد سنة 951هـ 1544م. (درة الحجال) ج 2 ص 449 (الاعلام) ج 9 ص 191. أما تاريخ وفاته لم نعثر عليه.

إمام على كل الكمال قد احتوى ... فلا فضل إلا وهو فيه متمم[89]
لئن شغف الألباب حبا فقد سبى ... فؤاد المعالي وهو في الغيب مكتم
وساق كذا بكر الخلافة فارتمت ... عليه جهارا والمعاطس رغم
فعلقتها بين الصوارم والقنا ... وكانت شهودا والصداق التقدم
وحلى لها جيدا وساقا ومعصما ... بنصر عزيز يزد هيها ويعصم
تخطت إليه الخاطبين ولم تكن ... لتعدل بالمنصور والله يعلم
ولو لم ينلها لاستمرت مشيحة ... عن الغير أو تفنى الدنا وهي ايم
فلم لا تجر الذيل فخرا وقد سمت ... به حيث لا تسمو الشموس والانجم
أليس هو المنصور من وطد العلا ... وذب عن الاسلام والخطب مظلم
ومهده بالهند واني والقنا ... وما أسس الرأي السديد المحكم
أليس الذي حاط البرية واغتدى ... به الدين مرصوص المباني يفخم
وثلل عرش الكفر عند اعتدائه ... وغادره بالبيض وهو مصرم
فدانت له صيد الملوك فأصبحت ... ممالك تمضي كل ماهو يلزم
وطاع له الدهر الكنود وأجمعت ... عليه السعود تنتحيه وتخدم
فشيد ما شاء العلاء ولم يدع ... من المجد طرّاما يفوت ويبهم
وأحيا رسوما للقلوب قد احتوى ... عليها العفا فهى به اليوم تنعم
فقام به يجلي دجاها مطبقا ... مفاصلها والفهم في ذلك صيلم
يبيت عليها ساهر العين كالئا ... لسلطانه في الرأي يسدي ويلحم
خبير بما تحوي الدفاتر مخبر ... ولكنه مغرى بذلك مغرم
عليم بأحكام الديانة عامل ... وقوف علي حد الشريعة قَيِّم
إمام له ارث النبوءة والهدى ... دوين الملوك إن ذاك مسلم
سليل وسول الله والمحتد الذي ... تقر له بالفضل عرب وأعجم
فمذ ظفر الإسلام منه بصارم ... تيقن أن الشرك لا شك مفصم
كما أنني منذ اتصلت به سمت ... بي الحال وانثال الغنى حيث تعلم
وأصبحت أكنى ثم لولاه لاغتدى ... سُمايَ كما عند النحاة يرخم
ولو لم أفز بالسبق منه لما اعترت ... عيون المعاني فكرتي حين أنظم
ولا ساغ لي صوغ القوافي أرومها ... فتأتي سريعا وفق ما أتحكم
ولا طاع لي حر الكلام يزينه ... مديح الإمام حيث ما أتكلم

(89) كتب المؤلف بطرة المخطوطة بإزاء هذا البيت ما نصه : وهذا الاقتضاب من التغزل الى المدح غير ظاهر ولا قريب من التهول.

ولا جيش منقاد لهام أقوده … فيتبعني من خلف وهو عرمرم
ولكنه صنع له الشكر فيه لا … إليّ فإني عن نهاه معلم
وما الشعر إلا جوهر لا تناله … من ابحره ذات الأعاريض عوم
ولكن بغوص الفكر بعد ارتياضه … زمانا بآداب تعين وتفهم
لقد رضته الى أن انقاد واغتدى … يسلم لي فيه حبيب ومسلم
وها أنا ذا قد جئت منه بمدحة … فإن قصرت فالأمر من ذاك أعظم
وإن صادفت قصد الإمام فإنه … مرامي والأمُّ الذي كنت أرأم
فخذها أمير المؤمنين عقيلة … تروم رضاكم فهو للفوز سلم
محبرة تروي أحاديث مدحكم … فتطرب منها النفس إذ تترنم
مجللة بالمدح مدحك قد ضفا … عليها يمان من ثنائك معلم
فزفت لنا من بعد أن زنت صدرها … بأربعة تعلو على من تيمم
فجاءت بوجه المدح غرة أدهم … وتلك تجر الذيل زهوا وتفخم
تهنئك الزور الذي نلت أجره … ويعقبه بالله فتح يعمم
ويمن وإقبال وسعد مجدد … ونصر وتمكين مبين ومغنم
بقيتم بقاء النيرين وملككم … مدى الدهر بالنصر العزيز معظم
ولا عدمت منك الخلافة ناصرا … فأنت لها دون الأنام مقدم(90)

ثم ذيل القطعة الامامية بأربعة أبيات أخر إظهارا للاقتدار والتصرف على سنن الجماعة فقال :

ويعجبه منه الجمال فيغتدي … عليه ويمضي حكمه ويسلم
ويشرع رمحا من قوام وينتضي … ظبًى من جفون في النهى تتحكم
ويقدم تيها وهو بالحسن صائل … فيبهر من ذاك الأسود فتحجم
وتشفق مع ذا أن ترى ومكانه … من القول مستول عليه التألم

ثم أقمنا مع المنصور الى أن قضى وطر الزيارة وتصدق بمال على ذوي الحاجات والطلبة على يد قاضي الجماعة أبي علي القاسم بن الشاطبي(91)

---

(90) ذكرت حكاية هذه القصيدة على وجه أخر في روضة الآس ص 51-53.

(91) الشاطبي من قضاة المنصور بمراكش، ولي القضاء مدة طويلة، وله يقول الفقيه الفاضل الأديب أبو فارس عبد العزيز بن محمد الثعلبي :

تـولى القضـاء بمراكـش … فقيـه لـه همـة عاليـه
يواسي القريب ويقصي البعيـد … ويسرو احكامـه الماضيـه الخ

«نزهة الحادي» ص 153 كما ترجمه في «الاعلام» ج 9 ص 193. لم ينص على وفاته.

والفقيه أبي الحسن علي بن سليمان[92] وقفل الى المحلة مملوءة الحقائب بالبركة والثواب، وكان ممن صحبه في هذه الزيارة شيخنا العلامة قاضي القضاة بفاس الشيخ أبو مالك عبد الواحد الحميدي[93] كان السلطان استقدمه للقراءة معه، وكان لوذعيا حسن الشمائل، فاتفق أن أهدى إليه الكاتب الفاضل أبو زيد عبد الرحمان ابن عبد الله العُنابي[94] من أصحابنا كبشا وعسلا[95] أتحف به، فكتب إليه القاضي يداعبه ويشكره بأبيات من إنشائه، ورفعها الكاتب أبو زيد إلى شيخنا العلامة أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف، وسأله أن يجيب عنه القاضي ويهز عليه من لسانه الصارم الماضي، فاستجاب أبقاه الله وانتدب، وقدم لذلك مقدمة رفعت لأهل الأدب، ومن اشتملت عليه المحلة المنصورة السعدية، من الشعراء والأدباء والكتاب راية خافقة، وأقامت للبسط والمداعبة سوقا النافقة، وسأل جميعهم أن ينسجوا على منواله، ويحذو حذو نعاله، وصاغ الكل من أسجاعه الرائقة، ودرره المتناسقة، قلادة حلى بها جيده، وجلا من فكره أبكار القول وغيده، فتباروا[96] في ذلك الميدان تباري الجياد يوم الرهان، وها أنا أصف الحال وأذكر منظوماتهم على نسقها لما اشتملت عليه من غرر الآداب وحسن المفاكهة التي تصقل النفوس والأرواح، وتهدي إليها البسط والارتياح، ونصها.

قال شيخنا العلامة أبو محمد عبد الواحد الشريف أبقاه الله : الحمد لله، فائدة، لما تقرر في الفطر السليمة، والسنة القديمة، ما يجب للعلماء من التعظيم، وعرف اطراد ذلك في الحديث والقديم، أهدى الفقيه الأجل سلالة الصالحين، ونجل العلماء العاملين، أحد كتاب ديوان الخلافة، ومن له في الوقار المزية والأنافة، أبو زيد عبد الرحمان بن الإمام علم الأعلام أبي محمد عبد الله العنابي، ونحن بمحلة مولانا المنصور أيده الله لزيارة أغمات

---

92) الجزولي التاملي الفقيه البركة المحسن عمدة المساكين، وصاحب المظالم لدى السلطان احمد المنصور السعدي. كان حيا سنة 999هـ 1590م «الاعلام» ج 9 ص 187.

(93) الحميديون بيت فقه بفاس، ظل قاضي الجماعة أزيد من ثلاثين سنة، والحميدي من بني حميد الذين هم من صنهاجة بلاد ورلة 1003هـ 1594م «طبقة الحضيكي» ج 2 ص 275 «النشر» ج 1 ص 44 «الاعلام» ج 8 ص 525.

(94) العنابي الفقيه الفاضل. كاتب المنصور الذهبي، وهو الذي ينبث عليه قضية الكبش والعسل المذكورة في التاريخ بترجمة سيدي محمد بن عبد الله. تاريخ وفاته غير معروف «الاعلام» ج 8 ص 118.

(95) كذا بالأصل. وفي غيره : كبشا وعسلا منصوبين.

(96) في (م) : تبارزوا.

عسلا وكبشا لسيدنا قاضي القضاة بحضرة فاس العالم العلامة أبي محمد عبد الواحد الحميدي استجلابا لمودته، وصالح أدعيته، فكتب سيدنا القاضي المذكور أبياتا فتح بها المباسطة والمداعبة بابا على عادة أمثاله لأفاضل الادباء، فقال :

أيا كاتب السريا من غدت محاسنه في الورى باهرة
هديت، إلي الشفا وصلت فأكرم بها نعمة ظاهرة(97)
وكبش سمين له كلوة تفوق الكلى منحة زاهرة
فلا زلت تثبت كتب الإمام سيوفا لأعدائه قاهرة

ولما دارت هذه الأبيات بين من في المحلة المنصورة من الكتاب، وتلقوها بالمبرة والترحاب، ولهج بها الشادي والبادي، وغرد بها في أثر الركائب الحادي، فوقوا الى مداعبة الإمام سهام القوافي، وطاروا لمباسطته بالقوادم والخوافي، ‹فأوجفوا على أبياته بخيل البديهة والارتجال، وقاموا إلى ذلك على قدم الاستعجال›(98) فقال أقصرهم في ذلك باعا، وأقلهم بهذا الفن أضطلاعا، عبد الواحد الحسني.

أشيخ الجماعة يا قطبها ومن في العلى مركز الدائرة
شننت بأبياتك غارة فأحييت لي همة غائرة
وذكرتني مربعا قديما به لم تزل مقلتي ساهرة
وحركت فكري بعلم غدت بصدري مراسمه داثرة
فهذا جوابي لأبياتكم إلى ابن البدور العلى السائرة
سليل الأفاضل حقا ومن محاسنه في الورى ظاهرة

ثم قال : وقال صاحب القريحة الوقادة، والمحاسن المألوفة المعتادة، صاحب القلم الذي تزرى شباته بشبا السنان، وتوقظ فقره من السنة الوسنان، المثقف بثقاف الآداب المنصورية أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي يعني مؤلف الكتاب :

---

(97) كذا. أما روايته في البستان فجاءت هكذا : هديت الى الشفا وصله...
وأورده اليفرني في نزهة الحادي كما يأتي :
منحت الشفاء لنا صلة فأكرم بها منحة ظاهره
(98) ساقط من (م).

أبحر علوم طمت زاخرة وشمسا مشارقها باهرة
لك الفضل عفوا فقد أصبحت كتائب نظمكم ثائرة
وهزت صوارم إبداعها فصالت بها صولة قاهرة
بقيت تشن بها غارة لتنشر أمثالك السائرة

وأردفتها بفقرات من النثر فقلت : فخذها أعزك الله على عجل، تسعى لجلالك العلي على حياء وخجل، وتقف في مجال الإجادة دون طرف بلاغتك الأغر المحجل، والسلام، ثم قال : وقال الفقيه الكاتب المجيد الأديب الذي يبدئ في المحاسن ويعيد، صاحب القلم الذي يصيب من الأغراض كلاها ومفاصلها، ويعمم في الإجادة فقرها وفواصلها، ذو المنازع التي رفعت للبلاغة لواء، وارتدت من المحاسن رداء، وضرب بها المثل في العذوبة، وكونها لقلوب الأدباء خلوبة، أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمان الفشتالي :

نسجت أبا مالك حلة بصنعاء أفكارك الحاضرة
واجريت ماء البديع الى رياض فكاهتك الساحرة
وأخفقت فيه المعاني على مواكب أغراضك الظافرة
عيون البيان ولكنها لغير العلى لم تكن ناظرة
فخذها بديهة من قد غدت وجوه فكاهته سافرة(99)

ووصلها بنثر يقول فيه : فدونكم أعزكم الله هذه القطعة وقد ظاهرت بين ثوبي عي وقصور، وسترت وجوه عوارها ببرقع العجلة التي هي محل إغطاء فحول المنظوم والمنثور، ولا غرو، وأنتم أرباب النظام، وأمراء الكلام، إن استنتجتم عقيما، واستقرضتم في هذا الفن <مزجى البضاعة>(100) عديما، بقيتم تقيمون للعلم رسوما، وتثبتون للمعاني حدودا ورسوما، والسلام.

ثم قال شيخنا : وقال الفقيه المتفنن ذو الفهم القويم، والإدراك المستقيم، قائد العويصات بنواصيها، ومستنزل عصم القوافي من صياصيها، شعلة الذكاء، والنيرُ الذي يزري سناه بنور ذكاء، أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي حفظ الله مكانته :

(99) جاءت رواية عجز البيت في نزهة الحادي هكذا : «وجوه بها حالة سافرة».
(100) ساقط من (م).

أيا غرة الدهر، يا ناظره ... وطرفة أيامه النادرة
وبدر العلوم التي قد نضت ... دجى الجهل أنواره الباهرة
ومن كرعت في حياض المعا ... ني بديهة فكر له ساحرة(101)
أنظمك أمْ قَرْقَفٌ بابلي ... ولفظك ام نفثة الساحرة
تعلل أرواحنا مذ عشت ... بأنواء روضتك الزاهرة
أمن بارق قد سرى موهنا ... أم ارتاح أخلاقك العطرة(102)
فككتم به عن أسارى القوا ... في قيود بأرجلها دائرة
فلا زلت ياشيخنا يُهتدى ... بنورك في الليلة الساهرة

ووصلها من نثره بقوله : لا غرو أعزك الله ان جاءت لحضرة جلالك تمشي علي استحياء، فقد راعها ما راقها بمحلك السامي من سنا وسناء، لازلت في أفق الجلالة بدراً يلوح للهداية التياحا، وبحرا للفضل ترده الآمال فتتمايل ارتياحا، والسلام.

وقال شيخنا : وقال الفقيه المشارك الأديب متلقي راية الأدب باليمين <والمتألي أن لا يشارك في نيلها باليمين>(103) من قصرت عن مجاراته من أرباب البيان الخطى، وتسنم غارب الإجادة دونهم وامتطى، قيد اللواحظ ببيانه وبنانه، واستوقف الطرف بلسانه وسنانه، مجرى أنفاس المحابر على صفحات المهارق، ومجيح الكماة بصفحات الصوارم في المآزق، أبو الحسن علي بن منصور بن سليمان الشياظمي أبقاه الله طول المدى، محفوظا من كل ما يتقى كلما راح واغتدى :

أيا علم العلم يا ناشره ... وحامل رايته الظافرة
وقاضي القضاة الذي فاخرت ... به الشرق مغربنا الظاهرة(104)
وناظم عقد المعاني التي ... جرت دونها المثل السائرة

---

(101) روى هذا العجز في روضة الآس، هكذا : «له هسم بالذكا ساخره».

(102) كذا جاء هذا البيت فيما اعتمدناه من الاصول وكذا جاء في «الروضة السليمانية». أما المقري في «روضة الآس» فأورده كما يأتي :

ام حارت قد سرى موهنا ... ام ارتاد اخلاقك العاطره

أما رواية «نزهة الحادي» فجاءتكما يلي :

بحارين مسك سرى موهنا ... حكى عرف اخلاقك العاطره

وحارين موضع بالبحرين ينسب اليه المسك الداري.

(103) ساقط من (م).

(104) رواية «نزهة الحادي» لهذا البيت جاءت هكذا

وقاضي البلاد التي أصبحت ... علي الشرق في غربنا ظاهره

وأزرت بفعل الطلا بالنهى كذا بشذا الروضة الزاهرة
وظلت تردد حسن الثنا ، ترويه عن نفسك الطاهرة
وأخلاقك الغر إذ قصرت عن النذر بالدرر الفاخرة(105)
وأيقظت عمدا عيون البيا ن من كل فتانة ساحرة
تشير بمعنى لطيف إلي محاسن أخلاقك الباهرة
وتنبت زهر البلاغة في مهارق ظلت لكم شاكرة
رويدك نبهت سرب المعا ني بعيد الكرى فأتت حاضره
ونبهت كم من بليغ بها حديد الذكا نافذ الباصرة(106)
تَصَرَّفُ أقلامه بالكلام كالريح بالمزنة الماطرة
ولولا المضاء بلا نبوة لشبهتها بالظبي الباترة
فلله درك من ماجد محاسنه جمة وافرة
ومن سيد جامع للعلا ، حلو الشمائل والنادره

ووصلها أيضا من نثره بقوله : إليك أيها السيد الذي أهتدي بمصباحه، وأعشو إلى غرره وأوضاحه، بنية أفكار تمد الى كفالتكم يد الافتقار، ملتمسة منكم نيل القبول والاغضا، والنظر إليها بعين التجاوز والرضى، فمثلكم من كفل، وصفح عن العيي والخلل، واستقرض فأرضى، وسامح عند الاقتضاء، أبقاك الله للأدب تحوك حلله، وتجمع تفاصيله وجمله، وللقريض تقطف زهره، وتجتلي غرره، ما در شارق، ولمح سنا بارق، والسلام.

قال شيخنا : وقال الفقيه الأديب الكاتب الذي ارتفع صيته في مقامات الأخلاق وسما، وغدا بين النظراء في عذوبة الشمائل علما، وحصل من الأدب اليانع على حظ وافر ونصيب، ورمى إلى غرض الإجادة في منازعه بالسهم المصيب، وتدرع من حسن الخلق جبة لا تلقيها رياح الانزعاج والغضب، فنسلت القلوب إلي محبته من كل حدب، أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي القاسم الشاوي(107) أبقاه الله تضرب به في لين العركة الأمثال، وتتهاداه لفضائله وفواضله أندية الملوك والأقيال وأدركه من

---

(105) كذا بالاصل مثله في (م) أما (ف) ففيها : (النور) بدل : النذر. وجاء البيت في «الروضة» هكذا :

واخلاقك الغر لما قصد ت عن النزر بالدرر الفاخره

والبيت غير ظاهر المعنى

(106) في «روضة الآس» : وأغريت كم من بليغ بها ....

(107) الشاوي : انظر ترجمته في «روضة الآس» و «نزهة الحدي» أما «الإعلام» ففي ج 5 ص 180 دون أن تعرف وفاته.

الخيرات الجليل كل منال :

أمحيي رسوم القضا الداثرة ... وإنسان مقلته الساهرة
ومطلع شمس المعارف من ... مغاربها حكمة ظاهرة
وبحر العلوم التي أوجبت ... له الفخر والعز في الآخرة
وقاضي عساكر ملك غدت ... لأخمصه السبع كالساهرة(108)
ودانت له الأرض طولا وعر ... ضا، فأرسال أملاكها سائره
إلى بابه تبتغي وطأهُ ... وأمنا لسطوته القاهره
كفاك افتخارا أبا ملك ... حضورك أيامه الزاهرة

ووصلها بقوله : أتتك أيها السيد الذي يقتدى بعلومه، ويهتدي إلي معرفة الصناعة الأدبية بمنثوره ومنظومه، باسطة إليك أكف الاحتقار، ومسفرة لجلالك عن وجه القصور والاعتذار، وأنتم أعزكم الله محل التجاوز والاغضا، والنظر إليها بعين القبول والرضى، أصلح الله بطول بقائكم عامة المسلمين، ونفع بعلومكم مولانا أمير المؤمنين أيد الله سلطانه، ومهد أوطانه.

ثم قال شيخنا : وقال الفقيه الجليل المقدار، والكاتب الذي طار صيته في حسن التوقيع وسلامة الصدر كل مطار، مقيد الأوابد الأدبية بعقال، والمعمل في إدراكها الوخذ والإرقال، حتى لاح بدراً في سمائها وائتلق، وحاز عمن سابقه في مضمارها خصل السبق، ذو المناقب الفاضلة والمزايا، ومحط رحال الشكايا، أبو محمد الحسن بن عبد الكريم ابن عبد العزيز(109) بن علي ابقاه الله وأزمات الملهوفين لا تنكشف إلا من يراع بنانه، ولا يهتدى في كشف كربهم إلا ببيانه وأديم له العز والنصر عند من هو لازم ببابه.

أشيخ العلوم التي قد سرت ... بدائع أبياتها السائرة
طلعت وكنت كنجم الصبا ... ح وسرت بأخلاقك العاطرة
إذا ما نويتم طلاب العلا ... فكل المعالي لكم سائرة
أتتني بالأمس أبياتكم ... رياض المعاني بها زاهرة

---

(108) الساهرة : الأرض بريعانه يطأ السارات بأخمصه كأنها أرض له.
(109) من أهل مراكش، الكاتب الأسني، أديب نحوي، من كتاب الانشاء، تولى كتابة المظالم بمراكش. «الروضة» ص 191 ودرة الحجال» ج 1 ص 133. لم نقف على وفاته.

محا شعركم ذكر عبد الحميـ ـد وأضحت فصاحته دائرة
فلو مد في عمر البحتري لأعجب من فطنة باهرة
علوت وفقت قضاة الورى فدم هكذا مركز الدائرة

ووصلها بقوله : أطال الله بقاء سيدي، وأجل ذخائري وعددي، إني علقت هذه الأبيات والأشغال تكنفني، وكل الخاطر بأسباب تقتسمني، ووراء كلال الذهن وجمود الطباع، ونقصان الخواطر عند الإبداع، واستمرار البلادة التي هي من لوازمنا عادة، من لي بمساجلة من لا يدرك مضماره، ولا يشق غباره،

ولا عار أن قصرت دون مبرز سعى الناس قبلي سعيه فتقدما

قال مقيده عفا الله عنه ولطف به قد بسط الفشتالي هذه القضية كل البسط كما ترى، لا سيما ترجمة(110) الكبش والعسل، وأما الأفراني في نزهة الحادي فاختصرها كما يجب، فإنها وإن أظهرت فضيلة كتاب المنصور على كتاب السلطان الأعظم سيدي محمد، ووسمت جباههم بوسم العي الفاضح، والعجز الواضح، وذلك هو مراد السلطان في سردها عليهم وأمرهم بكتابتها، وإلا فليس فيها ما يتوجه إليه الاعتناء، ويحسن له الاقتناء، فجل ألفاظها مهلهلة، ومعانيها مبتذلة <وإنما هو كلام معرب موزون مقفى، خال عن لطائف الشعر الغريبة والمعاني العجيبة>(111)، والفشتالي إنما ساقها تكثيرا للسواد، وليس بصدد تميز الهجين من الجواد، نعم لما كانت الحالة في صورة شبه الارتجال، من أولئك الرجال، كان فيها موقف للإعجاب، ومظهر للاستحسان من وراء الحجاب.

فلما قضى السلطان غرضه من تلك الزيارة المباركة، رجع لحضرته العالية بمراكش بالبركة، وجميع الخيرات، وهكذا كانت عادة السلطان سيدي محمد رحمه الله مع كتابه وجلسائه يمتحنهم بغرائب العلوم كما حدثنا بذلك شيخنا العلامة الحافظ أبو عبد الله سيدي محمد بن عامر التادلي(112) وكان من جلسائه.

ومثل هذا ما حكى عن السلطان أبي الملوك مولانا إسماعيل أنه سأل كتابه يوما فقال لهم : إنه روي عن عبد الملك بن مروان أنه كتب للحجاج بن يوسف كتابا، وقال له فيه : إنك عندي كقدح ابن مقبل، قال لهم مولانا

---

(110) كذا بالأصل وفي (م) : لقضية

(111) ما بين العلامتين سقط من (م) ومن (ل).

(112) الفقيه النحوي البياني الأديب المحدث المؤرخ، أعجوبة زمانه ت 1234هـ 1818م وسلوة الانفاس، ج 3 ص 16.

إسماعيل ما مراد عبد الملك بذلك ؟ هل هو مدح للحجاج أو ذم له ؟ وما هو قدح ابن مقبل ؟ وما خبره الذي اشتهر هذا الاشتهار ؟ فعجز الكتاب عن ذلك، ولم تكن عندهم رائحة ما هنالك، وكان الوزير الأعظم رئيس الكتاب السيد أحمد بن الحسن اليحمدي غائبا لمرض نزل به في تلك المدة، ولو حضر لكشف عنهم تلك الشدة، وخبر ابن مقبل وقدحه مشهور في كتب الأدب لا يكاد يخفى على أحد من أربابه، وحاصله أنه لما هاجى النجاشي {الشاعر}(113) بني العجلان بهذا الشعر وهو :

إذا الله أخزى أهل لؤم ودقة	فأخزى بني العجلان رهط ابن مقبل
قبيلة لا يغدون بذمة	ولا يظلمون الناس حبة خردل
تعاف الكلاب الضاريات لحومهم	وتأكل من كعب بن عوف ونهشل
ولا يردون الماء إلا عشية	إذا أصدر الوراد عن كل منهل
وما سمى العجلان إلا لقولهم	خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فشكوه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فقال عمر رضي الله عنه : ما أرى هذا هجوا : فقالوا يا أمير المؤمنين سل حسان بن ثابت فسأله : فقال له : إنه ما هجاهم، ولكن سلح عليهم في خبر طويل، وأما القدح المضروب به المثل، وهو المسؤول عنه، فإنه يضرب به المثل في الفوز وحسن الأثر، قال الجرجاني في كتاب الكنايات ما نصه : حكى ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي أن الحجاج لما كتب له عبد الملك بن مروان بذلك اغتم غما شديدا وخاف أن يكون أراد ذمه، فسأل قتيبة بن مسلم، فقال لا بأس عليك، أما سمعت مدح ابن مقبل لقدحه بقوله :

غدا وهو مجدول فراح كأنه	من المس والتقليب بالكف أفطح
خروج من الغمى إذا صك صكة	بدا والعيون المستكفة تلمح
إذا امتحنته من معد قبيلة	غدا ربه قبل المفيضين يقدح

أي وثق بفوزه، فهو يقدح النار ليطبخ اللحم التي يفوز بها، قال مسلم بن قتيبة إن هذا القدح فاز <أكثر من سبعين>(114) مرة ولم يخب مرة بينها انتهى، وكان عبد الملك كثيرا ما يمتحن الحجاج بأمثال هذا.

وفي عام تسعة وتسعين ومائة وألف ورد ولده مولاي عبد السلام من

---

(113) إضافة (م) ومن (ل)

(114) في (م) و (ل) : فاز أربعين مرة متوالية

الحج المبرور، وفيه وجهه خليفة بتارودانت، وولاه القطر السوسي بسهوله وجباله وما وراءه، وفي هذا العام وجه ابن عمه صهره مولاي عبد الملك بن إدريس بن المنتصر مع كاتبيه ابن عثمان[115] وعمر الأزيرق في صحبة شيخ الركب عبد الكريم بن يحيى الفاسي[116] للحج، ووجه معهم مالا كثيرا لأشراف المدينة ومكة والحجاز واليمن، وقدره ثلاثمائة ألف ريال وخمسون ألف ريال، وصلة ذهب في أحقاق لمعينين، كل واحد مكتوب عليه اسم صاحبه، وأمرهم بالتوجه أولا إلى اصطنبول حتى يتوجهوا مع أمين[117] الصرة التي تتوجه هدية من السلطان العثماني للحرمين الشريفين، وهذا كله حذرا من ولده مولاي اليزيد لئلا يلقاهم في البر وينهب منهم المال، فوجههم في البحر في مركب من قراصين الاصطنبول، وكتب للسلطان عبد الحميد ان يوجههم مع أمين الصرة، فلما بلغوا للاصطنبول وجدوا الصرة والحجاج قد سافروا، فأقاموا باصطنبول الى العام القابل فتوجهوا ولما بلغوا المدينة المشرفة فرقوا بها، وفرقوا بالحجاز ولما بلغوا مكة وجدوا بها مولاي اليزيد في انتظارهم، ففرقوا على أهل مكة، وبقي عليهم واجب أهل اليمن والأحقاق التي فيها الذهب للمعنيين، فرصدهم في وقت القيلولة ودخل في أصحابه دار بن يحيى الذي عنده المال، فنهب ما قدر عليه وأخذ الأحقاق وخرج، فتوجه مولاي عبد الملك وشيخ الركب والكاتبان إلى امير مكة الشريف سرور وخبروه بالخبر، فوجه أعوانه فأتوا بمولاي اليزيد فهدده وألزمه رد ما نهبه، فأتى بالبعض وأنكر البعض، وغاب عليه، فهذا سبب غضب والده وسخطه عليه وتبرأ منه، وكتب بذلك كتبا بالبراءة منه والدعاء عليه والعياذ بالله تعالى، والكتاب الأول وجهه الى بيت الله الحرام، والثاني للحجرة النبوية، والثالث لبيت المقدس، والرابع للحسنين، والخامس لضريح مولانا علي الشريف بسجلماسة، والسادس لضريح مولانا إدريس بفاس، والسابع لضريح مولانا إدريس الأكبر. وكتب للسلطان عبد الحميد يخبره بسخطه وسوء فعله، وأوصاه ألا يقبله إذا أقدم، فأقام مولاي اليزيد بالمشرق ولم يقدر على مواجهة أبيه لسوء صنعه، ففي هذا العام أسر أهل الجزائر نصرانية من قرابة السلطان أصبنيول كانت متوجهة في مركب من اسبانية لنابول، فلما عرفوا محلها من قومها

---

(115) المكناسي تقدمت ترجمته تحت رقم 68.

(116) عند الأستاذ البحاثة الكبير محمد المنوني في كتابه «ركب الحاج المغربي» ص 32 أن الحاج عبد الكريم بن يحيى كان أمير الركب سنة 1199 في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله. توفي عبد الكريم هذا 5 رجب 1213هـ 1798م.

(117) كذا بالاصل وفي (م) و (ف) : «أمير» بالراء.

امتنعوا من قبول الفداء فيها بكل وجه، وكتب سلطان الاصبنيول للسلطان سيدي محمد يشفع له في فداءها بكل ما يطلبون، فما وسعه إلا مساعدتهم وكتب لدولانني(118) الجزائر في شأنها فاعتذر له بأن النصرانية وقعت في سهم العسكر ولانقدر على إكراههم على فدائها، فلما رد شفاعته كتب للسلطان عبد الحميد، فكتب لهم السلطان يلومهم على عدم فداءها، وقال لهم : إن الواجب عليكم توجيهها دون مال وما عسى يبلغ ثمن هذه النصرانية ولو طلب مني سلطان المغرب ألف نصرانية مثلها لوجهتها له وحتى الآن فنأمركم أن تبعثوا له هذه النصرانية مجانا ولو كانت هي الملكة ولا تقبضوا فيها فداء، ألم تروا ما فكه سلطان المغرب من أسارى الترك من كل جنس حتى لم يبق بأيدي الكفار مسلم واحد، وأنتم تردون شفاعته في نصرانية لا بال لها فلا تعودوا لمثل هذا فيكون سببا لتكدير خاطرنا عليكم والسلام، ولما ورد عليهم الفرمان وجهوها لحضرة السلطان في الحين ووجهوا له الفرمان ليرى قول الإمام عبد الحميد ويرى مكانته عنده وكتبوا له يعتذرون وقالوا إنما كان منعنا من الفداء أنه بلغ خبرها للسلطان وتخوفنا من مثل هذه القضية من الملامة، ثم وقعنا فيما فررنا منه وما فعلناه هو الواجب علينا من طريق الطاعة وأنتم أحق من عذرنا، فنحب من فضلكم أن تقبلوا معذرتنا ولا تظنوا بنا الا الخير وشدة المحبة وغاية التعظيم لجنابكم الطاهر والسلام.

وفي عام تسعة وتسعين ومائة وألف لما عاد السلطان من رباط الفتح جعل طريقه على تادلا ونزل على زاوية أبي الجعد وأمر بهدمها وإخراج السيد العربي بن الشيخ البركة الصالح(119) سيدي المعطى بن صالح هو وأولاده وبنو عمه من شرقاوة، وقال لهم أنتم معتكفون في هذه القرية على الفساد وإيواء أهله من كل ظالم وذاعر من جميع القبائل، وكان السلطان قد أعذر لهم المرة بعد المرة، فنقلهم لمراكش فسكنوا بها إلى أن مات السلطان رحمه.

قال مقيده عفا الله عنه ولطف به هكذا قال صاحب البستان : وقد تركنا من كلامه مالا يليق، فإنه أطلق لسان الفحش والايذاء والسب والقدح في سيدي العربي بن المعطى على عادته في أولياء الله تعالى، فإنه لا أعدى

(118) كذا. أي كلمة غير مفهومة. وهي موجودة في (ف) و (م) و (د).

(119) غاية في الحفظ واستحضار الحديث والتفسير، وسرد الصيام، وأحياء الليل، وانتم في القيام وإطعام الطعام ت 1234هـ 1818م. «الإعلام» الطبعة الفاسية ج 5 ص 180 والطبعة الملكية ج 6 ص 182. «فهرس الفهارس» ج 2 ص 167 «الزاوية الشرقاوية» للأستاذ احمد بوكاري ج 1 ص 110-113.

له ممن انتسب إلي باب الله، أو دعا إلى حضرة الله تعالى غفر الله لنا وله بمنه آمين. ولما بويع مولانا هشام لما مات السلطان ردهم لمحلهم، قال الزياني : فعادوا لما كانوا عليه ثم أطلق لسانه المتفحش الى أن قال : إن السلطان العادل مولانا سليمان نقل سيدي العربي لفاس فسكنها مدة ثم رده لمحله.

وفي عام ألف ومائتين وجه السلطان الزياني للاصطنبول فأقام هنالك ثلاثة أشهر وعشرة أيام، وذلك مائة يوم، فرجع ووجه معه السلطان عبد الحميد أحد كبراء دولته بهدية عظيمة للسلطان، وقد ذكر الزياني في البستان : أخبار الاصطنبول واستوعب ما قدر عليه من أحوال مملكتها، وما شاهده منها في وجهته تلك إن كان صحيحا، ولولا أن مولانا نصره الله أمرنا بالاقتصار على أخبار هذه الدولة الشريفة وأن لا تدخل فيها أخبار غيرها إلا ماله تعلق بها لولا ذلك لذكرت ما ذكره من ضخامة تلك الدولة وقوانينها، فإنه شيء عجيب، ومن أراد ذلك فليراجع البستان إلا أنه أكثر من ذلك وخلطه بلا ترتيب على عادته.

وفي عام مائتين وألف وجه السلطان سيدي محمد للمراسي كلها راتب الجيوش التي بها عن خمس عشرة سنة بحسب مثقال للواحد في الشهر، إعانة لهم، وجعل بكل مرسى بيت مالها، وعند تمام ثلاثة أشهر يفتح بيت المال ويدفع لعسكرها ثلاثون أوقية لكل واحد مشاهرته حضروا أو غابوا، وأما راتب الحركة وعاشوراء والصدقات فإنه يوجهه لهم من عنده، وهذه المشاهرة المذكورة جعلها إعانة لأولادهم، وكان عدد جيش السويرة والطبجية والبحرية ألفين وخمسمائة، وبآسفي مائتين طبجية ومائتين بحرية، وبطيط عبيد خمسمائة، وبأزمور عبيد خمسمائة، وبأنفا خمس وعشرون مائة، وبالرباط بحرية وطبجية ألفان، وبالمهدية عبيد خمس وعشرون مائة، وبالعرائش جيش وبحرية وطبجية < خمس عشرة مائة، وبأصيلا والساحل بحرية وطبجية >(120) مائتان، وبطنجة أهل الريف ستة وثلاثون مائة، وبتطوان عسكر وبحرية وطبجية ثمان مائة، فكان جملة العسكر المراسي ستة عشر ألفا وخمسمائة يقبضون ثلاثين أوقية للواحد في كل ثلاثة أشهر، واستمر ذلك الى موت السلطان رحمه الله عام أربعة ومائتين وألف، فقسم العبيد المال الذي ببيوت الأموال في المراسي بأمر مولاي اليزيد وتوجهوا لمكناس وذلك أول فساد أظهره مولاي اليزيد، وبذلك انحل نظام المملكة.

---

(120) ساقط من (م).

وفي عام احدى ومائتين وألف حرك السلطان لشراقة فنهبهم واستحرموا بضريح الشيخ أبي الشتاء بفشتالة، فعفا عنهم وتوجه للحياينة فنزل على زروعهم أطلق أيدي المحلة علي حصده ودرسه إلى أن استصفاه، وأمر العساكر بقصدهم فتبعوهم الى أن استأصلوا حللهم وأموالهم.

وفي عام اثنين ومائتين وألف أمر السلطان آيت عطة أن يوجهوا له ستمائة رجل مع أربعمائة من العبيد <عبيد سجلماسة>(121) الجميع ألف، ليدفع لهم السلاح والكسوة فقدموا عليه لمكناس فوجههم لتطوان حتى قبضوا السلاح والكسوة، ومنها لطنجة يتدربون على ركوب البحر في الفلايط، وكانت عنده عشرون من الغلايط، فكانوا يركبون فيها كل يوم ويخرجون للبغاز وسواحل اسبانية ويتطاردون مع بعضهم بعضا بقصد التعليم إلى ان تدربوا على ركوب البحر وألفوه وزالت عنهم دوخته وأقبل فصل الشتاء، وأمر بقدومهم عليه، فلما بلغوه واستراحوا ثلاثة أيام أقام المشور لخصوصهم(122) فلما حضروا تقدم حتى وقف في وسطهم إيناسا لهم ومباشرة، وتكلم مع البربر بلسانهم وسألهم عن حالهم وسفرهم فأثنوا عليه الثناء الجميل وفرحوا فأمرهم بالرجوع لتافيلالت، وقيد على الصحراء الزياني وأمره بالذهاب معهم، وعزل القائد الذي كان بتافيلالت وقبض عليه.

وفي عام ثلاثة ومائتين وألف قدم مولاي اليزيد من المشرق مع الركب الفلالي، وكان ورد قبله أخوه مولاي سلامة وتركه بالمشرق، فلما بلغ مولاي اليزيد قرية بوصمغون اجتمع برفقة من أهل تافيلالت وسألهم عن القائد فيها، فقالوا له الزياني، فقال لشيخ الركب والشرفاء الذين معه إني كنت متوجها لبلادكم، فلما وجدت الزياني قائدها علمت أنه لايدل السلطان إلا على السوء ولا يسعى بيني وبين والدي إلا بالشر، ولا يأمره في إلا بما لا يرضى، ولا يخيط بخيط أبيض، وهذا عيالي يتوجه به أصحابي معكم، ينزل بدار أخي مولاي سليمان، وأنا أتوجه من هنا لضريح الشيخ مولانا عبد السلام، فتوجه أصحابه مع عياله صحبة شيخ الركب، وكتب لأخيه مولانا سليمان يستوصيه بعياله، وكتب لشقيقته للا حبيبة بالرتب ولبني عمه، ولما بلغ الركب للقنادسة تقدم صاحبه بالمكاتب ودفعها لمولاي سليمان، فلما قرأها تحير وخاف من سخط والده إذا آوى ذلك العيال وأدخله لداره،

---

(121) ساقط من (م) ومن (ف).

(122) كذا بالأصل ومثله في (ف) أما (م) ففيها : لحضورهم.

فركب وتوجه للقائد وأراه المكاتب، وقال : أشر علي بوجه التخلص من هذا الأمر، ورلا ركبت وتوجهت للغرب فرارا من هذه المصيبة فقال له الزياني هوّن عليك فإنه لا يكون إلا ما يرضيك ولا يصل عياله لهذه البلدة، وإن دخلوا لحقني أنا مثل ما تخوفت أنت منه فكتب كتابا لشيخ الركب الشريف مولاي عبد الله بن علي يقول له : كيف بك وأين غاب عقلك حتى صحبت عيال مولاي اليزيد وقد علمت سخط السلطان عليه وعلى من يأويه أو يطعمه أو يسقيه، ولمن أردت أن تدفعه ؟ ومن يقبله منك ؟ ‹فهل عولت أن تدخله لدارك ؟ فوالله ما هنا من يقبله منك›(123) وأنا أعلمك يقينا أنك إن قدمت هذه البلدة به لا تدخلها إلا مكبلا، وعلى هذا كن معولا فادفع عنك عياله وأصحابه الى طريق الرتب يتوجهون لأخته، وقد أعذر إليك من أنذرك والسلام، فلما كتب الكتاب وجهه لمولانا سليمان ليراه، فلما رآه زال عنه كدره وفرح ثم وجه القائد ذلك الكتاب مع الخيل لشيخ الركب، فلما قرأه دهش، وعلم أنه وقع في أمر عظيم، وكان شريفا خيرا مغفلا، فوقف بالركب حتى لحقه العيال مع أصحابه فوجه معهم من يدلهم على الطريق للرتب على ‹قير›(124) فكتب القائد المذكور للسلطان يعلمه الخبر، فأجابه واستحسن رأيه وقال له : لا تتركهم بالرتب، وقال له : وجه معهم ثلاثين من العبيد والبهائم، وزودهم ووجههم لأمه بدار دبيبغ، وكان السلطان أخرجها من داره وأنزلها بدار دبيبغ وبمثل هذه المسألة كان مولاي اليزيد يعتد على الزياني حتى ضربه حتى انقطع منه النفس، على أنه مات ‹وذلك لما بويع له بعد موت أبيه›(125) وهو ظالم له فيما ظهر، والله يغفر للجميع، ولما بلغ مولاي اليزيد حرم مولانا عبد السلام وجه الشرفاء أولاد الشيخ للشفاعة فيه، فأمرهم السلطان أن يأتوا به على الأمان فامتنع، فوجه له ثانيا فأبى، فكتب له مرارا بالعفو فلم يقبل وتصدى لعصيانه ومخالفته، وصار يكتب للسلطان بمقالات لا تصدر عن العقلاء إلى أن أعياه أمره فوجه له أخاه شقيقه مولاي سلامة في عسكر ينزلون بقربه ويمنعونه النزول من الحرم، ثم وجه له عسكراً ثانيا مع القائد العباس فنزلوا بقرب الحرم من الناحية الأخرى يمنعونه النزول والتصرف وضيق عليه من كل وجه.

---

(123) ساقط من (م).

(124) ساقط من (م).

(125) ساقط من (م).

وخرج السلطان من مراكش بقصده، وهو مريض بغصته، وتحمل ألم السفر والمرض فتزايد به المرض في الطريق ستة أيام، ومات رحمه الله يوم دخوله للرباط بقربه وهو في المحفة، فأسرعوا به الى داره وجهزوه ودفنوه بقبة من قباب الدار، وكان ذلك في رجب عام أربعة ومائتين وألف، وكان له رحمه الله عدة أولاد أكبرهم ابو الحسن مولاي علي، ومولاي المامون ومولاي عبد السلام، ومولاي هشام هؤلاء أولادمولاة الدار لالة فاطمة بنت سليمان ابن اسماعيل، ومولاي عبد الرحمان أمه حرة هوارية هوارة سوس، ومولاي اليزيد، ومولاي مسلمة أمهما رومية، ومولاي الحسين ومولاي عمر أمهما حرة من الأحلاف، ومولاي عبد الواحد وأخوه لحرة من الرباط، ومولاي سليمان ومولاي الطيب ومولاي موسى لحرة من الأحلاف (أيضا)[126]، ومولاي الحسن ومولاي قدور لحرة من الأحلاف، ومولاي عبد الله لحرة من بني حسن، ومولاي إبراهيم لملوكة رومية، وكان مولاي سليمان أعلق بقلبه من جميع إخوته لسعيه فيما يرضي الله تعالى ويرضي والده، واشتغاله بالعلم الشريف والعكوف عليه وملازمة أهل الخير ومجالستهم ومخالطتهم ومجانبة أهل الشر والفساق، ولم يلتفت قط الى شئ مما يتعاطاه إخوته الأصاغر والأكابر من اللهو والصيد والسماع ومعاقرة الندمان ومعاطاة ما يستر العقل ويشين بالمروءة، وما يترتب على ذلك من الظلم والجور، ولم تظهر عليه ناقصة من صغره الى كبره، وكان السلطان والده يرى له ذلك ويثيبه عليه بالعطايا الجسام، والذخائر الثمينة والأصول المعتبرة التي تغل الآلاف، وينوه بذكره في مقاماته ومواقفه على رؤوس الخواص والعوام، ويقول ان ولدي سليمان رضي الله عنه ما بلغني عنه قط ما يكدر خاطري عليه، فأشهدكم أني عنه راض، ونشأ نشأة حسنة والفضل بيد الله تعالى.

---

(126) إضافة من (م) ومن (ف).

ذكر جملة من فضائل السلطان سيدي محمد ومآثره

وما وفق له من أعمال البر والجهاد، وما شيد من المساجد والمدارس، والقناطر وغير ذلك.

فمن ذلك في مراكش ضريح الشيخ أبي العباس السبتي ومسجده ومدرسته، وضريح الشيخ التباع ومسجده، وضريح الشيخ الجزولي ومسجده، وضريح الشيخ الغزواني ومسجده، وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده، وضريح مولانا علي الشريف ومسجده الأعظم، وضريح سيدي ميمون الصحراوي، ثم المسجد الأعظم الذي هو جامع السلطنة ببريمة ومدرسته، وإصلاح المسجد الأعظم المنصوري، والمسجد الأعظم بباب دكالة، والمسجد الأعظم بالرحبة، ومساجد القصبة، ومسجد زاوية الشرادي، ومسجد رباط الشاكر، ومدينة السويرة ومدارسها ومساجدها وسقائلها، وأبراجها البحرية والبرية وجميع ما فيها وما حولها، ومسجد آسفي ومدرسته، ومدينة تيط ومسجدها، ومدينة أنفا ومساجدها ومدارسها وحمامها[1] وسقائلها وأبراجها، ومدينة فضالة ومسجدها ومدرستها، والمنصورية ومسجدها، ومسجد السنة الأعظم بالرباط، ومساجد أكدال فيه، والسقائل والأبراج، ومسجد العرائش ومدرسته وسقائلها وأبراجها وأسواقها، وسقائل طنجة وأبراجها ومسجدها، ومسجد الأزهر <بأروى>[2] مكناس، ومسجد البرادعيين، وضريح الشيخ ابن عيسى، وضريح سيدي سعيد ومسجده، ومدرسة الشاوية بالقصبة، ومدرسة الدار البيضاء، ومدرسة الصهريج، ومسجد بريمة ومدرسته، ومسجد هدراش، ومسجد باب مراح وثلاثة أقواس بقنطرة واد سبو بفاس، وضريح الشيخ سيدي علي ابن حرازم، وضريح الشيخ الدراس ابن إسماعيل، وضريح أبي عبد الله التاودي، ومدرسة باب الجيسة، ومسجد تازا ومدرسته، وضريح مولاي علي الشريف بتافيلالت، وقصبة الدارالبيضاء ومسجدها، ومسجد الرصاني ومدرسته، والمسجد الأعظم ومدرسته، وميضاته وأوقافه على المارستان بفاس ومراكش، ورتب لأشراف تافيلالت في كل سنة مائة ألف مثقال من غير ما يعطيهم في أيام السنة مفرقا، ولأهل الحرمين الشريفين، وشرفاء الحجاز واليمن مائة ألف مثقال في السنة، ولشرفاء الغرب مائة ألف مثقال

---

(1) في (م): «حماماتها» بلفظ الجمع.

(2) ساقط من (م).

في كل سنة، وللطلبة والمؤذنين والقراء في المكاتب وأئمة المساجد تأتيهم صلة في كل عيد وما ينفقه في الجهاد على الرؤساء والبحرية والطبجية وما ينفق على المراكب الجهادية والآلات الجهادية التي ملأ بها بلاد المغرب بعد فقدها منه فشيء لا يحصيه قلم كاتب، وأما ما أنفقه من الأموال في فكاك الأسارى من بلاد الكفار حتى لم يبق بها أسيرا من المسلمين لا من أهل المغرب ولا من أهل المشرق ولا من الترك، ولقد بلغ عددهم في عام مائتين وألف ثمانية وأربعين ألف أسيرا. وأما اعتناؤه بالمراكب القرصانية فقد بلغ عددها عنده عشرين كبارا من المربع، وثلاثين من البرقنطي والفراقط والغلايط، ويبلغ رؤساء مراكبه ستين رئيسا كلها بمراكبها، ويبلغ عسكر البحرية ألفا من المشارقة، وثلاثة آلاف من المغاربة ومن الطبجية ألفين، ويبلغ عسكره من العبيد خمسة عشرة ألفا، ومن الأحرار سبعة آلاف، وأما عسكر القبائل الذي كان يحرك مع الجيش فمن الحوزية ثمانية آلاف ومن الغرب سبعة آلاف، وكانت له هيئة عظيمة في مشوره وموكبه، في مهادنته ومسالمته في البحر لا عن كثرة القوة التي ليست عندهم، ولكن بالسعادة الربانية وحسن التدبير ولطافة السياسة التي يتعجب منها المتعجبون، وعلو الهمة حتى عمت مسالمته أجناس النصارى كلهم ما عدا جنس الموسكو، فإنه لم يسالمه لمحاربته مع السلطان العثماني، ولقد وجه الموسكو رسوله بهديته لطنجة فرد هديته وطرده، ولم يرد مسالمته، ووظف علي الأجناس كلها الوظائف يؤدونها كل سنة، ويستجلبون خاطره بالهدايا والالطافات، وكلما وجه لجنس في أمر أسرع إليه ولو كان محرما في دينه يلتمس له المخرج، ويحتال لقضاء أغراضه منهم بكل وجه أحبوا أم كرهوا وكان أقبح طواغيتهم طاغية الأنجليز، وطاغية الفرنصيص لا يؤدون ضريبة مثل غيرهم من الأجناس، ويأنفون من أدائها ظاهرة، وكان يستخرجها منهما خفية، وأكثر منها باستعمال الحيلة، وكان رحمه الله عالي الهمة، يحب الفخر ولا يرضى الا بأعلى ما يمكن من الأمور، يخاطب ملوك الأتراك وهم ما هم مخاطبة الأكفاء، ويخاطبونه مخاطبة السيادة، ويمدهم بالأموال الثقال والهدايا حتى ملك أزمتهم، وعلا صيته عندهم، وظنوه أعظم منهم مالا ورجالا، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويضع الأشياء في محالها، ويعرف مناصب الرجال ويؤدي حقوقهم بأوفى ما يكون ويتجاوز عن هفواتهم، ويراعي لأهل السوابق سوابقهم، ويتفقد أحوال خدامه في الصحة والمرض، ويختص بمزيد العناية والاحسان من كان يعرفه قبيل الملك، [قال

مقيده : جرى يوما ذكر السلطان سيدي محمد بن عبد الله في مجلس الرئيس الأجل القائد الصالح أبي مروان السيد عبد الملك أبه، فقال لنا : لا تظنوا أن سيدي محمد مثل هؤلاء الملوك الذين عرفتم ورأيتم، فإنه والله من نظراء الرشيد والمأمون وعبد الملك بن مروان ويعقوب المنصور والمنصور بن أبي عامر وأمثالهم انتهى}[3]. وكان من الشجعان المذكورين في وقته، يباشر الحروب بنفسه ويهزم الجيوش بصولته، وكان يقتني الرجال ويعدهم ليوم ما، وينادي كل واحد باسمه وقت اللقاء في حومة الوغى ويوجه كل بطل منهم مع قبيلة، ومع كتيبة من كتائب العسكر، ويعمل بقواعد أهل السياسة في الحروب، وكان رحمه الله يقول إذا وجه أحدا ممن يعرف نجدته وشجاعته، وينشد قول ابن دريد :

والناس ألف منهم كواحد	وواحد كالألف إن أمر عنى

بل جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف، فان الشجعان وان قلوافهم في العساكر مثل الخمير في العجين، وقد كان رجال من العرب يعدون بالألف قبل الاسلام وبعد الاسلام من المهاجرين والأنصار منهم خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة وعبد الله بن الزبير والمقداد بن الأسود، ومن الأنصار عباد بن بشر، وعبادة بن الصامت والنعمان بن بشير وغيرهم وهم كثير، وقد أرخ الفقيه سيدي سليمان الحوات الفاسي[4] موت السلطان سيدي محمد بقوله :

مات أمير عصرنا محمد	وقد كفى الله اليزيد شره
وإن ترد تاريخه فإنه	قد قدس الله العزيز سره

وهو حسن إلى الغاية، ولما كان الزياني أجنبيا من مقاصد علماء البديع والبيان اعترض على القائل المذكور، فقال : وما كان من حقه أن يصف السلطان الجليل بهذا الوصف السقيم العليل، ولو أجمل وقال :

مات أمير عصرنا محمد	وحرم الله اليزيد أجره
وإن ترد تاريخه فرشد	وقدس الله العزيز سره

---

(3) مابين العلامتين ساقط من الأصل ومن (ف) فأضفناه رواية عن (م).

(4) المولى سليمان بن أبي عبد الله محمد عبد الله الشفشاوني الحسني العلمي الموسوي الشهير بالحوات، العلامة الحافظ، الراوية النسابة، اللافظ، نقيب الأشراف ت 1231هـ 1815م. وقد غلط الاستاذ حجي في كتابه «الزاوية الدلائية، إذا قال : توفي بعد عام 1233هـ 1817م في فهرس الكتاب. «السلوة» ج 3 ص 116 «السر الظاهر فيمن أحرز بفاس الشرف الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر . وهو من مؤلفات المترجم «سليمان».

لكان أولى وأحسن من وصفه بالشر، وأقرب من تلك الجملة وأخصر انتهى كلامه الذي اعترض به، وهذا كلام من لم يذق شيئا من أسرار الكلام، ومن لم يكن له قط بغير الظواهر إلمام، وإنما مرتعه مرتع جهلة العوام، كما ترتع سائمة الأنعام، فإنه عمد الى ما شيده الفقيه العلامة الفصيح البليغ من الجناس بين شره وسره فهدمه، وسن عليه أكداس الإهمال فردمه، وظن أن الشر المذكور مناط بجانب السلطان وليس كذلك، فإنما هو متعلق بجناب مولاي اليزيد الذي يقع به، وينزل عليه، والشر هو كل ما يخالف مراد الإنسان كما ان الخير هو ما يوافق مراده، نعوذ بالله من الغباوة المركبة.

الراية الزرقاء الكسيفة المنظر الكريهة المخبر راية مولانا اليزيد بن مولانا محمد بن عبد الله بن إسماعيل

لما مات السلطان سيدي محمد بن عبد الله في التاريخ المذكور وبلغ خبره مولاي اليزيد وهو بضريح الشيخ مولانا عبد السلام، بايعه الأشراف أهل العَلَم وجميع أهل تلك الجبال، وقدم عليه السابقون من الجند الذين كانوا محاصرين له، فتوجه لتطوان وهو أقرب الثغور إليه، فبايعه أهلها وقبائلها، وقدم عليه أهل طنجة والعرائش وأصيلة وقبائل الفحص، فأول ما بدأ به إطلاق الجند على أهل الذمة فاستباح أموالهم ونساءهم، وأزال نعمتهم، ثم توجه لطنجة فلقيه عسكرها ففرح بهم وأحسن إليهم، وهناك قدم عليه وفد أهل فاس ببيعتهم بأشرافهم وعلمائهم وأعيانهم، فأكرمهم وولى عليهم العربي الذويب، ثم انتقل للعرائش فوافاه بها من كان مع السلطان والده المرحوم من المحلة بمتخلفه من القباب والخيل والبغال وجميع آلات الملك فأحسن إليهم وتوجهوا معه، ولما بلغ لزاوية زرهون لقيه بها أخوه مولانا سليمان قادما من تفلالت بقبائل الصحراء، عربها وبرابرها وبيعة أهلها، واستحرم به محمد وعزيز لما مر عليه وكان فارا خائفا على نفسه، فجاء في صحبته بقبائله، فلما ورد عليه سامحه وأبقاه على ولايته، ولما بلغ مكناس قدم عليه أهل الغرب عرب وبرابر حتى عصاة آيت امالو ودجالهم امهاوش وقدم عليه قبائل الحوز كلها الأعراب والبرابر ولم يتخلف منهم أحد فلما فرغ من تجهيز الوفود[1] أمر العبيد الذين في الثغور في مقابلة العدو بالرجورع لمكناس، وأن يقتسموا الأموال التي في المراسي بلا عدد، وأمر الوداية بالانتقال الى فاس الجديد، وقد كانت فاس استراحت من فسادهم بارتحالهم لمكناس مدة من ثلاثين سنة، فانتقلوا وأعطاهم خمسين ريالا لكل واحد، ولقد بدد من الأموال التي اقتسمها العبيد من أموال المسلمين وما أعطى للوداية وغيرهم من الوفود بالتبذير الخارج عن طبيعة العمارة والصلاح ما لا يحصى فقد كان سيدي محمد رحمه الله

---

(1) في (م) الجيوش بدل الوفود.

جعل في كل مرسى بيت مال معدى للجهاد، فأتلف هو ذلك في ساعة واحدة.

ولقد كان المولى اليزيد في أوان صغره تلوح عليه أمارات الخير والنجابة، وكان الناس يلهجون بذكره ويهتفون باسمه لما كان عليه من الكرم والشجاعة ومحبة الشرفاء أهل البيت وهذه خصال فيه لا تنكر، ثم ابتلاه الله بمخالطة أهل الشر والفساد، فانعكست أحواله، وكان السلطان والده المرحوم في تلك الحالة الأولى يفرح به غاية ويقدمه على كبار إخوته في الأمور العظام لما يظهر له من نجدته وشجاعته ورغبته في الجهاد وولوعه بعلوم الحرب من الرمي والمدافع والمهاريز، وكان يرشحه للخلافة لما أشرقت عليه تلك البارقة قبل انعكاس حاله، ولما رآه ولوعا بذلك أقبل عليه بالعطاء والإحسان وولاه الكلام مع قنصوات الأجناس الذين بالمراسي، وقصده بذلك انتفاعه، وكان السلطان المرحوم لما ارتحل لمراكش عام اثنين وثمانين ومائة وألف ولاه على قبيلة جروان وهم في ذلك العهد أعظم قبائل البربر خيلا ورجالا، وأسند إليه نظرهم وأمره أن يكفهم عن محاربة آيت ادراسن أولياء الدولة وشيعتها فقدموا عليه وفرح بهم وصار أحداثهم وأولاد رؤسائهم يركبون معه ويخرجون معه للصيد فأقبل عليهم بإعطاء السلاح والخيل والكسوة الفاخرة، ولا يخلو مجلسه منهم فأخذوا بزمامه فصاروا يزينون له الانتزاء على الملك، ويهونون ذلك عليه ويسهلون عليه الاتصال به ويضمنون له الاستيلاء على جميع من في طاعة السلطان من العساكر والرعايا ويقولون له: إن جيراننا قبائل آيت أمالوا يوافقوننا ولا يخالفوننا، ولا يقوم لنا قائم لا من الجندي ولا من غيره، وهذا بيت المال الذي بقبة الخياطين هو بيدك في ليلة واحدة تحوزه، ولا مانع دونه وبه يقوم لك الملك وتخضع لك الرقاب، ولم يزالوا يفتلون في ذروته وغاربه، فشرهت نفسه لذلك وصار لا حديث له إلا ذلك إلى أن شاع أمره بمكناس، فكتب قائد الوداية للسلطان وهو قدور بن الخضر، وعرفه بما عليه ولده مولاي اليزيد مع أحداث جروان، وأنهم يأتونه بالمائة والمائتين [من الخيل](2) يبيتون عنده بالقصبة وقد خفنا أن يقع منه أمر فتعاقبنا فأخبرناك بالواقع، فلما بلغ كتابه للسلطان وجه في الحين قائده العباس في مائة من الخيل

(2) إضافة من (م).

لقبض مولاي اليزيد. فلما بلغ العباس لسلا قدم أحد أصحابه يعلم مولاي اليزيد بأنه قادم لقبضه، وقال له : اخرج من مكناس وانج بنفسك للحرم، ولما بلغه الخبر خرج ليلا في أصحابه من جروان وخدامه وقصدوا به آيت أمالو فلما بلغ العباس مكناس وجده خرج، فأقام بمكناس وكتب للسلطان يخبره أنه توجه لآيت أمالو فوجه له السلطان الكاتب السيد سعيد الشليح من مراكش لزاوية آيت إسحاق لأنه {يعني مولاي اليزيد}(3) لم يجد من آيت أمالو إلا امهاوش واشقيرن فبدا له خلاف ما كان يظن، ولما وصله الكاتب الشليح بأمان السلطان توجه معه لحضرة مراكش. فلما وصلها دخل لضريح الشيخ أبي العباس السبتي فعفا عنه وسامحه (ولما اجتمع بأبيه تنصل مما رمي به ونسب ذلك الي سفهاء جروان، وانه لم يوافقهم على ذلك)(4) فأضمر السلطان المكر بهم والانتقام منهم فلما قدم من مراكش عام أربعة وثمانين ومائة وألف قصدهم لفريشرة وانتقم منهم، وقتل منهم نحو الخمسمائة، ونهب أموالهم وحللهم وتركهم يتكففون لفاس ومكناس، وأنزلهم بأزغار في وسط العرب وألزمهم بالمغارم الثقيلة، ونقل مولاي اليزيد الى فاس وأنزله مع أخويه مولاي علي ومولاي عبد الرحمان، واستمر حالهم كذلك إلى أن وقع الحرب بين مولاي اليزيد ومولاي عبد الرحمان بوسط فاس الجديد، ومات عدد كثير من أصحابهما، وبلغ خبر ذلك للسلطان فوجه من يقبض عليهما، فقبض على مولاي عبد الرحمان وهرب مولاي اليزيد لضريح مولاي ادريس بزرهون، فأتى به الأشراف لوالده فسامحه وسرح مولاي عبد الرحمان، وقبض على أصحابهما وأودعهم السجن إلى أن تفرغ لهم فسرحهم وقطع أيديهم وأرجلهم {من خلاف}(5) وكان عدد من قطع ثلاثين، وسرح الباقين، ونقل مولاي عبد الرحمان لمكناس وبقي مولاي اليزيد بفاس، ثم إن مولاي عبد الرحمان كان يوما في ملعب البارود فقتل رجلا من بني مطير فجاء إخوانهم إلى قائدهم محمد وعزيز فأعطاهم ديته من عنده وسامحوا وكتب عليهم سجلا بذلك، فاتفق أن وجه السلطان قائده العباس لمكناس لقتل أناس كانوا بسجن مكناس، فلما سمع به مولاي عبد الرحمان ظن أنه أتى بسبب المطيري

---

(3) زيادة من (م)

(4) ساقط من (م)

(5) اضافة من (ل).

الذي قتله، وظن أن خبره بلغ والده، فهرب ليلا لوجدة ثم لتلمسان فبلغ السلطان خبره، ولما سأل عن سبب هروبه أخبره العباس بالواقع فبعث له من أمنه فلم يثق فتوجه من تلمسان لتافلالت وأقام بها، فوجهه له السلطان بالأمان فلم يثق ثم فر لسوس فوجه له السلطان لسوس من أمنه ففر للقبلة، وأقام يتردد في تلك القبائل الى أن مات السلطان فجاء لردانة وأقام بها وطلب الأمر لنفسه، فلم يتم له مراده الى أن مات.

وأما مولاي اليزيد فإنه أقام بفاس إلى أن وجه عليه السلطان بالقدوم عليه بمراكش، فلما وصله اتفق قيام العبيد على السلطان، لما أمرهم أن يعينوا ألفا منهم يسكن بطنجة، فلم يقبلوا وصرحوا بخلعه على عادتهم القديمة فلم يبال بأمرهم ووجه لهم مولاي اليزيد لإصلاحهم وردهم عن فعلهم، فلما بلغهم وسمع كلامهم حركوا منه ما كان ساكنا فدعوه للبيعة له، فأجابهم لذلك وبايعوه وخطبوا به ووجهوا للقبائل، فمن أجابهم بايع ومن خالفهم اعتزل، وكان محمد وعزيز صادفه الحال بمكناسة فهرب ونزل بإخوانه خارجها، واستند عليه الوداية إذ لم يبايعوا فوجه إليهم المال لما فتح بيت المال وأعطاهم مثل ما أعطى للعبيد فردوه عليه ووجه لهم محمد وعزيز ألفين من الخيل والرجال دخلوا معهم للأروى، ولما قصدهم مولاي اليزيد بالعبيد ووقع الحرب بالمشتهى هزمهم الوداية ومات من العبيد ما يزيد عن الخمسمائة، ولما بلغ خبر الحرب للسلطان خرج من مراكش في العساكر والقبائل، ففر مولاي اليزيد لحرم مولانا ادريس بزرهون، ولما بلغ السلطان مكناس وتوجه للزيارة على عادته أتاه الشرفاء بولده وهو في ضريح الشيخ، فعفا عنه {وسامحه، وأتى معه لمكناسة، فلقيه العبيد بالمصاحف والألواح، والأشراف وأهل الزوايا مستشفعين تائبين}(6) فعفا عنهم وسامحهم بشرط الخروج من مكناس وقد تقدم هذا كله مبسوطا في محله.

ولما فرغ مولاي اليزيد من الوفود أمر الناس بالجهاد والغزو الى سبتة وتوجه لها ، ووجه المدافع والمهاريز وآلات الحرب، وتوجهت القبائل والجنود والعساكر، فأقام عليها مدة فلم يغن شيئا ولم يقدر على فتحها، ثم ارتحل عنها قاصدا مراكش، فلما بلغ أنفا بدا له في الرجوع وأنف من أن يقول الناس إنه عجز عن فتحها فرجع إليها ونزل عليها وجدد الحرب ووجه لقواد

---

(6) ما بين القوسين اضافة من (ف).

الحوز يأمرهم بالقدوم عليه للجهاد معه في سبتة فامتنعوا وعصوا أمره، وسبب انحرافهم عنه أنه لما وردوا عليه بعد موت أبيه للتهنئة لم يبال بهم، فتحققوا أنه مصر على المكر بهم، وخافوا سطوته، فحملهم الخوف على الخروج عليه، وذلك موجب بيعتهم لمولانا هشام، فلما بلغه الخبر أقلع عن سبتة وقصد مراكش فصدوه عنها ونازلها بالجيوش للحصار حتى دخلها عنوة فقتل ونهب وسمل الأعين بالنار [واستل ألسن وأخرج الموتى من القبور وحرقهم وذبح وسلخ وقتل النساء والصبيان والضعفاء، وفعل ما لم يفعله حجاج العراق ولا سَمِيُّه في تلكم الآفاق وعند الله تجتمع الخصوم وتلتقي الرفاق](7) وأظهر الفساد في الأرض، فجاءه مولانا هشام بالجموع التي لا تطاق من قبائل الحوز ودكالة وعبدة وغيرهم، فلما قرب من مراكش خاف مولاي اليزيد من الحصار عليه فخرج لملاقاتهم فوقع الحرب بتازقرت فتفانت الرجال قتالا، ورجع مولاي اليزيد جريحا موهنا، وكان في ذلك حتفه ورحمة للمؤمنين غفر الله لنا وله، وتجاوز عنا وعنه بمنه، وذلك عام ستة ومائتين وألف.

---

(7) ساقط من (م) ومن (ل) ونقل من هامش الأصلي.

الراية الخضراء العالية ذات الأذيال البيض
راية الإمام العادل مولانا سليمان بن مولانا محمد
بن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل

إمام به قد كان للدين جانب   منيع وللدنيا أمان وتاييد

لما مات السلطان مولاي اليزيد بمراكش عام ستة ومائتين والف، وبلغ الخبر للغرب، اتفق العبيد والوداية والبربر وأهل فاس على بيعة أخيه مولانا سليمان(*)، واجتمع الكل بضريح مولانا إدريس <وبايعوه>(1) وذلك في أول رجب من العام المذكور، ولما بويع أعزه الله طلع لدار الملك بفاس الجديد ووردت الوفود من أقطار المغرب من جميع القبائل والأمصار، ثم ورد أهل الجبال والمراسي الذين كانوا بايعوا مولاي سلمة، إلا عامل القصر الصريدي والخلط وبعض جبالة ووزان وآيت يمور والحياينة وهؤلاء كلهم وقعت منهم بيعة مولاي سلمة غفلة قبل الاطلاع على البيعة {الشرعية}(2) المعتبرة التي بايعها أهل الحل والعقد، وأول ما ابتدأ به مولاي سلمة بعد تلك البيعة المغفلة هو توجيه الخيل مع القائد محمد الزعري برأي العباس مرين، والمكي فرج من أهل الرباط المتمسكين ببيعة مولاي سلمة، وكان أهل الرباط مختلفين، فلما سمع السلطان مولانا سليمان بذلك وجه أخاه مولاي الطيب مع بني حسن لاعتراض الزعري فتوافوا بالرباط، ووقع الحرب فانهزم الزعري وقتل العباس مرين، ونهبت داره وفر المكي فرج للزاوية فاستحرم بها، وقبض الزعري ومن معه من الخيل إلى أن سرحه مولاي الطيب بعد ذلك بأمر السلطان مولانا سليمان، وقام جميع أهل العدوتين ببيعة السلطان مولانا سليمان، فشرع السلطان يمهد أمر الدولة ويرتبها ويتفقد مواضع الخلل بفاس ونواحيها، فوجه مولاي سلمة ولده لآيت يمور

(*) وقد عثرنا في تاريخ "الشيخ عبد الرحمن الجبرتي" في ترجمة "الشيخ أبي عبد الله محمد بن الطالب بن سودة التاودي" قال: ولما توفي مولاي محمد سلطان المغرب ووقع الاختلاف والاضطراب بين أولاده اجتمع الخاصة والعامة على رأي "بن سودة" فاختار المولى سليمان وبايعه على الأمر بشرط السير على الخلافة الشرعية والسنن المحمدية. وبايعه الكافة بعده على ذلك وعلى نصرة الدين، وترك البدع والمظالم والمكوس والمحارم، وكان كذلك. من "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" ج 2 ص 259.

(1) ساقط من (م).

(2) اضافة من (م).

فشنوا الغارة على الزراهنة [ونواحيها](3) لأنهم بايعوا مع أهل مكناس لمولاي سليمان وكثر فسادهم في الطرقات، فلم يكن بد للسلطان من أن يخرج لآيت يمور فخرج لهم من مكناس بعساكر العبيد والبربر ولحق به الوداية وأهل فاس وشراقة، فوجدوهم على سبو بالحجر الواقف، فزحفت إليهم الجنود ورايات السلطان فانهزموا في أول حملة، وفر ولد مولاي سلمة ولحق بأبيه، وفر آيت يمور بأولادهم لجبل سلفات، وبقيت حللهم كلها بمواشيها وخيامها وجميع ما فيها بيد السلطان ‹فصارت نهباً للجيوش وبات السلطان›(4) في ظلال السعادة والظفر، ولما أصبح آيت يمور وجهوا نساءهم وذراريهم لطلب العفو والصفح والشفاعة فسامحهم وعفا عنهم فتابوا وبايعوا، ثم ورد الخبر بأن مولاي سلمة قد عسكر بالحياينة في وسط بلادهم، فتوجه إليهم السلطان بتلك التعبئة وذلك الجيش المنصور، فوقع الحرب وانهزم مولاي سلمة ومن معه، ونهبت العساكر حلة الحياينة وجاؤا تائبين فعفا عنهم وأضافهم إلى جانبه العالي في سلك الجماعة، وتفرق عن مولاي سلمة من كان معه من الخلط وأهل الجبال، وتركوه في أصحابه وولديه وولد أخيه مولاي الحسن بن اليزيد، ففروا لجبال الزبيب فلم يقبلوهم، ثم زادوا للريف فأهملوهم، ثم طلعوا لجبل بني يزناسن فطردوهم، ثم توجهوا لنضرومة فمنعهم شيخها من التوجه للباي، فذهبوا لتلمسان وأقاموا بها وكتب مولاي سلمة للباي يطلبه الجواز إلى« المشرق، فورد عليه جواب الباي محمد بالمنع من المرور إلا بأمر السلطان أخيه، فوجه الباي من أزعجه عن تلمسان لسجلماسة مكرها، فلما بلغها وجه له السلطان مولانا سليمان مالا وكسوة وعين له قصبة ينزل بها، ورتب له ما يكفيه في كل شهر كإخوته، فلم يرض بذلك وهرب للمشرق، فصار يترامى على حجاج أهل المغرب وتجارهم فيأخذ أموالهم بعضها غصبا وبعضها سلفا لا مرد له، فكثرت الشكايات به إلى ولاة مصر فكفوه وهجروه ثم طردوه، هكذا قال الزياني، فتوجه لمكة ونزل على سلطانها صهرهم سرور فأكرمه وأنزله ورتب له فعاد إلى فعله بالحجاج والتجار فطرده الشريف سرور من مكة فرجع الى

---

(3) زيادة من (م)

(4) ساقط من (م)

مصر ثم الى تونس[5] فنزل على أميرها حمود باشا فأكرمه ورتب له وطلب منه أن يشفع له عند أخيه مولانا سليمان فكتب له ووجه كتابه مع كتاب حمود باشا فقبل فيه الشفاعة وكتب لهما أن يتوجه لتفلالت ينزل بدار والده ويرتب له ما يكفيه من مئونة وكسوة ويقاسمه نعمته، فيسلم من مخالطة الأرذال ومشاهب البلاء وسماسرة الفتن. فلما بلغه الكتاب قال : لا أذهب لتفلالت ثم رجع للمشرق يتطفل به. قال الزياني وكان مشئوما ظلوما سفاكا للدماء، منكوس الراية فعامله الله بما في ضميره للمسلمين. فلا يقف في موقف إلا ويهزم، ولا يدخل أرضا إلا وتجدب، ولا يحل موطنا إلا ويخرب، ولو أراد الله به خيرا لأقام تحت ظل أخيه عزيزا.

وفي العام المذكور وهو عام ستة ومائتين وألف وجه السلطان المحلة للشاوية مع أخيه مولاي الطيب ومعه جماعة من القواد كل واحد منهم يزعم أنه صاحب الأمر، وأعظمهم حمقا القائد الغنيمي، وأراد أن يبقى على تلك الشدة والغلظة الخارجة عن القياس <التي كان عليها مع مولاي اليزيد>[6] فتنافسوا في الرياسة واستبد عليهم الغنيمي في الرأي إذ كان رديف الخليفة مولاي الطيب، وهو إمام رأيه[7] فلما كان وقت اللقاء تخاذلوا عنه وانهزموا وتركوا المحلة والأثقال بيد العدو أنفة من استبداد الغنيمي عليهم، وكانوا عشرة آلاف من الخيل، فرجعوا مفلولين، وقدموا على السلطان بالرباط فما أمكنه إلا الرجوع بهم لفاس لتجديد إقامة الحركة ثانيا، وتخليف ما ضاع من الأخبية والسلاح والآلة.

وفي عام ثمانية ومائتين وألف، قام بقبيلة الأخماس طالب يقال له زيطان، فاجتمعت عليه أحزاب الشيطان ودعاة الفتن، وسرى فساده، في قبائل الجبال، وكثر تابعوه، وكان العامل على تلك القبائل قاسم الصريدي في أيام مولاي اليزيد، فلما ولي السلطان ولى ذلك المشئوم الظالم الغشوم الغنيمي فقبض على الصريدي.واستصفى أمواله ، وكان يعذبه ويمتحنه على المال، إلى أن مات تحت العذاب، ولما كثر فساد زيطان، وجه له السلطان

---

(5) جاء في كتاب "تعطير النواحي" بترجمة سيدي ابراهيم الرياحي، حيث أشار الكتاب الى قصة المولى سلمة مانصه : في سنة 1226 قدم للحضرة التونسية سلطان الدولة المغربية مولانا سلمة. وقد بويع بالسلطنة بعد وفاة أخيه مولانا اليزيد، الى آخر القضية المذكورة في الهامش. تعطير النواحي ج 1 ص 76.

(6) ساقط من (م).

(7) في (م) : رأيته. بدل : رأيه.

المحلة مع الغنيمي فقصده لبلاد غزاوة قرب وزان. فنهاه من معه من القواد أن يدخل الجبل بالمحلة فخالفهم ودخل بخيله وأثقاله، فلما توسط الجبل خرج له الرماة من شعاب الجبال فوقع الحرب وضاقت عليه المسالك على الخيل وأحاط بهم العدو من كل ناحية، وقتلوا وسلبوا وردوهم على الأعقاب منهزمين، فلما بلغ السلطان خبرهم قبض على الغنيمي ودفعه لأولاد الصريدي الذين قتل أباهم فباشروا قتله بأيديهم، وولى على قبائل الجبل أخاه مولاي الطيب، وفوض له أمر الثغور وأنزله طنجة واستراحت الدولة من خبث الغنيمي، وبقي مولاي الطيب يدبر أمر قبائل الجبل والثغور يتردد من تطوان لطنجة للعرائش كلما ظهرت ثلمة سدها، وكلما رأى فرصة انتهزها، والأيام مقبلة، والسعود تتزاحم على أبوابه، وحارب قبائل الفحص إلى أن استكانوا. وحارب أهل حوز تطوان وبني يدر والأخماس اتباع زيطان الثائر تارة بتارة.

وفي عام تسعة ومائتين وألف وجه له السلطان المحلة وخرج من طنجة(8) ومعه عسكرها وعسكر العرائش، ونزل في المحلة، وقصد بني قرفط عش طيور الفساد، فهجم عليهم ببلادهم، وقاتلهم في عقر ديارهم، ونهب أموالهم، وبدد جموعهم، فجاؤه تائبين، فسامحهم وعفا عنهم، وزاد لبني يدر كذلك، وفر الثائر زيطان لقبيلته، وتنصل القبائل من زمرته، فاحتال الخليفة مولاي الطيب عليه إلى أن ظفر به جاءه بالأمان فأمنه، ووجهه للسلطان تائبا فعفا عنه وولاه على قبيلته، وصار من جملة خدام الدولة مدة إلى أن ملكت زمامها، وتعين غيره لولاية محله، فأخر، ونقله السلطان لتطوان فسكنها، ورتب له، وكان موجودا في أيام قيام مولاي ابراهيم اليزيد وأخيه مولاي السعيد على السلطان مولانا سليمان، فتمسك زيطان بعهد السلطان وأغنى غناء تاما في تلك القبائل، وورد على السلطان بطنجة عام ستة وثلاثين ومائتين وألف، وقد طعن في السن غاية، وأحسن إليه السلطان الإحسان التام.

وأما خبر مولانا هشام ومولانا الحسين وما كان من أمرهما فقد تقدم لنا أن أهل الحوز لما وجه مولاي اليزيد إليهم ليقدموا عليه للجهاد والحصار على سبتة، خالفوا أمره لما تحققوا أنه مصر على المكر بهم، وبايعوا مولانا

---

(8) في (م) : تطوان.

هشاما فأقلع مولاي اليزيد عن سبتة وتوجه لمراكش فصدوه عن الدخول وحاصرهم حتى دخلها عنوة وجاءه مولانا هشام بجنوده، وخرج مولاي اليزيد من مراكش ووقع الحرب بينهما بتازقرت وأصيب مولاي اليزيد ومات عام ستة ومائتين وألف، وبويع مولانا سليمان بالغرب وبقي أمر قبائل الحوز مشتبكا من الرباط إلى سوس، وأعرض السلطان مولانا سليمان عنه، وصرف همته إلى استصلاح أمر الغرب، حتى صفا ماؤه من كل كدر، ثم شرع في إصلاح الطريق الى مراكش، وهو الشاوية وتادلا وسيدنا مولاي هشام في هذه المدة سلطان بمراكش وآسفي، إلا أن الأمر لم يخلص له كل الخلوص، لأن الهاشمي بن العروصي متفرعن بعصبية قومه دكالة، وكثرة عدده، وعبد الرحمان بناصر متغلب بكثرة الأموال التي يستفيدها من مرسى آسفي، وكانت يده مبسوطة كل البسط، فدانت لعطائه عبدة ودكالة وأحمر والشياظمة وحاحة إلى ما وراء ذلك، والناس عبيد لمن طمعوا في نواله، فبقي الأمر {كذلك}(9) ومولانا هشام على حاله الى أن أظلم الجو ما بينه وبين الرحامنة، فافترقت كلمتهم، طائفة مع عبد الله الرحماني، وطائفة بخلافه معادية له، فكانت الطائفة المخالفة لعبد الله الرحماني تميل الى مولانا هشام وتغريه به إلى أن قتله هكذا شاع هذا الخبر، وهو أن مولانا هشام هو الذي أمر بقتله وقتل ابن الداودي، والذي تحدث به السلطان مولانا سليمان مع البعض وأنا أسمع هو أن الطائفة المبغضة لعبد الله قتلوه وأظهروا أن مولانا هشاما هو الذي أمرهم بذلك...مع أنه هو لا علم عنده بذلك حتى وقع وكذلك في ابن الداودي والله أعلم، والحاصل أنه لما قتل عبد الله اغتاظت شيعته وتغلبت على من خالفهم، وكانت العصبية لشيعة عبد الله، فوجهوا لمولاي الحسين وبايعوه، ولم يشعر مولانا هشام حتى جاء مولاي الحسين {ودخل مراكش وطلع لدار الملك}(10) فخرج مولانا هشام وتوجه لآسفي مع عبد الرحمان بناصر، فكان مولانا هشام سلطانا على ما تحت ولاية عبد الرحمان بناصر، ومولاي الحسين سلطانا بمراكش وأحوازها إلى أن قدم السلطان مولانا سليمان عام إحدى عشرة ومائتين وألف، وللزياني هنا كلام قبيح حمله عليه السفه الذي هو عادته، فإنه بسط لسانه

---

(9) إضافة من (م).

(10) زيادة من (م).

في ساداته ومواليه بمجرد الكذب والفحش قبحه الله، وإلا فالشرفاء أشبال الملوك لا ينقصهم شيء مما أصابهم في طلب ملك آبائهم كما تقدم لنا قول مولانا عبد الله لأخيه مولاي المستضيء لما جاءه بعد انطفاء سراجه رحمهم الله تعالى ولما مل أهل الحوز من الفتن والحروب وتفانت رجالهم ووجوههم في الحروب إلى أن بلغ عدد القتلى بينهم عشرين ألفا على ما قيل، فكانت كل قبيلة توجه للسلطان مولانا سليمان خفية وتبايعه، فوردت عليه طائفة من الرحامنة وطلبت منه القدوم عليهم ودكالة كذلك، وكان يعدهم بذلك ويقول لهم حتى أفرغ من الشاوية، وكانت الشاوية لما كسروا المحلة التي مع المولى الطيب والغنيمي داخلها الدهش والخوف من سطوة السلطان، فوفدوا عليه مرارا تائبين، وطلبوا منه أن يوجه عاملا عليهم يكون ذلك دليلا على صفاء خاطره، فوجه معهم ابن عمه صهره على أخته للا صفية، وهو مولاي عبد الملك بن ادريس، فتوجه معهم ونزل بمرسى أنفا، فوقف على مستفادها، ودخلت الأموال بيده، فكان يعطي لأعيان الشاوية ورؤسائها يستجلب بذلك محبتهم ومساعدتهم على ما أضمره من الانتزاء على الملك فلما رأوا منه ذلك طلبوا الزيادة حتى صار يقاسمهم المستفاد من المرسى، فلما بلغ السلطان الخبر كتب له يعاتبه، فأنف من ذلك العتاب وخاف أن يعاقبه على فعله، فلما سمع بقدوم السلطان استشار بطانته الذين يستألفهم، وقال لهم هذا الرجل قادم وليس له قصد إلا أنا وأنتم، فما الرأي وما العمل ؟ فاتفقوا على بيعته ومحاربة السلطان إذا قدم، فلما بلغ السلطان رباط الفتح وخرج منه وجه في مقدمته أخاه مولاي الطيب في العساكر والسلطان في أثره، ولما بات بالقنطرة ورد عليه الخبر بأن الشاوية بايعوا مولاي عبد الملك، ولما سمع مولاي عبد الملك أن السلطان بالقنطرة هرب من أنفا مع الشاوية الذين بايعوه، وأخرج أهل أنفا المدافع ليلا لإعلام السلطان بهروب مولاي عبد الملك، ووجهوا رسلهم بخبر فراره، فوجه لهم الخيل لأنفا وقصد قصبة علي بن الحسن، وأغارت العساكر على حلل مديونة وزناتة فنهبوها وجاءوا بمواشيهم وأنعامهم بمالا عدد له، ورجع السلطان بالغنائم الكثيرة إلى رباط الفتح، ومنه لمكناس، ونقل السلطان التجار الذين بأنفا إلى الرباط وأبطل مرساها.

وفي عام عشرة ومائتين وألف قدم على السلطان جماعة من الرحامنة مبايعين له وطلبوا منه التوجه الى الحوز، فواعدهم بذلك إذا فرغ من أمر

الشاوية وتامسنا ومهد طريقها، ثم خرج في العساكر قاصدا بلاد تامسنا، فقدم عليه أولاد بورزڤ وفر أولاد بوعطية، وهم أولاد حريز الذين عندهم مولاي عبد الملك لواد أم الربيع. فقصدهم السلطان هناك وحاربهم فهزمهم، ونهبت أموالهم وفر مولاي عبد الملك لأخواله بالسوس الأقصى فأقام فيهم إلى أن شفع فيه مولاي عبد السلام أخو السلطان وزوجته السيدة صفية فسامحه وصفح عنه فرجع، ولما فرغ السلطان من أمر الشاوية وقدموا عليه تائبين خاضعين عفا عنهم وقيد عليهم الأستاذ الغازي بن المدني ورجع لفاس.

وفي هذا العام قدم الحاج محمد بن عبد الصادق المسجيني من الحج، وهو من عبيد السويرة، فوجهه السلطان قائدا على السويرة وأمره بكتم مكاتب الولاية وخبرها حتى يظهر له حال أهل السويرة، لأنها كانت من جملة النواحي التي في نظر عبد الرحمان بناصر وشيعته وتحت عصبية حاحة، وكان الحاكم فيها حينئذ الرجل الصالح البركة الذي جبله الله على الخير والإحسان، والنسك والعبادة في جميع أحواله، أبو مروان السيد عبد الملك أبه، فقدم إليها ابن عبد الصادق على أنه حاج لا غير، فذهب الى السيد عبد الملك يخدم في بابه من جملة المخازنية لأن ذلك وظيفته، وأظهر له النصيحة وشدة المحبة وكثرة الخدمة، والملازمة ليلا ونهارا، فلا يخرج من داره إلا ويجده قائما متجردا، فقدمه على الأعوان وعلى جميع أهل حضرته، واتخذه صاحب سره ورأيه، وابن عبد الصادق يدبر أموره مع إخوانه مسجينة وأهل إكدر في السر حتى أحكم ذلك جدا وجعل يرتقب سماع أخبار السلطان وقربه، فلما سمع وصوله لدكالة واستيلاءه عليهم وعلى أزمور وطيط، أفضى بسره وولايته وأعيان شيعته، فتواعدوا لليلة معلومة، والسيد عبد الملك لا خبر عنده بشيء من ذلك كله، وكان ابن عبد الصادق قد اتفق مع السيد عبد الملك أنه إذا حدث أمر في الليل واستأذن عليه يخرج له ويخبره ويأمره بما يكون أو لا يكون، فجاءه في تلك الليلة وقد تحزم العبيد أهل السويرة الذين أخبرهم بذلك، وتركهم بالقرب منه، وقال لهم : إذا سمعتموني أتكلم معه وأغلظ له في الكلام فدونكم فاقبضوا عليه، فلما قرع عليه الباب خرج وجلس وجعل يكلمه فأحاط به العبيد وقبضوه وأعطوه فرسه وأصحابه من حاحة الذين كانوا يخدمون معه، وأخرجوهم وسدوا الباب وراءهم، وفي الغد جمع ابن عبد الصادق أهل

السويرة وقرأ عليهم أمر السلطان وولاية ابن عبد الصادق، ثم ورد خبر دخول السلطان لمراكش، وذلك أن دكالة لما جاء السلطان بايعوه وانتظموا في سلكه، وخرجوا من شأن عبدة وعبد الرحمان بناصر، وركبوا مع السلطان، وجاء الرحامنة ببيعتهم وتوجهوا جميعا لمراكش، وهرب منها مولاي الحسين لزاوية مولاي إبراهيم بالجبل، فدخل السلطان لمراكش وبايع أهلها، وكان ذلك عام أحد عشر ومائتين وألف، وقدم على السلطان عامة قبائل الحوز والدير وقبائل حاحة وسوس بالهدايا وإظهار الطاعة والدخول مع الجماعة، ففرح بهم وأكرمهم وباشر قبائل الحوز حتى أصلح ما وقع بينهم في ظلمات تلك الفتن، وهدر الدماء، وألغى جميع ما سلف، وتألفت القلوب على الخير، وفرح المسلمون بظهور الرحمة والفرج ببركة هذا السلطان، ثم أنزل بقصبة مراكش سكان أهل الحوز الذين كانوا بها أيام والده، ورتب لهم وأمر بألف من عبيد السوس يأتون للسكنى بالقصبة، فلما استقر بالنوى، وألقى عصا التسيار وجه كاتبه السيد محمد بن عثمان لعبد الرحمان بناصر يأتي به أو يأذن بالحرب، فلما بلغه وجده مريضا وأدى طاعته وكتب بيعته وخلع سلطانه مولانا هشاما، وتعلل عن القدوم بالمرض، وتوجه مولانا هشام لزاوية الشرادي، وبعث له السلطان من أتى به في كنف الأمان والبر والتعظيم وتلقاه بالمبرة والتكريم، ووجه إليه المراكب والكسى الفاخرة الملوكية، وهو بزاوية الشرادي، ولما ورد عليه جدد له ذلك أيضا وأنزله بدار أخيه مولاي المأمون حتى استراح وزالت عنه وعثاء السفر، فجاءه السلطان بعد ثلاثة أيام إلى محله راجلا لقرب الدار، فلقيه وتعانقا وتراحما، فذهبا كذلك ودخلا للنيل من باب الرايس، وأجلسه السلطان على شليته وجلس أمامه، وكان يأتيه صباحا ومساء ويتحدثان فما يفطر ولا يتغدى ولا يتعشى إلا معه، وكان كلما دخل عليه قام له وأجلسه على الشلية وجلس هو بالأرض إكراما له، وكان يعظمه لأنه أكبر منه، وكان كلما ذكره لا يذكره إلا بقوله أخي مولاي هشام وغيره من إخوته اذا ذكره يقول : مولاي فلان، فأقام كذلك مدة ثم طلب مولانا هشام أن يتوجه لرباط الفتح ينزل بها، فوجهه السلطان باختياره، وقضى له كل ما طلب وزاد رحمهما الله وبارك في الخلف الصالح، هكذا ذكر بعضهم خبر ورود مولانا سليمان للحوز، وكان حاضرا معه وهو من أصحابه وبطانته الداخلة، وذكر بعضهم هذه القضية على رواية فيها بعض المخالفة لهذه، واقتصرنا علي

الأولى لأنه ليس من رأى كمن سمع، والله أعلم وأحكم.

وفي السنة المذكورة خلف السلطان أخاه مولاي الطيب بمراكش ورجع لفاس على طريق تادلا وأمر عاملها عبد الملك أن يغير على بني زمور وينهب أموالهم ويقبض من ظفر به من رجالهم ويلقاه بهم في الصخرة، فيركب هو في المحلة التي معه، فلما بلغ الصخرة وقدم عليه بنو زمور بخيلهم أمر بالقبض عليهم ووجههم لسجن مكناس، وأخذ خيلهم وعدتهم وكانوا مائتين، وأغار علي حلتهم فنهبها عاملهم، وجمع أموالهم وقدم بها للسلطان.

وفي هذا العام وجه السلطان المحلة من العبيد والوداية مع عياد، ووجه معهم شراقة مع ابن خدة والأحلاف مع عبد الله بن الخضر لوجدة وأمرهم بمحاربة الأتراك إن منعوا دونها، وكتب للباي محمد يتخلى عنها وعن قبائلها التي كان يتصرف فيهم أيام الفترة أو يأذن بالحرب، فلم يمانع عن ذلك وأجاب بالسمع والطاعة، ونزلت المحلة بوجدة، وجبى العامل زكاتهم وأعشارهم وترك الخليفة بوجدة ورجعت المحلة لفاس.

وفي عام اثني عشر ومائتين وألف خرج السلطان من مكناس في العساكر بقصد عبد الرحمان بناصر وحزبه إلى أن يؤدي الطاعة مباشرة هو وقبيلته طائعا أوكارها، فلما بلغ وادي أم الربيع قدم له عياد في محلة الوداية وقال له : إذا وصلته فأزعجه بالقدوم علينا، فإن قدم فأقم أنت بآسفي، وإن امتنع من القدوم فكاتبنا وأقم هنالك حتى نصل إليك. فلما بلغه عياد لم يسعه إلا التوجه لملاقاة السلطان في قبائله على مرضه، وركب في محفته واجتمع مع السلطان في مائة بير وبير بين بلاد عبدة وبين بلاد دكالة، فبايعه وأدى ما وجب من الطاعة مباشرة، فلما رآه السلطان تحقق صدقه وأنه ما تخلف إلا للمرض، فوفى له السلطان في عهده، وزاد في كرامته، وجازاه بالخير على إيوائه لأخيه مولانا هشام وقال له : والله ما فعلت إلا الخير حيث دفعت شر مولاي اليزيد عن المسلمين [لمبايعتك لأخي مولاي هشام](11) ولأجل ما تحقق من صدقه دخل معه لداره بآسفي بدون سلاح وأكل طعامه من غير اتقاء ما يتقى من أمثاله بعد ما نهاه جميع أهل الدولة الذين معه في المحلة عن الدخول معه على تلك الحالة، حتى

(11) زيادة من (م).

إنهم ما اعتدوا بحياته حتى خرج، ‹وهذا الفعل لا محالة أنه من الغرر الذي لا تحتمله قواعد السياسة، ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور، ثم عقد السلطان لعبد الرحمان على قبائله ولم يغير شيئا من حاله وأمره بقبض الواجب منهم وودعه›(12).

وفي هذا العام دخل الطاعون للمغرب وعم الحواضر والبوادي، ولما كثر بمراكش رجع السلطان لمكناس وبقي مولاي الطيب خليفة، فبلغه في أثناء الطريق موت الكاتب ابن عثمان، وبعد ذلك بلغه موت إخوته الأربعة بالوباء مولاي الطيب ومولانا هشام ومولانا الحسين ومولاي عبد الرحمان، الثلاثة الأول بمراكش والرابع بسوس، وانقطع الوباء في الغرب آخر السنة الثانية عشرة بفاس ومكناس ونواحيهما، وظهر في الدنيا سرور وفاضت الخيرات بتخلف الأموات وذلك مصداق البركة في بقية الجوائح، وكذلك لا تكرهوا الفتن فإنها حصاد المنافقين، ولما مات العتاة والظلمة ومشاهيب البلاء وشياطين القبائل، تمهدت المملكة لمولانا سليمان فلم يبق له معارض ولا منازع.

وفي عام ثلاثة عشر ومائتين وألف، وجه السلطان كاتبه السيد محمد الرهوني(13) للسوس لجمع أموال المنقطعين فجمع ما قدر عليه ورجع.

وفي عام أربعة عشر ومائتين وألف وجه السلطان ذلك الكاتب عاملا لسوس بالمحلة فجبى أمواله ورجع وأحبه أهل سوس غاية لكونه خيرا دينا حسن السيرة لين الجانب.

وفي عام خمسة عشر ومائتين وألف وجه السلطان المحلة لآيت أمالو مع الكاتب الحكماوي(14) ووجه معه جماعة من قواد الجيش وأمراء القبائل فلم يرضوا بإمارته عليهم، وكلهم أعظم منه وفيهم من هو أعرف بالحرب والسياسة ومكايد الأعداء فأهملهم واستبد برأيه دونهم، فخذلوه عند اللقاء، وإنما خذلوا أنفسهم في الحقيقة وخانوا المسلمين وإمامهم، ولكن الجهل يقود صاحبه قود البهائم، والعياذ بالله، فانهزمت المحلة واستولى العدو على الأثقال والأخبية والكراع والمدافع، وآلة الحرب، وجردوا الكثير

(12) ساقط من (ف).

(13) الرهوني نسبة الى رهونة بضم الراء قبيلة بجبال غمارة بالمغرب الوزاني قرارا أخذ العلم بفاس، وكان حافظا متقنا. صاحب الكتاب الفقهي في مذهب الامام مالك ت 1230 هـ 1814م. "الفكر السامي" ج 4 ص 129.

(14) الحكماوي-لم نعثر على ترجمته.

من المحلة، وقبضوا الحكماوي وأجاره بعض البرابر وأبقوا عليه الى أن وجهوه للسلطان.

وفي عام ستة عشر ومائتين وألف وجه السلطان المحلة لدرعة مع السيد أحمد بن علي التنغراسي فدخلها واستولى على قصورها المغصوبة، وأخرج منها الغاصبين من العرب والبربر، وجبى مالها ومهد نواحيها وصار ما بين سوس ودرعة والفائجة مجالا للتجار يسيرون فيها آمنين ليلا ونهارا.

وفي عام سبعة عشر ومائتين وألف وجه السلطان المحلة للريف مع أخيه مولاي قدور والعامل ابن خدة الشرقي وقائد العسكر أحمد بن العربي البخاري، فجمع جباية ثلاثة أعوام سلفت، ولما رجعت المحلة أغاروا على المطالسة وبني بويحيى وأتوا بمواشيهم وسبيهم إلى أن سرحهم السلطان.

وفي عام ثمانية عشر ومائتين وألف أغار أيت ادراسن علي قوافل تفلالت بطريق ملوية ونهبوا بسبب سجن السلطان لمحمد وعزيز بالجزيرة وقيد عليهم أخاه بوعزة فلم يقبلوه، وجمعوا كلمتهم مع ابن عمه بوعزة بن ناصر وهو منحرف عن السلطان فارا منه، فولوه عليهم فسرح السلطان محمد وعزيز وولاه على إخوانه وأمره بالقبض على بوعزة بن ناصر فأعرض عنه ولم يقبضه فغضب السلطان عنه ثانيا، ففر محمد وعزيز وعصى، فتوجه له السلطان في العساكر، ووجه لقبائل آيت أمالوا يأتونهم من خلفهم، ولما نزل السلطان بقرب اعليل ووقع الحرب انهزموا ونهبت مواشيهم واحتوى البربر على- حللهم، وفر أولاد وعزيز الثلاثة برؤسهم لآيت أمالو، واشتغلت العساكر بإخراج زروعهم الى أن استؤصلوا، وأمر السلطان بهدم قصورهم (واحتوى البربر على حللهم)(15) وأعطى بلادهم لجروان ورجع لفاس، ولم يقم بها، وتوجه لتازا وترك قائد فاس أحمد اليموري لقبض خراج الحياينة، ووجه السلطان من تازا المحلة لوجدة مع الشيخ عبد الله بن الخضر لقبض واجب قبائلها، ووجه محلة أخرى مع عامل تافلالت محمد الصريدي، فنزل ملوية وقبض واجب قبائلها وطلع للصحراء مع أوديتها يجبي أموال تلك النواحي، فلما وصل تافلالت فرق المحلة على أقاليم الصحراء : درعة والفائجة وتدغة وفركلة وغريس وزيز والخنق ومدغرة

---

(15) اضافة من (م).

والرتب، فجبى أموال جميع تلك القبائل وقرر عماله وخلائفه ورجعت العساكر.

وفي عام تسعة عشر ومائتين وألف عزل السلطان أحمد اليموري عن ولاية فاس وقيد صهره الشريف سيدي الحبيب بن عبد الهادي فقام فيها أحسن قيام، وكان عاقلا داهية ذا مروءة وحسن سَمْت، وفيه توجه السلطان في العساكر لمراكش، فلما بلغها وجه المحلة للسوس، ووجه محلة أخرى لعامل حاحة مع أحمد اليموري، وتوجه هو لمشاهدة السويرة ليقف على آثار والده بها فوصلها وفرق المال على عسكرها أحرارا وعبيدا، ورتب أمور مرساها، وأمر بإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح ورجع للغرب.

وفي عام عشرين ومائتين وألف، وقعت الفتنة بين الترك والأعراب أهل الواسطة بسبب قتل الباي لبعض فقراء درقاوة، وأمر بقبض مقدمهم السيد عبد القادر بن الشريف، خليفة شيخه مولاي العربي الدرقاوي، ففر المقدم المذكور ولم يتمكن منه الباي، فاجتمع عليه طوائف درقاوة بمحلة الأحرار وأنفوا من قتل المقتول منهم، ومن خروج المقدم المذكور من محله، واستغاثوا بعشائرهم فانتصروا لهم وقاموا لحرب الأتراك فقتلوا كل من وجدوا منهم في قبائلهم، وفي فصل الربيع خرجت محلة الترك من الجزائر الى الباي بوهران، فقصدوهم ووقع الحرب فانهزم الترك، ونهب الأعراب محلتهم، ففروا لوهران، فحصروهم فيها، فكتب الباي للسلطان مولانا سليمان يعرفه بخير درقاوة وطلب منه أن يوجه شيخهم مولاي العربي لإطفاء هذه النار، فوجهه السلطان وأمره أن يكف من سعى في ذلك

ويردهم، ووجه معه الأمين الأجل الحاج الطاهر بادو المكناسي(16).

ثم إن الأعراب وأهل تلمسان ما عدا الكراغلة دبروا أمرا آخر فاتفقوا على أن يبايعوا السلطان العادل مولانا سليمان ليتخلصوا من ولاية الأتراك بالكلية فلا يكون للباي سبيل عليهم، فكتبوا البيعة لمولانا سليمان ووجهوها مع أعيانهم وهديتهم، وظنوا أن السلطان يعجبه ذلك ويفرح به، فلما وردوا لحضرته العزيزة رد عليهم بيعتهم وهديتهم وقد كان بلغه أن الباي ظن أن ما وقع به كان بوفق مولانا العادل لأن الأعراب كانوا يشيعون أنهم إنهما فعلوا ذلك بالاتفاق مع سلطان المغرب، فلما رد عليهم مولانا سليمان بيعتهم وطردهم وقبح فعلهم وخروجهم عن طاعة أميرهم، قال لهم : ارجعوا الى بلادكم، ولا حاجة لي بولايتكم وتوبوا الى الله من فعلكم، وعلى قدر بلوغكم لأبوابي أكاتب الباي أن يصفح عنكم ويسامحكم ويتجاوز عن خطيئتكم، وهذا ما تسمعون مني، وقال للأعراب مثل ذلك وتلافى ذلك بتوجيه القائد عياد لتلمسان يحول بين الحضر والكرغلية والترك، ويمنعهم من الحرب الى أن يقدم الباي لتلمسان، وأوصاه أن يحتال على ابن الشريف حتى يدخل في يده ويقبض عليه، وكتب السلطان للباي بما أزال شكه ونفى توهمه، ووجه له هدية، فتوجه القائد

---

(16) هاهنا كلام مقداره 27 سطرا شطب عليه المؤلف وهو مثبت في (ف) ص 191 ج 1. وفي نسخة كلية الآداب الرباطية ومن أجل ذلك يجدر بنا أن نثبت نصها :

قال عليه عفا الله عنه ولطف به : هذه القضية لولا ما اشتملت عليه من الأوصاف الجميلة المتعلقة براية السلطان ما ذكرتها وها أنا أذكرها بلسان الزياني ناقلها مخبرا عما اشتملت عليه من ثلم أعراض المؤمنين والصالحين قال الناقل المذكور : ولما بلغوا لمحة ابن الشريف وهو محاصر على وهران واجتمع مولاي العربي بطائفته استاسد المرابط وظهر منه العجب وصار يقول للعرب ان الترك أدبرت أيامهم وان الله ملككم أرضهم وديارهم وأموالهم ولا تقوم لهم قائمة ويتصلح على الأعراب. فلما سمعوا منه ذلك لم يشكوا ان الظفر لهم فازدادت عزائمهم وهممهم على حرب الترك وتظافروا عليهم فلما بلغ الخبر الى أهل وهران أخبروا الباي بذلك فاتهم السلطان لأنه كان ينتظر الفرج على يده ويترجاه ويتشوق الى رفع هذا الخرق فاخفق سعيه في الدرقاوي وفي السلطان. فركب مدافعه لناحيتهم ورماهم بالكور والبور في الصويلي فابعدوا عنه وانهزموا وظهر للعرب خلاف ما ظنوا وظهر للقوم كذب الدرقاوي وبطلان زعمه فتلافى أمره ورجع عن وهران الى تلمسان فنزلوا عليها وضيقوا بأهلها وخدعهم الدرقاوي بأن قال لهم ما فعلنا هذا إلا بأمر السلطان مولاي سليمان فدخلوا في حزبه واختلفوا مع الترك والكرغلية وأدخلوا عبد القادر بن الشريف ودرقاوة وخطبوا بالسلطان مولاي سليمان وكتبوا ببيعتهم له وكتب عبد القادر بن الشريف ببيعته ووجه وفده وهديته للسلطان مع الدرقاوي وتقدم ابن الشريف وأهل تلمسان الحضرة لحرب الكرغلية والترك فحصروهم بالمشور ونواحيه فلم يبق لهم شك ولا ريب بأن ذلك بأمر سلطان المغرب. فكتبوا بذلك للباي والدولاتي واشتعل الحرب بينهم في وسط المدينة فلما قدم الدرقاوي بوفد تلمسان وهديتهم وبيعتهم ووفود الأعراب وهدية ابن الشريف وبيعته ظنا منه ان السلطان يقبل ذلك ويفرح به ويثيبه عليه. ولما اجتمع بالسلطان لبس عليه الأمر وزين له القول وقال له : ان العالم مقبل عليك وكل الناس متشوقون لدولتك وابن الشريف إنما هو خديمك وخليفتك وهذه بيعته وهديته ولما خرج من عند السلطان بعث للأمين الذي وجهه معه وسأله عن حقيقة الحال فأخبره بأقواله وأفعاله وما نسب إليه وان الترك ما بقي عندهم شك في أن ذلك كله بأمرك ومنسوب إليك أفرد السلطان على أهل تلمسان هديتهم وبيعتهم وطردهم عن بابه وقال لهم : ارجعوا الى بلادكم ولا حاجة لي بولايتكم وتوبوا الى الله من فعلكم.

عياد، فلما سمع ابن الشريف بقدومه فر عنها ولم يجتمع بعياد ولا قرب منه، وأقام عياد حائلا بين الحضر والكرغلية وأصلح بينهم الى أن قدم الباي لتلمسان ومكنه من بلاده ورعيته ورجع.

وفي عام واحد وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان عامله لبلاد فجيج ونواحيها لجباية ماله واسترجع قصر المخزن الذي غصبوه وأخرجوا منه عبيد المخزن الذين كانوا به من أيام مولانا إسماعيل رحمه الله، وفيه وجه السلطان المحلة للشرق مع قائد فاس باعقيل السوسي ومعه جماعة من قواد القبائل، وكانوا أمثاله، جمعهم الشبه في قلة العقل، وشبه الشيء منجذب إليه(17) فنزلوا وجدة، ولما جبى مال قبائلها توجه بالمحلة لأعراب الأعشاش، وكانت لهم صولة ومنعة في تلك الصحاري، فأغاروا على المحلة ونهبوها ورجعوا منهزمين، وتركوا أثقالهم وأمتعتهم بدون قتال ولم يجتمعوا الى ملوية، ومنها توجه الأحلاف لبلادهم ورجع باعقيل بالمحلة، ولما بلغ الخبر للسلطان وجه من قبض عليه ونكبه وعزله عن فاس، وولى وصيفه ابن عبد الصادق ثم عزله عن فاس وقيد عليها محمد وعزيز.

وفي عام اثنين وعشرين ومائتين وألف، توجه السلطان لتادلا بالعساكر بقصد بني موسى وآيت عتاب ورفالة وبني عياط، الذين آووا بني موسى، فوجه إليهم العساكر فنهبوا حلل بني موسى ومن آواهم من رفالة وبني عياط وحرقوا مداشرهم وقطعوا أشجارهم إلى أن أذعنوا للطاعة، وقبضوا زكاتهم وأعشارهم ورجعوا عنهم.

وفي عام ثلاثة وعشرين ومائتين وألف، وجه السلطان العساكر مع جماعة من القواد كبيرهم وصيفه القائد أحمد مولى أتاي والخاتم والطابع، ونزلوا على حدود بلاد آيت أمالوا من كل ناحية في فصل الشتاء، ومنعوهم من النزول الى البسائط لجلب الميرة والمرعى إلى أن ضاعت مواشيهم وأنعموا بدفع الواجب عليهم من الزكوات، فدفعوا المواشي من الغنم والبقر والكراع، فخلى سبيلهم، وفي العام خرج السلطان من مكناس

---

(17) قوله : "وشبه الشيء منجذب إليه" هو صدر بيت للمتنبي، عجزه :
وأشبهنا بدنيانا الطغام

لتفقد الثغور البحرية، فعزل عاملها الحاج عبد الرحمان عشعاش وقبضه وولى عليها عامله محمدا السلاوي، وولاه قبائل الغرب والجبال كلها.

وفي عام أربعة وعشرين ومائتين وألف حرك السلطان لتادلا بقصد ورديغة بالعساكر وقبائل البربر، فأغار عليهم ووقع بينهم حرب كبير، مات من الفريقين عدد كثير ونهبت المحلة أموالهم وألجأوهم للطاعة فجاؤوا تائبين فعفا عنهم، ووجه السلطان العساكر لآيت يسري بعد أن قبضوا منهم عددا وشنوا عليهم الغارة إلى أن أنعموا بدفع المال، ولما دفعوه سرح لهم إخوانهم المقبوضين ورجع.

وفي عام خمسة وعشرين ومائتين وألف، حرك السلطان لقبائل الريف، فنزل عين زورة وسرح العساكر للريف فحاربوا قبائله وهزموهم وقتلوا مقاتلهم وسبوا أولادهم وحرقوا مداشرهم وألجأوا للطاعة وقدموا للسلطان تائبين فعفا عنهم على أن يدفعوا ما ترتب عليهم، وعين السلطان من يقبض منهم المال فدفعوه ورجع.

وفي عام ستة وعشرين ومائتين وألف قامت الفتنة بين قبائل البربر وهم آيت ادراسن وجروان مع آيت أمالو ولما وقع الحرب غدر جروان إخوانهم آيت ادراسن وجروان مع قبائل آيت أمالو فهزموا آيت ادراسن ونهبوا حلتهم ومواشيهم ولم يفلت منهم إلا أصحاب الخيل هربوا عليها وقدموا على السلطان باكين شاكين، فغضب السلطان لذلك، وقام وقعد ووعدهم بالانتصار من أعدائهم، وجهز العساكر لنصرهم لأنهم شيعته وشيعة والده من قبله، وتوجهوا لحرب جروان فانتصر آيت مالو لجروان وهزموهم مرة أخرى ورجعوا منهزمين. ثم اتفق البربر كلهم على حرب آيت ادراسن لأجل منافسة السلطان لهم ولبغضهم لقائدهم محمد وعزيز الذي يوليه السلطان عليهم لسوء سيرته، وهو السبب في هذه الفتنة من أصلها، فلما اتفقوا على ذلك بعثوا لدجالهم أمهاوش المعد عندهم لأمثالها من الفتن العظام، فعاثوا في الطرقات وفي رعايا السلطان فاتسع الخرق وخرجت لهم العساكر ونزلوا صفرو لنظر مشئوم العمال محمد الصريدي المبغوض عند البربر، كبغض محمد وعزيز وأكثر، واشتكوا منه مرارا

للسلطان، فلم يعزله عنهم فأعلنوا بالعصيان وصرحوا بالخلاف والخروج عليه، فتقدموا للعساكر بصفرو وهي نازلة مع سور البلد، وأحاطوا بها من كل ناحية فهزموها ونهبوها، وفر من أفلت منهم وتحصن الباقون بصفرو ونهبت القرى المجاورة له، وعاثوا في طرقات الصحراء، ونهبوا من وجدوا بها مقبلا أو مديرا والسلطان مقيم بمكناس يعالج داءهم فما تنفع فيهم ترياق، وشمخت أنوف البربر بذلك، وكلما وجه لهم عسكرا هزموه وكل ذلك إنما نشأ من جور الصريدي، ورحم الله المامون القائل : والله ما من فتنة ظهرت في ملك مالك، ولا فساد تشبت بدولة إلا ومنشؤها جور عمالها، ولما أعيا السلطان أمرهم تركهم فوضى وكلف أعجز القواد وأوهنهم عيادا بتدبير أمرهم وتوجه لمراكش فزاد في فسادهم وقواهم بإعانته لهم بالعطاء والمئونة الجارية على كل من يقدم منهم المدينة من الطعام والعلف ينهبون أموال الناس وبهائمهم بباب فاس ‹ويدخلون ويقبضون الزطاطة والخفارة وأخذ الميرة وكل من تكلم معهم يعاقب›(18) ويقول إن السلطان أمرني بذلك لحمقه ولم يدر أنه ما أسند السلطان إليه أمرهم إلا ليحتال عليهم حتى تظهر له فرصة فينتهزها منهم بقبض جملة وافرة إذا دخلوا للمدينة للكيل فلم يكن له عقل لفهم مراد السلطان ولا همة عالية تسمو به لنحو هذا، وذلك كله من كثرة جبنه، فخاف إذا قبض آيت يوسى تقوم عليه القيامة، فكيف يصلح هذا الجبان للرياسة أو ترجى منه كفاية المهمات، وفي قبيلته من هو أكفى وأحزم وأضبط من الأبطال.

‹هذا كله كلام الزياني وهو كلام ظاهر الفساد لمن له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وما فعله عياد من مداراة العدو الذي لم يستطع دفعه هو الصواب، والناس يقولون اليد التي لا تقدر على عضها قبلها›(19)، ولما بلغ السلطان لمراكش جمع قبائل الحوز وقدم بهم لمكناس وأمر بخروج العساكر من العبيد والوداية وبني حسن وأهل الغرب وشراكة وأهل الفحص والمراسي والحياينة وأولاد جامع ومكناسة والأحلاف وقبائل البربر كلها ما

(18) ما بين العلامتين ساقط من (ل).

(19) ساقط من (ل).

عدا آيت أمالو وجروان ومن انضاف إليهم، فلما اجتمعت هذه الجموع كلها توجه لجروان وهم بتاسماكت فلما بلغ أزرو بقي بينه وبينهم مرحلة، وهو يرى محلهم ويرون محله، ظهر له أن يرجع لقصد آيت يوسى بأعليل، فرجع فكان ذلك الرجوع سبب الخذلان، ولما رآه جروان رجع عنهم تبين لهم أنه هابهم وخاف منهم فتبعوه من خلفه وصاروا يطلبون المتأخر من العساكر وينهبون ويقتلون ويجردون، فوقع القتال في آخر المحلة، ولا علم لأولها بشيء من ذلك، وأين أولها ؟ بينهما أزيد من مرحلة، فنزل السلطان بأعليل بين آيت يوسى وبنو مجيلد أمامه، وجروان وآيت أمالو من خلفه، فوردت عليه المنهزمة والمجردون والمجاريح من خلف المحلة، وأخبروا أن قائد العسكر محمد بن الشاهد قتل، فباتت المحلة في كرب عظيم، وخوف قاتل، وتجلدوا حتى أصبح الحال، وركبوا وقصدوا آيت يوسى ومن معهم، ووقع الحرب فانهزمت المحلة ووقعوا في شعب لا منفذ له، فترجلوا وتركوا الخيل ونجوا بأنفسهم وحمتهم آيت يمور وآيت ادراسن، وكانت حلتهم قريبة للعساكر فأتوا بهم للسلطان وخلصوهم من الاستئصال لو تبعهم الأعداء ما أفلت منهم أحد، فلما حصلت هذه المزية لهؤلاء البرابر الذين هم شيعة المخزن، جعل العبيد من وجدوه، من هؤلاء الشيعة يقتلونه ويقولون : البرابر كلهم سواء، فلما وقع ذلك بالشيعة رفعوا الشكوى الى السلطان، فأمر كاتبه وعامله محمد السلاوي أن ينظر في الأمر، فلما اطلع على حقيقة الحال ورأى أن فساد نية البربر بسبب ما وقع بهم من القتل في وسط المحلة، ورأى أن القصاص في ذلك المحل لا يمكن وعلم أن عاقبة الأمر غير محمودة مع البقاء هناك، فأشار على السلطان بالرجوع بسلامة الباقي قبل اتساع الخرق، فرجع وقنع (من الغنيمة بعد الكد بالقفل)(20) وتربص بالعدو يوما آخر يكون فيه سعدهم قد أفل، وجدهم قد انقلب الى أسفل، والله واسع عليم.

وسبب خيبة المسعى في هذه الحركة إنما هو كثرة الجنود المختلطة،

---

(20) اقتباس البيت التاسع من لامية العجم، للطغرائي، ونصه :

والدهر يعكس آمالي ويقنعني   من الغنيمة بعد الكد بالقفل

الغير المنضبطة، فإن السلطان قد حشد فيها المغرب بحذافيره كما تقدم وهجم بهم بلاد لا يعرفونها، وأقواما أولي بأس شديد في ديارهم وبين أولادهم ومحارمهم التي لا يمكن الفرار عنها دون الموت، وكل ذلك غفلة عن قواعد السياسة، فإنه ثبت في أصول الحكمة المجربة في تدبير الدول كما عند القاضي ابن خلدون وغيره، أن الإكثار من العساكر وهن لا تؤمن غوائله، ولا ينضبط أمره، موجب في الغالب لأقبح الهزائم، وكل من حارب بجميع عساكره فهو مخذول، وكل من تأمر من أمراء الأجناد على أكثر من ألف فقد تعرض للتلف، والأمير الحازم الذي يرجى الانتصار به هو الذي يضبط الألف كأنه آخذ بلجامه، يقف بوقوفه، ويسير بسيره، فإذا كان للملك عشرة أمراء كل أمير تحته ألف من العسكر منضبط فذلك بمنزلة مائة ألف مهملة غير منضبطة، ولا تحمل حومة الوغى أكثر من عشرة آلاف ليكون نظر المالك واقعا على جميعها، فإذا زادت العساكر على ذلك وقع الخلل وتسرع لها الهزائم، وقد شوهد ذلك في الجاهلية والإسلام.

قال الزياني : وفي عام سبعة وعشرين ومائتين وألف ورد كتاب من تونس لفاس وجهه المبتدع الوهبي القائم بجزيرة العرب بمذهب الطائفة الوهبية، من طوائف أهل البدع لما ملك الحجاز وتغلب على الحرمين الشريفين منع الناس من الحج والزيارة فكتب للافاق للعراق والشام ومصر وافريقية يدعوهم إلى اتباع مذهبه الخسيس، ولما بلغ كتابه لتونس وجه مفتيها نسخة منه لعلماء فاس لينظر ما عندهم في الجواب، فتصدى للجواب عنه الفقيه الأديب السيد حمدون بن الحاج[21] ولم يعلم به غيره، فكتب جوابه ومدحه بقصيدة ميمية مطلعها :

حق الهناء لكم جيران ذي سلم ... وبارق واللوى والبان والعلم

واستمر فيها غفر الله له إلى أن تخلص لمدحه فقال :

سعود بعد سلام الله شاعك من ... غرب يسير لشرق ضائع النسم
هذا كتاب إليك من محب أتى ... إذ ما تأتى له الإتيان بالقدم
مخاطب لك باللسان من قلم ... إذا ما تسنى له تخاطب بفم

(21) السلمي أصلا وحسبا المرداسي نسبا الفاسي دارا ومنشأ الشيخ الامام العالم العلامة الهمام المفسر المحدث الصوفي له تآليف عديدة. (الشرب المحتضر) لجعفر الكتاني ص 9. (امداد ذوي الاستعداد لمعالم الرواية والاسناد) للشيخ عبد القادر الكوهن ص17 خ خاص. (الاعلام) ج 3 ص 117. (الفكر السامي) ج 4 ص 129. ت 1232هـ 1816م.

وانه من سليمان وانه باســـ ... م الله لازلت باسم الله أي سمي
اعلم وقيت الردى لازلت بدر هدى ... لبوس أي ردا من السنا العمم
إن قمت فينا بأمر لم يقم أحد ... به فجوزيت ما يجزاه ذو نعم
يقطع أهل الحراب بالحجاز بأن ... يقتلوا أو يصلبوا بلا وهـم
أو أن تقطع أيديهم وأرجلهم ... من الخلاف أو أن ينفوا من أرضهم
حتى جرى الماء في عود الحجاز لان ... طلعت سعد سعود غير ملتثـم
لا شيء يمنع من حج ومعتمر ... وزورة تكمل المأمول من حرم
إذ عاد درب الحجاز اليوم سالكـه ... أهنا وآمن من (...)[22] الحـــرم
قد لاح فيه سعود ماحيا بدعا ... قد أحدثتـها ملوك العرب والعجم

واستمر عفا الله عنه على هذا الأسلوب، وتحمل ما أثقل كاهله من الذنوب، والله لو علم أمير المؤمنين ما اقترفه وجلبه، لكان في الحين عجل به وصلبه، وإن خفف عقوبته سبه وضربه، وإلى السجن جره وعذبه، فكيف يمدح المبتدع الضال ويشكر، بل يسب ويلعن ويهجر، انتهى.

قال ممليه عفا الله عنه ولطف به :

ثم تمادى هذا المجهول الزياني على الفحش والتنقيص لعالم الدنيا وإمام الملة المحدث المفسر، بحر العلوم المنقولة والمعقولة، القائم الصائم الذي نفع الله بعلومه وتآليفه جميع المسلمين، مع أن الشيخ أبا الفيض سيدي حمدون إنما أجاب بأمر السلطان وعلى لسانه، وذهب بجوابه ولده وخليفته مولاي إبراهيم مع جماعة من العلماء حتى قرأوا جوابه على سعود، وكان لهم ذلك الجواب البديع سببا كريما ولكل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان، وغاية البر والإحسان.

حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم في تلك الحجة مثل الفقيه العلامة القاضي السيد محمد بن إبراهيم الزداغي المراكشي،[23]

---

(22) بياض بالأصل وفي (م) بموضع البياض : «لمامة الحرم» وفي (ف) : «مسامة الحرم

(23) الزداغي : قاضي مراكش الفقيه العلامة، كان من جملة الوفد الذي عينه المولى سليمان الى الحجاز لأداء فريضة الحج، ولاستطلاع الأمر حول الحركة الوهابية ودعوتها، ولتجيب الزعيم الوهابي على رسالته، ومترجمنا هو الذي تولى المناظرة معه. وأمير الوفد هو المولى ابراهيم بن السلطان مولانا سليمان. هذا ولم نعثر على وفاة عالمنا. (الضعيف) ص 285 تعليق 1861 - (الاعلام) ج 6 ص 170.

والفقيه العلامة القاضي السيد العباس بن كيران الفاسي،(24) والفقيه الشريف البركة سيدي الأمين بن جعفر الحسني الرتبي(25)، والفقيه الموقت الصادق الأمين السيد عبد الخالق الوديي(26)، حدث كل واحد منهم أنهم مارأوا من ذلك السلطان سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المناكر المحرمة وتنقية الحرمين الشريفين من القذرات والآثام التي كانت تفعل بها جهارا بلا إنكار، وذكروا أن حاله كحال احد من الناس لا تميزه من غيره بزي ولا لباس ولا مركوب، وانه لما اجتمع بالشريف الخليفة مولانا إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الشريف، وجلس معه كجلوس هؤلاء المذكورين وغيرهم من خاصة مولانا إبراهيم، وكان الذي تولى الكلام معه هو القاضي ابن ابراهيم الزداغي، وكان من جملة ما قال لهم إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، فأي شيء رأيتمونا خالفنا فيه السنة، وأي شيء سمعتموه عنا قبل رؤيتكم لنا، فقال له القاضي المذكور : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي، فقال لهم : معاذ الله إنما نقول كما قال مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة انتهى، فهل في هذا مخالفة؟ فقالوا له لا، وبمثل هذا نقول نحن أيضا، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي وإخوانه من الأنبياء عليهم السلام في قبورهم، فلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة والتسليم عليه، وقال : معاذ الله تعالى [بل](27) نقول إنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره، وكذلك غيره من الأنبياء حياة فوق حياة الشهداء، ثم قال له القاضي : وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة الأموات قاطبة مع ثبوتها في الصحاح التي لا يمكن إنكارها، فقال له : معاذ الله أن ننكر ما ثبت في شرعنا، وهل منعناكم أنتم منها لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها، وإنما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية ويطلبون من الأموات أن تقضي لهم

---

(24) الفاسي الأصل المكناسي الوفاة عالم زمانه وفريد عصره وأوانه ت 1271هـ 1854م. (الاتحاف) ج 5 ص 408.

(25) الزبزي نسبة الى زبز اصله الحسني العلوي من العلويين اليوسفيين. قدم من زبز الى فاس واستوطنها ت 1259هـ 1843م ودفن خارج باب الفتوح (الشرب المحتضر) لجعفر الكتاني ص 18. (السلوة) ج 2 ص 356

(26) الوديي – لم نقف على ترجمته.

(27) اضافة من (د).

أغراضهم التي لا يقضيها إلا الربوبية، وإنما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى وتذكار مصير الزائر الى مثل ما صار إليه المزور، ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى، ويسأل الله تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت إن كان ممن يليق أن يستشفع به، هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ولما كان العوام في غاية البعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة، فأي مخالفة للسنة في هذا القدر انتهى.

هذا ما حدث به أولئك المذكورون سمعنا ذلك من بعضهم جماعة، ثم سألنا الباقي أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك، وهذا المذكور كله ليس فيه ما ينكر، وغاية ما يقال في الوهبي المذكور إنه من غلاة الحنابلة أتباع الإمام أحمد رضي الله عنه مثل ابن تيمية وابن حزم، فإن الحنابلة رضي الله عنهم لهم مسائل ينكرها غيرهم من أرباب المذاهب، ولا يضرهم ذلك وهكذا كل أهل مذهب لا يقولون إلا بقول إمامهم، وينكرون غيره، فهذا أكبر أتباع الإمام أحمد رضي الله عنه وهو الشيخ الكامل المكمل مولانا عبد القادر الجيلالي[28] رضي الله عنه وأرضاه، فقد ذكر في كتابه الغنية الطائفة الطاهرة الأشعرية التي وقع الاجماع المعتبر على معتقد السنة هو معتقدهم.لما ذكر الشيخ رضي الله عنه في الكتاب المذكور الفرق الضالة وعدهم عدا ذكر الأشعرية من جملتهم، وقال في حقهم : إنه لاتؤكل ذبيحتهم ولا تسنم قبورهم إذا ماتوا ولا يناكحون، وأطال في ذلك، فإذا كان هذا واقعا من هذا الشيخ العظيم ولا ينقص ذلك من قدره شعرة واحدة، فإذا مدح شخص مولانا عبد القادر كما هو الواجب فهل يلام المادح له، ويقال له إنك مدحت من خالف الأشعرية باعتقاده باجتهاد إمامه الأعظم، فإذن لا ملامة على الشيخ العلامة الحجة أبى الفيض سيدي حمدون في مدحه لسعود بأمر أمير المؤمنين، إذ علم أنه ليس في علماء الوقت من يحسن الجواب عن ذلك الكتاب غيره، على أنه ما مدحه على اعتقاده المخالف، إنما مدحه بأفعاله الحسنة الظاهرة من تأمين الحجاز وتنظيفه وغير ذلك مما لا ينكر حسنه.

والذي أوقع الزياني في أمثال هذا في كثير من المواضع في كتابه

---

(28) الشيخ الجيلاني : ينتهي نسبه الى الحسن بن سيدنا علي كرم الله وجهه شيخ العراق الحنبلي، صاحب حال ومقال، وعالم، لطب الرجوه، شهرته أشهر من ان تذكرت 561هـ 1166م، (الأعلام) الطبعة الثانية للزركلي ج 4 ص 171 وفي تعليقه مصادر ترجمته.

هذا وفي غيره من تقاييده التي نجس بها هذه الدولة الطاهرة إنما أداه الى ذلك الجهل المركب، فإنه أحد الاصول(29) التي هي أصول الكفر كما ذكره الإمام السنوسي رضي الله عنه في المقدمات وشرحها، والله يعصمنا من ذلك، والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاه به(30).

وفي عام ستة وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان ولده الخليفة مولاي ابراهيم لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي الطالع من حضرة فاس على العادة المعلومة في طلوع الأركاب المغربية مع أعيان فاس وغيرها وتجارها وعلمائها على الهيأة المعهودة من الاحتفال وبروز الأبنية لظاهر البلد وقرع الطبول وإظهار الزينة والفرح والازدهاء مما يطول بنا وصفه.

وفي عام سبعة وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان العساكر لقبائل الريف وقلعية إذ بلغه أنهم يبيعون الأقوات للكفار، وأمر على العساكر كاتبه عامل المراسي والثغور السيد محمد السلاوي البخاري، فتوجه بها وقصد قلعية التي هي عش الفساد، فنهبوا أموالهم وحرقوا مداشرهم ونسفو مواطنهم نسفا، وقبضوا زكوات تلك القبائل كلها وأعشارهم ورجعوا، وفي رمضان من العام قدم ولد السلطان مولاي إبراهيم من الحج ونزل بطنجة في قرصان الأنجليز <وكان وجهه له أبوه مع مراكبه القرصانية

---

(29) كذا بالأصل، ومثله في (ف) أما (م) ففيها : الامور.

(30) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن (ف) فأضفناه نقلا عن الملكية، ووقفنا على طرة بخط المؤلف بها كلام يتعلق بهذه المسألة الجهلانية، وهذا نصه :

كتب بعضهم على قول المؤلف لما ذكر الفرق الضالة، ذكر الاشعرية منهم، ما نصه : انه لم يوجد في «الفنية» في نسخها الموجودة هنا تلك الألفاظ بعد مراجعتها. فإنه يعني الشيخ عبد القادر لم يعدهم أي الاشعرية في الفرق الضالة الخ فيقال له أي لهذا الكاتب : ما يكون لك أن تتكلم بهذا البهتان العظيم الذي هو انكار ما هو منتشر في آفاق الأرضين، فهذه الكرة والميادين وهذا الكتاب شائع عند أهل الملة مروي غير مجهول ولامفقود، وان كان يحتمل أن تكون رأيت أيها الكاتب نسخة متروكا منها ذلك ظنا ممن تركه ان ذلك ينفيه ويرفعه بعد وقوعه من الشيخ رضي الله عنه، والشيخ لا ينفي لأن ذلك مذهب إمامه ابن حنبل رضي الله عنه كما يعلم ذلك من مقاولة الشيخ عز الدين بن عبد السلام لابن تيمية وأتباعه، فلا ينكر على الشيخ مولانا عبد القادر رضي الله عنه، ما هو مقلد فيه لامامه الأعظم، ولا ينكر على ذلك الامام ويرد عليه بمذهب غيره، وهذا كله معلوم لمن له أدنى مسيس بقواعد أصول الدين. وحسب هذا الكاتب أن يبحث عما لا يدري، ويسأل أهل الذكر، فوالذي أخرج العذق من الجريدة، والنار من الوثيمة : لقد سردت «الفنية» في زمن الاعتناء، وذلك عام 1239 وكانت النسخة قديمة بخط أندلسي مصححة، وفي طرتها في هذا المحل ما معناه : هذه المسألة قد ألف الناس عليها كثيرا، وأحسن ما رأيت من الرسائل المختصرة الرسالة المسماة بـ «أحسن المعاذر في الجواب عن الشيخ مولانا عبد القادر» وحاصل ما ذكر في هذه الرسالة : انه يجاب عن الشيخ بأحد جوابين. أولهما : انه يحتمل أن يكون قد ألف هذا الكتاب قبل الفتح عليه. وقبل زمن اشتغاله بالرسوم، لأن الأولياء قد اتفقوا على أن اعتقاد الاشعري، وكذلك اعتقاد أبي منصور الماتريدي هو اعتقاد أهل السنة والفرقة الناجية وثانيهما : انه يحتمل أن يكون هذا مما دس على الشيخ كما وقع كثيرا للعارفين في تآليفهم كالشيخ ابن العربي والشيخ الشعراني وغيرهما اهـ هذا ما علق ببالي ولقد بحثت كثيرا على هذه المسألة فلم أجد إلا بعض شئ ذكره الشيخ محيي الدين في «الفتوحات» ومن أتقن ما أشرنا اليه أولا علم بالضرورة أنه لا محذور في ذلك، للقاعدة التي هي ان المجتهد لا يحتج عليه بقول مجتهد آخر. نعم لو أراد المجتهد محاجة مجتهد مثله، فله ذلك، والله سبحانه أعلم وأحكم اهـ. مؤلفه رحمه الله.

للإسكندرية فوجده بمرسى مالطة فركب في قرصان الأنجليز>(31)، فلما خرج توجه لحضرة السلطان وكان إذ ذاك بمكناس، وبعد ثلاثة أيام توجه لداره بفاس، فخرج لملاقته الأشراف والأعيان والخاصة والعامة، وركب الوداية وأهل الحوز وكان يوم دخوله من الأيام المشهودة، والأوقات المسعودة، ولما بلغ الحجاج الذين معه نشروا محاسنه وفضائله ومكارمه المحمودة. وفواضله في طريق الحج، وخصوصا في مفاوز الحجاز، التي عليها المجاز، فقد أنفق فيه على الضعفاء المتملقين ما لا يحصى من الصدقات والقربات، وشاع ذكره في الحرمين الشريفين، وجاوز الشام ومصر والعراقين، وحيث نفد ما كان عنده استسلف من تجار دولته من أهل فاس وغيرهم أموالا كثيرة كلها صيرها في سبيل البر والخير، وركب في البحر عند رجوعه كما قدمنا، ولما ورد أرباب السلف لمولانا السلطان بزمامات الأموال وعرف ما أنفقه ولده والوجه الذي أنفقه فيه أمر للتجار بقبض ما أسلفوه من أموالهم، وأن يزاد لهم أرباح تلك الأموال إكراما لهم وتطييبا لنفوسهم، وقال لهم : إنما تتعاطون التجارة لتربحوا، وتنمو بذلك تجارتكم وتنجحوا، وأما تجارتنا نحن فإنما هي ما أنفقناه في سبيل الله في مثل ما أنفقه ولدنا البار رضي الله عنه، ومن جملة ما حدث به الحجاج عن المولى إبراهيم أنه لو لم يكن معهم في هذا الركب ما حجوا ولا بلغوا تلك الأماكن المحترمة، وذلك لأن ذلك الوهبي عظمه غاية التعظيم، وعظم جميع من حج معه، وسبب ذلك التعظيم وذلك الاعتناء إنما هو حسن ذلك الجواب الذي أجاب به شيخنا أبو الفيض سيدي حمدون على لسان السلطان.

وقد بعث الفقيه العلامة البركة مفتي البلاد الإفريقية ومعول أهله وقدوة أئمتها أبو اسحاق سيدي إبراهيم الرياحي(32) التونسي لحضرة مولانا أمير المؤمنين قصيدة فريدة يهنئ بها المولى إبراهيم ويمدحه ويمدح أمير المؤمنين وهي هذه :

هذي المنى فانعم بطيب وصال	فلطالما أضناك طول مطال
ماذا وكم أوليتني يا مخبري	بقدومه من منة ونوال
بشرتني بحياتي العظمى التي	قد كنت أحسبها حديث خيال

(31) ما بين العلامتين ساقط من (م).

بشرتني يابن الرسول لو انما ... روحي ملكت بذلتها في الحال
بشرتني بسلالة الخلفاء من ... أمداحهم تثنى بكل مقال
من حبهم فرض الكتاب أما ترى ... إلا المودة حين يتلو التالي
من ضمهم شمل العباء واذهبوا ... رجسا فيا لك من مقام عال!
من قوموا أمر المكارم بعدما ... شادوا الهدى بمعارف ونبال
لولاهم كان الورى في ظلمة ... مدت غياهبها بكل ضلال
آباءك الأطهار أقصد يا أبا ... إسحاق يا نجل المليك العالي
يا حبه وصفيه من قومه ... وخياره من سائر الأنجال
لو لم تكن أهلا لصفو وداده ... لم يستنبك لجدك المفضال
لكن توسم فيك كل فضيلة ... فحبا يمينك راية الإقبال
وأقام جودك بل وجودك زاد من ... يبغي ببيت الله حط رحال
أنت استطاعتهم فما عذر الذي ... ترك الزيارة خيفة الإقلال
ويك المشاعر أطربت طرب التي ... وجدت على وله فقيد فصال
ووصلتها رحما هناك قطيعة ... دهرا مضى (...........)(33)
وتأنس الحرمان منك بطلعة ... أغنتهما عن وابل هطال
كرم لكم أدريه يوم أفاضه ... عني سليمان بأي سجال
وهب الألوف وكان أكرم منزل ... يسلي الغريب ببره المتوالي
يوم التشرف لي بلثم يمينه ... وتمتعي من وجهه بجمال

---

(32) الشيخ ابراهيم بن عبد القادر الرياحي، قدم جده الاعلى ابراهيم المحمودي الطرابلسي من طرابلس الى البلاد التونسية. واستقر بالمكان المعروف باسم (العروسة) التابع لعمل رياح «منطقة مجاز الباب» الآن، ثم انتقل ابنه احمد الى بلدة «تستر» حيث ولد حفيده ابراهيم بن عبد القادر 1180هـ 1766 م. وتوفي في 27 من رمضان 1266 هـ 1850 م ودفن بزاويته التي أتم بناءها المشير احمد باي الأول سنة 1270 هـ 1854 م اهـ (ديوان الشيخ ابراهيم) تحقيق محمد اليعلاوي وحمادي الساحلي ص 5. (الاعلام) للتركلي ج1 ص41 ط 2.

(33) بياض بالأصل، وبمخطوطة الملكية، وجاء هذا العجز في القاسية وفي الاستقصا هكذا: «دهراً ولم تبلل به ببلال أما «وتعطر النواحي» فورد فيه كالتالي:

دهر امضى وبللتها ببلال

وتلذ ذي بخطابه المعسول إذ ... حفت به للدرس خير رجال(*)

لم أنسه يوما حسبت نعيمه ... بلذائذ الجنات ضرب مثال

عجبا له يحيي القلوب بعلمه ... ويميت جند الفقر منه بمال

وإذا تقلد للوغى بسنانه ... تعنو الرقاب له بدون قتال

تتلوه بالفتح المبين عساكر ... قد أرهفت بالنصر حد نصال

تخشى الملوك مقامه ولذكره ... رعبا تطير فرائص الأبطال

وينال آمله بخفض جناحه ... ما ليس يخطر منه قط ببال

حتى سعى لصفا مناهله الألى ... يسعى لمروته ذووا الأثقال

وأتت لمغربه الشريف مشارق ... والشمس تغرب لا قتضاء كمال

لما تكدر صفوها بضلالة ... جاءته كيما ترتوي بزلال

ومتى تخلف عاجز فبقلبه ... يسعى لفعل شعائر الإجلال

أمنية وقعت أشرت لذكرها ... في مدحة قدما بصدق مقال

تهوى المشارق ان تكون مغاربا ... لتنال من جدواه كل نوال

يافخر دين الله منه بناصر ... وسعادة الدنيا به من وال

لا تفتخر فاس. ولا مراكش ... بولائه كل الأنام موال

أو ليس في كل البقاع ثناؤه ... ورد البكور وسبحة الآصال

أو لم يشد للدين والعلماء والـ ... أشراف والصلحاء أي جلال

أو لم يعم بجوده أقطارها ... لا فرق بين جنوبها وشمال

أو لم تسر ركبانها بمحاسن ... ضاءت لهم سرجا بجنح ليال

أو ليس أحيا سنة العمرين في ... زمن الى بدع الهوى ميال

شيم يهز الراسيات سماعها ... ويفحن في أنف الزمان غوال

أوصاف والدك الامام المرتضي ... للدين والدنيا بحسن خلال

ذاك الربيع أبو الربيع ومن به ... حييَ الهدى وشرائع الافضال

(*) في "مظهر التواضي" ج1 ص24 قال الشيخ ابراهيم الرياحي : وحضرت دروس المولى سليمان في التفسير حيث سمعته يقرر قوله تعالى :«وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين» فكان مما قرره فيها أن وجه العدول عن جمع الكثرة الى جمع القلة ان الناس الذين يعملون بعمل أهل الجنة قليلون بالنسبة لما لا يعملون بعملها، فاستحسنت هذا التقرير من مولانا السلطان خلد الله ملكه. وقد اردف ما سبق بمناظرة وقعت بينه وبين الشيخ الطيب بنكيران، قال :

ان عز من خير الأنام مزار ... فلنا بزورة نجله استبشار

فسردتها عليه، ولما وصلت الى قولي :"فطوال آمال العداء قصار" قال لي : ما الوجه في العدول عن المقصور الى الممدود، قلت له : لعلك تشير الى الخلاف بين النحاة في ذلك، قال : نعم. قلت : ان من يمنع المد يجوزه لضرورة الوزن. قال لي : هذا اذا لم توجد كلمة توازي تلك الكلمة، وأنت لك ان تقول : "فطوال آمال العداة قصار". فسلمت له تسليما جدليا وإن كان الحق خلاف ذلك. هـ

ياأيهـا الملـك الـذي آثـاره   تنبي عن أخبار له في الحال

يا أيها البحر الذي في الشرق ما   في الغرب من ذكر له بخصال

وافتك من خضراء تونس مدحة   تزري بشرب الصرف من جريال

خود تؤنس رائيا أو سامعا   بنقوش خط أو نقود مقال

جاءتك ترفل في لباس جليت   فيه وحليت عقـود لآل

وصدقت إبراهيم في أمداح ابـ   راهيم سبط الملك والإفضال

سبط النبوة والخلافة لم يزل   بهم ترى في عزة ودلال

أطربت اذ أطنبت حتى كان   إيجازا ولكن جل عن إخلال

أعجزت إذ أوجزت حتى كان إطـ   نابا ولكن صين عن إملال

وأتيت بالسحر الحلال مؤلفا   من مدح شبل الى أبي الأشبال

ملك بغـرب كـاد من شـوق به   شوق يجيء بنيل كل منال

ملـك حلـت أمداحـه للسـامعـين   ختامهـا كبراعـة استهـلال

يا بن الرسول الهاشمي بن العـوا   تـك من نسائم أشرف الأخوال

خذها بنيَّةً ساعة لا كره في   حمل ولا وضع لها وفصـال

بنت ابن خنساء. وعباس ابنها   من لام بحر الجود في اقـلال

لكنه من وجد اعقب قاطعا   للسانـه عنه بسيب نوال

ما إن رأت كفؤا يكمل حسنها   وبه تجر الذيل في الكمال

إلا ك ياشمس المعالي والمعـا   ني والجمال مطرزا بجمـال

‹الاك يابدر الفضائل والفـوا   ضل والكمال معززا بكمـال

إلاك يابحر الحقائق والدقـا   ئـق والجلال مؤزرا بجلال›(35)

ياناثرا من فيه زهر خمائـل   مزري بنشر من فم ابن هلال(36)

يامن بذكره سار كل مشرق   ومغرب سيراً كسير شمـال

وبه القماري(37) فائح أو صائح   طيبا وصوتا مذهب البلبـال

لازال ذكـرك متلـوا بمنابـر   لازال حمدك مثل حمد التالي

وفي عام ثمانية وعشرين ومائتين والف بلغ السلطان ان اهل الريف يبيعون الماشية والانعام للكفار، حيث قطع عنهم الوسق من مراسيه،

(35) ما بين العلامتين ساقط من (م)

(36) لم نعثر على ترجمته

(37) القماري: عود الطيب المعبر عنه بالعود القماري.

وطلعت شمس الغرب من عجب عجا ... ب أن جليت مسكن الزلزال
والكل تحت لواك في ظل ظليـ ... ل آمناً ماخيف من أهوال
وكذا أبوك بيوم زحف طالع ... والكل تحت لوائـه بظلال
أنزلت بالمكي والمدني والشـا ... مـي دار الوحـي والانـزال
دار النبوة والرسالة والسـلـ ... ولكل قلب لم يكن بالسالي
دار لشرح الصدر من ضيق ووضـ ... ـع (...) الذكر من إهمـال (34)
دار السيادة والرياسـة أطلعت ... شمسا بهـا لم تتصف بـزوال
لبيوت ارتفعت لذكر الله والتـ ... سبيح بالغـدوات والآصـال
بمقام إبراهيم نلت مثابـة ... جلت وأمناً مذهـب الأوجـال
وكذاك في مغنى أبي ابراهيم رو ... ض المحاسن زهـرة الآمال
وكذا ببيت القدس دار الزهر من ... دار لإبراهيـم أصـل الآل
فطلعت إبراهيم ذا كسر وذا ... خفض جناحا طلعـة لهـلال
ورجعت إبراهيم ذا فتح وذا ... رفع كمالا فوق بدر كمال
سر من الأسرار في كسر وفي ... فتح جمال لائح بمجال
ما كان من بلغ المنازل سامعا ... أهلا وسهلا يانزيـل نزال
ولمن أحلكها آحلـك مثلمـا ... لك من سنا الأعمال والآمال
بشرى أمير المؤمنين بما اشتهى ... في شبله صالح الأعمـال
بشرى أمير المومنين بما انتهى ... لـه طيره الميمون في الترحـال
لازال مطلع نجم نجل صالح ... أنواره تمحـو ظـلام ضـلال
ابني علي مالكم إلا العلـ ... و بكل دهر سافـل أو عـال
أبني أبي حسن بني الحسن الذي ... قطب ابي الاقطاب والابدال
كأبيكم الحسن البهي أبي أبي ... الحسن الشريف المنجلي بخـلال
بخلال اشتهرت بيوم نازل ... تغني عن الآلاف من نزال
لأبيكم الأدنى علـي مثـل ما ... لأبيكـم الأعلـى علي وال
لهما بذى كفر وقائع كتبت ... بصفيحة الأعناق من أبطال
أنتم ملوك ظاهرا أو باطنا ... والباطن الملك النفيس العالي
ولكـم ملـوك سـادة بمناقـب ... جرت لأرض المعتلي بعوالي

34) بياض بالأصول، وجاء البيت في (ف) هكذا :
دار لشرح الصدر من ضيق ووضع الوزر والذكر من إهمال وهو مختل الوزن.

فبه لك الفخر الكبير وان يكن لك في العلا نسج على منوال[*]
كل الكمال له وأنت مقـــره والفــرع عين الأصل عند مآل
يا ابن المليك ابن المليك يا ابن المليـ ـك ابن المليك سلالة الأقيال
أنسيتم ذكرى العبابسة الألى زالـوا ومازالوا بعين جــلال
لكـم الفخــار بذاتـه وسواكم مستمسك من فخركـم بظــلال
ولي الفخار بأن نسجت مديحكم حللا تجد وكل شيء بـال
أملى معانيها على ودادكم فجرى به طبع كما السلسال
ولو أنني حاولت مدح سواكم عقل القريحة عنه أي عقـال
فكأنما طبعي شريف حيثما لا يهتدي لسـوى مديح الآل
أو قد درى أن المديح تعرض وسواكـم لا يرتضـى لسؤال
أبقاكم كهفا يلاذ بمجدكم نختاركـم لإنالــة الآمــال
وأدام للإسلام والدك الذي هو رحمة وسعت بغير جدال
وعليكم وعلى الذي يهواكـم أزكى الرضى من حـضرة المتعالي
مادام ذكركم بكل صحيفة تبعا لأحمد سيد الأرسال
صلى عليه مسلما رب الـورى وعلى مقدم حزبه والتالـي[**]

ونسج على منوالها شيخنا أبو الفيض سيدي حمدون بن الحاج الفاسي المرداسي رحمة الله عليه فقال :

بشراك إبراهيـــم بالإقبــال إقبال عز لم يكن فـي البال
أوتيت رشدا من لدنه ورحمة أوتيت سؤلا لم ينل بسؤال
بشراك بالحج الذي كنت المقد م صادقا فيه وكنت التـالي
بانت نتيجته فذلـك واجب صدق لها في سائر الأحوال
أذنت في الناس بحج فانبـرت من كل فج مقبل برحال

(*) هذا البيت ساقط من الأصل و (ب) و (م) وذكر (في تعطير النواحي) و "الديوان".

(**) ولما وصلت القصيدة اللامية للمولى سليمان في تهنئة ولده مولاي ابراهيم لما جاء من الحج أجابه السلطان بقصيدة شعرية ونثر فقال الشيخ ابراهيم فأرسل الى السلطان مولاي سليمان خلد الله بقاءه، وأدام لي أوج سعادة الدارين ارتقاءه جائزة سنية مع قصيدة أطلعتني والله يعلم انني لست بأهل مرتبة عالية، وكتابا أطراني فيه بأسحار بابلية أما القصيدة فمطلعها :

حيث فاجيت قلب صب صال كيما تبشره بقرب وصال
واستفتحت بعد التحية سورة الـ ـفتح المبين بقصد أخذ الفال
هيفاء ترفل في مطارف سندس من نسج تونس لا تباع بمال
مخضوبة الكفين والقدمين في بطول القنا ملبوزة بدلال

الى آخر القصيدة، وتشتمل على 25 بيتا، وبعدها النثر المذكور انظر «تعطير النواحي» ج 1 ص 80.

فتوجهوا للريف يشترون منهم ما شاؤا، وكان الوالي عليهم السيد محمد السلاوي البخاري، وكان يعلم ذلك منهم فأعرض عنهم ولم يلتفت إليهم، وإذا قبض أعيان أهل الريف من يفعل ذلك منهم ووجهوه له سرحه بالطمع والرشوة فاختل الامر وأعضل داؤه، فلما تحقق السلطان ذلك امر رؤساء مراكبه البحرية ان يتوجهوا لمراسي الريف، وكل من وجدوه بتلك النواحي من مراكب الكفار ياخذونه، فتوجهوا لذلك وقبضوا واسروا فلم يقنعه ذلك فأمر بالحركة للريف وجهز العساكر مع السلاوي المذكور في خدمة ولده مولاي ابراهيم بعساكر الثغور واهل الغرب وغيرهم، وتوجهوا على طريق الجبل، وخرج السلطان من فاس مع السواد الاعظم على تازا وهي الطريق المعروفة النافدة على قارت فلم يرع أهل الريف الا غرر الخيل قد أطلت عليهم من كل ناحية واحاطت بهم الجنود من جميع الجهات فنهبوا أموالهم وأحرقوا مداشرهم وخربوا ديارهم واستخرجوا أمراسهم ودفائنهم، وولى عليهم السلطان احمد بن عبد الصادق الريفي [حفيد الباشا احمد بن علي المتقدم ذكره](38) وتركه ببلادهم في جملة من العساكر يستخلص منهم المال الموظف عليهم، ورجعت المحلة مع السلطان لدار الملك ولا زال في ترقيع ما يخرقه العمال، وهكذا وقع له مع قبائل تامسنا والشاوية لما ولي عليهم گران(39) وبالغ في الجور والطغيان، فحاصوا كما تحيص الحمر الوحشية، وخرجوا عليه فلبس الظالم على السلطان فخرج اليهم نصره الله في العساكر عام ثلاثين ومائتين وألف وأمر جيرانهم من القبائل بالزحف اليهم والربط عليهم، وهجم عليهم هو بالعساكر وأوقع عليهم وقعة شنيعة أتلفت أموالهم ونسفت حللهم، ومن فر منهم غرق في أم الربيع، وكانت في وقت حملها، وتوجه السلطان لمراكش وترك مع العامل جملة من العسكر، ومر على دكالة فأصلح من أمرهم ما يحتاج للاصلاح، ثم عزل وصيفه الحاج محمد بن عبد الصادق لما كثرت به الشكوى وكان واليا على الصويرة وعلى الشياظمة ودكالة وعبدة، وأطغاه طول مداه في الولاية، ونقله الى مراكش ثم لفاس وعاد الى الغرب.

وفي عام واحد وثلاثين ومائتين وألف وجه السلطان ولده مولاي

---

(38) ما بين المعلامتين إضافة من (م).

(39) كذا بالأصل وفي (م) : (اكروان) وأما (ف) ففيها : (أكروان)

ابراهيم في العساكر لقطع فساد قبائل الصحراء من عرب الصباح وبرابر آيت عطة فنزل على قصورها ‹ونصب عليهم آلات الحرب، فخرب ما خرب وبدد شملهم، ثم نازل آيت عطة في قصورهم وحاصرهم›(40) إلى أن طلبوا الأمان فأمنهم، وطلبوا منه أن تبعد المحلة عنهم حتى يخرجوا خوفا من معرة العساكر، وكان ذلك من مكايدهم المعروفة، فأبعد عنهم فأدخلوا ما كانوا يحتاجون اليه في الحصار من الرجال والسلاح والأقوات، فتمادوا على غيهم، فلما غدروا قتل من كان معه من رهائنهم قتل بعضهم بسجلماسة وقاد نحو المائة منهم لفاس فقتلهم بباب المحروق. وما بلغ خبر كيدهم له حتى بعد عنهم وتفس الخناق عليهم وذلك بعد الاشراف على الظفر بهم لم يستحسن السلطان ذلك وعد ذلك من نقصان عقله، ومن الخفة والطيش، وكذلك أنكر عليه قتل من جلبه من الأسارى ولما قدموا على السلطان مظهرين للتوبة على أن يبقيهم في مداشر المسلمين التي غصبوها، ردهم بالخيبة وطردهم من أبوابه، ولما انفصل رمضان من العام المذكور شرع في تجديد الحركة لهم وتجهيز العساكر لاخماد نارهم وكف عاديتهم، وقدم أمامه السواد الأعظم من جيش العبيد مع الوزير الأعظم صاحب الطابع والعلامة القائد أحمد ووجه معهم المدافع والمهاريز وآلات الحرب والطبجية وآلات الهدم، فخرجوا من فاس، وبعد انفصالهم بلغه الخبر من ثغور السواحل أن عمارة العدو الكافر تروج في البحر، وتجتمع بجبل طارق، فتأنى عن الخروج حتى يتبين مآل ذلك، فلما ظهر حالهم بالخبر اليقين أنها أرست بمرسى الجزائر وحاربوا أهلها ورجعوا خائبين بعد كثرة ما قتل وجرح منهم مما لا يوصف، وقد نالوا من الجزائر أيضا من تخريب بعض الأبراج والدور والمساجد شيئا كثيرا، ولكن لما رجعوا على ما ذكرنا من الذلة والنكس والخيبة والصغار هان الأمر والعاقبة للمتقين، فلما جاء البشير بانهزامهم وإقلاعهم عزم السلطان على متابعة العساكر الموجهة للصحراء وخرج في أول قعدة العام في قبائل الأعراب والبرابر ومن بقي من العسكر، فلما قطع واد ملوية لقيه البربر ببشارة الفتح والاستيلاء على القصور المغصوبة وفرار آيت عطة وإدبارهم بعد القتل والسبي والنهب والدخول عليهم عنوة وغلبة فجد السير الى أن نزل بغريس وكتب للعساكر وأمرهم

(40) ما بين العلامتين ساقط من (ف).

بملاقاته ببلاد فركلة ينزلون على قصور الخربات التي فيها آيت عطة فاجتمعوا مع السلطان هنالك ونصبوا آلات الحصار عليها بالمدافع والمهاريز ورمى عليها ثلاثة أيام، وكثر فيهم الهدم والقتل، وشاهدوا الموت وأيقنوا بالهلاك، فوجهوا النساء والصبيان طلبا للشفاعة على الخروج بمجرد رؤوسهم وأولادهم فأمنهم وخرجوا في الليل حاملين أولادهم، فلما أصبح نهب ما في القصور من الأقوات والأمتعة والبهائم وكان ذلك شيئا كثيرا، فتم فتح الله ونعمته على السلطان وحزبه المفلحين، والحمد لله رب العالمين، وفرق على القبائل والعساكر ما وسعهم من الخيرات والبركات، وأما الشرفاء والطلبة فإنه أفاض عليهم ما لم يكن في حسابهم ولا بلغته أمنيتهم، فإنه أعطى الشرفاء مائة ألف مثقال غير ما كان يعطيهم في كل عام، وقسم ذلك بخط يده لدار مولاي عبد الله كذا ولشريفات حمو بكو كذا، ولشرفاء تافيلالت كذا، ولشرفاء تزمي وأولاد الزهراء كذا، ولشرفاء الرتب كذا، ولشرفاء مدغرة كذا، ولشرفاء زيز والخنگ والقصابي كذا، وأعطى الطلبة والعمي والزمنى والمقعدين وزوايا تافلالت مائة ألف مثقال، قسم ذلك بخط يده للفقيه المدرس أربع قسمات وغيره قسمتان والقسمة كذا، والطالب الذي يحفظ القرآن برسمه حتى صفا لوحه قسمتان، ولغيره قسمة، والقسمة كذا، ولا فرق بين الأحرار والحراطين، ولكل واحد من الضعفاء والعمي والمقعدين كذا الأحرار والحراطين، وللزوايا كذا زاوية الشيخ سيدي الغاز كذا، وزاوية سيدي بوبكر بن عمر كذا، ولزاوية سيدي أحمد الحبيب كذا، ولزاوية سيدي علي(41) بن عبد الله كذا، وفي زيارته لضريح مولانا علي الشريف كذا، ولمقبرة أخنوس كذا، ووجه المال مع السيد المعطي مرينو للرصاني، وأمر الشرفاء أن يعينوا أربعين من ثقاتهم وأمنائهم حتى لا تقع زيادة فيما كتبه بيده ولا نقصان، وأمر القاضي أن يعين عشرة من الطلبة وعشرة من العوام الذين هم أكثر أمانة من الطلبة وأعطى الطلبة المدررين زيادة على ما تقدم، وكذلك الأئمة والمؤذنين، ولم ينس أحدا من مراتب أهل الخير، وكل ذلك بخط يده، وزمام ذلك كله ما زال عندي رحمه الله تعالى وأفاض عليه بحور الرضى والقبول ونفعنا ببركته آمين، ثم بعد زيارته توجه لمراكش على طريق الفايجة ليتفقد أحوال

---

(41) في (م) «احمد» بدل «علي»

العساكر التي وجهها من مراكش من قبائل الحوز لوادي درعة فبلغه أثناء طريقه أن آيت عطة الذين بدرعة لما سمعوا خبر العساكر القادمة عليهم خرجوا من القصور وتركوها وهربوا لجبل صاغرو، ولما بلغ السلطان مراكش وجه العساكر لسوس للجباية وتعاهد أحواله وأطرافه وقمع المفسدين، واشتغل هو باستصلاح قبائل الحوز عبدة ودكالة والشياظمة والسراغنة وزمران والدير فعزل من عزل، وولى من ولى، وقتل من قتل، وطهرهم من ولاة السوء، فاستقامت الأمور وقام الحق المبين في مركزه بحمد الله تعالى.

وفي عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف وجه السلطان ولديه مولاي علي ومولاي عمر لأداء الفريضة وزيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج الركب النبوي على الهيأة المعهودة من الاحتفال والفرح والسرور من حضرة فاس بالسلامة والعافية، وفي هذا العام عزل السلطان الوصيف ابن عبد الصادق عن فاس وولى كاتبه مولاي أحمد القسطالي معلم أولاده، وأمره بمجاملة أهل فاس ومعاملتهم بالإحسان الى الضعفاء والشد على الذعار والفجار.

وفي عام ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف عزله مولانا السلطان لما بلغه من مخالفة ما أمره به وولى على فاس خديمه الحاج محمد الصفار، وهو من بيت الرياسة القديمة بفاس، وفي هذا العام قدم ولدا السلطان من حجهما ونزلا بمرسى طنجة، وكان السلطان وجه لهما مركبا من مراكب الأنجليز تحملهما من الإسكندرية مع كل ما تعلق بهما من أصحابهما وخدامهما والتجار الموجهين معهما، ولما نزلا بطنجة ظهر الوباء مصحوبا مع من معهما، ثم شاع في المغرب وخصوصا تلك السواحل، ثم في جميع الحواضر والبوادي الى أخر أربعة وثلاثين ومائتين وألف، ثم توجه السلطان لحضرة مراكش، وفي رجب من العام المذكور أعمل السلطان الحركة العظمى من مراكش الى جبال فزاز من جبل درن لقبائل عصاة آيت أمالو برابر صنهاجة، واستنفر معه جميع قبائل الحوز أعراب وبرابر، ووجه لعسكر العبيد أن يلقوه بتادلا، وأمر ولده مولاي إبراهيم خليفته بفاس أن يقدم عليه في عسكر الوداية وشراقة وأولاد جامع وقبائل البربر وأعراب الغرب وبني حسن، وكان الناس في محنة شديدة من الوباء الذي طم وعم، وكان السلطان تركه خفيفا ولم يعلم أنه زاد وشاع وذاع، فلم يجد الناس بدا من الامتثال، وكان الواجب على الخليفة أن يعلمه بذلك ويتربص حتى يرجع

إليه الأمر، ولكن إذا أراد الله شيئا لا بد من كونه، فلما جمع الجموع وحشد الجنود المتكاثرة توجه الى ملاقاة السلطان، ولما بلغوا بلاد العدو أتاهم آيت أمالو بالنساء والولدان طلبا للمجاوزة والمسامحة، وأظهروا الطاعة والتوبة، وأنعموا أن يعطوا كل ما أمرهم به، وأن يفعلوا كل ما أراد منهم، فلم يساعفهم ومنعه من ذلك من كان معه من رؤساء الأعراب والبرابر، ولم يقبلوا الصلح، ولما انتشبت الحرب انخزل زمور، وكان ذلك أمرا دبر بليل، فإن الحاج محمد بن الغازي وكان إذ ذاك أعظم البربر كلمه ورياسة، ولم يقدر أحد منهم أن ينافسه ويقابله إلا ما كان من ابن حم وعزيز فإنه ينافسه، وكان من بطانة مولاي إبراهيم ومن خاصة ندمائه، وبه عاند ابن الغازي فأنف ابن الغازي من ذلك وضاق به {وكان يضمر ذلك زمانا، ويتربص به الدوائر، فلم يجد لذلك وقتا غير هذا المحل}(42) فبعث في الليلة التي يكون القتال في صبيحتها الي عرفاء آيت أمالو ووعدهم بالغدر للسلطان ومحلته، فلما ركبت المحلة للقتال وكانت خيل العدو مطلة من بعيد على رؤوس الربا والهضاب تنظر من زمور وشيعتهم ما يفعلون، فركب ابن الغازي ووقف كأنه يعبي الخيل للحرب، وأمر إخوانه أن يحملوا أثقالهم وأخبيتهم وينصرفوا لسبيلهم، فلما تحملوا وساروا ولم يبق منهم أحد صد وتبعهم بالخيل، فأخبر السلطان بأن زمور قد غدروا ونكصوا، فبعث من يرد ابن الغازي فلم يدركوه، فلما علمت المحلة بذلك سرى فيهم الفشل، فجعلت الأعداء تزحف إليهم شيئا فشيئا يتربصون بهم اقتراب الليل، وذلك في عشية النهار، فلما اصفرت الشمس رمت كل شعبة بأمثال الجراد من الخيل والرماة، وأحاطوا بالمحلة من كل جهة، وكانت المحلة لما رأوا البرابر فروا صار كل من قدر على الفرار وعرف الطريق فر وبقي مع السلطان من لم يعرف أين يتوجه من العبيد والوداية والحوزية، فتراكموا على سرادق السلطان حتى كادوا يقتلونه بالزحام، والعدو تغير سرية منه حتى تخرج في تلك الجموع المتراكمة وترجع ويسقط من المحلة كل من صادفه رصاصهم، ولا يقع إلا في الحي، والناس يطأون على من مات منهم ولا يبالون، وتأتي سرية أخرى تفعل مثل ذلك فيهرب الناس الى قبة السلطان، وأصحابه يكفون عنه حتى عجزوا عن الدفاع، وجاء ظلام الليل

(42) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن (م) فأضفناه رواية عن (ف).

وتفرق الناس في الظلام، وفاض سيل العدو على انتهاب المحلة، ولو كان البربر يقتلون بعد الهزيمة ما أفلت أحد، ولكن ليس ذلك من عادتهم.

وحدثنا السلطان رحمه الله أنه ما وجد الراحة حتى أظلم الليل وتفرق الناس عنه، واشتغل كل أحد بنفسه وتخليص مهجته، فبقي وحده منفردا، فجاءه من جرده من الثياب في ذلك الظلام ولم يبق عليه إلا قميص واحد، ثم جاءه آخر يريد أخذ القميص فطلبه أن يبقي عليه قميصه فأبى وجعل يتهدده إن لم يخلعه، فلما رأى الجد منه قال له : أنا فلان السلطان، فاستحلفه أهو هو حقيقة فحلف له فنزل عن فرسه وأركبه وأعطاه سلهاما باليا فلبسه مع القميص الذي بقي عنده، وتوجه به لخيمته، فلما وصل لحلته فرح أهله وجميع أهل حلته، فجعلوا يضربون البنادر ويزغرتون، وتراكمت عليه نساؤهم يتبركون به ويتفرجون منه، وكادوا أيضا يقتلونه بالازدحام، وكان ذلك الولد الذي أسره فقيرا ليس عنده في خيمته الا الحصير، فشكا له السلطان صلابة الأرض فذهب يلتمس له فراشا فأتاه مع جماعة يحملون قطيفة بالية مملوءة بالبراغيث، فكانت تلك القطيفة أقبح عنده من صلابة الأرض، فأمرهم بإخراجها عنه وقال له : اطلب لي شاشية إن كان بعضهم نهب شاشية، فذهب ذلك الولد يطلبها فأبطأ فلم يجيء حتى انتفخ وجه السلطان وخياشيمه، فجاءه بشاشية بالية صغيرة عن رأسه فشقها من وراء فجعلها على رأسه، فزادت في مضرته، فلما أصبح اتوه بعمامة نقية فلواها على رأسه، فلم تغن عنه شيئا ولم تقم مقام القلنسوة، فسألهم عن ولده مولاي إبراهيم فلم يكن عندهم خبر به وقال لهم : هل هنا أحد من أهل المحلة ؟ فقالوا له " هنا رجل غليظ عربي في خيمة فلان الفلاني، فقال لهم : ائتوني به، فإذا هو ابن الجلالي ولد محمد الصغير الصراغني عامل الصراغنة، فوجده كذلك ليس عليه إلا قميص وسلهام بال متسخ مثل سلهام السلطان، قال رحمه الله : وأتيت بذلك السلهام ووضعته في ذخائري كلما طغت علي نفسي ذهبت بها حتى تراه، وأذكرها سطوة الله تعالى فتخمد تحت جلال قهره وكبريائه، فبقي عندهم يومين أو ثلاثة، وكل يوم يلعبون وهو كل يوم يدعوهم للذهاب به لمكناس فيعدونه ولا يفعلون حتى توهم أنهم لا يريدون إطلاقه وابن الجلالي ما زال معه، ثم أصبحوا يوما راكبين وأركبوهما وذهبوا حتى قربوا من أكراي نزل هناك ووجه لمكناس أن يأتوه بما يلبس هو وابن الجلالي، وما قدم شيئا قبل القلنسوة فجاءوا بذلك،

ودخل لمكناس وأحسن لذلك الولد غاية ولجميع حلته والذين قدموا معه، ولم يذكر لنا ما أعطاه ولا ما أعطى لقومه، والحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته.

وأما مولاي إبراهيم فإنه أصابته جراحات وأعظمها في رأسه، والناس يتحدثون أن الوداية هم الذين فعلوا به ذلك في الظلام لما اختلطت الناس، وكان قد أضر بهم غاية لأنه قيد عليهم صهره الحاج أحمد بن قدور فمكر بهم، والله أعلم، فحمل جريحا الى فاس فمات بها، وكانت مصيبته على السلطان أعظم مما أصابه في نفسه، والأمر لله سبحانه. قال بعض الناس : وما أظن سبب شؤم هذه الوقعة على السلطان ومحلته إلا لعدم قبول الصلح ورد الشفاعة حين طلب ذلك العدو في أول الأمر، وذلك معلوم في الغالب أن من طلب منه الصلح فمنعه لا تكون الكرة إلا عليه، وقد كان السلطان الحازم سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله وأرضاه لا يرد الاستشفاع في مثل هذا المقام، وربما أمر بعض الناس أن يصنع ذلك صورة وإن لم يكن العدو طلبه، فيقلع عن عز ويستدرك الأمر قبل تفاقمه، وهذا من أحسن السياسة ولطائف التدبير.

وفي عام خمسة وثلاثين ومائتين وألف بعد رجوع السلطان لدار ملكه بمكناس نصب السلطان حبالة الاحتيال للبرابر الذين حول مكناس وأضروا بها بقطع الطرقات ونهب المسارح والمزارع، فأمر من يعدهم بالطمع الكثير من السلطان والإحسان التام، فكان كل من وفد عليه منهم كساه فاخرالحلل وأعطاه فتسامعوا بذلك فقادهم الطمع حتى ورد منهم في مرة واحدة نحو سبعمائة من الخيل، فقبضوا وجردوا من الخيل والسلاح، وأمر السلطان بقبض كل من وجد بمكناس من المتسوقين منهم، وكذلك أمر بصفرو أن يقبض به آيت يوسى فقبض نحو المائة منهم، وكان هذا سبب اشتداد الأمر واشتعال النيران في جميع أقطار الغرب، فاجتمع البربر كلهم وصاروا يدا واحدة، ووجهوا للدجال المريد والشيطان اللعين موقد ضرام الحروب، ومشير عجاج الفتن والكروب، بوبكر أمهاوش، وكان قد أمر أمره جدا لما وقعت الكسرة على المحلة، وكان يعدهم بذلك، فاجتمعوا على معاداة كل من يتكلم بالعربية، وتداعوا لحصار مكناس، وأمرهم ذلك الدجال وزين لهم سوء عملهم، فنزل حللهم ببسائط الأرض حول مكناس أمامها ووراءها وعن يمينها وشمالها، فعظم الأمر واشتد الخطب، فجعل السلطان يعالج ذلك بما

ظهر له، وبالغ في الإحسان وبذل المال وإعمال أنواع الاستصلاح، تارة بالسلم، وتارة بالحرب، فلم ينفع ذلك فيهم شيئا، لأنهم شمخت نفوسهم وعظم فسادهم لما وقع الاتفاق بينهم وزال الاختلاف. فاستمر الحال على هذا، وسرى فسادهم الى جميع القبائل والرعايا من الأعراب والبوادي، ثم سرى ذلك في الحواضر، فقام أهل فاس على عاملهم محمد الصفار فأرادوا عزله، فانتصر له أهل عدوته، فافترقت فاس، ووقع الحرب في داخلها، ونهب بعض الأسواق حتى صاروا يترامون بالرصاص من أعلى منار الرصيف، بل سرى ذلك الفساد الى العسكر السلطاني، فقتلوا الوزير الأعظم الرجل الصالح الدين الخير المتمسك بسيرة سيده في أعمال الخير القائد أحمد، وبقتله تهدم جانب عال من ملك السلطان، فلما وقع ما ذكرناه على جهة الاختصار جاء المرابط البركة السيد عبد الله بن حمزة العياشي يريد مباشرة الصلح بين البربر والسلطان على أن يسرح لهم إخوانهم ويرجعوا للطاعة كما كانوا، والله يعلم إنهم لكاذبون. فلما سرح لهم إخوانهم على يد المرابط المذكور نقضوا العهود، ورجعوا لمذهبهم المعهود، ولما أعياه أمرهم وعلم أنه لا يفيد فيهم شيء، تهيأ للخروج من مكناس على خطر عظيم، فأقام ولده مولاي الحسن خليفة بمكناس وخرج في جوف الليل وبات يسري ولم يتفطن البربر لخروجه حتى أصبح وتجاوز المهدومة، وقرب من وادي النجا، فتبعوا المحلة ينهبون كل من تخلف قليلا، ونهبوا كثيرا من روام السلطان، وكان المرابط المذكور مع المحلة، وكان يكف كثيرا منهم، ولكن كان يكف من ناحية، فتغير ناحية أخرى لكثرتهم، فأنجى الله أمير المؤمنين ودخل الحضرة فاسا وأمر بنهب جميع ديار البربر التي بفاس <فتعدى الناس الحد في ذلك>[43] فنهبوا كل من فيه رائحة البربرية ولو كانت قديمة منذ أزمان ودهور <وقد أحاطوا بدار الزياني يريدون أن ينهبوها فقام أهل حومته فدافعوا عنه حتى سكنت الفتنة>[44] وكان في ذلك فساد كبير.

وكان السلطان لما كان بمكناس وبلغه ما فعل أهل فاس من القيام على العامل الصفار ووقوع الحرب بينهم كما قدمنا على جهة الاختصار

---

(43) ما بين العلامتين ساقط من (م)

(44) ما بين العلامتين ساقط من (م)

كتب لأهل فاس كتابا يعظهم فيه ويعاتبهم ويقرعهم ويشنع عليهم سوء أفعالهم ويذكرهم ويهديهم الى الصراط المستقيم ويأمرهم باتباع السلف الصالح، وأمر ولده مولاي علي بقراءته عليهم، فجمعهم وقرأه عليهم، وهيهات هيهات، قد انتبه أهل الذعارة من كل رقدة ولما انحلت العقدة، وقد شرح صاحبنا وشيخنا العلامة الذي هو شعلة الذكاء أبو عبد الله السيد محمد بن أبي بكر بن عبد الكريم اليازغي(45) ذلك الكتاب المذكور شرحا عجيبا أفاض فيه علوم التحقيق وتحقيق العلوم، ونص ذلك الكتاب :

باسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

إلى أهل فاس، السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فإن العثمانية باصطنبول، وأمره ممثل بتلمسان والهند واليمن، وما رأوه قط، ولكن أمر الله يمتثلون (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزى السيئة بالسيئة، ولكن كان يعفو ويصفح، واعلموا أن العمال ثلاثة : عامل أكل السحت ووكله الغوغاء والسفلة، وعامل لم ياكل ولم يوكل غيره، وانتصف من الظالم، وعامل أكل وحده ولم يوكل غيره، فالأول تحبه العامة والسفلة، ويبغضه الله والملائكة والسلطان والصالحون، والثاني يحبه الله ويكفيه ما أهمه من أمر السلطان وغيره، والثالث كعمال اليوم يأكل وحده، ويمنع رفده، ولا ينتصر للمظلوم، فهذا يبغضه الله ورسوله والسلطان والناس أجمعوه، وهذا معنى حديث (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما بأيدي الناس يحبك الناس)وحديث العمال ثلاثة الى آخره، فلو كان للصفار مائدة خمر وطعام يأخذ من الأسواق ويتغذى ويتعشى عنده السفلة والفساق، ويدعو اليوم ابن كيران وغدا ابن شقرون، وبعده بنيس وابن جلون، ويفرق عليهم من الذعائر لأحبوه، وما قاموا عليه، وما دروا أن أولئك التجار بهم تعمر المدن لأنهم يجلبون إليها الأقوات والضروريات، ولو أردتم النصيحة لله ورسوله ولأمير المؤمنين لقدم علينا ثلاثة منكم أو ذكرتم ذلك لولدنا مولاي علي أصلحه الله فأخبرنا بذلك، وأقول للصفار إن الكلاب لا يتهارشون إلا على الطعام والجيف، وإذا رأوا كلبا لا شيء أمامه لا تعرج عليه، وإن رأته يأكل فإن هو تعامى وشاركهم فيما يأكل أكلوا معه وسكتوا، وإن هو قطب

---

(45) اليازغي : العمدة المحقق، المشارك المدقق 1238هـ 1822م ودفن بضريح ابي العباس السبتي بمراكش (الإعلام) ج 6 ص 177.

وكشر عن أنيابه تراموا عليه وغلبوه على ما بين يديه، وهذا الصفار لم يتق الله ولم يزهد الزهد الذي ينصره الله به، ولم يلاق الناس بوجه طلق ويطرف مما ياكل فسلطهم الله عليه.

ولما رأى يوسف بن تاشفين النعمة التي فيها ابن عباد المعتمد قال : أكل أصحابه وأعوانه مثله ؟ فقالوا : لا، فقال : إنهم يبغضونه ويسلمونه للمكاره لاستبداده دونهم، ولتغير المنكر، شروط، وما يعقلها الا العالمون، وكم مرة قلنا لكم : العلماء هم ينكرون ما ينكر، ويعلموننا بما كان، ولكن الجلوس بلا شغل والفراغ وعدم حمد الله حملكم على ما يحرم عليكم الكلام فيه :

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أي مفسده

وأما بيت مال الله والأحباس فالله حسيب من بدل، وقد كنتم تتكلمون على المكس والحرير والقشينية وغير ذلك فأراحكم الله من ذلك، وانظروا لمن تعرفونه من الملوك والعمال، وأما الفسق فعادة وديدن كل من قام في الفتنة، وكم مرة أردت قطعه فلم أجد إليه سبيلا لأن جل كبرائكم بالمصاري والعرصات، وإنما كنت أولي عليكم البراني لا تحسدونه وإن أكل وحده، والحاسد يريد زوال النعمة عن محسوده والتجار لأن التاجر لا يطمع في مال أحد ويكفيه الرفعة والجاه لنمو ماله وتجارته، وانظروا ما أجبتكم به وما كتبتم لنا به واعرضوه على فقهائكم فمن قال الحق منا ومن قال الباطل أخذتم بحظكم من الفتن.

انتهت الرسالة البليغة إلا أن مقاصدها الدقيقة، وأسرارها الرقيقة، المبنية على لطيف الشريعة والحقيقة، بعيدة عن أفهام العامة كما هو ظاهر، فلذلك لم يلتفتوا إليها ولم تغن فيهم شيئا.

وقد تقدم لنا ذكر أمهاوش، وربما سئل عن التعريف به وعن أوليته وحقيقة أمره فيقال : إن نسبه في بربر آيت شخمان من آيت يسرى من صنهاجة فازاز، وكان جده من أتباع الشيخ أحمد بناصر الدرعي رضي الله عنه، وكان الشيخ المذكور جرى في مجلسه يوما ذكر الدجال، فقال الشيخ : لا يخرج الدجال إلا بعد ظهور دجاجيل من جملتهم ممس وركاز معناه من جملتهم أولاد هذا الرجل، فكان الأمر كذلك، لما شب محمد وناصر والد بوبكر قرأ القرآن والنحو والفقه، وحصل على حظ من علوم الشريعة، ثم تنسك ولبس الخشن من الثياب، وأكل الخشن من الأقوات، وتقشف، وظهر

له بعض الكشف في بعض الأخبار يصدق مرة ويكذب عشرة، كما هو شأن الكهان، فشاع خبره في البربر، وتهافتوا عليه أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله رضي الله عنه، ولما بلغه خبره وقيل إن كروان هم خدامه وأنصاره، فنهبهم السلطان المذكور بسببه، وفر هو لرؤوس الجبال وأخفى حاله ولم يتظاهر بشيء حتى مات السلطان فعاد إلى حاله وكان الذي زاد في طغيانه هو مولاي اليزيد، وكان اتصل به قبل ولايته، وكان يكذب عليه وآواه مدة كونه فارا من والده، فلما قدم عليه بعد ولايته أعطاه عشرة الاف ريال دورو وأعطى للخيل الذين قدموا معه مائة ألف ريال، فثبت له العز في البربر بهذا العطاء وهذا الاعتناء، ولما مات محمد وناصر أمهاوش ترك عدة أولاد أكبرهم بوبكر ومحمد والحسن وغيره، إلا أن هؤلاء المذكورين تبعوا سيرة والدهم في التدجيل والكذب، وليس عندهم ما كان عند أبيهم من الدهاء والمكر الذي يؤيد به كذبه ويروج به بهتانه، وإنما بأيديهم التشيطن والإغواء والتنفير للعامة من أتباع الحق وطاعة السلطان بمجرد الكذب.

ولما وقع ما أراد الله من كسر المحلة وانتهاب جميع الخيول والسلاح والأمتعة والفرش والأواني والأبنية والكراع من الروام والدواب، وكانوا فيما أخبر به بعضهم أزيد من خمسين ألفا من العبيد والوداية والقبائل المحشودة لما وقع ذلك ظهر للبربر أن ذلك ببركة أمهاوش لأنه كان يعدهم ويمنيهم، فطار صيته في تلك الجبال والأمم البربرية، فتفرعن وتمرد كل التفرعن وغاية التمرد إلا أن كيده قاصر على بلاده وأهل لسانه لا يتعداه، ثم بعد ذلك بزمان انطفأ أمره ولم يزل في انتقاص وخمود شأن الباطل فإنه لا قرار له ولا ثبات.

وفي عام خمسة وثلاثين ومائتين وألف في رجب خرج السلطان لتعاهد قبائل الغرب وترميم ما أثرت فيه هذه الوقعة الهائلة، فبلغ الى قصر كتامة ومنه توجه لرباط الفتح، فقدم عليه قبائل الحوز كلهم من حاحة وسوس والشياظمة وعبدة وأحمر والرحامنة وزمران والسراغنة والشاوية وبني حسن وأهل الويدان وزعير وكان عزم على المقام بالرباط الى عيد الفطر، ثم بدا له أن يذهب لمراكش يقيم العيد فيه، وذلك بإشارة ابن الجلالي ولد محمد الصغير، فلما ذكر ذلك للعبيد تعللوا ثم صرحوا بالامتناع وأضمروا السوء إن عزم على ذلك، فتغفلهم وخرج كأنه بنية الاسترواح فقصد وسط المحلة

الحوزية في قبة ابن الجلالي وترك للعبيد مضاربه وأمتعته، وسافر مع أهل الحوز، فانتهب العبيد ما وجدوه وظهر لهم من قش السلطان ورجعوا لمكناس، ثم ندموا وجعلوا يتسللون شيئا فشيئا ويلحقون بالسلطان بمراكش، ولما رجع العبيد من الرباط عاد شباب الفتنة لعنفوانه، وماجت بحور الأهوال، فلما بلغ خبر ذلك إلى جيش الوداية كان أول ما فعلوا من الفساد هو نهب اليهود الذين بأيديهم وحول ديارهم، فوزعوا جميع أموالهم وأمتعتهم وما كان تحت أيديهم من بضائع تجارات المسلمين شركائهم من أهل فاس وغيرهم وما يصنعونه للناس من كتان وحرير وذهب وفضة، فضاع في ذلك من الأموال ما لا يدرك بحساب، ولم يقتصروا على الأموال بل هتكوا المحارم، فكل من له بنت حسناء أو زوجة أخذوها لفاحشة ومنعوه منها حتى يفديها منه بمال، ومن اتهموه بالمال قبضوه وضربوه حتى يقر بدفين أو وديعة، فلما فرغوا من اليهود خرجوا لأحواز المدينة ونهبوا جميع البهائم المعدة للحرث والأنعام السائمة، ومنعوا الداخل والخارج، فقام في المدينة هول عظيم وغلقت الأسواق، وتعطلت الصنائع والأسباب، واجتمعت أعيان البلد وعينوا من يقوم بأمرهم، فقدم اللمطيون واحدا منهم وهو الحاج أحمد الحارثي، وقدم أهل العدوة واحدا منهم وهو قدور المقرف، وقدم أهل الأندلس واحدا منهم وهو عبد الرحمان بن فارس، ثم ضبطوا بلادهم ونهبوا من هو ساكن معهم من الوداية وعزموا على محاربتهم وجهادهم، ثم إن الوداية وجهوا كبارهم وعقلاءهم لأهل فاس وتبرأوا من تلك الأفعال ونسبوها للغوغاء والسفهاء والتزموا رد ما ضاع لأهل فاس خارج المدينة، فسكن الحال بعض السكون، ثم إن أهل فاس قاموا إلى قاضيهم السيد العباس بن أحمد بن التاودي(46) وسبب هذا كله هو أنه وقع بين المفتي العلامة ابن إبراهيم(47) مع القاضي مخالفة في قضية الشفشاوني والعراقي، فعزل أمير المؤمنين المفتي المذكور، فتعصب للمفتي أقوام من الطلبة المدرسين وغيرهم وكتبوا كتابا على وفق أغراضهم، وفي ضمنه قصيدة نظمها بعضهم «وأظنه شيخنا أبا عبد الله سيدي محمد بن أبي بكر

---

(46) بن التاودي بن سودة القرشي، نشأ في عز وعفاف، لا يعرف لغير العلم طريقا، ولا يتخذ من غير أهله رفيقا، في (الشرب المحتضر) لجعفر الكتاني أنه توفي 1241 هـ 1825م وفي (سلوة الأنفاس) توفي 1272هـ 1855م أما (وفيات) عبد القادر سودة فتوفي سنة 1246هـ 1830م.

(47) الدكالي المستراني محتدا بنسبة الى مشتراءة قبيلة من قبائل عرب دكالة العالم العلامة، مفتي الديار المغربية، بلغ أقصى المرتبة بالفقه والنوازل، ت 1241هـ 1825م (الشرب المحتضر) لجعفر الكتاني ص 12.

بن الشيخ سيدي عبد الكريم اليازغي، فإنه كان بينه وبين القاضي المذكور شنآن عظيم وهي>(48) :

يا أيها الملك الذي عدالته ... أحيت مئاثرها الصديق أو عمرا
يا أيها الملك الذي مناقبه ... في غرة الدهر قد لاحت لنا قمرا
أنت الذي وضع الأشياء موضعها ... وفي العلوم الذي أحيا الذي اندثرا
أنت الذي صير الدين القويم كما ... أوصى به من سما الأملاك والبشرا
تذب عنه بأسياف وأونة ... بهمة تحكم الأحكام والسورا
ومن يرم هدمه تأخذه صاعقة ... من راحتيك فلا تبقى له أثرا
وقد شكا الدين من هضم ومن كمد ... أصابه فهو يبكي الدمع منهمرا
سطت عليه يد القاضي الذي غمرت ... أقضية الجور منه البدور والحضرا
أعفى مراسمه جورا وأبدله ... جهلا بما يذهب الألباب والفكرا
جاء الولاية وهو من شبيبته ... يرى القضا حرفة يجني بها وطرا
فلم يكن همه فيها سوى قنص ... أو رفعة تترك المسكين منكسرا
أما حقوق الورى فإنها عدم ... مجهولة جعلت منبوذة بعرا
فاستنقذن ملة المختار جدك من ... هذا الذي ما درى وردا ولا صدرا
يأتي الحكومة عباسا ومنقبضا ... مما به من سقام يجلب الكدرا
ويستبد بآراء وحيث بدت ... فتوى تبصره ألقى بها حجرا
ولا يمكن خصما قد دعاه إلى ... تسجيله ما أرى في الحكم معتبرا
ملت قلوب الورى منه وليس لهم ... إلاك يا من به الإسلام قد نصرا
فاصرفه عنهم كصرفه ضعيفهم ... وأعزله عزلا فإن الله قد أمرا
فأنت غيثهم إن أزمة أزمت ... وأنت كهفهم إن حادث ظهرا

فلما بلغ ذلك إلى السلطان علم أن ذلك أصله التعاصر والمنافسة التي لابد منها بين الأقران، جبل عليها البشر، ولا سيما عالم على مثله فلم يلق لها بالا ولم يلتفت إليها. فلما ركعت الأيام بالأعالي وارتفعت الأسافل لم يكن أهون عليهم من القاضي فافتتحوا به سوء أعمالهم، وبلغوا فيه غاية أمالهم، فهجموا عليه في مجلس الأحكام، وأخرج فيه سيدي الطاهر الكتاني(49) عمارة كابوس ولم يصبه، فنزعوه وقدموا غيره،

---

(48) ما بين العلامتين ساقط من (ف).

(49) لم نعثر على ترجمته.

وهو ابن عبد الرحمان الدلائي(50) ثم عزلوه وقدموا السيد العربي الزرهوني(51) وهذا كله كان في العام المذكور، وفيه أيضا في شوال ورد كتاب من حضرة السلطان أوقد نارا أخرى أعظم من الأولى وأدهى وأمر مضمنه عبارة موجهة غير صريحة في المعنى الذي فهم منها، ولا في المعنى المقصور منها، إلا أن أهل فاس أعني رؤساء فتنتهم، جعلوا ذلك الكتاب أساسا لبناء فسادهم الذي كانوا منطوين عليه منذ أزمان ولم يجدوا إليه سبيلا حتى جاء إبانه بورود هذا الكتاب، وأمر السلطان ولده مولاي علي أن يقرأ الكتان على أعيان أهل فاس بحضور الفقيه العلامة المفتي السيد محمد بن ابراهيم والفقيه الشريف سيدي محمد بن الطاهر الفيلالي(52) والتاجر الأمين الحاج الطالب بن جلول، فجمعهم مولاي علي في المسجد الذي بباب داره وقرأ عليهم الكتاب، وكان المسجد غاصا بالخاصة والعامة فجعل كل واحد يطلب أن يرى الكتاب بعينه زيادة على سماعه، فتزاحموا على مولاي علي على طلب ذلك، فقام ودخل لداره، فقال الناس : السلطان خلع نفسه عن الملك، وقال للناس : قدموا على أنفسكم من يصلح بكم، ومولاي علي كتم الكتاب، فجعلوا يصيحون في باب مولاي علي ويدقون الباب أعطنا كتاب السلطان، فخرج إليهم وقال لهم : قد قرئ الكتاب وسمعه الخاص والعام، فاذهبوا لسبيلكم، وكان لما دخل أحرق الكتاب، فوجه إليه أهل فاس الحاج الطالب بن جلول وسيدي محمد بن الطاهر يقولون له : إن هؤلاء لا يتركونك حتى تدفع لهم الكتاب، فحلف لهم أنه أحرقه، فزادت التهمة بذلك الإحراق، وقويت الشبهة واتسع مجال الأقوال، وهذا الذي فعله مولاي علي من إحراق الكتاب هو سبب الفتنة في الحقيقة، وإلا فإن ذلك الكتاب لا حجة لهم فيه على مرادهم لو بقي بعينه، لأنه ليس بصريح، ولكنه يحتمل كذا ويحتمل كذا كما هو الكلام الموجه، ومراد السلطان به هو أن ينبه أهل فاس ويهيجهم ليزدادوا في محبته والرغبة في طاعته، وقد فعل مثل ذلك في مراكش، فإنه جمع أعيانهم وأعيان الرحامنة لما صلى الجمعة ذات يوم وقال لهم : قد رأيتم ما وقع وما

---

(50) الدلائي، لم نثبت على ترجمته.

(51) لم نقف على ترجمته.

(52) الفلالي التجار بكسر النون، المراكشي الدار، الفقيه النبيه، الأتقى، النزيه مفتي الحضرة المراكشية في وقته. لم نقف على وفاته. (الاعلام) ج 6 ص162.

جرت به الأقدار من فساد قلوب الرعية، وما ظهر من القبائل من التمادي على الغي والفساد والظلم والطغيان وقطع الطرقات على الضعفاء والمساكين، فصار القوي يأكل الضعيف ولا يخاف عقوبة الله تعالى، ومن يوم رجعنا من وقعة زيان، ونحن نراود المسلمين بكل وجه ليرجعوا للحق والطريق المستقيم، وهم لا يزيدون إلا فسادا، وقد وقع أكثر من ذلك للملوك المتقدمين فلم يضرهم شئ، ولا أثر ذلك في رعيتهم، بل تمسكوا بحبل الطاعة وقاموا مع أمرائهم بالجد والنصيحة وأعانوهم على أهل الفساد حتى أصلحوهم، وأنا قد عييت بشهادة الله لأنني لم أجد معينا على الحق، وكم مرة تحدثني نفسي أن أترك هذا الأمر وأتجرد لعبادة الله ربي حتى أموت، فقال كبراء الرحامنة ومن حضر : يا سيدنا ومولانا بارك الله في عمرك وزاد في أيامك وجعلنا فداءك نحن قدامك ووراءك، فأمرنا بما تشاء فأمرك مطاع وقولك مقبول، نقاتل الإنس والجن على من خالفك وخرج عن طاعتك كائنا من كان، فليطب سيدنا نفسا فنحن عبيد وأنت مولانا ما رأينا الخير إلا منك، ففرح السلطان بمقالهم هذا، وكان الذي تولى الكلام هو القائد الجلالي الحويوي وكان رجلا صالحا، فلما فعل السلطان هذا بمراكش ظن أن أهل فاس أولى وأحرى أن يقولوا ذلك أو أكثر لأنه فعل معهم من الخير والاحسان ما يشهد به أهل الأرض قاطبة، ولكنه غلط لأنه كان يظن أن أهل فاس هم التجار وأهل الثروة والأموال، وليس كذلك، وإنما أهل فاس قوم لا خلاق لهم ولا ظهور الا في حالة الفتنة يقال لهم الرماة، وكان السلطان لا يبالي بهم لأنه يعلم ظلمهم وفسادهم ولا يميل الا لأهل المروءة والدين، وهؤلاء الرماة لا مروءة لهم فهو يبغضهم غاية، وكانوا مصرين على بغضه كذلك، فهؤلاء هم أهل فاس الذين قيل فيهم ما نصه :

فاما ارضها فاجل ارض   واما ناسها فاقل ناس

قال في البستان : وهذا دأب أهل فاس في القيام على الملوك وتجاوز الحد في العصيان إذا قاموا ووجدوا ضعفا في المملكة حتى الأدارسة الذين هم موالي نعمتهم ومؤسسو بلدتهم، قال مقيده : صدق <فلذلك هدم عبد المومن بن علي أسوارها وقال والله لأدعنها كبيت زانية، يوتى من كل ناحية>(53) ثم إن أهل فاس وهم الحاج محمد بن عبد الرزاق والسيد محمد

(53) ما بين العلامتين ساقط من (م).

بن سليمان وعلال العافية وقدور عامر وكل هؤلاء من العدوة الأندلسية وغيرهم من اللمطيين والقرويين لما ذكر ولد السلطان أنه أحرق الكتاب جمعوا الطلبة الذين سمعوه عند قراءته وقالوا لهم : قد سمعتموه وعلمتم ما فيه، فليكتب كل واحد منكم ما سمع، فكتب كل واحد ما ظهر له أنه سمعه، ومن امتنع من الكتابة وتحرى الصدق هددوه، فاجتمعوا تلك الليلة في محل واحد ودعوا مساعر الحرب والفتن وخلصوا من تلك الكتب ما هو مرادهم، وهو كون السلطان عجز وعزل نفسه وأمر الناس أن ينظروا لأنفسهم من يصلح بهم، هذا حقيقة ما وقع من غير شك ولا ريب.

وأما ما نسب الزياني للعلامة المفتي سيدي محمد بن إبراهيم من أنه زاد في الكتاب بالبشر والكشط فهو كذب محض، وما دخل الكتاب بيده إلا في حالة قراءته، ثم أخذه الشريف وقام ودخل داره على الصورة التي شرحنا، ثم في صبيحة تلك الليلة اتفق أهل فاس على بيعة مولاي إبراهيم بن اليزيد، وكان مولاي إبراهيم هذا نشأت له هيبة عظيمة في قلوب الناس، ولكن ما تحتها طائل ولا فائدة، وإنما سببها أنه ما جالسه قط أحداً، ولا خالطه ولا واكله أحد ولا عرف أحد ما هو عليه في داره، ولا يكلم أحد ولا يكلمه أحد غير من لابد له منه ممن يقوم بفرسه وضرورياته، ولا يراه أحد في مسجد ولا غيره إلا يوم الجمعة يركب على فرسه ويذهب لأقرب الجوامع الى داره، وهو المدرسة العنانية لأن داره بدرب ابن زيان، هذا سبب هيبته، فلما أجمعوا على بيعته ونظروا في ذلك نظرا آخر فظهر لهم أن السلطان لابد له من أمرين لا يقوم ملكه إلا بهما معا، المال والجيش، فأعادوا النظر في الليلة المقبلة فتفاوضوا في ذلك، وكان معهم الحاج الطالب وابن حمو وعزيز، فقال لهم وعزيز : أما الجيش فلا تحتاجون اليه، عندنا من الرجال والخيل ما لا يغلب، وقال لهم : الحاج الطالب المال موجود هنا، ما ينهض بالسلطان وما يقوم به بدء أمره حتى يتيسر الأمر وتأتي الفتوحات، وقال لهم : إن السلطان مولاي سليمان له مال مودع عند أقوام من التجار أدلكم عليهم، وهذه خيانة من الحاج الطالب كان السلطان يعتمدها عليه، وذلك أن السلطان لما أراد التوجه في غيبته الأخيرة الى الرباط كما ذكرنا قبل هذا دعا الحاج الطالب مفردا ولم يعلم به أحد ودفع له مالا يزيد على مائتين وخمسين قنطارا كلها ذهب، وكان يخرجها تحته تقاضيا كلما خرج من عند السلطان أخرج جملة، وكان يدخل كل يوم ثلاث

مرات وأربع مرات كأنه يقضي أغراض السلطان للحركة، فلما جمع المال كله في داره وحرزه قال له السلطان : اترك عندك أنت مائة قنطار وادفع لفلان كذا، وخذ خط يده بذلك وائتني بخطه، وادفع لفلان كذا واقبض لي خطه ولفلان كذا حتى فرق مائة وخمسين قنطارا، فدلهم الحاج الطالب على أولئك التجار الذين عندهم ذلك المال، ولم يذكر ما عنده، فباتوا وقد اتسع لهم المجال وأصبحوا على البيعة في الرابع والعشرين من المحرم عام ستة وثلاثين ومائتين وألف، فبايعوا مولاي إبراهيم وشرطوا عليه أن يخرج الوداية من فاس الجديد، وشرطوا عليه أمورا أخرى وهو كلما يطلبون منه أو يشترطون عليه يهز لهم رأسه أي نعم، وما سمعوا منه من يوم بايعوه الى أن مات كلمة صحيحة، فلما بايعوه كتبوا للعبيد فلم يساعدوهم إلا أن منهم من يكره السلطان يعدهم سرا، وكذلك في الوداية، وكان مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطائفة حاضرا في هذه البيعة مع أهل فاس، وكان ابن الغازي الزموري من خاصة أتباعه وهو رئيس البربر في ذلك الوقت، وعليه وعلى ابن حمو وعزيز بنيت هذه الأمور كلها، فوجه أهل فاس مولاي العربي للوداية يأتي ببيعتهم، وكان له أتباع فيهم، فلما ذهب إليهم قبضوه وأدخلوه للسجن وكتبوا للسلطان بذلك فأقرهم على ذلك، ثم لما لم يحصلوا من العبيد والوداية على طائل ونفدت الدراهم التي أخذوها من التجار أكلها البرابر الذين معهم من غير فائدة، فقال لهم رؤساء البرابر نخرج الى المراسي ونأخذ الأموال التي فيها ونستعين بها ونقيم أمور السلطان ونقاتل من خالفنا من قبائل أعراب الغرب، فخرجوا بمولاي إبراهيم كأنه صنم لا يتكلم ولا يزيد ولا ينقص، وابن سليمان هو المتكلم والمقدم والمؤخر، وأما ابن عبد الرازق وجماعته الذين بدأوا هذه الفتنة فإنهم قتلوا في وقعة ظهر المهراز في حرب الوداية في عشية واحدة وحزت رءوسهم ووجهت للسلطان بمراكش، فلما خرجوا من فاس ذهبوا لبلاد آيت يمور ونزلوا بالولجة الطويلة يراودون أهل الغرب ودخيسة وأولاد نصير وبني حسن، فلم يحصلوا منهم على طائل، وعزم القائد محمد بن يش على أن يبيتهم ويشتت جمعهم، فأعلمهم محمد بن قاسم اللوشي بذلك وكان فاسدا من شيعتهم، وأمرهم بقطع الوادي الى ناحية في بلاد سفيان، وتركوا ابن يش وراءهم وذهبوا في خفارة اللوشي، وجازوا على القصر وكتبوا لأهل العرائش فأجابوهم بالمنع

والرد، وكذلك أهل طنجة إلا أن قاضيها السيد أحمد الفلوس(54) أجابهم بالقبول سرا واستدعاهم وهون عليهم دخولها إذا قدموا اليها، فلما تحقق عاملها العربي السعيدي وأعيانها ما فعل القاضي أخرجوه وطردوه وولوا موضعه الفقيه السيد خالد(55) فلم يقبلهم إلا أهل تطوان فذهبوا إليها وأخذوا ما في خزائن السلطان من مال المرسى ومن السلاح والملف والكتان، وفرقوا ذلك على البرابر، وعكفوا هنالك على الخمور والفساد، واستغووا قبائل الأخماس وغمارة الحوز بالطمع.

وأما السلطان فإنه لما بلغه الخبر بما فعله أهل فاس خرج من مراكش وكان قد تلاحق به العبيد أهل الحناطي كلهم وكل من كان معروفا مشهورا، وخاف على نفسه حتى اجتمعوا بمراكش كأنهم ماهرب منهم أحد، وكان خروجهم من مراكش في رجب من العام المذكور، فبادر ليعارض أهل فاس دون المراسي، فوجدهم قد سبقوا ووصلوا لتطوان على الحالة التي شرحنا، فلما بلغ الى القصر كتب لطائفة من عبيد مكناس بالقدوم عليه، ولطائفة من الوداية كذلك، وكتب لولده مولاي الطيب بفاس الجديد أن يوجهني إليه، وكنت أنا إذ ذاك بفاس البالي، فكتب إلى مولاي الطيب ووجه لي خط السلطان بيده، ووجه ذلك مع من يصعد على السور ليلا فأصبح عندنا ودفع لي الكتاب، فأقمت أدبر كيف يكون خروجي ووصولي إليه مع الحصار وفساد الطرقات، وليس عندي مركوب، ثم إن بعض من رأى عندي كتاب السلطان من الإخوان أخبر بذلك فشاع حتى بلغ قائد العدوة قدور المقرف فقبضني وطلب مني الكتاب فأنكرت ذلك وكان أمرهم قد تراخى قليلا لما سمعوا بخروج السلطان من مراكش، وكان لنا جملة من الإخوان ممن لهم العزوة العصبية، فاجتمعوا وذهبوا للمقرف في تلك الليلة فقالوا له : سرح فلانا فقال لهم إلى الصباح، فقالوا : إن لم تسرحه الآن سرحناه بغير أمرك، فلما أبصر الجد منهم سرحني، وكان من جملة اخواننا المذكورين الفقيه سيدي الطيب بن عمرو الداودي المتيوى(56) فقال لي : هذا ولد عمي السيد عبد الله بن عبد الملك خارج غداً للقبيلة فاخرج معه، فإن عنده ما تركب عليه ويكون طريقك على الجبل من قبيلة إلى قبيلة في ظلال

(54) لم نعثر على ترجمته

(55) مجهول الترجمة

(56) المتيوى : لم نقف على ترجمته

الأمن والأمان، وأكتب لك لزوج أختي الفقيه العلامة الشيخ البركة سيدي علي بن التهامي الحمومي[57] بقبيلة بني زروال، يوجه معك من يوصلك إلى السلطان أين ما كان، فخرجنا بكرة الغد على بلاد الحياينة، فلما بلغنا الشيخ البركة سيدي علي بن التهامي فرح وبنا غاية الفرح وأكرمنا غاية الإكرام، وكان عزم على التوجه معنا لملاقاة السلطان، ثم عرض ما منعه من ذلك فأقمنا عنده ثلاثة أيام، ووجه معنا أخاه السيد عبد القادر وكتب لخدامه أولاد جامع أن يوجهوا معي عشرة من الخيل، وقال لأخيه يعطيني البغلة التي عنده أركب عليها لأنها حسنة السير ويرجع هو على التي ركبت عليها وكلتاهما للشيخ المذكور، فلما بلغنا أولاد جامع ركب معي الخيل وذهبنا حتى وافينا السلطان برصانة على مرحلة من القصر، وكان أراد التوجه ليربط على تطوان، فلما جلست بين يديه وهو يسألني عن الأمور المتقدمة شيئا فشيئا، وكنت أنا بفاس حاضرا لجميع ذلك من أوله الى آخره، فشرحت ذلك كله على حقيقته، فوجدته كان يعتقد أن أهل فاس وأهل العصبية فيهم هم أصحاب الأموال والأصول والتجار، مع أنه ليس كذلك، وإنما أهل فاس وأهل العصبية منهم قوم يقال لهم الرماة لا يظهرون الا في وقت السيبة والفتنة، وأما في وقت الأحكام فانهم خامدون لا بال لهم، فإذا كان وقت ظهورهم كان أهل الأموال والأصول تحت ذمتهمالإكرام، وكان عزم على التوجه معنا لملاقاة السلطان، ثم عرض ما منعه من ذلك فأقمنا عنده ثلاثة أيام، ووجه معنا أخاه السيد عبد القادر وكتب لخدامه أولاد جامع أن يوجهوا معي عشرة من الخيل، وقال لأخيه يعطيني البغلة التي عنده أركب عليها لأنها حسنة السير ويرجع هو على التي ركبت عليها وكلتاهما للشيخ المذكور، فلما بلغنا أولاد جامع ركب معي الخيل وذهبنا حتى وافينا السلطان برصانة على مرحلة من القصر، وكان أراد التوجه ليربط على تطوان، فلما جلست بين يديه وهو يسألني عن الأمور المتقدمة شيئا فشيئا، وكنت أنا بفاس حاضرا لجميع ذلك من أوله الى آخره، فشرحت ذلك كله على حقيقته، فوجدته كان يعتقد أن أهل فاس وأهل العصبية فيهم هم أصحاب الأموال والأصول والتجار، مع أنه ليس كذلك، وإنما أهل فاس وأهل العصبية منهم قوم يقال لهم الرماة لا يظهرون الا في

(57) الحمومي : الشريف الفقيه الزكي الفاضل، الدعر علال ، العالم الأوحد البركة الأرشد ت 1259هـ 1843م. ودفن بزاويته التي بحومة لبليدة بفاس. (السلوة) ج 1 ص 177. (وفيات) ابن سودة ص 74.

وقت السيبة والفتنة، وأما في وقت الأحكام فانهم خامدون لا بال لهم، فإذا كان وقت ظهورهم كان أهل الأموال والأصول تحت ذمتهم وتصرفهم يفعلون فيهم ما أرادوا، فبينما أنا بين يدى السلطان على تلك الحالة إذ جاء صاحب المشور بكتاب ووضعه بين يديه وقال له : جاء به رقاص من عامل طنجة العربي السعدي ففتحه ودفعه الي أقرؤه عليه، فقرأته فإذا هو يقول له : إنه ورد علينا الخبر اليقين من تطوان أن أميرهم مولاي إبراهيم قد مات وبايعوا أخاه مولاي السعيد، فقلت له الحمد لله الذي كفى سيدنا شره، فقمت ووجهني للنزول عند الباشا الحاج محمد بن عبد الصادق، فركبت المحلة للعب البارود فرحا وسرورا بموت مولاي إبراهيم، فتواردت الأخبار بذلك من كل ناحية، وفي الغد رحل السلطان راجعا للقصر، ومنه توجه لفاس، فكتب لولده مولاي الطيب ولقواد الوداية وكانوا إذ ذاك ثلاثة، وأعطاني بغلة القاضي الفلوس المتقدم الذكر، وكتب كتبا أخرى بخط يده وطبعها ودفعها لي، وقال : هذه الكتب أتركها عندك ولاتدفعها لمولاي الطيب، فإذا دفعت له كتبه وكتب الدار وكتب الوداية فلا تبت في فاس الجديد إلا ليلة واحدة، وفي الغد يوجه معك القائد عياد من يذهب معك حتى تأتي من جهة المطا لباب الجيسة، وادخل لفاس البالي وادفع هذه المكاتب للحاج أحمد الحارثي، وللطيب البياز فإنهما عاقلان، وإذا علموا بقدومي ورأوا خطي وتحققوا فإنهم يرجعون للحق بلاشك، فأخذت المكاتب وكنت أريد أن أقول له إن هذا لا يمكن ولاينفع شيئا، ثم ظهر لي أن الصواب هو عدم الرد عليه، ثم ذهبت مع عشرة من خيل الوداية فلما وردنا على مولاي الطيب فرح وفرح أهل دار السلطان لما قرأ عليهم مكاتب الفتح وموت العدو، فأمر الوداية بالركوب واللعب وإخراج المدافع ليسمع أهل البالي، فبت تلك الليلة فلما أصبحت ذهبت لعياد وأخبرته بما أمرني به السلطان ليوجه من يذهب معي على الجهة المذكورة، ووجدت القواد الثلاثة عنده، فقالوا كلهم هذا حمق لا يمكن، ونحن نكتب للسلطان ونعلمه بحقيقة الحال، فكتبوا له وكتب مولاي الطيب، فرجعت الى السلطان وصحبت معي ولده مولاي إدريس كان كتب له السلطان أن يلقاه في الطريق، فذهبنا ووجدناه نازلا بعين الجعبة ببلاد شراقة، فلما دخلت عليه وأخبرته بالواقع وما منعني من الدخول لفاس ودفعت له كتب القواد وعياد ومولاي الطيب لم يعجبه ذلك غاية حتى ظهر الغضب في وجهه، فقال لي : أين الكتب

التي دفعت لك فدفعتها له فدعا في الحين الباشا ابن عبد الصادق ودفع له تلك الكتب بعينها، وقال له : اركب الآن واصحب معك الطاهر بن معمر، وكمال عشرة من أمثاله من كبار عبيد البخاري، فتصبحون بباب الجيسة، فإذا دخلتم فادفعوا لهم الكتب، فيخرج معكم أعيانهم وأشرافهم للقائنا في الطريق، فذهبوا ولم يمكنهم المرور على باب الجيسة، فذهبوا على فاس الجديد ولم يدخلوها، فلما بلغوا قصبة شراقة وأرادوا التوجه على طريق الخميس لناحية البستيون ردهم الوداية وحذروهم، فقال لهم ابن عبد الصادق لابد لي من الدخول ولو قطعوا رأسي، وبنفس دخولهم لفاس البالي جردوهم من الخيل والسلاح ورموهم في السجن وجعلوا يخرجون المدافع على الأسوار، فلما بلغ السلطان وادي العرائش ونزل الراضة، وردت خيل الوداية وأخبروا أن أهل فاس قبضوا ابن عبد الصادق وأصحابه، فحينئذ تحقق السلطان جميع ما كنا أخبرناه به ورجع عما كان يعتقده وعول على الجد.

وورد الخبر أيضا أن مولاي السعيد سلطان أهل فاس وأهل تطوان يبيت تلك الليلة بقنطرة سبو وكان معه جميع البرابر الذين خرجوا به، فكان وصوله مع السلطان في يوم واحد، فلما دخل السلطان لدار الملك أمر الوداية والمحلة أن يبيتوا راكبين مع مولاي الطيب ولا يصلوا الصبح إلى دار ابن عمرو فيضربوا محلة البرابر وأهل فاس وهم غارون، لأنهم لما بلغوا ذلك المحل أمنوا وخرجت إليهم عشائرهم وإخوانهم بالأطعمة والهدايا وباتوا في فرح وسرور لأنهم تعبوا في مرورهم على الجبل غاية التعب، وكانوا يبادرون بلوغ السلطان لئلا يسبقهم لفاس، فلما علفت خيل المحلة والوداية خرجوا وباتوا على ظهور الخيل، فلما صلوا الصبح في الغلس هبطوا إلى القنطرة فلم تشعر محلة البرابر إلا والرصاص يصب عليهم صب المطر الغزير، فتركوا المضارب والأمتعة والأثقال التي حصلوها بتطوان وهربوا، وتركوا أهل فاس باليد، ففروا في الأجنة التي هنالك، وشغل المحلة كثرة الكتان والملف والسكر غير ذلك، فأفلت مولاي السعيد وبطانته السيئة وقتل من البرابر وأهل فاس خلق كثير، وقتل عنيقد طبجي تطواني لا نظير له في زمانه، أتى به أهل فاس ليهدموا فاس الجديد، فتركوا

المدافع والآلات والبارود ونجا من بقي حيا بنفسه، وكان في تلك الصبيحة ضبابة عوراء مع دخان البارود فلا يبصر الإنسان يده منها، ولولا ذلك ما أفلت أحد. فرجعت المحلة سالمة ما جرح فيها أحد، وربحت الناس بكثرة النهب والذخائر النفيسة، وقبضوا من الأحياء شيئا كثيرا، ولكن كان أكثرهم من المتفرجين الذين خرجوا من فاس لملاقاة أحبابهم، فأمر السلطان بإطلاق المتفرجين الذين يتيقن أنهم لادخل لهم في الفتنة ولا غرض لهم في شيء من ذلك، ثم إن الوداية طلبوا من السلطان أن يرمي البمب على أهل فاس فامتنع من ذلك كل الامتناع، وقال لهم : لو كانت البمبة التي نرميها تذهب بالقصد حتى تنزل بدار ابن سليمان أو البياز أو غيرهما من رؤساء الفساد، لكنا نرميها ولكن إنما تقع غالبا في دار مسكين أو هجالة أو يتيم أو طالب ضعيف حبسته القدرة معهم فألحوا عليه في الطلب ولج هو في الإباء والامتناع.

ثم إن أهل فاس بدأوا بالرمي وكانوا يقصدون بذلك دار السلطان، فوقعت واحدة في الموضع الذي يجلس فيه للقراءة، ووقعت واحدة في المدرسة التي في باب دار المخزن، وكان الطبجية نازلين بها وهم من أهل الرباط وسلا، وقتلت منهم أربعة منهم المعلم الأكبر محمد فنيش، فحينئذ أمر السلطان أن يوتى بالمهاريز الكبار من فرمة 80 وفرمة 100 من طنجة، فجاءت ونصبها عليهم فكان البمب يختلف في الهواء ليلا [بعضه من فاس القديم وبعضه من الجديد](58) فاستمر الحصار على أهل فاس فلا يدخل أحد إليهم ولا يخرج إلا على خطر وغرر، ثم خرج السلطان وتوجه لناحية السواحل وترك الوداية على الحصار على فاس، فاستقر بطنجة مدة وهو يباشر أهل تطوان بكل ما يمكن، فلا يزدادون إلا عتوا ونفورا، فوجه محلة مع الصريدي ونزلوا بأبي صفيحة محاصرين لها، وقطعوا عنهم المداد، فما أفاد فيهم ذلك شيئا، فرجعت المحلة ونزلت بالزنات قرب طنجة. فلما انصرم الشتاء وجه السلطان لولد أخيه الذي هو طالع السعود مولانا عبد الرحمان بن هشام، وكان خليفة بالصويرة، فأمره بالقدوم عليه مع قبائل الحوز، فلما بلغوا الرباط ولم يجدوا السلطان ثقلت عليهم الزيادة على الرباط والقطع إلى الغرب، لأن السلطان إنما قال لهم يلقوه بالرباط، فكتب

(58) مابين المعقوفين اضافة من (م).

مولانا عبد الرحمان يعلم السلطان بقدوم الناس كلهم معه، وبأنهم لم يريدوا القطع الى الغرب، فوجهني السلطان بالمال أفرقه على المحلة خمسين أوقية للفارس، وقال لي : إذا بلغت سلا فانزل هناك عند بوجميعة ولا تقطع للرباط، واكتب لمولاي عبد الرحمان يقطع إليك بالمحلة ليقبضوا المال، فإذا قطعوا وقبضوا المال أقرأ عليهم هذا الكتاب، مضمنه أنه يأمرهم بالقدوم عليه للقصر يقبضون الكسوة التي جاءت من طنجة، فإذا قبضوها ذهب معهم السلطان للحوز، فلما خرجت من عنده [مودعا](59) قال لي : أتعرف مولاي عبد الرحمان ؟ قلت لا، قال هو : أفضل بيتنا أولاد مولاي عبد الله، وليس هو كمن تعرف من أولادنا وإخواننا، يصوم الخميس والاثنين، ويلبس الخشن من الثياب ولا يبالي، ومن الدليل على خيره أنني وجهته مع أولادي مولاي علي ومولاي عمر للحج فلم يخالطهم ولم يواكلهم ولم يجالسهم إلا إذا أجبروه على ذلك، فيجلس هنيأة ثم يذهب، لأن حاله ليس كحالهم ومذهبه ليس كمذهبهم، فلما حجوا ورجعوا رد إلي الداراهم التي أعطيته ليحج بها، وقال لي : يا سيدي إنما كنت أخذتها لأنفق منها إذا نفذ ما عندي، ثم إن ما عندي لم ينفد حتى رجعنا، وكانت لي بضاعة كنت جمعتها بقصد الحج، فلم أرد أن أخلطها بغيرها إذا حصلت الكفاية بها، وقد حصلت الكفاية بها، وقد حصلت بحمد الله من بركة سيدي، فقلت له : خذهابركة على بركة أصلحك الله ورضي عنك، فلما بلغنا للقصر وجدنا السلطان مازال بطنجة، فتركت المحلة هناك وذهبت لطنجة، فلما دخلت عليه وسأل عن المحلة ومن أتى من العمال ومن تخلف، وكم عدد كل قبيلة فأخبرته بجميع ذلك، ثم قال : وهل رأيت ما أخبرتك به من أوصاف الخير من مولاي عبد الرحمان وقد صحبته هذه المسافة وهذه المدة، فقلت له : والله ياسيدي إنه لأكثر مما تعلم وفوق ما تظن، فخرج السلطان من طنجة متوجها للعرائش ومر على أصيلة، وكان يريد الذهاب الى القصر بلا مرور بالعرائش، فلما بات بحد الغربية وجه ولي الله سيدي محمد بن مرزوق في نصف الليل قاضي أصيلة السيد مجاهد(60) مع أناس من أهل أصيلة، وقالوا : إن السيد وجهنا للسلطان ويأمره أن يكون مروره عليه، ويكون مبيته عنده، غدا، فأخبرنا السلطان بذلك فأمر المحلة بالمرور بأصيلة الى

(59) ما بين المعقوفين اضافة من (م).

(60) لم نقف على ترجمته.

العرائش <وتركت كيفية ملاقاة السلطان للشيخ سيدي محمد بن مرزوق رضي الله عنه وما خاطبه به لأن ذلك يطول بنا، وهو من أحوال المجاذيب التي لا تنضبط بحال، وذلك الشيخ وقع الإطباق على ولايته، ولا يقدر أحد أن يشك فيها كما لا يشك في الشمس وقت الظهيرة>(61) وكتب السلطان لمولانا عبد الرحمان أن تنتقل المحلة من القصر إلى العرائش وهنالك لقيه وفرح به ودعا له بكل خير عند ملاقاته على رؤوس الأشهاد، فلما دخل السلطان بعد الملاقاة وصلينا صلاة العصر خرج لمحل جلوسه ودعاني فوجدت بيده ورقة مكتوبة بخطه بخط غليظ ونصه :

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد، فإن الإمام الذي يصلح أن يكون مالكا لأمور المسلمين وخليفة عن رب العالمين من شروطه المحافظة على الصلوات في أوقاتها في الجماعة، ومن شروطه أن يجتنب المحرمات الموبقات من سفك الدماء وشرب الخمور وفعل الزنا، ومن شروطه أن يحمي حرمات الله وحرمات المسلمين ويعظم ما عظم الله، ويرحم الضعفاء ويصل ما أمر الله بوصله، ويقطع ما أمر الله بقطعه ومن شروطه ألا يتعامى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد إن قدر عليه، ثم باللسان، ثم بالقلب، وذلك أضعف الإيمان، وهذه الشروط كلها قد اجتمعت والحمد لله في ولد أخينا مولاي عبد الرحمان بن هشام فأشهد الله أنه أهل لها، وهي أهل له، أقول الحق ولا أبالي، كتبه عبد ربه سليمان بن محمد غفر الله له والسلام.

فدفعه لي وقال : اقرأه فقرأته عليه فأخذه من يدى وطواه طيا وثيقا وقال لي غلفه مليحا ولككه واتركه عندك واحتفظ عليه حتى أسأل عنه، ثم دعا العمال الذين قدموا من الحوز منهم السيد عبد الملك أبيه، والقائد علال بن محمد الشياظمي، والسيد محمد بن الغنيمي خليفة الحاج حمان العبدي مع ولده فضول صغيرا وابن المزوار الدكالي، والحاج العربي الرقيبة، وابن حديدة البوعزيزي، والقائد المعطي الحمري، والصديق العمراني، ولم يكن فيهم أحد من الرحامنة إلا الحاج المعطي ولد السيد محمد الحاج، ولا من الصراغنة ولا من الشاوية. فلما اجتمعوا خرج وجلس على الاسطرمية فدعا السيد عبد الملك وأجلسه الى جنبه وكان بعيدا منه، ثم دعا لهم دعوات

---

61) ما بين العلامتين ساقط من (ف).

متعددة بالخير وقال لهم : إنكم تعبتم في سبيل الله ونحن أتعب منكم، ونسأل الله تعالى ألا يضيع أجرنا ولا أجركم، واعلموا أنكم في طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكم المزية التامة وقد وجب علينا الإحسان التام إليكم، وقد ظهر لنا أنكم لما بلغتم إلى هذا المحل أنه لا ينبغي لكم أن ترجعوا إلا بزيارة مولاي إدريس، وكنت أردت توجيهكم من هنا ولكن أنا لا يمكن أن أرجع إلا بعد أن يحكم الله ما يحكم في هؤلاء الظلمة الخارجين عن الحق، وأنتم إذا رجعتم بغير سلطان لا يليق بكم ولا بقبائلكم الذين ترجعون إليهم، فاصبروا قليلا وتمموا عملكم وتذهبون إن شاء الله بسلطانكم فرحين مسرورين فائزين برضى الله تعالى، فقالوا جميعا : سمعنا وأطعنا والله ياسيدي لا نفارقك حتى نرجع بك ولو مكثنا عشر سنين(62) انتهى.

وبعد هذا وجه السلطان مائتين من الخيل مفروضة من الحوزية ومن عبيد البخاري مع قائد خيل العسكر البخاري، وهو الحاج إبراهيم بن رزوق، وأمرهم بالتوجه لتطوان يقيمون بمرتيل ولا يتركونهم يصلون الى المرسى فتوجهوا ورحل السلطان الى سيدي عيسى بن الحسن بالأربعاء في وسط بلاد سفيان، فأقام هناك مدة، وفيها ورد الخبر أن العربي بن يوسف قائد تطوان كاد الخيل التي مع الحاج ابراهيم حتى أدخلهم للبلد، فقبض على جميعهم ونزع منهم الخيل والسلاح ورماهم في السجن(*) وأعطى خيلهم وسلاحهم لأعوانه، وكان رجلا حازما داهية مع أنه مسلما ني أبوه يوسف هو الذي أسلم فيما أظن فلما ورد ذلك الخبر وكان السلطان قد ألم به مرض خفيف كان يخرج معه متجلدا، وفي ذلك اليوم كان شرب مسهلا تهيبت فلم أقدر على إعلامه بذلك الخبر السوء على تلك الحال من المرض والإسهال، وقائد المشور لا يدخل عليه في محله، وكنت أنا هو الذي أدخل فذهبت إلى سيدنا ومولانا عبد الرحمان وذكرت له ذلك فتهيب هو أيضا ذلك فلم أزل أقبل رجليه ويديه حتى أتى، فأعلمت السلطان بحضوره وأنه أراد الدخول، فأذن له ودخل وأخبره بذلك، ولعله أخبره أنني لم أرد إعلامه، فلما خرج مولانا عبد الرحمان دعاني السلطان فلامني كثيرا ووبخني غاية وقال : لا تعد لمثل هذا، وكل ما يرد لبابي بلغه الي كيف ما كان ليلا أو نهارا ولا

---

(62) في (م) : عشرين سنة.

(*) وعلق المؤلف على هذه الخيانة الصادرة من قائد تطوان فقال : قلت صدق الله العظيم، {ولا تزال تطلع على خائنة منهم} الآية.

عليك، فأثر فيه ذلك الخبر جدا، وزاد مابه من المرض، فبقي كذلك نحو العشرة أيام وهو يتجلد ويخرج في وقت خروجه ويصلي جالسا ويقرأ ورده من القرآن دائما، ثم أصبح ذات يوم في غاية الفرح والسرور والنشاط، وظهر في وجهه وزال أثر ذلك الكدر والمرض حتى كأنه ما مرض، فقال لي أنا وسيدي محمد بن عبد الجليل التهامي الوزاني، لقد حصلت لي مشقة عظيمة في هذه المرضة لا يعلم قدرها إلا الله، ولما ورد هذا الخبر الشنيع انحلت قواي، ألم تفهموا ذلك من حالي ؟ فقلنا والله ياسيدي لقد حصل لنا أكثر مما حصل لك ما رأينا من ضعف حالك، والحمد لله الذي من عليك بعافيتك وذهاب ما نزل بك، فقال : والله لقد هممت أن أترك هذا الأمر وأذهب هائما على وجهي، وقلت لما ورد خبر تلك الخبل إن الله تعالى لم يرد إصلاح خلقه، فما بالي أنا أعاند القدر ؟ فبقيت أتردد في ذلك فعلا وتركا، حتى كان في هذه الليلة المباركة رأيت رؤيا أزالت ما كان حصل لي لا من الألم ولا من الكدر، وهي أنني رأيت نفسي دخلت لفاس لزيارة مولاي إدريس على الحالة التي كنت أزوره فيها، فدخلت من الباب الذي من جهة العطارين من الجادلية، فلما دخلت رجعت عن يميني لباب الصومعة، فصعدت إلى أعلاها فأذنت بصوت عال وأنا أتلفت حالة الاذان يمينا وشمالا وأماما وخلفا، لأسمع الناس من جميع الجهات، فلما أكملت الأذان نزلت ووقفت بباب الصومعة أريد التوجه الى القبة لزيارة الضريح الشريف، فجاءني إنسان جميل الصورة وقال لي : قف هنا قليلا حتى يأتيك مولاي إدريس، فإنه خارج من قبته للقائك، فرأيت مولاي إدريس خارجا من القبة وبيده سكين في غمدها وحمالتها، وبنفس مارمى رجله من عتبة القبة وصل إلي في خطوة واحدة، فجعلت أريد أن أنحني لتقبيل رجليه فيمنعني وهو مشغول بتقليدي بذلك السكين، فقلدنيها من فوق السلهام وقال لي : الله معك، فانتبهت وما فرحت بشيء كفرحي بقوله : الله معك، انتهت الرؤيا.

قال ممليه عفا الله عنه ولطف به ومحل التعجب الدال على صدق رؤياه أنه يوم فتحت فاس ودخل لزيارة مولانا إدريس فعل مثل ما رأى فصعد للمنار قبل الدخول للقبة وأذن ولكن سرا، ثم نزل ووجد في باب المنار رجلا من أولاد البقال يقال له الحاج المختار (يعتقده الناس كثيرا

ويذكرون عنه كرامات)[63] وبيده سكين قصيرة في غمدها وعلاقتها فقلده بها من فوق حوائجه فتركها كذلك، فجعل ينظر إلي ويتبسم يشير إلى تصديق الرؤيا. فلما صعد لدار الملك بفاس الجديد وجلس على الشلية في محل جلوسه دعا سيدي محمد بن عبد الجليل وأنا واقف فقال : سبحان الله انظروا إلى هذا الاتفاق العجيب وسر الله تعالى وعنايته بهذا الولي الكبير مولانا إدريس، وهذا الرجل الذي أتى بهذا السكين في ذلك المحل لا شك أنه من الأولياء كما يعتقده الناس فيه. فقلت والله ياسيدي إنك لأنت الولي الأكبر، والسناية في هذا كله إنما هي بك. وقد ذكرنا هذه الحكاية قبل محلها لأن لها تعلقا بالرؤيا، وهي من تمامها في الحقيقة.

ثم نهض السلطان من سيدي عيسى بن الحسن وتوجه لناحية تازا، فلما نزل بالكور في بلاد الحياينة اجتمع الحياينة وغياثة ومكناسة وأهل تلك النواحي، وكانوا قد دخلوا في شيعة أهل فاس وبايعوا مولاي إبراهيم بن اليزيد ولأخيه بعده، وضربوا علينا ليلا والمحلة غارة، فأحاطوا بالمحلة ونضحوها بالرصاص، فأمر السلطان الناس بالترجل ولا يركب أحد، وخرج هو بنفسه ووقف مع الناس والرصاص يصوت في الهواء ويخترق بين الناس والدواب والخيل، فسلم الله تعالى فلم يمت أحد من المحلة ولا من خيلهم ولا من دوابهم، فكان ذلك من الآيات الظاهرة والألطاف الباهرة التي لا تجحد، فلم يبق ذلك الا مقدار نصف ساعة فرجعوا خائبين وأصبحت القتلى منهم في أطراف المحلة مصرعة، ثم رحل السلطان لتازا وكان فيها ولده مولاي الطيب خليفة مع خاله الشيخ جلون[64] ولد عبد الله بن الخضر، فوردت تلك القبائل من أعراب المعقل وأعراب الصحراء وأهل الريف، يزدحمون على رؤية السلطان ويتعجبون ويقولون والله إنه هو مولاي سليمان، وذلك لأن أهل فاس وشيعتهم كانوا يكتبون للقبائل ويقولون لهم : إن السلطان قد مات، وإنما الوداية يكذبون ويقولون إنه حي، ورجع السلطان لفاس ونزل قنطرة سبو وذلك في رجب من عام سبعة وثلاثين ومائتين وألف، وكان أهل فاس قد أضر بهم الحصار، وتراكم الشدائد السود وسئموا من تلك الدولة النحيسة، ففتحوا باب الفتوح وخرجوا بالصبيان والأشراف والمصاحف

(63) ما بين المعقوفين زيادة من (ل).
(64) كذا بالأصل وفي (م) و (ل) جلول باللام.

وتهافتوا على السلطان في محلته فعفا عنهم، وكان يقول لكل من أتاه منهم : لا تشريب عليكم اليوم يغفر الله لكم. وجاء مولاي السعيد في خفارة مولانا عبد الرحمان بن هشام ومعه الحاج الطالب بن جلون، وتفصيل هذا الخبر يطول بنا جدا، فدخل السلطان لمولاي إدريس وزار على الصفة التي تقدمت، ووجد الشيخ سيدي الحاج العربي الوزاني بالضريح الإدريسي مستحرما، وكانت القدرة الالهية قد أقامته معهم تلك المدة كلها فلم يعاتبه السلطان إلا عتابا خفيفا، ثم وجهني السلطان أن آتيه بخيل بني حسن صحبة عاملهم القائد محمد بن العامري وخيل أهل الغرب سفيان وابن مالك صحبة عمالهم السيد محمد المعتوكي، وقاسم بن الخضر، والحاج محمد بن الفاسي، وعلي بن عيسى، فذهبت فوجدت الناس متهيئين للقدوم علي السلطان فرحين بفتح فاس وانطفاء نار أولاد مولاي اليزيد، فجاءت الخيل زيادة علي الفرض بأضعاف مضاعفة فلقينا السلطان بالحجر الواقف بين سبو وورغة، وكانت أيام المد والحمل، فأقامت المحلة هنالك نحو الثمانية الأيام في انتظار نقصان الويدان وإمكان العدو، وفي ذلك المحل ورد على السلطان أولاد مولاي العربي الدرقاوي في صبية صغار يشفعون في أبيهم ليسرحه السلطان، فأحسن إليهم السلطان وكساهم وقال لهم : والله ما قبضته ولا أمرت بقبضه، ولو كنت قبضته لسرحته، ولكن اتركوه فيسرحه الله الذي قبضه، فكان الأمر كذلك، بقي في السجن حتى مات السلطان وبويع مولانا عبد الرحمان فسرحه في الحين، وبتسريحه افتتح ولايته، ثم عدت المحلة بمشقة عظيمة، فلما نزل السلطان قرب مسعيدة قدم عليه أهل تطوان مع قائدهم العربي بن يوسف، وكان الناس يظنون أنه يمثل به ويشرد به من خلفه، فلم ير منه إلا البر، لأنه سكت عن جميع ما وقع في تلك الفتنة ولم يعاقب أحدا بعد فتح فاس، نعم أمر العربي بن يوسف أن يذهب ويسلم على مولاي السعيد سلطانه ويسأله عن حاله، لأن السلطان صحبه معه في المحلة، ثم توجه السلطان للرباط ومنه لمراكش، فدخل مراكش في رمضان من العام المذكور، وبعد عيد الفطر شرع السلطان في تجهيز الحركة لقبيلة زرارة والشبانات بإشارة قاسم الرحماني الذي تعجب في نفسه ورأى أنه لا يقاومه أحد كما تعجب ابن الجلالي قبله، فأخذهم الله في مدة قريبة، فحشد قاسم جميع حلل الرحامنة أمثال الجراد المنتشر، فصادمتها قبائل أهل سوس، فقتل قاسم لأول وهلة وانهزمت تلك الحلل وولت على أدبارها،

وكان السلطان قد خرج في حراك أهل الغرب ومن معه من العبيد، ولما فرت الرحامنة خالط الرعب والفشل من بقي، وكان من أمرا لله تعالى وتجلي عظمته وكبريائه ما يذهل العقول، ولا يفي بشرحه المقول، ولولا خوف السآمة لأوسعتها شرحا، وإن كنت لم أحضرها لأنني قبل خروج السلطان إليها بثلاثة أيام وجهني لسوس لما كثرت الشكايات بعامله وهو مولاي بنصر بن عبد الرحمان ولد أخي السلطان، وقال لي : اصحبه معك إن أراد المجيء طوعاً، وإن تعلل فاقبضه، وكتب له كتابا يأمره بالمجيء لملاقاة السلطان ويرجع لعمله، ودفع لي كتابين أبيضين مطبوعين، وقال اكتب فيهما ما توقف عليه الحال. فلما بلغت ردانة أقمت للاستراحة وتربصت في الأمر أتأمل وأسأل عن حالة الناس من أهل المدينة والبادية، فلم يفجأنا إلا ورود خبر الهزيمة على السلطان بالروايات المختلفة، فمن الناس من يقول إن السلطان مات وقتل، ومنهم من يقول إنه لا بأس عليه، فوجهنا رسلا متعددة يأتوننا بتحقيق الأمر، وكتبنا للسلطان، وحمدنا الله تعالى على التأني وعدم العجلة بما جئنا لأجله، فرجعت الرسل بحقيقة الحال وشرح الوقيعة من أولها إلى آخرها، وكتب لنا السلطان كتابا بخط الكاتب مطبوعا وكتاباً بخط يده تحقيقا لسلامته، غير أنه ما شرح شيئا من الواقع، وإنما قال إن هذه الحركة ما وقعت إلا لإهلاك الظلمة المتلبسين علينا المظهرين للمحبة، وهم في الباطن أعدى الاعادي مثل قاسم وفلان وفلان، وأما أولاد بوستة فقد قتل زرارة عمر على رائحة الرحامنة، وقتل الرحامنة محمد على رائحة أهل سوس، والشريف سيدي محمد بن عبد الجليل أصابته رصاصة رعاية(65) رحمة الله عليه، والحاصل هان علينا كسر الخابية بموت الفار، وقد أحسنت في التربص فاترك الأمر على طيته واصحب معك أشياخ سوس وعدهم منا بالإحسان ومساعدتهم على ما يطلبون والسلام، [قال كاتبه ومقيده : سبحان الله ! مازلنا نتوقع هذه الوقعة ونتخوفها كلما دخلنا قبيلة من القبائل، وذلك أن وليا من أولياء الله تعالى من مجاذيب أهل فاس يقال له سيدي أحمد الغواني رضي الله عنه كان خرج مع الناس مرجعهم من تطوان مع سلطانهم مولاي السعيد، فقبض الوداية ذلك الولي المذكور وجعلوا له حبلا في عنقه وأتوابه حافيا

---

(65) كذا بالأصل ومثله في (م) أما (ف) فقد سقطت منها الكلمة.

من جملة المقبوضين، وتعب بذلك غاية التعب، وكان مسنا أظنه جاوز الثمانين في ذلك الوقت، فلما أتوا به عرفناه، فخلصناه منهم بعد المشقة لأنه قال لهم أعطيكم مالا كثيرا، فذكرنا حاله للسلطان فأحسن اليه بما يناسب حاله، فلم نزل نتعطفه للسلطان ونبرئه مما وقع فيه، ونعتذر عنه بعدم العلم، وننسب ذلك لمن أتى به، فتارة يرضى، وتارة يغضب، وآخر الأمر أنه قال : والله ما يخصه من كسرة أخرى مثل كسرة زيان، انتهى. فلم تزل هذه المقالة بين أعيننا حتى وقعت هذه، والأمر لله سبحانه لا يسأل عما يفعل. فلما جاء كتاب السلطان فرحنا](66) فحمدنا الله على سلامة السلطان وكتبنا لأشياخ سوس فلم يتخلف منهم أحد، وقدمنا على الحضرة ولم نخلص إليها إلا بمشقة من فساد الطرقات وهيجان العتو والطغيان من كل أحد لا من القوي ولا من الضعيف، وتركنا مولاي بنصر في محله، فلما اجتمع الأشياخ بالسلطان دعاهم وسألهم سؤال البحث والاستكشاف فلم يثنوا ولم يذموا، فقال لهم : أراكم قد أبهتم المقصود وأجملتم الخطاب، أما مولاي بنصر فقد عزلته عنكم فانظروا لأنفسكم أو نختار لكم نحن، فأطلقوا حينئذ ألسنهم في ذكر مساوي مولاي بنصر بكثرة الكلام، فأمر بإخراجهم وولى عليهم الرجل الخير الطاهر الطالب الحسيب السيد محمد بن الكبير البخاري فخانه الأشياخ وتفرقوا لبلادهم وتركوه في ردانة لا يجد حتى علف دوابه، فلما ضاق عليه الفضاء بانحصار المدينة دبر الحيلة لخروجه، فلما خرج نهبوه وما أفلت بمهجته إلا بمشقة، وفي أثناء ذلك وقعت غدرة ذو بلال في أكلهم الصاكة باتفاق الذين أتوا بها من الصويرة وهم الشياظمة وقائدهم علال بن محمد، وهو الذي نهب أكثرها من الأموال الثقيلة والذخائر الفاخرة، وهذه الوقعة هي التي هدمت قوائم السلطان فاعتراه مرضه الذي كان سبب موته عند انقضاء أجله، وذلك في رابع عشر ربيع الأول عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف، مات رحمه الله ثابت الذهن في غاية اليقين والفرح والاشتياق الى لقاء ربه.

وقد ختم ديوانه بالحسنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، وهي عهده بالخلافة لولد أخيه مولانا عبد الرحمان بن هشام مع كثرة أولاده ووجود كبار إخوانه، فلم يكن عنده في مرضه ذلك أهم من ذلك العهد

---

(66) ما بين العلامتين ساقط من الأصل ومن (م) فأضفناه نقلا عن (ل)، ونسخة «كلية الأدب» الرباطية.

وتوجيهه لمولاي عبد الرحمان، وكان تركه خليفة بفاس لما فتحت كما تقدم، فلما أحس بتمكن العلة منه وظهور أمارات الفوات دعا بصفحة بيضاء، ودعا بالطابع الكبير، فدخل إليه ذلك ولم يحضره أحد إلا أهله الإناث، فطبع بيده أو طبع غيره بين يديه، وكتب بعض الكتاب وكملته بعض حظاياه، وكانت تحسن الكتابة، فطواه وطبع عليه(67) ودعا القائد الجلالي الحويوي الرحماني وهو قائد المشور، وقال له : يأتي بفارسين تكون خيلهما قوية يذهبان بذلك الكتاب لفاس، وقال له : إنه عين لهما سخرة كبيرة يقبضانها هناك إذا أسرعا، فكان ذلك الكتاب هو العهد الذي قرئ بفاس، ومات السلطان رحمة الله عليه، فلما فرغ من دفنه واجتمع الناس الأعيان بباب دار السلطان لتعزية من حضر من أهله وهو شقيقه مولاي موسى وولده مولاي بوبكر وصغار جعل مولاي موسى يشير إلى أنه أحق بالأمر وأنه لا أكبر منه، وهو صادق من جهة الجرم والسن، ولكن لا أصغر منه عقلا وهمة، وكان القاضي المزوري(68) والفقيه سيدي محمد بن الطاهر الفلالي إلى جنبي فأخرجت ذلك الكتاب الذي كان كتبه السلطان بالعرائش وأمرني بحفظه فأريته للقاضي وقلت إن السلطان قد عهد لمولاي عبد الرحمان(69) فقل لهذا الأحمق يسكت حتى يظهر الخبر من الغرب الذي فيه الجيش وأهل الحل والعقد، فلما قرأ القاضي ذلك الكتاب وتحقق خط السلطان دفعه خفية لسيدي محمد بن الطاهر فقرأه خفية ومولاي موسى مشغول بالثرثرة مع من حوله، فقال له القاضي : ما قلت ياسيدي إلا الحق أنت بركتنا وأنت ولد سيدي محمد وشقيق السلطان رحمه الله، ومن ذا الذي يتقدم عليك ؟ ولكن نحن لا كلام لنا في هذا الأمر، وإنما الكلام في الغرب الذي فيه العساكر السلطانية من العبيد والوداية وعلماء فاس، فقال له مولاي موسى : أنت يادقيه غير اسكت لا كلام لك، إنما أنت قاضي إذا أتاك من تحكم عليه فاحكم عليه، أليس هؤلاء الذين حضروا عسكرا هنا

---

(67) كتاب ولاية العهد هذا هو المذكور بعد رقم 61.

(68) المزوري لم نقف على ترجمته.

(69) وعلى هامش ذكر البيعة العهد الرحمانية أقول : ولما كان اهتمام المولى سليمان بشأن ابن أخيه مولاي عبد الرحمان، كتب كتبا ثلاثة رغبة منه في انتشارها، الكتاب الذي كتبه وتركه عند المؤلف المذكور بالجيش، والكتاب الثاني الذي كتبه لأهل فاس المؤرخ بتاريخ 27 ربيع الأول عام 1238 ولفت عليه بديوان الوزير ابن ادريس، والثالث مذكور في فهرست الفقيه بنانبي المعروف بـ (بوتو) المراكشي، المخطوطة. الا أن كتاب الجيش مخالف في تعبيره لنص كتاب ابن ادريس. أما صاحب الاستقصا فقد نقل كتاب البيعة هنا بعبارة أخرى وذكر أنه بتاريخ رابع ربيع النبوي 1238 فتقدم على كتاب ابن ادريس بثلاثة وعشرين يوما.

العبيد وهنا الوداية وهنا العلماء، ومراكش هي دار السلطنة ؟ ومنها يخرج الملوك، فرفع سيدي محمد بن الطاهر يديه وقال : الفاتحة، الله يرحم السلطان ويجعل البركة في بقيته، فقرأ الناس الفاتحة، فقام سيدي محمد وانصرف، ومولاي موسى يناديه يافقيه يافقيه فلم يلتفت إليه كأنه لم يسمعه، وقام القاضي وجعل الناس ينصرفون حتى بقي مولاي موسى وحده مع أصحابه وخاصته، ثم بلغ مولاي موسى خبر الكتاب الذي عندي فوجه الي فلم آته، وأرسل الي صاحبه بهُ لأدفع له الكتاب، فقلت له : ما عندي كتاب، فجعل يغري علي ويقول : إنه زور علي السلطان كتابا وثبط الناس عن مبايعتي حتى تخوفت منه على نفسي، وانتقلت من القصبة إلى المدينة عند بعض الأحباب حتى ظهر الضوء وطلع النهار، وجاءت أوامر سيدنا السلطان من الغرب، فرجع مولاي موسى لغمده، ثم جاء مولاي عبد السلام بن سليمان من تافلالت ببيعة أهل تافلالت لمولاي عبد الواحد على أن مولاي عبد السلام يكون خليفته بمراكش، فوقع كلام آخر، ولكن مولاي عبد السلام كان سهل الانقياد وكان بيننا وبينه محبة في أيام والده، فبينا له حقيقة الأمر، وقلنا له إن هذا الأمر قد فرغ منه، وقد ثبت الحق في نصابه، وقلنا له لا تكن ثاني مولاي موسى الذي ظهر حمقه لكل أحد، وأنت أكتم ما جئت به، وقل ما جئت إلا لداري وأولادي ورأى أمر السلطان رحمه الله وخطه الذي يعرفه في قضية يأتي شرحها إن شاء الله تعالى، فأذعن وسكن حاله، وأحرق تلك المكاتب التي جاء بها، وجرت الأحكام السلطانية في مجاريها، من غير معارض يعارضها ولا مبار يباريها، والحمد لله رب العالمين.

ومما رثى به أخونا في الله تعالى الوزير الأجل الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد بن إدريس السلطان العادل مولانا سليمان هذه القصيدة الفريدة :

نبأ عرا أوهى عُرى الإيمان	وأبان حسن الصبر عن إمكان
شقت لموقعه القلوب وزلزلت	أرض النفوس ورُوج كل مكان
فقد الإمام أبي الربيع المرتضى	جزعت لعظم مصابه الثقلان
وبكت عيون الدين ملء جفونها	وجداً عليه وكل ذي إيمان.
لما نعى الناعون خير خليفة	وعرا الفؤاد طوارق الاحزان

مزقت ثوب تجلدي من فقده ونثرت در الدمع من أجفاني
عجبا لموت غالهُ إذ لم يخف فتك الملوك وسطوة السلطان
وسما لمنصبه المنيف ولم يهب غضب الجنود وغيرة الأعوان
لو كان يمنع خاض فرسان الوغى حرصا عليه مواقد النيران
وحموه بالنفس النفيسة إنما يحمون روح العدل والإحسان
لكن قضاء الله حُمَّ فلا يرى للمرء في دفع القضاء يدان
والموت مورد كل حي كأسه وسوى المهيمن في الحقيقة فان
إن غاب عنا شخصه فلقد ثوى فينا الثناء لـه بكـل لسـان
ومناقب، ومفاخـر ومآثـر شاعت له في سائر الأوطان
ومعارف وعوارف ووسائل ومسائل قد أوضحت ومعـان
وبدور أولاد وآل قد قفوا آثاره في العلـم والعـرفان
تخذوا الديانة والصيانة شرعة وتقلدوا بصـوارم الإيقان
أخلاقهم ووجوههم وأكفهم كالزهر والأزهار والأمزان
إن حاربوا أبدوا شجاعة جدّهم أو خاطبوا أزروا على سحبان
من كل من جعل القرآن سميره وسما بوصف العلم والتبيان
كم آيـة ظهـرت لـه وكرامـة دامت دلائلهـا مـدى الأزمـان
قد كان أوحد دهره وزمانـه في العدل والتمكين والإحسـان
قد كان عالم عصره وفريده في الفهم والتحقيق والإتقان
قد كان فردا في البلاغة إن جرت أقلامه بهرت بسحر بيان
من للعلى من بعده من للنهى من للتـقـي وتـلاوة القـرآن
يارمسه ماذا حويـت من العلى وطويت من علـم ومـن عرفـان
يارمس كم واريت من كرم ومن جود ومن فضل ومن إحسان
يارمس كيف حجبت عنا شمسه وضياؤه في سائر البلدان
ووسعت بحر علومه وسخائه فطما بضيق بطنك البحران
فلو استطعت جعلت قلبي قبره حبـا وأحشائي مـن الأكفـان
ولو أن عمري في يدي لوهبته وفديتـه بالأهـل والإخـوان
لكن يخفف بعض أثقال الأسى علمي به في جنة الرضوان
فسقى ثراه من المواهب ديمة وهمت عليه سحائب الغفران
ورد الرسول بموت خير خليفـة وولاية العهد الرفيع الشان
فجزعت من حزن لما قد نابني وطربت من فرح بما أولاني

ما مات من ترك الخليفة بعده ... مثل المؤيد عابد الرحمان
ملك تسربل بالتقى حتى ارتقى ... من نهجه الأنقى على كيوان
ياواحدا في الفضل غير مشارك ... أقسمت مالك في البرية ثان
لله بيعتك التي قد أشبهت ... فيما تواتر بيعة الرضوان
قد أحكمتها يد الشريعة والتقى ... بعُرى النصوص وواضح البرهان
سعد الذي أضحى بها متمسكا ... وهوى العنيد بهوة الخسران
وجرى على التيسير أمرك فاستوى ... ملك الورى لك في أقل زمان
وأتت لنصرتك المغارب كلها ... فبعيدها لك في الحقيقة دان
عقدوا على النصح القلوب وإنما ... عقدوا بنصرك راية الإيمان
لو شئت من أهل المشارق طاعة ... لأتوك من يمن ومن بغدان
هابتك أصنافُ الطغاة برغمهم ... لما وثقت بنصرة الرحمان
وبسطت عدلك في الورى فكأنما ... قد عاش في أيامك العمران
ياأهل بيت المصطفى أوصافكم ... جلت عن الإحصاء والحسبان
طاب المديح مع الرثاء بذكركم ... فنظمته كقلائد العقيان

ما في الجيش من التراجم
مقدمة الجيش

صفحة

حرف الألف

حرف العيـن

حرف الميم



زنقة أبو عبيدة الحي المحمدي – مراكش

☎ 30-37-74 فاكس : 30-49-23

صفحة	خطأ	صواب	سطر
أول الكتاب	مولاي علي السجلماسي	مولاي علي الشريف السجلماسي	2
"	الارضي	الارضي	1
"	هذا الرقم مكرر	يعتبر تكريره	
"	مأدبا	مؤدبا	19-16
"	اعدائكم	اعداءكم	20
"	مكت	مكث	26
12	ج	رقم ان ج ا	11من الهامش
13	مولان	مولانا	3
16هامش	البكارى	البكاي	4
16هامش	الجاب	الجواب	5
16هامش	النشر	للشر	9
17هامش	عها	عنها	5
20	عصال	عصاه	17
22هامش	السيب	المسيب	7
26	زمان والذي وبعده	زمان إلا والذي بعده	21
27	أبو بكر	أبي بكر	6
24	عند موله رضي الله عنه هدها	في بيعة أبي بكر رضي الله عنه	9
30هامش	إذ	إذا	7
30هامش	وأشارك	وأشار	12
32	وعلى	وعلا	16
32	لأحدا	لأحد	19
38هامش	رأفس	رأس	5
39	عثمن	عثمان	11
41	بنى	بن	3
42هامش	الاصل	الأصل	3
48	الجبيرى	الجيري	9

صفحة	خطـأ	صــــواب	سطـر
53	عبراء	غبراء	13
59	خلقان	خلكان	5
70	هذه	هذا	1
70	فما	فلما	7
72	فيصر	قصير	3
86	عفى	عفا	3

95 محو مطبعي (هامش 33)

(33) العياشي أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي نسبة لايت عياش قبيلة من البربر تتاخم بلادهم الصحراء من أحراز سجلماسة "صاحب الرحلة المشهورة" وله رحلة أخرى صغيرة ذكر ابن سودة في الدليل انها عند العلامة عبد الحفيظ الفاسي ألفها لتلميذه احمد بن سعيد المجلدي سماها تعداد المنازل لم تكن هذه التسمية مذكورة في نسختنا توفي رحمه الله سنة 1091 هـ 1679 م لم نر ان أحدا من المؤرخين ذكر له هذه الرحلة (تعداد المنازل) والله اعلم "ولتراجع ترجمة المجلدي بالصفق ص 190.

صفحة	خطـأ	صــــواب	سطـر
97	الأردال	الأرذال	13
102	بطنحة	بطنجة	15
104	ملحوضا	ملحوظا	16
109	رفي	وفي	13
112	ضعفائها	ضعفاءها	07
115	السنونسي	السنوسي	09
115	(هامش) 16 تكررت	تعليقها تقدم	03
125	مقيدة	مقيده	15
133	اساعيل	اسماعيل	2
138هامش	أب	أن	3
140	يولى	يولي	24
141	بينها بين	بينها وبين	01
142	يقتدي	يقتدى	14
143	يدعى	يدعي	28
147	ينص	ينصر	14بالهامش
147	الله	لله	10بالهامش
147	واوضضح	واوضح	20بالهامش

صفحة	خطأ	صواب	سطر
152	ويؤيدون	ويؤدون	04
153	وذكرا ابن	وذكر ابن	11
155	بني	بنى	24
157	يحكى	يحكي	10 و 16
163	رتبذير	وتبذير	04
163	علي	على	23
175	علي	على	06
175	وولي	وولى	16
176	الاهربة	الاهرية	13
180	بحمده الله	بحمد الله	14
183	أثر	إثر	05
191	وتوجد	وتوجه	10
199	ثاب	تاب	02
202	مضاربة	مضارب	05
203	عروسها	عروشها	22
230	عينه	عينيه	26
204	خمس مائه	خمسمائة	23
208	يقطع	بقطع	11
215	اخبرك	أخيرك	23
218	انما	ان ما	04
218	فقيديها	فقيد بها	12
218	انشأوها	انشؤوها	17
225	سير	يسر	05
225	الحياتية	الحياينة	06
228	فقدمرا	فقدموا	22
229	نقل	ونقل	06
230	يقصد	بقصد	18
236	ح 4595	ج 5 ص 459	هامش(54)

صفحة	خطأ	صواب	سطر
237	يسببهم	بسببهم	01
247	وسول الله	رسول الله	22
257	للمعنيين	للمعينين	15
258	رحمه	رحمه الله	25
261	ورلا	وإلا	02
275	اليزيد	بن اليزيد	02
283	بخير	بخبر	19
284	لمحة	لمحلة	هامش 16
284	انهما	انما	08
299	شوق	شرق	11
304	كلمه	كلمة	07
308	وفرأه	وقرأه	03
312	رارتفعت	وارتفعت	24
313	المقصور	المقصود	05
313	الكتان	الكتاب	08
315	احداً	احد	15
317	العزوة العصبية	العزوة والعصبية	22
318	فرج وبنا	فرح بنا	05
318	تنبيه : تكرار من "الاكرام"	ص 318 سطر 17	-
322	الى "ذمتهم"	ص 319 سطر 17	-
335	الداراهم	الدراهم	13
338	اله	الله	14
340	حذيقة	حذيفة	08
	الحيلاني	الجيلاني	26



تم بحول الله وقوته الجزء الأول من الجيش العرمرم الخماسي ويليه الجزء الثاني وأوله : الراية الحمراء المشرقة اللون التي لها من الله التأييد والعون، في دولة مولانا عبد الرحمن بن مولانا هشام بن مولانا محمد بن مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل رحمه الله .

ويليه إن شاء الله الجزء الثالث المشتمل على ترجمة مؤلف الجيش مؤرخ الدولة العالية المحفوظة بعين الرعاية الربانية محمد بن أحمد الكنسوسي قدس الله روحه .

وقبل كل شيء وبعد كل شيء تحت ظل الراية العلوية المنصورة بالله وكما هي تحت حماية حامي الملة والدين عالم الملوك وملك العلماء جوهرة عقد الدولة ووارث أخلاقها وفضائلها المنصور بالله مولانا الحسن بن مولانا المقدس بطل الأبطال محرر الأمة المغربية بمغربها العزيز مولانا محمد الخامس أكرمه الله بما يستحق من الدرجة المرفوعة بنور اليقين في جوار جده مولانا محمد صلى الله عليه وسلم في جنة الفردوس ، آمين .